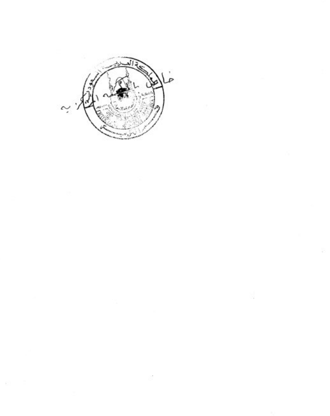
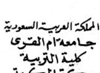




بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية التربية
مكة المكرمة

أثر العلمانية

في التربية والتعليم في العالم الاسلامي

بحث مكمل

لمتطلبات الماجستير في التربية

اعداد الطالب

محمد بن عبد العزيز السديس

اشراف الدكتور

بشير حاج التوم

لعام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

«... ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون»

الجاثية «١٨»

«... ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين»

البقرة «١٤٥»

«... ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين»

القصص «٥٠»

«... وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك»

المائدة «٤٩»

«... أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»

المائدة «٥٠»

المحتـــوى

الباب الثاني


المقدّمة

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له.

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله .

" يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون " ال عمران : ١٠٢ .

" يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا " النساء : ١ .

" يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " الاحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

وبعد : فقد انعم الله على هذه الامة واكرمها بأن بعث فيها خاتم رسله وافضلهم باكمل شريعة واقومها ، فاخرجهم الله بذلك من الظلمات الى النور ، من عبادة غير الله من الاوثان بانواعها ـ حجرا او بشرا او نظاما الى عبادة الله الواحد الاحد ، ومن جور الاديان ـ المحرفة او البشرية ـ الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة . وأعتنق هذا الدين رجال نشروه في انحاء المعمورة وهيمن هذا الدين عن طريقهم على ثلثى الارض المعمورة في ذلك الزمان في اقل من نصف قرن ، واستمر الدين مهيمنا على شئون الحياة عدة قرون !

ولم يكف اعداء الاسلام من اليهود والنصارى منذ بزوغ شمس الاسلام على الجزيرة من تدبير المكايد ضد نبى الاسلام واتباعه ومن تجهيز الجيوش العسكرية لسحق كيان المسلمين والقضاء على وجودهم ولعل اكبر الحملات العسكرية ضد المسلمين هى الحملات الصليبية التى بدأت حملتها الاولى عام ١٠٩٩م وبدأت حملتها التاسعة عام ١٢٧٠م .

" وبعد الفشل الذريع قررت اوربا تغيير استراتيجيتها ، واخذت

تستعد لحملة جديدة في عالم الاسلام .

وكانت خلاصة التفكير الجديد ان يتعلم الغرب علوم المسلمين ثم يهزمهم باسلحتهم وفنونهم ذاتها .

وسمي الاوربيون الحرب الجديده بـ " الصليبيه الروحيه " spritual crusade .

وكانت غاية الصليبيه الروحيه ان يتعلم الاوربيون علوم المسلمين فيشوهو العقائد الاسلامية وتاريخ الاسلام .. "(١)

وهكذا بدأ الاوربيون حرب المسلمين فكريا وعقديا عن طريق التبشير والاستشراق ونجح المبشرون والمستشرقون .

على ان القضية ليست مقتصره على ماعمله اعداء المسلمين بل وقع انحراف من المسلمين ساعد على نجاح حركتي التبشير والاستشراق بدأ الانحراف منذ ان دخلت الفلسفات اليونانيه والهنديه وغيرها الى المسلمين فاعتنق افكارها بعض المشبوهين ، وبعض المسلمين قليلي العلم والفقه لدين الله ، ثم اتسع الانحراف حتى شمل المجتمع الاسلامي كله ، هذا فقد المسلمون في القرون الاخيرة خاصة القرنين التاسع عشر والعشرين ذاتيتهم التي تميزهم عن غيرهم من الامم ، واتصلوا وهم على هذه الحالة من فقدان الذاتيه باوربا عن طريق المدرسين الاجانب والبعثات المرسلة الى اوربا في وقت كانت فيه اوربا تموج بالافكار اللادينيه " وكانت فرنسا بعد الثورة الفرنسيه قد أتخذت العلمانيه نظاما لها في الحياه ، ونقل المدرسون الاجانب الموفودون الى العالم الاسلامي ، والمبتعثون من ابناء المسلمين بعض الافكار الـ " لادينيه " بغية اصلاح حال البلاد الاسلامية وقد جهل المبتعثون الاسباب الكامنه وراء مايعاني منه المسلمون من انحطاط فكري وعلمي وعقدي فكان التشخيص الخاطئ سببا في العلاج الخاطئ الذي اتى بمضاعفات جديده . لقد خيل لهؤلاء ان داء فقدان الذاتيه - المتمثل في الانحطاط الفكري والعلمي والعقدي - الناشئ عن الانحراف عن مفاهيم الاسلام في العقيدة والسلوك ، يمكن معالجته باستعاره انظمه البشر التي سنها الكفار من اليهود والنصارى ، الذين لم يعرفوا دينا صحيحا بل ماعرفوه وماكانوا يدينون به هو الدين المحرف - كما سيتضح ذلك بالنسبة للنصارى في ثنايا البحث .

---

(١) تاريخ فلسطين القديم : ١٨٩ هامش "٢" .

وهكذا كان الانحراف عن مفاهيم الاسلام او بعضها عاملاً مهماً في التهيئة لقبول المسلمين للانظمه والافكار والمخالفة للاسلام .

ومن ثم انتشرت في الساحة الاسلاميه شتى المذاهب والافكار وطبقـــت جميعها فمنها الاشتراكية والوطنيه والقومية والديمقراطيه والليبراليه - التحرريه -

وفي التربية والتعليم خاصة انتشرت مذاهب وفلسفات تربوية " لادينيـــه " فمنها الفسفة الواقعيه ، والفلسفه الطبيعيه ، والبراجماسيه ، والوضعيه المنطقيه وغيرها .

لقد رأيت - وانا أعلم شيئا من النتائج السيئه التى احدثها اعتناق بعض المسلمين لمثل هذه الافكار والنظريات والفلسفات - ان اختار للدراسة الخاصة - بعد ان انهيت متطلبات الدبلوم - مذهبا فكريا كان ومازال له اثار سيئة كثيـــرة على العالم والعالم الاسلامي بخاصة ، وكان ان وفقنى الله لاختيار مذهـــب "العلمانيه" وقد دعاني لاختيار هذا المذهب سببان هما .

١- غموض المدلول الحقيقي لهذا المذهب او المصطلح بالنسبة لجمهـــــرة كثيرة من المثقفين في العالم الاسلامى ، نتيجة للمغالطة التى قام بها العلمانيون الغربيون فى اول العهد بالدعوة الى العلمانية والتى قام بها العلمانيون فـــي العالم الاسلامى والتى كانت ترتكز على الادعاء بان العلمانية تعنى العلم ومشتقاته وليست تعنى عزل الدين عن توجيه الحياة ومن ثم خُدع الناس بهذه المغالطة .

٢- ان بين المدلول الاصطلاحي للعلمانيه - عزل الدين عن توجيه الحياه - وبين الواقع الاسلامي المعاصر توافقا تاما ذلك ان الواقع الاسلامى المعاصـــر - للاسف - عزل الدين فيه عن توجيه الحياة ، وحصر فى الشعائر التعبدية فليس للدين هيمنه على شئون الاقتصاد ،وكمثال على ذلك انتشار المصارف الربويـــه في العالم الاسلامي ، كما انه ليس للدين هيمنه على قوانين العقوبات والا فما معنى عدم اقامة القصاص على القاتل ، او حد الخمر على السكارى ، او حد الزنا على الزناة فى اكثر البلاد الاسلامية اليس ذلك عزلا للدين عن توجيه الحياه ؟

لقد كنت شغوفا بتتبع ماتصدره المطابع من الكتب عن العلمانيه - جهــد طاقتى - واقتنيت عددا من هذه الكتب وقرأت بعضها من امثال كتاب سقـــوط العلمانيه للاستاذ انور الجندى ، وتهافت العلمانيه للدكتور عماد الدين خليل

ورسالة العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق للدكتور محمد البهي وغيرها واستفدت من هذه الكتب ونقلت عن بعضها نصوصا ، ثم نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ سفر بن عبد الرحمن احمد للحصول على درجة الماجستير في العقيدة من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكه ، وكان ذلك بعد ان سجلت في هذا الموضوع بفصل دراسي واحد ، واقتنيت نسخة من الرسالة واستفدت من بعض المراجع التى رجع اليها الباحث ونقلت نصوصا من افكاره . ثم سمعت بمناقشة رسالة في الماجستير في الموضوع نفسه بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنوره ، ولكني لم اطلع عليها .

لقد سجلت في هذا الموضوع تحت اشراف استاذي الفاضل الدكتور/ بشير حاج التوم ، وكان ذلك في بداية الفصل الدراسي الثاني لعام ٩٨/١٣٩٩هـ . وقدمت المخطط للاستاذ المشرف مقسما اياه الى تمهيد وبابين وخاتمه .

وقد تضمن التمهيد الحديث عن

١- تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشيء من تاريخها في الغرب .

٢- العقائد السائده قبل وبعد ميلاد المسيح .

٣- العقيده والشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام .

اما الباب الاول فقد تحدثت فيه عن عوامل العلمانيه في العالم الغربي والعالم الاسلامي وذلك في فصلين .

الفصل الاول : خصصته لعوامل نشوء العلمانيه في الغرب وقسمته الى مبحثين

المبحث الاول : خصصته للعوامل الاساسيه لنشوء العلمانيه وقسمته الى ثلاثة مطالب .

المطلب الاول : خصصته لبيان تحريف النصرانيه -عقيدة وشريعة-

المطلب الثاني : وخصصته لبيان البدع التى استحدثها رجال الكنيسه .

المطلب الثالث : وخصصته للحديث عن طغيان رجال الكنيسه .

المبحث الثاني : عوامل مساعده ، وتحدثت فيه عن فرضيه التطور واثرها في الفكر والعلم والفلسفه في العالم الغربي .

اما الفصل الثاني : فقد خصصته لعوامل انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي وقسمته الى مبحثين ايضا .

المبحث الاول : وخصصته للعوامل الداخليه التى ساعدت على انتقال

العلمانيه الى العالم الاسلامي وقسمته الى مطلبين .

المطلب الاول خصصته للعوامل الذاتيه التى تمثلت في

ا- الانحراف الذاتي للمسلمين واثره في تقبل العلمانيه

ب- مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي

جـ- المستغربون وأثرهم في نقل العلمانيه الى العالم الاسلامي

المطلب الثاني : وخصصته للحديث عن نصارى العرب وأثرهم في انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي .

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عن العوامل الخارجيه التى ادت الى انتقال العلمانيه الى العالم الاسلامي وتمثلت في :

أ - قوى الاحتلال واثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني

ب- التبشير - التنصير - واثره في نقل الفكر العلماني

جـ- الاستشراق واثره في نقل الفكر العلماني

واما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن اثر العلمانيه في المجالين التربوى والتعليمي في العالم الاسلامي ، وذلك في فصلين اثنين :

تحدثت في الفصل الاول عن اثر العلمانيه في التربية وقسمته الى مبحثين

المبحث الاول : خصصته للحديث عن بعض الافكار والمذاهب التربوية التى اعتقها بعض التربويين واثرها فى التربية والتعليم .

المبحث الثاني : وخصصته لمناقشة بعض افكار التربويين التى سطروها في كتبهم .

اما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن آثار ومظاهر العلمانيـــــة في التعليم الرسمي وجعلته في مبحثين .

المبحث الاول : وخصصته للحديث عن الجهود الفكريه والعمليه الــتى بذلت لعلمنة التعليم منذ اوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقـــــلال

المبحث الثاني : وخصصته للحديث عن الوضع التعليمي بعد الاستقلال وقد قسمته الى خمسة مطالب هي :

المطلب الاول : وتحدثت فيه عن اهداف التعليم من خلال ماصدر عــن المؤتمرات والدول من قرارات .

المطلب الثاني : وتحدثت فيه عن نصيب المواد الشرعيه من الخطط الدراسيه .

المطلب الثالث : وتحدثت فيه عن الاختلاط في التعليم

المطلب الرابع : ونقلت فيه نماذج من مقررات دراسيه

المطلب الخامس : وتحدثت فيه عن آثار التعليم العلماني على الدارسين ، وعلى المجتمع الاسلامي ، وعلى التعليم الاسلامي عموما وتعليم علوم الشرعيه واللغة على وجه الخصوص .

اما الخاتمة فقد تضمنت الحديث عن :

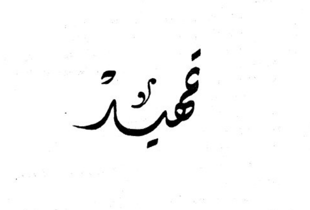
١- هل يوجد لدى دعاة العلمانيه اى مبرر لدعوتهم ؟

٢- حكم الدعوه الى العلمانيه في العالم الاسلامي .

٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانيه واثارها ؟

وأسأل الله ان يتقبل منى هذا العمل المتواضع وان يجعله خالصا لوجهه الكريم .

وانني اذ احمد الله واشكره على ماوفقنى اليه في هذا البحث ، لاتقدم بالشكر والعرفان من بعد الله لمعالى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذى اتاح لى فرصة مواصلة الدراسة العليا ، ولسعادة عميد كلية التربية ولسعادة استاذى الفاضل الدكتور بشير حاج التوم على مابذله من توجيهات مفيدة حتى استوى هذا البحث على سوقه ، ولكل من اعانني باعارة كتب ، او ترجمة نصوص من الانجليزيه الى العربيه . والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .


تمہید

تمهيد للدراسة يشتمل على :

١ - تعريف وتحليل لمفهوم العلمانية وشئ من تاريخها في الغرب .

٢ - العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح عليه السلام .

٣ - العقيدة والشريعة التي أرسل بها عيسى عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ تعريف العلمانية وتحليلها وبيان تاريخ منشوءها

تعريف العلمانية : العلمانية كـ الرهبانية فى الوزن اللفظى ، والرهبانية هى نظام للعبادة المتواصلة ابتدعه النصارى ونعى الله عليهم ذلك .

" ... ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها " ٥٧ / ٣٧

فالرهبانية وصف للعبادة المتواصلة ، والرهبانى هو الشخص المتبتل المنقطع عن الناس فى الدير لاداء شعائر تعبدية ابتدعها ابتغاء لرضوان الله ولكنه لم يرعها حق رعايتها .

فهل العلمانية وصف للعلم ؟ وهل العلمانى هو الملتزم بالاسلوب العلمى فى دراساته وابحاثه ؟ أم أن العلمانية ليست وصفا للعلم . هذا هو ما سأجليه فى الصفحات الاتية .

ولا يمكننا ذلك الا بمراجعة مفردات اللغتين ـ الانجليزية والفرنسية عن طريق الرجوع الى القواميس الانجليزية العربية والفرنسية العربية . فماذا تقول هذه القواميس والمفاهيم ودوائر المعارف ؟

تقول دائرة المعارف البريطانية عن هذه اللفظة (Secularism)

" الدنيوية : العلمانية : هى حركة فى المجتمع ابتعدت كثيرا عن العالم الآخر، واتجهت الى هذا العالم " العالم الدنيوى " ." (١)

وورد فى المعجم الدولى الثالث الجديد عن اللفظة السابقة مايلى :

" العلمانية : الدنيوية هى وجهة النظر ـ فى الحياة او أى قضية خاصة ـ المرتكزة على ان الدين او الاعتبارات الدينية يجب ان تهمل او تستثنى عن قصد ـ او هى

---

(١) Ency Britannica Vcl.Ixp. 19.)

نظام من التقاليد الاجتماعية يعتمد على اساس ان القواعد الاخلاقية والسلوك يجب ألا تحدد بشكل كامل بالرجوع الى الدين .

والعلماني : الدنيوي : هو الشخص الذي يتبع الامور الدنيوية ويدعو لها (كل فلسفة في الحياة اما ان تكون دينية او دنيوية) كما يقول والتر موبرلي .

القاعدة الدنيوية للانسان ولا ترجع مفاهيمنا الى افتراضات غير معروفة دنيوية الامور : عمل الامور دنيوية - حالة كونه دنيويا (جعل المدارس تهتم بالامور الدنيوية) " زيادة ثقافتنا الدنيوية ".

دنيوي تعني :

(١) احتفالات دنيوية (لكاهن الابرشيه)

(٢) علماني .(١)

وورد في معجم اكسفورد شرحا لنفس المادة . ما يلي :

" العلمانية : الصفة منها علماني : وتعني دنيوي او مادي ، ليس دينيا او روحيا :

أمثلة ذلك : تعليم دنيوي - فن دنيوي - موسيقى دنيوية - القوة الدنيوية - انظمة الدولة غير المطابقة للكنيسة .

العلمانية : الرأي القائل بان الاخلاق والتعليم يجب ان [illegible] على الدين .

العلماني : هو الشخص الذي يعتقد بالعلمانية او يكون من دعاتها ومؤيديها " .(٢)

---

(1) Webster's third new internaatienal Die: (2053) (2) oXferd sdvancer's Dicofeurrent English (785).

وورد فى قاموس العالم الجديد شرحا لنفس اللفظة مايلى :

" العلمانية : (١) - الحياة الدنيوية : دستور من الانظمة والاعمال التى لاتعتبر او تعارض اى شكل من اشكال العقيدة الدينية والعبادة .

(٢) - الاعتقاد بان الدين وقضايا الكنيسة يجب أن لا تتدخل فى امور الدولة وخاصة تعليم الجمهور ".(١)

ووردفى قاموس " المورد " مايلى :

" ١ - (أ) دنيوى (interests) Secular

(ب) غير دينى Drama

(جـ) مدنى ، اكليركى (Jurisdiction)

٢ - عالمى ، غير قانونى ، غير منتسب الى رهبانية (Priests)

الدنيوية : عدم المبالاة بالدين او بالاعتبارات الدينية . (Secularism)

١ - شىء دنيوى الخ .. (Seculatity)

٢ - الصفة الدنيوية او المدنية الخ ..

أ - يدنوى : يجعله دنيويا (Secularize)

ب - يحلمن ينزع عنه الصفة او السيطرة الاكليركية .

جـ - يشبع بالنزعة الدنيوية (٢) (Secularization)

---

(١) Websters Newworld Dictic (1288) .

(٢) المورد (قاموس عربى انجليزى) ، ٨٢٧ .

ويقول " البرت الريحاني وزملاؤه " :

" علمانية : ـال : حركـة اقترنت بالثورة الفرنسية ومفادها فصـــل الدين عن الدولة : عن التشريع والتعليم والمراسم "(١) .

وورد في الكنز مايلي :

" دنيوية : علمانية (Secularism)

دنيوي : يتعلق بالدنيوية (Secularist)

دنيوية : علمانية ـ عالمية (Secularity) "(٢)

وورد في المنهل مايلي :

" دنيوية ، علمانية ، عالمية (Secularite)

عالمي ، علماني ، دنيوي (Seculier) "(٣)

وهكذا يتضح مما سبق ان مدلول هذه اللفظة (Secularism) يعني قيام احوال الفرد والمجتمع وعلاقاتهم وتعليمهم على غير اساس ديني ، ويعني ان لا يكون " للكنيسة " ومن يمثلها اى تدخل في شئون الدولة .

ومن هذا يتضح ان هذه اللفظة لا تؤدى معنى العلم ، ولا مشتقاتـــه الا اذا فهم العلم على انه يعني انكار الدين ، او عدم الاعتراف به ، واهماله في الفرد والمجتمع .

لكن ماهو اللفظ الذى يعني اطلاقه ، العلم ومشتقاته ؟

لابد لنا لمعرفة ذلك من الرجوع الى المعاجم الانجليزية العربية والفرنسية العربية فماذا تقول هذه المعاجم والقواميس ؟

---

(١) البرت الريحاني وزملاؤه : الموسوعة العربية : ٥٠٦

(٢) جروان السابق : الكنز : ٦١٩ .

(٣) المنهل " قاموس عربي فرنسي " : ٩٤٥ .

ورد في مجمع اللغات ما يلي : " فرنسي انجليزي

" علم اختصاصي عال Science Science

النسبة الى العلم (Scientifique) (Scientific) "(١)"

وورد في قاموس الياس " انجليزي ، عربي " :

" مختص بعلم (Scientific)

رجل علم (Scientist) "(٢)"

وورد في الكنز ما يلي :

" علمي ، مدروس علميا ، مبحوث علميا : (Scientific)

دقيق علميا ، منسوب الى العلم . (٣)

وهكذا يتضح الاختلاف بين الفاظ العلم ومشتقاته ، والالفاظ التي تعني اللادينية ويتضح لنا مدى المغالطة التي ترتكب في ترجمة اللفظية سواء عند رجال الفكر الغربيين الناهضين للكنيسة ورجالها ، او عند المتأثرين بهم من دعاة اللادينية في العالم الاسلامي سواء كانوا افرادا او منظمات أو دولا .

والذي دعا الغربيين الى هذه المغالطة هو محاولة اجتذاب تأييد الناس عموما الى هذه الحركة لان احدا مهما كان اتجاهه الفكري لا يمكن أن يعارض الدعوة الى العلم ، وهكذا استطاع رواد الفكر الغربي اللاديني انشاء حركة مضادة للكنيسة ورجالها ، ثم للدين بصفة عامة ، واصبح الدين النصراني بل وكل دين في حس من تأثر بهؤلاء يعني مايضاد العلم ويعاديه ، ولا ريب ان رواد الفكر اللاديني في الغرب شبهة في خروجهم على الكنيسة ورجالها

(١) مجمع اللغات : ٦٣٤ ، ٦٣٥ .
(٢) قاموس الياس الحديث : ٤٥٤ ، ٤٥٥ .
(٣) الكنز : مصدر سابق : ٦٠٨ .

بسبب ما رأوه منهم من معاداة للعلم ورجاله الامر الذى وصل بهم الى حد تمزيق كتب بعض علماء الطبيعة ، بل واحراق وتعذيب بعض رجـــال العلم . وهكذا حصل الفصل الضار للكنيسة ورجالها ثم عمم على كل دين .

أما المتأثرون بالغربيين فى العالم الاسلامى فانى لا أجـــــد لهم شبهة كالشبهة التى تشبث بها الغربيون للدعوة الى العلمانيـــــة " اللادينية " فلئن انحطت الامة الاسلامية فى العصور المتأخرة من الناحية العلمية فان ذلك ليس بسبب ما تعتنقه من دين ، فهذا كلام الله سبحانه وتعالى بين ايديهم - لم يتعرض للتحريف كما تعرضت التوراة والانجيل فهو محفوظ بحفظ الله - لم يحارب العلم بل دعا اليه على ان يكون سائرا على المنهج الذى وضعه الله للعلم وهو ان يؤدى الى التفكر والتدبـــر فى آلاء الله ، والانتفاع بحصيلة العلم وتوجيه نتائجه فيما ينفع البشرية لا فيما يدمرها .

وعلى هذا فان سبب الانحطاط العلمى فى العالم الاسلامى هـــو سلوك المسلمين وتصرفهم ومنهم بعض علماء الدين لا شك ، وليس الاسلام بقرآنه وسنته . ولقد كان لبعض الافراد والمنظمات التى نشأت فى اواخر القرن الماضى وفى هذا القرن ، صلة مباشرة او غير مباشرة بالمنظمـــــات اليهودية بل كانت المنظمات اليهودية توجه هؤلاء الافراد والمنظمات بطريق مباشر او غير مباشر وليس أدل على ذلك من أن احزابا كحـــزب تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى الذين اسسا فى اواخر عصر الدولة العثمانية كانا مدفوعين من قبل يهود الدونمه فى سالونيك بتركيا . (١)

---

(١) انظر فى بيان ذلك الكتب التالية : أ - اسرار الانقلاب العثمانى
ب - القومية والغزو الفكرى ج - يهود الدونمه
د - اسرار الماسونية .

وكذلك كان للنصارى المحليين المدعوين من الصليبية العالمية دور في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي . (١)

ومن المؤسف حقا ان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يصرح بانـه يسعى لاقامة الدولة الديمقراطية العلمانية . فقد اجاب عن سؤال الصحفية الايطالية وماذا عن الدولة الفلسطينية ؟ فقال :

" .. نعم لقد قلت هذا الكلام ومن على منبر الامم المتحدة فـي شهر تشرين الثاني ١٩٧٤م وقلت ايضا ان مثل هذا الكلام يبدو الان ، وكانه الحلم ولكنه حلم يستحق النضال ويستحق التضحيات . فاذا كـان بناء الدولة الديمقراطية العلمانيـة المنفتحة على جميع المواطنيـن تعاملهم بمساواة في الحقوق والواجبات بالرغم من تعدد مذاهبهـم وعقائدهم .. اذا كان بناء مثل هذه الدولة لا يستحق النضال والتضحية فاي دولة اذن تستحق النضال والتضحية .. "(٢)

أما عن تاريخ الدعوة الى العلمانية والمراحل التي مرت بها العلمانية وميزات كل مرحلة وخصائص الفكر الفلسفي العلماني في اوربا فاوضحه فـي الفقرات الاتية :

١ - تاريخ الدعوة اليها : جاء في دائرة المعارف البريطانية بعد تعريف لفظ (Secularism) مايلي :

---

(١) انظر البحث الخاص بنصارى العرب واثرهم في انتقال العلمانية في هذا البحث .

(٢) مجلة الدعوة الصادرة بالرياض عدد ٧٤٥ في ٢٨/٥/١٤٠٠ هـ ص ١٠ .

" ففي الفترة الوسطى كان هناك اتجاه قوي لدى رجال الديـــــن لاحتقار القضايا الانسانية والاتجاه نحو عبادة الله والايمان بالحياة الاخرة . وكرد فعل لهذا الاتجاه ظهرت العلمانية " " في عصـــر النهضة وكرست نفسها في تطوير القضايا الانسانية عندما بـــدأ الانسان يعير اهتماما اكثر للمنجزات الثقافية الانسانية ، وبامكانية وصوله الى الكمال والرفعة في هذا العالم . وظهر بشكل واضـــح الاتجاه نحو العلمانية خلال التاريخ الحديث وصور هذا الاتجـــاه على انه معاد للمسيحية وغير ديني .

وفي اواخر النصف الثاني من القرن العشرين ظهر دعاة يدعون الـى المسيحية الدنيوية . قالوا بان على المسيحية أن لا تهتم فقـــط بالاشياء المقدسة والعالم الاخر . لكن على الانسان ان يجد فـــي هذا العالم الدنيوي الفرصة لدفع القيم المسيحية . وقالوا : بـــان المعنى الحقيقي لرسالة المسيح يمكن ان يكتشف ويكمل في قضايا كل فرد من خلال الحياة الريفية المتحررة "(1) .

وقد ذكر البرت الريحاني أن العلمانية اقترنت بالثورة الفرنسيـــــة كما مر ذكره .

٢ ـ المراحل التي مرت بها الد[illegible] [illegible]ينية " : مر الفكر العلماني الاوربي كما ذكر ذلك الدكتور محمد البهي بمرحلتين :

"١ـ مرحلة العلمانية المعتدلة . وهي مرحلة القرنين السابع عشـــر والثامن عشر .

٢ـ مرحلة العلمانية المتطرفة : وهي مرحلة القرن التاسع عشـــر وقد بلغت قمتها في التطرف في الفكر المادي التاريخي "(٢) .

---

(1) Ency. Britannica Vcl .Ixp. 19 . (١)

(٢) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق (ملحق مجلة الفكر الاسلامي ص ١٠ .

ومن رواد هذه المرحلة "فيرباخ" و "ماركس" و "لينين "(١) .

٣ - مميزات كل مرحلة : امتازت كل مرحلة من المرحلتين بمميزات تميزها عن الاخرى اوجزها فى الآتى :

أ - مميزات المرحلة الاولى : تميزت هذه المر... تى :

١- اعتبر فيها الدين مسألة شخصية لاعلاقة للدولة بها .

٢- ان على الدولة مع عدم التدخل فى تدين الاشخاص ان تحمى الكنيسة . . خاصة فى جباية الضرائب التى تفرضها الكنيسة .

٣- ان العلمانيين الايطاليون يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ولكنهم يؤكدون على الفصل بين الدين والدولة .

٤- ان العلمانيين ينكرون ... بعض تعاليم المسيحية ويطالبون باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادىء الطبيعة وقد نشأ عن ذلك المذهب المعروف باسم : (Deism)

وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ولكنه ينكـــــر : الاعجاز ، والوحى ، وتدخل الله فى العالم . ومـــن اتباع هذا المذهب :

(١) فولتير : (١٦٩٤-١٧٧٨) فى فرنسا .

(٢) شفتسبرى (١٦٧١-١٧١٣) فى انجلترا .

(٣) ليسنج (١٨٧٢-) فى المانيا .

(٤) الفيلسوف الانجليزى لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)

(٥) الفيلسوف الانجليزى هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) . "٢"

---

(١) المصدر السابق : ٢٢ - ٠٣٦ . "٢" نفس المصدر [illegible]-١٤ .

(ب) مميزات المرحلة الثانية : تميزت المرحلة الثانية بميزة واحدة هي الغاء الدين أو المسيحية . واختلف فلاسفتها في من يحل محل الله في العبادة ، بين قائل أنها (جماعة العمل) وقائل (الدولة والمجتمع) وقائل انه (الحزب) .

يقول الدكتور محمد البهي في ذلك :

وفي : مرحلة العلمانية المتطرفة ، أو ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف في مدرسة هيجل نرى :

أولا : ان "علمانية فيرباخ - وهي التي تتمثل في مذهبه الانساني الالحادي هي : الغاء الدين ، بأي دين ، وليست فصلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية في مرحلتها الاولى واحلال "الانسان العام" (جماعة العمل) في العبادة محل الله .

وثانيا : ان علمانية ماركس - وهي التي تتمثل في المادية التاريخية الالحادية - هي هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهي سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للافراد هو وضع المعبود الخالق من الافراد المخلوقين .

وثالثا : ان علمانية لينين ينتهي أمرها الى الغاء المسيحية كدين ووضع "البلشفية" - وهي الماركسية اللينينية - كدين جديد - بدلا منها وهذا الدين الجديد يجب ان يكون في خدمة (الواقع) الذي هو (الحزب) والحزب يأخذ الآن في هذا الدين الجديد مكان العبادة عوضا عن الله في المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة ". [1]

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق : ٣٧ ، ٣٨ .

- خصائص الفكر الفلسفي العلماني :

لعل اهم خصائص الفكر الفلسفي العلماني هي :

١ - أن دافع العلمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان هـو التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ولذا كان الفصل بين السلطتين هو: الحل الفلسفي ، والرسمي لهذا التنازع .

٢ - أن الدافع عليها في القرن التاسع عشر ، في مدرسة هيجل هـو الاستئثار بالسلطة . ولذا : كانت العلمانية غير صالحة لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الفاء " للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى السلطة المنفردة " التي هي : سلطة " جماعة العمل " او " المجتمع " او " الدولة " او " الحزب " حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

٣ - ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمي بالتدريج من نهاية القرون الوسطى هي التي جرأت ارباب هذا الفكر العلماني على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال في النشاط الانساني وحركة المجتمع عـن اى راى يصدر منها ." (١)

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق : ٣٨ ، ٣٩ .

٢ - العقائد السائدة قبل وبعد ميلاد المسيح :

لابد لنا من القاء نظرة عجلى فاحصة على العقائد التي كانت سائـــدة قبل وأثناء وجود المسيح عليه السلام ، ذلك كيما نعرف هل لهذه العقائد أثر على المسيحية - المحرفة - التي بشر بها بولس ، وغيرهم ممن يدعون رسلا ؟ أم ان هذه العقائد لم يكن لها تأثير يذكر على المسيحية ؟ وسوف أشير هنـــا فقط الى هذه العقائد والمذاهب التي كانت سائدة ، وأما الاشارة الى تأثيرها أو عدمه فسيكون في موضعه من هذا البحث .

وعلى هذا فيمكنني أن اقول بأن العقائد والمذاهب التي كانت سائدة في العصر المشار اليه تتلخص فيما يلي :

١ - الديانة اليهودية .
٢ - العقيدة الميثرائية .
٣ - الافلاطونية الحديثة .
٤ - الوثنية المصرية .
٥ - الوثنية الرومانية .
٦ - الافكار الفلسفية ، كالرواقية .

١ - الديانة اليهودية :

وكان أول انبيائها المنزل عليهم كتابا موسى عليه السلام ، ثم داود ، فقد أنزل على موسى التوراة ، وانزل على داود الزبور ، وكون كل من داود ، وسليمان دولة حكما فيها بشرع الله ، وكان موطن هذه الديانة فلسطين ، ثـــم أرسل الله عيسى عليه السلام اليهم . وقد انحرفوا انحرافات شتى في العقيـــدة والتشريع فقد ادعوا ان عزيزا ابن الله ، وعبدوا العجل ، وقد أوضح الله ذلك عنهم في القرآن الكريم " وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوءفكون " التوبة : " ٣٠ " . فالله يقرر ان اليهود والنصارى بقولهـــم

هذا يتشبهون بالذين كفروا الذين جعلوا البشر آلهة ، وهكذا يتضح أن اليهود تأثروا بالوثنيين وان النصارى تأثروا بالوثنيين واليهود . كما سيمر ذكر ذلك .

٢ - العقيدة الميترائية :

" وهي عقيدة وثنية قديمة نشأت في فارس ، ومثرا هذا أو " متراس " كما يسميه بعض الكتاب "١" ، هو - كما يزعم وثنيوا فارس - إله الشمس ، وهو من أكبر الآلهة - في زعمهم - في الدين السابق للدين الزردشتي ، مع " أنيتا " آلهة الخصب والارض ، " وهو ما " الثور المقدس "٢" الذى مات ثم بعث حيا ، ووهب الجنس البشرى دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود " .

وبحلول القرون الاولى للمسيحية انتشرت عبادة - ميترا - في جميع ارجاء الدولة الرومانية " "٣"

ومن طقوس هذه العقيدة الوثنية - الكهانة ، والمذبح ، وتقديم الضحية البشرية قربانا لله كفارة عن الخطيئة ،فهي ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء لاسترضاء الالهة "٤" .

وقد كانت هذه العقيدة في سعة انتشارها بين عامة الشعب في الدولة الرومانية تضارع المسيحية " "٥"

---

١) انظر تاريخ العالم : ٤٠٣/٣ .

(٢ و٣) قصة الحضارة : ٢ / ٤٢٥/٢/٤٣٦

٤) معالم تاريخ الانسانية : ٧٠٦/٣ .

٥) نفس المصدر : ٧٠٨/٣ .

٣ - الافلاطونية الحديثة :

وهي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية ، نشأت في الاسكندرية على يد "امينوس" ثم تلميذه "افلوطين" "١" .

وتتلخص عقيدتهم الفلسفية في أن العالم يرجع في تكوينه وتدبيره الى ثلاثة عناصر ، او الى ثالوث مقدس :

أ - المنشيء الأول .

ب - العقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من ابيه .

جـ - والروح الذى يتصل بكل حي ومنه الحياة . "٢"

٤ - الوثنية المصرية :

كانت الآلهة في الوثنية المصرية من الحيوان ثم صارت الآلهة في آخر الأمر بشرا - أو اصبح البشر آلهة - وكان المصريون الوثنيون يألهون الرجال والنساء المتفوقين ، كما هو شأن اليونان . وكان من ضمن الآلهة :

١ - ايزيس والدة حورس . وهي الام العظمى .

٢ - حورس (الذى كان ابنا لسيرابيس) وهو اله الشمس .

٣ - سيرابيس الذى هو في الوقت نفسه حورس "٣" .

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة مايلي :

" وكانت هذه الآلهة - رع (أو آمون كما يسميه أهل الجنوب) وأوزير ، وايزيس وحورس - اعظم ارباب مصر - ولما تقادم العهد امتزج رع وآمون واله آخر

---

١) محاضرات في النصرانية : ٤٢ ، وانظر ترجمة (امينوس) وافلوطين في نفس الكتاب ص ٤١ .

٢) قصة الحضارة : ١٥٩/٢ ، ١٦٠ ومعالم تاريخ الانسانية : ٧٠٩/٣ بالفاظ مختلفة .

هو مفتاح فأصبحت ثلاث صور ، ومظاهر لإله واحد أطلق بجميعها هي الثلاثة " "١"

٥ - الوثنية الرومانية :

وهي ديانة الدولة الامبراطورية الرسمية ومن عقائدها مايلي :

١ - التثليث : (جوبيتر ، مارس ، كويرينوس) جاء في كتاب تاريخ العالم مايلي : " ... وكانت تقام على ذلك التل - تل الكابيتول - عبادة قوامها ثالوث من الآلهة تعبر عن هذا الاتحاد المكون من " يوبيتر او يتيموس ماكسيموس " .. ومن مارس الذي غدا آنئذ اله الحرب الخاص بمستعمرة كل بالاتين ، ومن نظيره " كويرينوس " اله الكويرينال " "٢" وكان لهذه الآلهة الكهنة الخاصين بهم . " "٣"

٢ - عبادة الامبراطور : جاء في تاريخ العالم مايلي : " .. وأخيرا كانت هناك نزعة عمرت زمنا طويلا في النصف الشرقي من الامبراطورية وهي تأليه الحاكمين والرجال البارزين والسمو بهم الى مستوى المنقذين ممن هم فوق البشر ، " "٤"

وجاء في نفس الكتاب : " وكان تأليه الحاكم تقليدا هلنستيا مأخوذا عن بلاد الشرق " "٥"

٣ - تقديس الصور والتماثيل وعبادتها :

ومنها تصوير الاشخاص الاحياء في صورة آلهة . "٦"

---

١) قصة الحضارة : ٢/١٦٠ ، ١٦١ .
٢) تاريخ العالم : ٣/٣٩٧ .
٣) نفس المصدر : ٤٠٠ .
٤) نفس المصدر : ٣/٥٨٧ .
٥) نفس المصدر : ٣/٥٨٨ .
٦) نفس المصدر : ٣/٦٨١

٦ - الافكار الفلسفية : ومن اهمها الفلسفة الرواقية التي اعتنقهـــا الرومان واستلكوا الابيقورية لما كانوا يرونه فيها من تعاليم لا تتفق مع الرجولـــة وتنزع الى الاثرة وكان الفلاسفة الرواقيون ينقسمون الى قسمين :

الاول : ينزع الى الانقطاع عن الدنيا والتحرر منها وانكار الذات .

والثاني : ينزع الى المشاركة الفعالة في الحكومة العالمية وهو باسونتـــه مدينة الله على الارض"(١) .

ويرى بعض الباحثين أن القول بان الله واحد ومتعدد في وقت واحـــد (التثليث) هي نظرة تمت الى الفلسفة الرواقية بسبب وثيق . نعم إن عقيـــدة (الثالوث المقدس) المعروفة ترجع في تخطيط أصولها الى بولس ولكـــــن نلاحظ أن هذه الاصول مبسوطة في "ستكا" الرواقي . (٢) .

فإذا نحن نظرنا في هذه العقائد وأردنا استنباط عقيدة واحدة منهـــا ذات اسس لقلنا إنها تقوم على الاسس الاتية :

١ - الاعتقاد بالتوراة والايمان بها - اى التوراة المحرفة - ومن التحريف التحريف في العقيدة باعتقاد ان عزيز بن الله وكذا التحريف في التشريع.

٢ - إعتقاد الفداء والخلاص من الخطايا والوساطة بين الله والناس، وهذا ماخوذ من الميثرائية .

٣ - التثليث - اى الاعتقاد بأن الالهة ثلاثة - تعالى الله عما يقول الكافرون - وهذا ماتدين به الوثنية المصرية والرومانية وبعض الفلاسفة الرواقيين .

٤ - الحلول - اى تجسد الاله في شكل بشرى - وهذا ماتدين به الوثنية المصرية والرومانية .

٥ - تقديس الصور والتماثيل وهذا ماتدين به الوثنية الرومانية .

٦ - الهروب من الحياة - الرهبنة - وهذا ماتدين به احدى النزعتين في الفلسفة الرواقية فاذا نحن امعنا النظر في هذه الاسس الفيناها نفس الاسس التي تقوم عليهـــا

(١) انظر تاريخ العالم : ٥٨٩/٣ .
(٢) انظر كتاب الفلسفة الرواقية : ٢٧٨ .

النصرانية المحرفة كما سيتضح لنا ذلك عند الحديث عن تحريف النصرانية .

٣ ـ العقيدة والشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام

الحديث عن العقيدة والشريعة التى أرسل بها عيسى عليه السلام يستلزم أن اتحدث عن المسيح عليه السلام الذى اتخذه النصارى الها ـ وفى ذات الوقت زعموا أنه صلب ـ لنعرف ما هو حكم القرآن الذى انزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مصدق لما انزل على موسى ـ التوراة ـ ولما انزل على عيسى ـ الانجيل ـ ومهيمنا عليهما "(١) . فهو اذا حجة على اليهود والنصارى فماذا ورد فى القران عن الوهية عيسى ؟ وماذا ورد فى القران عن المعجزات التى أيد بها ؟ ثم ماذا ورد فى القران عن قضية الصلب ؟

سوف اتحدث عن هذه القضايا مرتبة .

اما عن الوهية عيسى عليه السلام فانه زعم باطل نفاه الله عن عيسى فى آيات كثيرة من القرآن . اكتفى هنا بذكر آيتين تنفيان عنه الالوهية وتقرران انه بشر . قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار " المائدة ٥ : ٧٢

وقال تعالى : " قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا " ال عمران : ١٧١ .

ولكنه خلق خلقاً خاصاً من ام بلا أب كما خلق آدم من تراب . فكيف كان ذلك ولماذا ؟

---

(١) انظر سورة المائدة : ٤٨ .
(٢) انظر ايضا سورة المائدة : ٧٣ ـ ٧٧ و ١١٦ ، ١١٧ وسورة التوبة : ٣٠ ، ٣١ .

أ - مولد عيسى عليه السلام :

خلق الله المسيح عليه السلام من أم بلا أب ليجعله عبرة ومعجزة خارقة للاسباب التي يعرفها الناس . قال تعالى " .. ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" آل عمران : ٥٩ ، ٦٠ .

وأم المسيح عليه وعليها افضل الصلاة والسلام هي : مريم ابنة عمران ، وعمران هو احد عظماء بني اسرائيل ، كانت زوجته عاقرا تقدمت بها السن دون ان ترزق بولد ، وتبعا للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران تأمل ان تكون أما فاتجهت الى الله سائلة داعية ونذرت ان حقق الله رجاءها ورزقها ولد أن يكون محررا اى لاعمل له الا خدمة بيت المقدس والعبادة "(١) .

وقد حقق الله لها ما ارادت فحملت وقد مات زوجها اثناء حملها ولكنها لم تحمل بذكر بل حملت بانثى وهي تود ان يكون ذكرا لانه اقوى من الانثى في الخدمة ولذلك حين وضعتها قالت : " رب اني وضعتها أنثى " وتألمت لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى تقبل منها نذرها وانبتها نباتا حسنا ، اى ان الله هيأ لها من يربيها تربية حسنة وهو زكريا الذى كفلها ، وهو زوج خالتها او زوج اختها على روايتين والاصح الثانية كما قال ابن كثير . (٢)

وسميت هذه البنت مريم واصطفاها الله من بين نساء العالمين في ذلك العصر لتكون اما لعيسى عليه السلام وامرها بالعبادة المستمرة له سبحانه تهيئة لها بولادة عيسى عليه السلام وبعد ان بلغت مريم مبلغ النساء بشرتها الملائكة بعيسى (٣) ثم ان مريم عليها السلام حملت بعيسى عليه السلام من غير ان يكون لها زوج وولدته . (٤)

ب - بعثة عيسى والمعجزات المؤيدة له في دعوته :

بعث عيسى عليه السلام وهو في حوالى الثلاثين من عمره كما تذكر الاناجيل الاربعة المعتبرة عند النصارى وكما ورد في بعض الاثار لكن لم يرد في القرآن الكريم ولا في الاثار الصحاح بيان لسنه عند بعثه لبنى اسرائيل وقد بعث عليه السلام

---

(١) انظر المسيحية : ٢٧ .
(٢) تفسير ابن كثير : ١ / ٣٦٠ وانظر نص الايات (٣٥ - ٣٧ من سورة آل عمران)
(٣) سورة آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ / ٤٧ .
(٤) سورة مريم : ١٦ - ٣٦ .

بالعقيدة التي بعث بها الانبياء قبله ، وبالشريعة التي أنزلت على بني اسرائيل في التوراة ومن ضمن مابعث به ايضا الامر بهجر الملذات التي استغرقت نفوس اليهود : بعالم الاخرة وقد أيده الله لهذا بمعجزات خارقة هامة ذكرها القران وتتلخص في ست معجزات جاء ذكرها في سورة آل عمران وهي :

١ - انه يصور طيرا من طين ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، فالخالق الحقيقي هو الله ولكن جرى الخلق على يد عيسى ليكون هذا برهانا على قويا على صدق نبوته .

٢ - انه يحيي او يخرج الموتى من قبورهم باذن الله ، والمحيي هو الله تعالى حقيقة بيد ان الطريقة للاحياء جرت على يد عيسى عليه السلام ليكون ايضا برهانا على صدق نبوته .

٣ - ابراؤه عليه السلام للاكمه - وهو الذى لا يبصر بسبب عدم وجود عين له - والابرص وهو الذى يصاب بمرض جلدى يصير فيه بعض الجلد مخالفا في لونه لبقية الجلد - وهما مرضان لم يعثر لهما على دواء حتى الان - ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما فكان هذا دليلا وبرهانا قويا على صدق نبوته .

٤ - انه كان ينبؤهم بامور شخصية من احوالهم من الاكل والادخار وفي هذا ايضا دليل على صدق نبوته .

٥ - انه كلمهم في المهد حين وضعته امه عليها السلام واتت به قومها فرموها بالزنى فاشارت اليه بان كلموه فكلمهم وفي هذا معجزة عظمى فالمعهود ان الانسان لا يتكلم في المهد ، وقد اجرى الله ذلك ليكون دليل براءة لامه عليها السلام مما اتهمت به من البغي والعياذ بالله .

٦ - انزال المائدة من السماء بعد الحاح الحواريين لتطمئن قلوبهم الى صدقه فكان ذلك دليلا اخر على صدق نبوته.(١)

ولكن ماهي الحكمة أولماذا كانت المعجزات - او الايات التي اجراها الله على يد عيسى تتجه نحو هذا الاتجاه ؟

الاجابة على ذلك تتلخص في الاتي :

---

(١) انظر في تفصيل ذلك سورة آل عمران : ٤٩ والمائدة : ١١٠ - ١١٤ وسورة مريم : ٢٨ - ٣١ .

ان أهل زمانه عليه السلام من بني اسرائيل خاصة ـ قد م فيهم انكار الروح سواء في أقوالهم أو افعالهم ، فجاء عليه السلام بمعجزات * وهي أمور خارقة للعادة يجريها الله على يد انبياء مقرونة بالتحدى سالمة من المعارضة "١" لتصديقه في نبوته ولاعلاء شأن الروح والبرهنة على وجودها رغم انهم لا يرونها ، فالطين يصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه عيسى فيكون طيراً باذن الله ، وماذلك الا لان هناك أمراً آخر غير الجسم يدخل في خلق هذا الطائر وغيره من المخلوقات تكون به الحياة ـ وهذا هو الروح ـ وهكذا بقية المعجزات . فكانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس دعوته ، التي تتلخص في تربية الروح والدعوة الى الايمان بالبعث والنشور ، ذلك لان بعض اليهود كان ينكر البعث والنشور يوم القيامة ، وكذلك الدعوة الى افراد الله بالعبادة ، وقد كان اليهود يدعون ان عزيزا ابن الله وهذا يقتضي انهم يؤلهونه ، كما انهم عبدوا العجل كما ورد ذلك في القرآن الكريم .

٨ هل صلب المسيح أم لا :

أجمعت الاناجيل ـ المحرفة ـ ويكفي في بعدها عن الحق أنها اناجيل وليست انجيلا واحدا ـ على أن عيسى عليه السلام قد صلب لفداء النوع الانساني من جراء الخطيئة التي ارتكبها ابو البشر آدم عليه السلام في أكله كما يقولون من شجرة المعرفة . ولكني فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ـ كما قلت في أول الفقرة "ثالثا" ـ سوف أتحدث عن هذه الامور من خلال مايقرره القرآن . فماذا يقرر القرآن في هذه القضية هل صلب عيسى أم لا ؟

يقول الله تعالى : " ... وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) النساء .

---

(١) هذا هو تعريف المعجزة عند علماء المسلمين .

وقال تعالى " . . . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون " (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " (٢٥٣) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " (٥٥) " . . . . . . آل عمران ؛

ففي هذه الآيات الدلالة الواضحة الاكيدة بل التصريح الجازم بأن اليهود - قاتلهم الله - لم يقتلوا المسيح عليه السلام ولم يصلبوه - وان كانوا تآمروا على قتله مع الحاكم الروماني بيلاطس - عن طريق صلبه . الا أن الله أنجى نبيه عيسى عليه السلام من مكرهم بأن رفعه اليه ، وأوحى الله اليه قبل رفعه بما كاده له اليهود كما أوحى اليه بأنه سيتوفاه ويرفعه اليه ويطهره من الذين كفروا ، وانه سيجعل الذين يتبعونه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه .

وهكذا اتضح لنا مما سبق باستعراض نصوص القرآن أن عيسى عليه السلام كان بشراً من البشر فُضِّل بالرسالة ولكنه خلق من ام بلا اب لاقامة الدليل على اليهود الماديين الذين عم فيهم انكار الروح على وجود الروح ، ومن ثم كانت المعجزات التى اجراها الله على يديه مايعلى شان الروح كما اتضح لنا ان عيسى عليه السلام لم يصلب وان كان اليهود عزموا على الفعل وباشروه - ولكن الله رفعه اليه - . وان تبين لنا ذلك فما العقيدة وما الشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام الى قومه ؟ ذلك ما ستعرفه فى الفقرة التالية .

- العقائد والشرائع التي ارسل بها عيسى عليه السلام، من المعلوم أن عيسى عليه السلام أرسل الي بني اسرائيل كما أرسل قبله رسل كثيرون الى بني اسرائيل منهم - موسى - ، وقبله يعقوب ويوسف ، وبعده داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى . (1)

قال تعالى :

" واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " سورة الصف (٦) .

وبعد بعث الرسل عليهم السلام من آدم الي نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ومحاربة الشرك قال تعالي : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . . " سورة النحل (٣٦) .

فالرسل كلهم بعثوا الي اقوامهم ، ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث الي الثقلين الانس والجن بالدعوة الي عبادة الله وحده ، واختلفوا في الشرائع التي ارسلوا بها حسب حال الامة التي يبعث فيها النبي وحاجتها الي تشريعا ليست لديها أو لتعديل بعض التشريعات بالتخفيف أو التشديد كما حصل لبني اسرائيل - تشديدا عليهم من قبل عيسى - وتحقيقا عليهم بالشرائع التي أرسل بها عيسى ، أو لتأكيد الالتزام بما سبق من التشريعات السابقة أو بعضها كما حصل مع عيسى عليه السلام - وسوف يتضح ذلك خلال هذا البحث ان شاء الله .

العقائد :

من العقائد التي ذكرها القرآن أن اليهود كانوا قد اشركوا بالله - فادعوا أن عزيرا ابن الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وعبدوا العجل ، واتخذوا احبارهم أربابا لهم من دون الله ، لانهم كانوا يشرعون لهم فيأخذون بذلك ، والتشريع من خصائص الله وليس من خصائص البشر مهما كانوا .

يقول الله تعالى في هذه القضية - العقيدة : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار " سورة المائدة (٧٢) .

---

(١) انظر هذا سورة البقرة : ٢٤٦ - ٢٥١ . وسورة غافر : ٣٤ وسورة آل عمران : ٣٦ - ٣٩ . فهي توضح ترتيب ارسالهم فأولهم يعقوب ، ثم يوسف ، فموسى ، فداود ، فسليمان ثم زكريا ثم يحيى وآخرهم عيسى عليهم السلام .

" ... ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " آل عمران : ٥١

وقال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا " سورة المائدة ١٧ .

فهذه الآيات تقرر ما يلي :

١) ان المسيح عليه السلام دعا بني اسرائيل الى عبادة الله وحده وحذرهم من الشرك الذي وقعوا فيه وبين لهم جزاء الشرك .

٢) ان المسيح عليه السلام قرر لهم أنه عبد الله وأن الله سبحانه وتعالى ربه وربهم .

٣) الحكم على من أله عيسى ابن مريم عليه السلام بالكفر ، وتقريراً أنه ليس اله بدليل أنه لا أحد يملك منع الله من إهلاك المسيح وأمه ومن في الارض جميعا .

الشرائع التي ارسل بها المسيح عليه السلام :

وحديثنا عن الشرائع التي أرسل بها عيسى عليه السلام - أيضا - من خلال القرآن فنحن نجد ان القرآن يقرر مايلي :

١) أن الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام يتضمن الهدى والنور الالهي والتصديق بالتوراة ، والموعظة للمتقين قال تعالى :

" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " سورة المائدة (٤٦) .

٢) ان الانجيل قد تضمن مجموعة من الاحكام الربانية ، قال تعالى :

" وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون " سورة المائدة (٤٧) .

وكانت الأفكار الموجودة في الانجيل بعضها مكمل وبعضها معدل للاحكام الموجودة في التوراة ، يدل على ذلك ماتضمنه قوله تعالى :

"... ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون " (٥٠) ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ٥١ " آل عمران .

كما يدل على ذلك ما تضمنته هذه الآية : " قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين " (٦٨) سورة المائدة .

فهذه الآية تدعو اهل الكتاب عامة الى العمل بالتوراة والانجيل معا ويضاف اليهما جميع ما انزل عليهم من ربهم ، ولولا انها يكمل بعضها بعضا لما أمرهم باقامتها جميعا .

ولا شك أن العمل بها يؤدى بهم الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فإن التوراة والانجيل بشرتا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وما حرم عليهم - المشار اليه في الآية - والذى احله لهم عيسى كان قد حرم عليهم في شريعة الله المنزلة على موسى والرسل من بعده ، لعقابهم وتأديبهم بسبب ظلمهم .

قال تعالى : " ... فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا " (١٦٠) واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما (١٦١) النساء .

وقال تعالى : " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون " (١٤٦) الانعام .

ومع ذلك احتال اليهود - قاتلهم الله على أكل ما حرم عليهم - بأكل ثمنه كما ورد في الحديث الذى أخرجه الجماعة " عن عطاء بن ابي رباح قال سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

عام الفتح : " ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام ، فقيـــل يارسو ل الله : أرأيت شحوم الميتة فانها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفـن ويستصبح بها الناس فقال : لا هو حرام ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثـــم باعوه وأكلوا ثمنه ."(١)

وقد ورد توضيح بعض ماكان عند اليهود من الشرائع - التى ارسل بها موســى وبقيت بعد عيسى مثل رجم الزانى وقطع يد السارق فى السنة النبوية "(٢).

كما تضمن كل من التوراة والانجيل - المنزلة على موسى وعيسى عليهما السلام - الحث على الجهاد بالنفس والمال . قال تعالى فى سورة التوبة :

" ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيـل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " التوبة : ١١١ . فهذه الاية تنص على ان الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال مما حثت عليه الكتب المنزلة قبل القرآن - التوراة والانجيل - بنى اسرائيل ، وان الله وعد المجاهدين من اهل الكتابين والقرآن بالجنة .(٣)

كما تضمنت التوراة التى جاء الانجيل مصدقا لما فيها - باحكام القصاص فى الجنايات كما فى قوله تعالى : " وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والانــف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة لـه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون " المائدة : ٤٥ .

وهكذا يتبين من هذه الاية ان الله كتب عليهم هذه الاحكام المتعلقـــــة بالجنايات يقتص فيها من الجانى للمجنى عليه ، وهى من الاحكام التى ثبتـــت بشريعة الله المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تتغير ، ومن هنـــا نستنتج ان الاحكام التى تكون فيها مصلحة لكل زمان ومكان بقيت واحدة فى الشرائع كلها ومن امثلتها (حد الزنا وهذا يتعلق بالعـــــــــــرض وحد السرقـة وهذا يتعلق بالمحافظة على اموال الناس ، والقصاص فى الجنايات وهذا يتعلـق بحماية الانفس).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير : ٣٥٠/٣ (٢) جامع الأصول فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ٥٤١/٣-٥٤٨ و ٥٦١/٣-٥٦٣ (٣) انظر تفسير ابن كثير : ١٥٠/٤ وتفسير فى ظلال القرآن : ٣١٧/٤ .

الباب الأول

عوامل العلمانية فى العالم الغربى والعالم الإسلامى .

الفصل الأول

عوامل نشوء العلمانية فى العالم الغربى .

الفصل الثانى

عوامل إنتقال العلمانية الى العالم الاسلامى .

الفصل الاول

عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي

المبحث الاول : عوامل أساسية :

المطلب الاول : تحريف النصرانية .

أ - تحريف العقيدة .

ب - تحريف الشريعة .

المطلب الثاني : البدع التي استخدمها رجال الكنيسة .

أولا : بدعة رجال الدين "الاكليرس".

ثانيا : بدعة الرهبانية .

ثالثا : بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان وحق التحلة .

المطلب الثالث : طغيان رجال الكنيسة .

١ - تعريف الطغيان ٢ - اسباب طغيان رجال الكنيسة

٣ - أنواع الطغيان :

أولا : الطغيان الديني لرجال الكنيسة .

ثانيا : الطغيان السياسي لرجال الكنيسة .

ثالثا : الطغيان الاقتصادي (المالي) لرجال الكنيسة .

—•—

المطلب الاول : تحريف النصرانية

" تحريف العقيدة "

عرفت أوروبا الوثنية ـ المسيحية منذ القرن الاول للميلاد باعتبارها عقيدة شرقية واعتنقها بعض الرومان ".(١)

لكن الدولة الرومانية كانت تضطهدهم وتستخدم شتى الاساليب لذلك طوال القرون الثلاثة الاولى (٢) حتى اذا حكم قسطنطين اعتنقت الدولة الرومانية الدين النصرانى بإعلان هذا الامبراطور اعتناقه للنصرانية ، وكان يرمى من وراء عطه هذا الى هدف سياسى .

فهل اعتنق الرومان النصرانية وتأثروا بها أم أثروا هم فيها ؟ وما هو بالتالى السبب أو الاسباب التى جعلت الدين الجديد يحظى باقبال شعوب الدولة الرومانية عليه ؟

والاجابة على ذلك تتطلب منا الرجوع الى مصادر التاريخ ومصادر التاريخ تؤكد فيما يتعلق بالتساؤل الاول أن الرومان أثروا فى النصرانية سواء فى العقائد أو الطقوس . وهكذا تحولت النصرانية من ديانة سماوية الى ديانة وثنية ".(٣)

على أن ذلك لا يعنى أننى أدعى أن دخول الشعوب الرومانية فى النصرانية هو الذى كان له الاثر الوحيد ،فى تحول النصرانية من ديانة سماوية الى ديانة وثنية . بل هو واحد من عوامل عدة كان لها أثر فى هذا التحول يمكن ايجازها فى الاتى :

---

(١) بدليل أن بولس قد سافر الى روما ، وقُتل بها عام ٦٤ م انظر : قصة الحضارة : ٢٦٨/١١ ، وانظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٥٢.

(٢) انظر نماذج من الاضطهاد فى : محاضرات فى النصرانية : ٣١ ـ ٣٥ والمسيحية : ٧٠ ـ ٧٦. واضمحلال الامبراطورية الرومانية : الفصل الخامس عشر . وغيرها من الكتب .

(٣) تاريخ العالم : ٤٠٣/٣ وانظر نفس الجزء ص ١٨٤ لمعرفة تأثر المسيحية بالوثنية الاغريقية فى مسألة تطهر الروح من الخطيئة، وكلام بعض النقاد فى العقائد التى تأثرت بها المسيحية. وانظر كتاب: المسيحية ـ لشلبى لمعرفة تأثر النصرانية بالرومان فى استعارات أوضاع رجال الدين . وتقسيم الناس الى طبقتين احداهما رجال الدين وهم المتقاعون للعبادة ومعرفة الدين : ص ٧٩ ـ ٨٠

١ـ دعوة بولس لتأليه المسيح عليه السلام ودوره فى نشر هذا المعتقد .
٢ـ أن المبشرين بالمسيحية ومنهم بولس ـ قد صانعوا ـ من يدعونهم فقد كان لا يطلب منهم صورة معينة للصلاة ، كمثال على ذلك (١)

٣ـ دور قسطنطين بعد قرون ثلاثة فى تغليب رأى القائلين بالتثليث على منكرى ذلك فى مجمع نيقيه وهو أول المجامع النصرانية عن طريق فرض ذلك بما يملك من سلطان سياسى .

٤ـ اختفاء الانجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام .

أما السبب أو الأسباب التى جعلت شعوب الدولة الرومانية تقبل على اعتناق النصرانية ـ المحرفة ـ فيمكن تلخيصها فيما يلى :

١ـ اشتمال النصرانية ـ المحرفة ـ على بعض ما يعتقده الوثنيون .
٢ـ وعدها للناس بالخلاص من الآلام والظلم والعقوبة فى عالم آخر ، مع عدم تحقيق العدل فى الدنيا* ، أو محاولة تحقيقه ، وهذا يؤدى الى الهروب من عالم لا يحبونه .

٣ـ اشتمال النصرانية ـ بعد تحريفها من قبل بولس ـ على ما يرضى ميول رجال الفلسفة الاغريق والرومان .

٤ـ اعجاب الوثنيين بصمود النصارى للاضطهاد . (٢)

وبعد أن أوضحت كيف أثرت العقائد السائدة فى عهد المسيح وقبله ، فى المسيحية ـ تحريفا ـ الذى نتج بسبب دخول بعض معتنقى هذه العقائد ، ومنهم بولس ، وقسطنطين ـ أود أن أوضح أثر كل منهما فى تحريف

---

(١) انظر فى هذا الكتاب : الله واحد ام ثالوث : ٨٨
(٢) انظر تفصيل ذلك فى : افكار ورجال : ٢٠٢ ـ ٢٠٥ .
(*) انظر فى ذلك رسالة بولس الى اهل [illegible]
وانظر رسالته الاولى الى تيموثاوس ٦: ١ اذ يقول فيها [illegible]
ان يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا [illegible] نقلا عن المسيحية
ص ٩٦

النصرانية ثم أعقب ذلك ببيان أثر المجامع المسكونية في التحريف أيضا . فأقول ومن الله استمد العــون :

د ور بولس في التحريف : بعث الله المسيح عليه السلام على حين فترة من الرسل في بيئة طبيعة بركام هائل من الوثنيات ـ التي ذكرت بعضها فيما سبق ـ ولينتشل قومه اليهود ـ من هذه الوثنيات ويهديهم الى توحيد اللـــه الذي دعا اليه اسلافه من الأنبياء عليهم السلام .

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .. " النحل : ٣٦ .

ولا ريب لدينا نحن المسلمين أنه عليه السلام قام بتبليغ الرسالة الـــتي حملها اياها من قبل ربه جل وعلا خير قيام ، وكان على قومه شهيدا عليهـــم ما دام فيهم فلما توفاه الله حدث في اتباعه من التحريف والانحراف والنكـــوص عما جاء به ما لم يدر بخلد انسان (١)

وقد استغرقت عملية التحريف هذه ـ في العقيدة والشريعة ـ قرونــــا كثيرة حتى وصلت النصرانية الى ما هي عليه الآن . وكانت البداية في هـــذا مبكرة جدا بعد رفع المسيح عليه السلام وفي وقت مازال الحواريون فيه على قيد الحياة ، وذلك على يد رجل يهودي اسمه " شاوول " وتسمى بـ " بولس " بعد أن زعم اعتناق النصرانية .

من هو بولس : كان لبولس هذا شأن كبير في النصرانية فهي في واقــع الحال تنسب اليه أكثر مما تنسب لأحد غيره ، في نظر المؤرخين الغربيـين المؤسس الحقيقي للمسيحية بعد رفع عيسى عليه السلام*

وقد أوضحت المصادر الدينية للنصرانية انتمائه العقدي ، ومكان مولده وتربيته اذ جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل ، علــى

---

(١) انظر سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(*) انظر في هذا معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٥-٧٠٧ والاسفار المقدسة : ٧٢ ومحاضرات في النصرانية : ٧٨ .

لسانه أنه يهودى ولد فى طرسوس ،وتربى فى القدس . اما ما جاء فى آخر الاصحاح مما يدل على أنه رومانى - وثنى - فلا يناقض ما قررت اذ أنه ادعى الرومانية حين مده رجال السلطة لجلده بالسياط معتقدين أنه من أتباع عيسى عليه السلام ، فادعى الرومانية ليطلقوا سراحه ،فأطلق سراحه بناء على دعواه . لكن المحقق باعترافه ، أنه يهودى ،غير أنه ادعى أنه رومانى - وثنى - ليجد فى ذلك المخرج الذى ينجيه من التعذيب فتم له ما أراد بهذه الحيلة . ويرجح أنه يهودى أنه أرسل من قبل الكهنة فى القدس على رأس جماعة الى دمشق [illegible] برسائل الى يهود دمشق ولاضطهاد المسيحيين، كما ورد فى الاصحاح الثانى والعشرين .

وينتمى بولس أو " شاول " الى طائفة [illegible] (١) وهى طائفة تتميز عن غيرها من الفرق اليهودية بفروق اعتقادية لعل من أهمها أنهم أشد الفرق أتباعا للأهواء (٢)

وتعنى كلمة "فريسى" المنشق .

" ... وفريس معناه " المنشق " ولعل مرجع هذا المعنى الى أنهم انشقوا عن مسلك عامة اليهود التابعين لتعاليم التوراة ، أو أنهم انشقوا عن الطائفة اليهودية التى تسمى " الصادوقية " التى كانت أول من ثار ضد الفرنسين الذين يتبعون أهواءهم" (٣)

وهم أكثر عددا من الصدوقيين فى ما مضى تاريخهم وحاضره ،ومبادئهم وآرائهم اكثر شيوعا بين سواء الشعب وظيته الذين لا يخالطون الاجانب" (٤)

---

(١) انظر : الكتاب المقدس : ٢/٢٣ .

(٢) الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة : ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه : ٣٢ وانظر الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة : ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) الاسفار المقدسة : ٥٥ ، وحياة المسيح : ٤٩ .

ويبدو أن بولس كان ينفذ تعاليم المحكمة اليهودية العليا المسماه "صانهدرين"* أو "سنهدرين" اذ كان أستاذه "عمائيل" أحد أعضاء هذه المحكمة (١)

اضطهاد بولس للنصارى : عرف بولس "شاوول" بعداوته لعيسى وأتباعه واضطهاده لهم في عهد عيسى وبعد رفعه. وخير ما يذكر هنا هو اعتراف بولس بذلك فهو يقول :

"سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية ، اني كنت أضطهد كنيسة الله بافراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي اذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي" (٢)

ولعل من أسباب اضطهاده وقومه اليهود لاتباع المسيح ما كان يوجهه المسيح عليه السلام من تقريع شديد لليهود وخاصة الفريسيين ، بكشفه كفرهم ونفاقهم وتحريفهم للتوراة وابتداعهم أحكاما فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان . (٣)

الكيفية التي اعتنق بها بولس النصرانية : هذا الشخص الذي كان من أعداء المسيح وأتباعه في حياته وبعد رفعه تحول فجأة ودون مقدمات الى النصرانية ، بل أصبح الشخصية الأولى التي كان لها دور أعظم وأكبر من دور المسيح عليه السلام في العقائد والشرائع التي يعتنق النصارى كثيرا منها الآن ،بل لم يحظ أحد في تاريخ الكنيسة النصرانية بمثل ما حظى به من التقديس والاجلال .

(*) "صانهدرين" أو "سنهدرين" تعني بالعبرية "المحكمة العليا- وهو الباب الرابع من رسالة المشناه "نيزيكين" ويعالج حسب معناه اللفظي - موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها .

(١) محاضرات في النصرانية : ٨٩ .

(٢) الكتاب المقدس " رسالة بولس الى أهل غلاطيه : ١ : ١٣، ١٤
وانظر اعتراف بولس باضطهاد النصارى ايضا في رسالة أعمال الرسل الاصحاح الثاني والعشرون : ٨/٢ ص ٣١٦ .

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة : ٥٥

يقول الشيخ أبو زهره عن اعتناق بولس للنصرانية :
" ... ولكن سفر الأعمال يقول ان ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الايذاء ، قد انتقل من الجبت والطاغوت الى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت له "(١)

وتذكر رسالة أعمال الرسل " متى وكيف اعتنق هذا الرجل المحتال النصرانية فتقول :

" ... وفيما هو منطلق وقد قرب من دمشق أبرق حوله بغتته نور من السماء" (٤) فسقط على الأرض وسمع صوتا يقول له شاول شاول لم تضطهدنى (٥) فقال من أنت يارب . قال أنا يسوع الذى أنت تضطهده أنه لصعب عليك أن ترفس المهماز (٦) فقال وهو مرتعد منذهل يا رب ماذا تريد أن أصنع (٧) فقال له الرب قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ما ينبغى لك أن تصنع . أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا (٨) فنهض شاول عن الأرض ولم يكن يبصر شيئا وعيناه مفتوحتان فقادوه بيده وأدخلوه الى دمشق (٩) فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب (١٠) وكان بدمشق تلميذ اسمه حننيا فقال له الرب فى الرؤيا حننيا فقال هأنذا يا رب (١١) فقال له الرب قم فانطلق الى الزقاق الذى يسمى القويم والتمس فى بيت يهوذا رجلا من طرسوس اسمه شاول فهوذا يصلى ..

(٢٠) وللوقت أخذ يكرز فى المجامع بيسوع أنه هو ابن الله (٢١) فدهش كل الذين سمعوه وقالوا اليس هذا هو الذى كان يبيد فى أورشليم الداعين بهذا الاسم وانما جاء الى هنا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة (٢٢) وكان شاول يزداد قوة ويخجل اليهود القاطنين بدمشق مبرهنا ان هذا هو المسيح ...

(٢٦) ولما اقبل الى أورشليم التمس أن يتصل بالتلاميذ لكنهم كانوا يخافون منه ولم يصدقوا أنه تلميذ (٢٧) فأخذه برنابا ودخل به على الرسل

(١) محاضرات فى النصرانية : ٨٥ ، ٨٦ .

وبين لهم كيف رأى الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف بشر باسم يسوع فى دمشق بجرأة (٢٨) فكان معهم فى أورشليم يدخل ويخرج ويبشر باسم الرب بجرأة(١)

وهكذا يتضح كيف استطاع بولس أن يدعى الدخول فى النصرانية بهذه الطريقة العجيبة الغريبة التى لم تحدث فى تاريخ الدعوات ، واستطاع عن طريقها أن يدخل الشرك على أتباع عيسى بادعاء الوهيته عليه السلام.

وبسرعة وبدون مقدمات ايضا يبدأ هذا الرجل المحتال يكرز أى "يدعو" بأن يسوع ابن الله ويدهش السامعون لكلامه لانهم يعلمون أن هذا الرجل هو الذى كان يضطهد الذين يدعون الى دين المسيح .

ان السؤال الذى يبقى واردا على هذه القضية هو كيف اقتنع الذين سمعوا بولس يكرز بأن يسوع ابن الله بهذا الكلام ؟ بل كيف اقتنعوا به من شخص كان الى عهد قريب يضطهد اتباع عيسى عليه السلام وما كان مجيئه لدمشق الا لهذا الهدف ؟ !

هل ألغى هؤلاء عقولهم ام ماذا حصل لهم حتى يصدقوا بهذه القضية وعيسى لم يمض عليه زمن طويل من حين رفعه الله اليه ؟ !

ثم كيف اقتنع برنابا الحوارى " المدعى عند النصارى بهذه القضية التى دخل بسببها الشرك فى الديانة النصرانية ؟

ان هذا التصرف المدعى من برنابا يجعل الباحث يضع علامة استفهام كبيرة حول دعوى " صحبته لعيسى " وبالتالى حول صحة من ادعت المصادر المسيحية انه من الحواريين ، وما من شك ان الحواريين الذين أشاد الله بهم فى القرآن كانوا يؤمنون بان عيسى عبد الله ورسوله ،فكل من ادعت المصادر المسيحية أنه من الحواريين ويعتقد بألوهية عيسى فهو قطعا ليس من الحواريين .

---

(١) انظر الكتاب المقدس : "العهد الجديد - اعمال الرسل : ج ٢ ف ٩ ص ٢١٨
وهذه المرحلة الى دمشق هى الرحلة التى كلف بها من قبل كهنة اليهود فى القدس لتسليم رسائل ليهود دمشق واضطهاد النصارى
انظر نفس المصدر : ج ٢ ف ٨ ص ٢١٦ .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن بولس حين أتى الى دمشق لم يكن معه الا من كان يهوديا خالصا غير مؤمن بعيسى ، ومن ثم تكون شهادة برنابا المزعومة لبولس أنه رأى الرب داحضة .

ويؤيد ما قلت أن برنابا نفسه الذى شهد لبولس برؤية الرب - أى عيسى قد اختلف مع بولس فى نهاية الأمر مما دعاه الى كتابة انجيل اسماه باسمه (١)

---

(١) انظر انجيل برنابا : ٣٠ .

تأثير بولس على النصرانية ـ عقيدة وشريعة :

أ ـ تأثيره على العقيدة : يتضح تأثير بولس على العقيدة من قراءة النص السابق ذكره فى الفقرة السابقة والتى ادعى فيها بولس ألوهية عيسى عليه السلام كما يتضح من رسالته الى أهل رومية التى يقول فيها :

"(١) من بولس عبد اليسوع المسيح المدعو ليكون رسولا المفرزلا نجيل الله (٢) الذى توعد به قبل على السنة أنبيائه فى الكتب المقدسة (٣) عن ابنه الذى صار من ذرية داود بحسب الجسد (٤) الذى عدد أن يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة بين الأموات وهو يسوع المسيح ربنا (٥) الذى نلنا به النعمة والرسالة لطاعة الايمان فى جميع الأمم لأجل اسمه (٦) وانتم ايضا من جملتهم مدعو ويسوع المسيح (٧) الى جميع من برومية من أحباء الله المدعوين ليكونوا قديسين النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح "(١)

يقول المؤرخ ويلز ـ فى حديثه عن ما أضيف الى النصرانية من العقائد الوثنية السائدة فى ذلك العصر بفعل بولس الذى كان معتنقا خليطا منها ـ ما يلى :

" ... وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات المصريين المؤسس الحقيقى للمسيحية وهو شاؤل الطرسوسى أو بولس . ويظهر أن شاؤل اسمه اليهودى وأن بولس اسمه الرومانى .... - - -

والراجح أنه كان يهودى المولد وان كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك ((*) ولا مراء فى أنه تعلم على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا

---

(١) الكتاب المقدس" العهد الجديد رسالة بولس الى اهل رومية : ج ف ص ٢٦٢/١/٢

* ١ ينكر الكتاب اليهود ذلك امعانا فى التضليل حتى لا يكتشف المسيحيون [illegible] اليهود لهم .

فى لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية . . . . وهو متأثر بطرائق التفكير الفلسفى للمدارس الهيلينستية* وأساليب الرواقيين على أن تمكنه من اللغة الراقية الرفيعة عظيم مدهش . كان صاحب نظرية دينية ومعلما يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصرى بزمن طويل . . . .

ومن الراجح جدا أنه تأثر بالمثراثية . اذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات الميثراثية . ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنبا الى جنب مع الاناجيل ، ان ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم . الا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الانسانية ، أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الاله . . . .

كان يسوع فى نظره حمل عيد الفصح تلك الضحية البشرية ، المأثورة المبرأة من كل عيب ودنس التى تعمقت فى اسرار ديانات الشعوب البيضاء الداكنة .

ان بولس الناصريين بقوة خارقة لانه جاءهم بتفسيره هذا المقنع تماما لكارثة الصلب . وكان تفسيره ذاك نوراً ساطعاً سلط على دياجير الحيرة المطلقة التى رانت على عقول الناس .

ولم ير بولس يسوع قط . ولا بد أنه استقى معرفته بعيسى وتعاليمه سماعاً عن التلاميذ الأصليين ومن الجلى أنه يدرك الشىء الكثير من روح المسيح ومبدئه الخاص بالميلاد الجديد . بيد أنه ادخل هذه الفكرة فى صرح نظام لاهوتى ، نظام يتسم بشديد البراعة والخفاء ، لا يبرح الى اليوم يستهوى العقول بصفة رئيسية . ومن الواضح أن عقيدة الناصريين التى وجدها على صورة مبدأ للحفز والاثارة وأسلوب للعيش قد تحولت على يديه الى مذهب " ايمان " ذلك بأنه وجد الناصريين ولهم روح ورجاء وتركهم مسيحيين لديهم بداية عقيدة . . "(١)

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٠٥ - ٧٠٧ .

(*) العصر الهلينستى : يتحصر فى الفترة الواقعة بين القرنين السادس والرابع والقرن الاول قبل الميلاد - انظر فى هذا الكتاب : افكار ورجال : ١٤١ وارتبط هذا الاصطلاح دائماً بالدلالة على الحذلقة او الاكاديمية والتقليد والمهارات الفنية دون عمق أو الهام . انظر نفس المصدر : ١٥

ويمكن أن نستنتج من هذا النص عدة استنتاجات هي :

أولاً :- ان بولس كان صاحب نظرية دينية قبل اعتناقة النصرانيــة - المزعومة - ولا شك ان هذه النظرية خليط من فكرة اليهودى ، والافلاطونيــة الحديثة ، والرواقية ، والمثيرائية ، اذ هو متأثر بهذه الفلسفات اضافــــة الى فكره اليهودى .

ثانياً :- شخصيته التآمرية المحبة للاضطهاد والتعذيب ، فقد بــرز اسمه اكثر من غيره من اليهود فى عملية اضطهاد النصارى .

ثالثاً :- أنه هو الذى قدم التفسير الذى لا يزال يأخذ به النصــارى حتى الآن لعقيدة الصلب المزعومة وهو تفسير مقتبس من الميثرائية .

بهذه الطريقة - مع غض الطرف عن دوافع هذا اليهودى الخفيــة - استطاع هدم عقيدة التوحيد النقية الصافية التى بعث بها عيسى وغيره مــن الانبياء قبلــه ، وبعده . وأوقع اتباع عيسى عليه السلام فيما كان قد حذرهم منه أبلغ التحذير :

" وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" المائدة : ٧٢ .

"وأسس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا "(١)

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو هل ثبت هدم التحريف بسهولــة أم لا ؟ (٢)

الجواب على ذلك بالنفى فقد شهدت القرون الثلاثة الاولى لبعثـــة المسيح صراعا عنيفا بين أتباع بولس ، ومنهم اثناسيوس(*) وبين منكــــرة

---

(١) حياة الحقائق : ٦٤ . وانظر كتاب : المسيحية : ٧٥ ، ٧٦ . لمعرفة كيف ادخل بولس تعاليم اليهود حول المنقذ والمخلص وكيف ادخل فى المسيحية الفكرة اليونانية عن اتصال الاله بالارض عن طريق "الكلمة" ابن الاله ، الروح القدس".

(٢) [illegible]

(*) أثناسيوس أو أثانسيوس هو رئيس الشمامسة فى الاسكندرية فى القرن الرابع وقد حضر مع الاسكندر رئيس اساقفة الاسكندرية لمجمع نيقيه وكان ضمن المناقشين لآريوس . انظر قصة الحضارة : ١١/٣٩٥ .

التثليث ، وعلى رأسهم فى القرن الرابع آريوس ، ولم تحسم القضية الا فى الربع الاوّل من القرن الرابع حين عقد مجمع نيقيه ، وكان ذلك لصالح مذهب التثليث رغم أنهم قلة فى المجمع !

وقد أوضح كرين ترنتن عقيدة التثليث التى انتصرت فى مجمع نيقيه فقال :

" . . . والثالوث " الله الآب ، ويسوع الابن ، وروح القدس " طبقا لهذه العقيدة أشخاص حقيقيون عدد هم ثلاثة لكنهم واحد أيضاً ، ومعميت المسيحية وهدانية تثليثها يسمو على الرياضيات "(١)

هل رأيت امرا عجيبا يصعب على العقل فهمه مثل هذا القول الآلهة ثلاثة فى عددهم ولكنهم واحد . أن العقل البشرى لا يتصور بل لا يتخيل أن يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة .

لقد ظل وسيستمر العقلاء من البشر فى الالحاح بالطلب الى رجال الكنيسة لاعطاء تفسير مقنع وواضح عن هذا اللغز المسيحى ، اذ كيف سيصدقون مهما استغفلهم رجال الكنيسة ان (١ + ١ + ١ = ١ ؟ و ١ × ٣ = ١) .

ورجال الكنيسة حتى هذا العصر لديهم اجابات جاهزة لمثل هذه الأسئلة المحرجة لهم فعلا فقد اجابوا من استشكل فى هذا وطلب تفسيرا له فى السابق ، وسيجيبون من يستشكل ذلك حالياً ، ومستقبلاً ، بأن هذا الأمر سر لا يستطيع العقل ادراكه .

فهذا القس " توفيق جيد " يقول :

" ان الثالوث سر يصعب فهمه وادراكه ، وان من يحاول ادراك سر الثالوث تمام الادراك كمن يحاول وضع مياه المحيط فى كفه . . . "(٢)

وقد صرح " أوغسطين " وهو من كبار قساوستهم فى "كتابه" تعليقات على

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ .

(٢) الله واحد ام ثالوث : ٧٠ وانظر ص ١٠ من الكتاب نفسه .

سفر التكوين " بأن ليس في الوسع التسليم برأى لا تؤيده الكتب المقدســـة لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أسر به العقل البشرى "(١)

وهذا القس هو الذى وضع للكنيسة دستورا تلتزمه ازاء كل حركة عقلية وسلم تمشيا مع المنطق " الثالوثى " بمعاقبة الملحد أى غير المقر بالتثليث بالنفى والجلد وفرض الغرامات "(٢)

هذا هو رأى رجال الكنيسة الشرقية والغربية أن الثالوث ســـــر .
وهكذا يتبين من هذه الأقوال أن رجال الكنيسة لم يضعوا حلا شافيا لهـــذا اللغز الا بالقول بأنه ســـر .

ان رجال الكنيسة باعتقادهم بالتثليث قد فتحوا على أنفسهم ثغرة واسعة جداً ليس لديهم القدرة على سدها الا بمثل الكلام السابق . وفعلا استغـــل هذه الثغرة فى العقيدة المسيحية ـ التى صنعها بولس وعممها قسطنطـــين ـ رجال الفكر اللادينى وكانت من أكبر العوامل التى ساعدت هؤلاء على الانتصار على هذه العقيدة المحرفة باسم الدين بالبحث العلمى . واستطاعوا فى بعض مراحل صراعهم مع رجال الكنيسة اختراع منهج اسموه " النقد التاريخى للكتب المقدسة " وكان ابتداء ذلك منذ القرن السابع عشر . (٣)

وهكذا نجد أن التثليث عقيدة تتصف بأنها عقيدة مستغلقة على الفهم، ويعلم رجال الكنيسة ذلك ولكنهم لم ولن يستطيعوا حل هذا اللغز .

بـ تأثير بولس على الشريعة :ـ يتضح تأثير بولس من خلال قراءة هذا النص الذى أنقله عن الدكتور احمد شلبى . اذ يقول :

" ... ويمكن القول دون تردد ان رسائل بولس وحدها مصدر التشريع فى المسيحية وان التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى كانت تكـــرارا

---

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة : ٨٣ . وانظر رأى أنسلم وتوما الاكوينى من القس فى القرنين الثانى والثالث عشر فى نفس المصدر : ٨٧ .

(٢) نفس المصدر : ٨٣ .

(٣) انظر قول رينان احد رواد منهج " النقد التاريخى للكتب المقدسة " فى نقد الاناجيل فى كتاب محاضرات فى النصرانية : ٢٢٧ .

وصدق لآرا* بولس فى تشريعاته وطى هذا لم يكتف بولس بان يضع مبادئ* المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يشعونها فى حياتهم العامة فهو الذى أوصى بما تراه فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل وهو الذى يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقوله " دعى احد وهو مختون فلا يصير اغلف ، ودعى احد الى الغرلة فلا يختتن ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا بل حفظ وصايا الله ".

ويجيز بولس الزواج للأساقفة بقوله : " يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل أمرأة واحدة ،وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة . ويتكلم بولس عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة ،ويقرر بوضوح أن الرجل أفضل من المرأة وانها خلقت من أجله . . . . . ."(١)

وبهذا يتضح أن النصارى قد رضوا بأن يشرع لهم بولس ، شرائع وعقائد لم يأذن بها الله سبحانه وتعالى جعلوه شريكا لله فى التشريع فصدق عليهم قوله تعالى " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " الشورى : ٢١

وصدق على بولس أنه أحد الطواغيت الذين أستباحوا لأنفسهم التشريع للبشر من عند أنفسهم .

" والطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله . (٢)"

وعند الامام مالك أن الطاغوت هو " ما عبد من دون الله " (٣)

---

(١) المسيحية : ١٠٥ ، ١٠٦ ، وانظر : ١٠٧ من الكتاب لمعرفة اباحته لاكل الخنزير.

(٢) ، (٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ١٦ ، ٣٥١ .

ويجمل بنا أن نختم هذه الفقرة بما قاله " ويلز " فى كتابه " معالـــم تاريخ الانسانية " وهو يوضح ما اسهمت به كل نحلة من النحل التى كان يعرفها بولس فى الفكر المسيحى بعد بولس :

".. على أن ما اسهمت به نحلة الاسكندرية فى الفكر المسيحـــى والطقوس المسيحية كان أعظم قدرا أو يكاد ، اذ كان طبيعيا أن يجـــد المسيحيون فى شخصية جورس" الذى كان ابنا لسيرابيس وهو سيرابيس فـــى نفس الوقت" ، شبيها مرشدا لهم فيما يبذلون من جهود طيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا . وقد كان الانتقال من هذا الى المطابقـــة بين شخصية مريم وايزابيس . ثم السمو بها مرتبة شبه قدسية ـ بالرغم مما سبـــق اقتبسناه من أقوال يسوع عن امه واخوته ـ خطوة طبيعية جدا كذلك ، وكـــان طبيعيا كذلك للمسيحية ان تقتبس وهى لا تكاد تعى ، الطرائق العلميـــة للديانات الشائعة فى ذلك الزمان . فاتخذ قساوستها طريقة الرؤوس الحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين ، لان ذلك كان يبدو الطريقة المثلى لتمييز القسيس . وتتابعت البدع واحدة فى اثر الأخرى . وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم الثورية الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تحت تلك " الاضافات المألوفة" (١)

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٣ / ٧٠٩

الامبراطور قسطنطين ودورة في التحريـــف :

لم يأخذ جمهرة النصارى بما أدخل بولس من التحريف في النصرانية - عقيدة وشريعة - بل وجد معارضة له خاصة فيما يتعلق بالوهية عيسى عليـــه السلام حتى فرض قسطنطين التحريف كدين عام في مجمع نيقية الذى حضـــره الفان وثمانية وأربعون أسقفا منهم فقط ثلاثمائة وثمانية عشر شخصا يقولـــون بالوهية عيسى . وقد عقد هذا المجمع بدعوة من قسطنطين أحد حكام الدولة الرومانية ،الذى اشترك في الحكم مع " ليسينيوس " منذ عام ٣١٢ ثم انفـــرد بالحكم من عام ٣٢٣ الى ٣٣٧ ،وكان وثنيا .

أعلن اعتناقه للنصرانية عام ٣٢٣ ،لكنه لم يعمد الا في فراش الموت عـام ٣٣٧ ،وقد عمده " ايوسيبوس " المؤرخ الكنسي "(١)

والتعميد اعلان الدخول في المسيحية عن طريق رش الماء على الجبهـــة أو غمس أى جزء من الجسم في الماء ،ويكثر أن يغمس الشخص كله في المـــاء - ويجب أن يقوم بهذه العملية كاهن "(٢)

ويذكر ول ديورانت قصة عجيبة توضح سبب اعتناق قسطنطين النصرانيـــة وهى قصة لا تقل سخافة عن قصة دخول بولس في النصرانية (٣) .

وقد كان لهذا الامبراطور الوثنى قسطنطين أثر كبير في مناصرة عقيـــدة التثليث في مجمع نيقية فانه لما اجتمع القسس المختلفون في طبيعة المســـيح وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها أمرهم بالمناظرة لينظر الدين الصحيح مع من ،واخلى دارا للمناظرة ولكنه لم يقف على الحياد بل مال الى رأى بولس وعقد مجلسا خاصا للاساقفة الممثلين لهذا الرأى وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه وقال " قد سلطتكم على مملكتى .... "(٤)

---

(١) قصة الحضارة : ١١/ ٣٨٤ - ٣٨٦ ومحاضرات في النصرانية : ١٥٤ بتصرف يسير .

(٢) المسيحية : ١٤٦ .

(٣) قصة الحضارة : ١١/ ٣٨٤ - ٣٨٦ . (٤) محاضرات في النصرانية : ١٥٠

وهكذا استطاع هذا الوثنى أن يقرر عقيدة التثليث كعقيدة رسمية للدولة الرومانية عن طريق مناصره الثالوثيين على غيرهم . ومن الدهش فى الأمـــر أن يكون هو الحكم بين المتناظرين وهو لا يزال وثنيا ، اكتفى باعلان اعتناقـه للنصرانية فكان ذلك مسوغا له ليكون حكما بين المتناظرين .

المجامع ودورها فى التحريف خاصة مجمع نيقيـة :

للمجامع المسكونية ـ العالمية ـ اثر كبير فى تقرير الانحرافات العقائدية والتشريعية التى أدخلت على دين عيسى عليه السلام . وقد بلغ عددها حتى عام ١٨٦٩م عشرون مجمعاً . ولعل من أهمها المجامع التالية :

١ـ مجمع نيقيه الذى عقد عام ٣٢٥ وتقرر فيه الوهية عيسى وسوف أفصل الحديث عنه بعد قليل . لانه كان أول مجمع يقرر فيه التحريف كعقيدة رسمية .

٢ـ مجمع القسطنطينية الأول وفيه تقرر الوهية روح القدس وقد عقـــد عام ٣٨١ .(1)

٣ـ مجمع أفسس الأول وفيه تقرر أن المسيح اجتمع فيه الانسان والالـــه " الناسوت واللاهوت" لا الانسان فقط . وان مريم ولدت الاثنين . وقد عقد هـذا المجمع عام ٤٣١ .(2)

٤ـ مجمع خلقيدونيه أو خلقيدونية : وفيه تقرر عكس ما قرر فى مجمع افسس أى أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة متحدة ، وقد عقد هـذا المجمع عام ٤٥١ .(3)

---

(1) محاضرات فى النصرانية : ١٥٩ ، ١٦٠ والمسيحية : ١٦٩ .

(2) نفس المصدرين : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ .

(3) نفس المصدرين : ١٦٤ - ١٦٩ - ١٦٩ ، ١٧٠ .

مجمع نيقيه ودوره في التحريف :

الحديث عن هذا المجمع - باعتباره أول مجمع يقرر فيه التحريف بصفة رسمية - يستدعي الحديث عن أسباب عقده وأهم قراراته . أما أسباب عقد المجمع فيمكن القول بأن هناك سببين عام وخاص ، اما السبب العام فهو الختلاف طوائف النصارى في شخص المسيح عليه السلام اختلافا لا يمكن معه اتفاق ، فمنهم من يقول أن عيسى رسول من عند الله فقط . ومنهم من يقول أن عيسى عليه السلام من الله بمنزلة الابن لانه خلق من غير أب مع كونه مخلوقا لله لأنه كلمته . ومنهم من يقول أنه ابن الله له صفة القدم كما هي لله - تعالى الله عما يقول المشتركون علوا كبيرا - وكل يزعم أن عقيدته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها عيسى . ولكن الواقع أن هذه الآراء قد ظهرت بعد أن دخلت النصرانية طوائف من وثني الرومان واليونان والمصريين وبقى عند كل من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره . (١)

أما السبب الخاص : فهو رأى آريوس المنكر لالوهية المسيح . وكان هذا الرجل يقاوم ماتبثه كنيسة الاسكندرية من الوهية المسيح ، وكان لآريوس موافقون كثيرون فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه ، وله أنصار في الاسكندرية وفلسطين ، ومقدونية ، والقسطنطينية وأراد بطريرك الاسكندرية القضاء على هذه الفكرة فعمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، بناء على رؤيا رأى فيها المسيح - كما زعم - يتبرأ من آريوس ويلعنه . كما أمر البطريرك بطرس بنفيه ، ولذا عقد المجمع للاتفاق على رأى في هذه القضية . (٢)

وقد حضر هذا المجمع الفان وثمانية وأربعون اسقفا ، يعتنقون آراء ستة حول طبيعة المسيح هل هو اله ام لا ؟ منهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا يقولون برأى بولس وهو الوهية المسيح - تعالى الله عما يقول الكافرون علوا عظيما . (٣)

---

(١) ، (٢) محاضرات في النصرانية : ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف .

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ ، ١٥٠ ، والمسيحية : ١٦٨ .

وقد انفض مجمعهم مقررا قرارات عدة في العقيدة والتشريع :

١ـ القول بالتثليث وألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئة البشر .

٢ـ عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى ، كي يكون كل منهم كما قال بولس " بعل امرأة واحدة " .

٣ـ تدمير الكتب المقدسة التي تتعارض مع القرارات السابقة وقرر اختيار أربعة أناجيل هي " لوقا ، ومتى ، ومرقس ، ويوحنا " .

٤ـ لعن من يخالف هذه القرارات وحرمان آريوس واسقفين وغيرهما ممن يقول بقولهما . (١)

ثم صدر مرسوم آخر باحراق كتب آريوس وجعل اخفاء أي كتاب منها جريمة عقوبتها الاعدام . (٢)

وهكذا أصبحت العقيدة والشريعة يقررها البشر من دون الله ، فوقع هؤلاء القساوسة في الشرك الذي حذرهم عيسى منه ، كما ورد في آيات القرآن ففي هذا المجمع قرروا ان عيسى اله ، وعيسى سينفي ذلك عن نفسه يوم القيامة .(٣)

وقرروا تحريم الزواج لمن يترمل من الكهنة ، فشرعوا من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله واختاروا من الاناجيل التي كانت شائعة ـ وهي محرمة ـ أربعة أناجيل ، وهذا تحكم لا مبرر له لم يذكر في قراراتهم أي مبرر لاختيار هذه الكتب وحدها ومحاربة غيرها ولا بد من تبرير مثل هذا العمل والا كان عملا تسلطيا لا معنى له .

ولا شك أن هذا المجمع كان أهم المجامع تأثيرا في المسيحية ، ولذلك قسم كثير من مؤرخي الفكر الغربي النصرانية الى قسمين متضادين تجمع بينهما فقط النسبة الى المسيح عليه السلام .

---

(١) المسيحية : ١٦٩ .

(٢) قصة الحضارة : ١١/ ٣٩٥ ومحاضرات في النصرانية : ١٢٥ ، ومعالم في تاريخ الانسانية : ٣/ ٧٢٠ وانظر محاضرات في النصرانية : ١٥١-١٥٤ لمعرفة النقد الموجه الى قرارات هذا المجمع .

(٣) سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

الأول ـ المسيحية الأصلية أو ما يسميه المؤرخون " مسيحية يسوع".

الثاني ـ المسيحية الرسمية ، أو ما يسميه المؤرخون " مسيحية بولس" ويريدون بها العقيدة التى فرضها هذا المجمع بتأثير من قسطنطين وهى خليط من عدة عقائد وثنية كما أوضحت سابقا . (١)

هذا هو ما يراه بعض مؤرخى أوربا فى المسيحية . ولكن ما هو رأى رجال الكنيسة فى ذلك . يقول "ليكونت دى نوى" :

" لقد تجرأ أسقف كبير هو الدكتور وليام تامل أسقف كنيسة كنتربرى "الكنيسة الانجليزية الأولى " على القول بأن من الخطأ الفاحش أن نظن أن الله وحده الذى يقدم الديانة أو القسط الأكبر منها" (٢)

وهكذا يكون ما اعتنقته أوربا من دين ليس هو الدين السماوى الذى نزل على عيسى بالانجيل موصى به من عند الله ، وانما هو دين مركب من العقائد السائدة فى عصر المسيحية الأولى .

تحريف الأناجيل :ـ لا ريب ان الله سبحانه وتعالى أنزل انجيلا واحدا على عيسى عليه السلام مكملا للتوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام.(٣)

ومن المقطوع به أن القرآن الكريم فقط من دون الكتب السماوية السابقة هو الذى تكفل الله بحفظه . قال تعالى :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر : ٩ . أما الكتب السماوية الأخرى ومنها الانجيل فقد وكل الله حفظها الى علماء دينها ، لأنها كانت شرائع خاصة بالأمم التى يرسل اليها المرسلون .

---

(١) انظر فى بيان ذلك كتابى : افكار ورجال : ٢٠٧ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٣/ ٧٢٠ ، ٧٢١ .

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٥ وانظر قوله الآخر ص ١٦ وقول اللورد هدلى ص ١٦ .

(٣) انظر سورتى الصف : ٦ وآل عمران : ٥٠ .

"انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... " المائدة : ٤٤ .

فعلى هذا كان الواجب على القسس ـ وهم علماء النصارى ـ المحافظة على الانجيل بنصه الذى أنزل به من أن تمسه يد التحريف ، بيد أنهم فرطوا فى ذلك بل هم ممن شاركوا فى التحريف . وهكذا لم يأتى زمن النبى صلى الله عليه وسلم الا وقد عرف الانجيل تحريفا كاملا ، بالزيادة عليه تارة وبالنقص منه تارة اخرى ، وبالكتمان ثالثة . ونزل القرآن مقررا ذلك قال تعالى :

" وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . ويقولون على الكذب وهم يعلمون " آل عمران : ٧٨ . (١)

ويقرر محررو دائرة المعارف البريطانية هذه الحقيقة اذ يقولون :

"... لم يبق من أعمال السيد المسيح شئ ولا كلمة واحدة مكتوبة" (٢)

ويقول اللورد هدلى :

" ليس الانجيل الا مجموعة من كتب كتبت فى أوقات متباعدة عن بعضها" (٣)

هذا ما يقوله المعاصرون فماذا يقول أهل القرن الأول الميلادى ؟

يقول أحد شراح الاناجيل وهو آدم كلارك فى المجلد السادس من تفسيره للانجيل فى بيان تحريف انجيل المسيح ما يلى :

" هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيجت لوقا على تحرير الانجيل ، ويوجد اكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية . وكان " فابرى سيوس " جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاث مجلدات " (٤)

(١) انظر ايضا سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٧ .
(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : ١٣ .
(٣) نفس المصدر : ١٣ .
(٤) اظهار الحق : ٢٩٢/١ .

فهذا النص يقرر أن الانجيل فقز من واحد الى سبعين ،والمسيحية لا تزال فى أول عهدها مما دفع لوقا الى كتابة انجيله ـ المحرف ـ فأى هذه الاناجيل هو الانجيل الموحى به من الله الى عيسى ما دمنا مسلمين بأن الله جل وعلا لم ينزل الا انجيلا واحدا ؟

ان قراءة مقدمة انجيل لوقا تفسح لنا المجال الى الحكم على هذه الاناجيل ـ ومنها انجيله ـ بأنها جميعا ليست من عند الله . وهذه هى مقدمة انجيله :

" (١) اذا كان كثيرون قد أخذوا فى ترتيب قصص فى الأمور المتيقنة عندنا (٢) كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخداما للكلمة (٣) رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الاشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها ايها العزيز تاوفيلس " لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به .

فهذا النص صريح فى أن لوقا هو الذى كتب القصص بدافع شخصى .. ولم يزعم أنه كتبها بالهام أو أنه مسوق من الروح القدس . أو أن ما كتبه هو الحق المقدس . وعلى هذا فلا السبعون التى يكذبها آدم كلارك ولا انجيل لوقا الذى يصدقه وحى من عند الله ،بل لا ينسب أى واحد منها الى المسيح عليه السلام . اذ هى قصص وسير كتبها اتباع المسيح عن حياته ودعوته كما سمعوها ممن رأوا المسيح كما ذكر لوقا ذلك فى النص السابق ذكره .

ويرى غوستان لوبون أن هذه الاناجيل هى مجموعة أوهام وذكريات غير محققة بسطها خيال مؤلفيها . (١)

هذا ومن الأدلة على أن الانجيل محرف أمور منها :

---

(١) حياة الحقائق : ٦٢ .

١- أن الانجيل أصبح أناجيل كثيرة والله سبحانه وتعالى انما ذكر فى كتابه الكريم أنه أنزل انجيلا واحدا . (١)

٢- تأخر كتابتها عن زمن المسيح عليه السلام ، مع اختلاف المؤرخين فى زمن كتابة كل انجيل من الأناجيل التى اعترفوا بها وهى الأناجيل الأربعة "متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا". (٢)

٣- تناقضها فيما بينها - فيما تحطه من أخبار عن عيسى عليه السلام - وفى بقية نصوصها . (٣)

٤- فناء أكثرها فقد كانت سبعون انجيلا فاصبحت أربعة أناجيل . (٤)

٥- الترجمة وما يتبعها من خلل فى الألفاظ والمعانى . (٥)

٦- الاختلاف فى المؤلفين للأناجيل من حيث الادعاء بأنهم من الحواريين أولا . (٦)

٧- ما اعتراها من الاضافة والحذف . (٧)

٨- عدم الاعتراف بالأناجيل الحالية الا فى القرن الرابع . (٨)

٩- اعتماد بعضها دون البعض الآخر ومحاربته . (٩)

وقد اتضح لنا فيما سبق أن الأناجيل التى أقرها مجمع نيقيه هى أناجيل "متى ، ومرقس ، ولوقا ويوحنا" وأن ما عداها تحرم قراءته ويجب حرقه وابادته .

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٣٧ ، ٣٨ . واظهار الحق : ٢٩٢/١ . ومحاضرات فى النصرانية : ٤٨ .

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٣٠ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٤ . ومحاضرات فى النصرانية : ٥٢ ، ٥٣ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ وقد قرر لويون أن أقدم انجيل هو انجيل مرقس الذى كتب بعد نصف قرن من رفع المسيح انظر حياة الحقائق : ٦٢ .

(٣) محاضرات فى النصرانية : ٩٩ . والمسيح فى مصادر العقائد المسيحية: ٧٨-١٠٣ .

(٤) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : ٤٠ ، ٣٤ ، ٣٥ . والمسيحية: ١٧٧ .

(٥) المسيح : ٢٠ ، ٣٨ ، ٣٩ . والمسيحية : ١٨١ . ومحاضرات فى النصرانية: (٥ - ٥٨ .

(٦) المسيح : ٥٨ . ومحاضرات فى النصرانية ١٠٦ .

(٧) اظهار الحق : ١/ ٣٦ ٢ ، ٢٦٦ - ٣٣٦ .

(٨ ، ٩) محاضرات فى النصرانية : ٤٨ ، ١٥٣ . والمسيحية: ١٦٩ . والمسيح ٣٢ .

لكن هل حافظ رجال الكنيسة على هذه الاناجيل من أن تمسها يد تحريف ؟ الواقع الذى يشهد به التاريخ أنها لم تحافظ عليها ، بل كـــان للأباطرة والمجامع دور فى التحريف ، يشهد بذلك قول " لاندر " أحد مفسرى الاناجيل فى المجلد الخامس من تفسيره فهو يقول :

" حكم على الاناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسيطينوس فى الايام التى كان فيها حاكما فى القسطنطينية فصححت مرة أخرى "(١)

ويقول الاستاذ سفر بن عبد الرحمن ما يلى :

" ... وهذا القول اعتراف بالغ الخطورة فهو يقرر ثلاث حقائق تاريخية :

١ـ أن مؤلفى الاناجيل مجهولون وظلوا كذلك حتى القرن الرابــــــع الميلادى .

٢ـ أن لأهواء الحكام وميولهم يدا فيما تعرضت له الاناجيل من تحريف باسم التصحيح .

٣ـ أن التحوير والتبديل ظل يمارس فى الاناجيل دون شعور بالحرج مما يدل على أنه عادى مألوف "(٢)

هذا وقد ساق الشيخ رحمه الله الهندى فى كتابه القيم ـ اظهار الحق ـ خمسة وأربعين شاهدا على التحريف بالزيادة ، وخمسة وثلاثين على التحريــف اللفظى بالتبديل وعشرين على التحريف بالنقص "(٣)

كما ثبت أن انجيل يوحنا كتب للرد على الذين كانوا ينكرون الوهيـــــة المسيح ، ولأن الاناجيل الثلاثة لم تنص على ذلك . (٤)

---

(١) اظهار الحق : ٢٩٦/١ .

(٢) العلمانية وأثرها فى الحياة الاسلامية : ٢٥ .

(٣) اظهار الحق : الجزء الأول . وانظر مثالا على الزيادة يتعلق بالوهية والتثليث ص ٢٥٧ .

(٤) محاضرات فى النصرانية : ٦٣ . وانظر فى نفس الصفحة كلام دبس الخورى ومؤلف مرشد الطالبين .

ب - تعريف الشريعـــة

للحديث عن هذا الموضوع الهام لا بد من معرفة مفهوم الدين وطبيعتـــه وهل كان له شأن في واقع الحياة عند الرومان الذين حملوا المسيحية المحرفـة - بعد مؤتمر نيقيه - هل كان له هذا الشأن قبل أن تعتنق الدولة الرومانية الديـن النصراني رسميا . وهل كانت الشريعة التي نزل بها عيسى ، مطبقة فـي واقع حياة المسيحيين قبل ان تعتنق هذا الدين الدولة الرومانية باعتناق قسطنطين لها رسميا . ام لم تكن مطبقة ؟

فصل الدين عن الحياة عند الرومان : اما بالنسبة لمفهوم الدين وطبيعته عند الرومان فـان استقراء التاريخ يفيدنا بأن المجتمع الروماني " المستعمر " لم يكن يدين بديـن واحد ، ولا حتى فلسفة واحدة يؤمن بها ، بل هو غارق في جاهلية ذات اشكا ل مختلفة لكن يجمعها الاشتراك في الجاهلية ، ففيها تقديس الاباطرة وعبـــادة " الثالوث " يوبيتر ، مارس ، كويرينوس " وتقديس الصور والتماثيل والمدارس الفلسفية كالرواقية أو الابيقورية وغيرها . فاذا اردنا ان نفصل ذلك بالنسبة للحكام والمثقفيـن وعامة الشعب قلنا ان الحكام لم يكن يهمهم الا الحفاظ على حكمهم وارغام جمهـورة الناس على تقديم القرابين الى تماثيلهم وان كانوا يشاركون عامة الناس في اعيادهـم الوثنية وخدمة تماثيل الآلهة الكبيرة .

أما الطبقة المثقفة فكانت تتنازعها الفلسفات الوثنية كالفلسفة الافلاطونيـه ، والفلسفة الابقوريه ، وغيرها من الفلسفات الاخرى الوثنية في افكارها وتصوراتهـا أما عامة الشعب فهي تميل الى التدين بفطرتها الا انها ترى التناحر والتنـازع بين الالهة والفلاسفة . مما جعلها تفقد الثقة فيها وبالتالي انصرفت الى الاستجابة الى ملذات الجسد البهيمية التي لا تحدها حدود .

وهكذا يمكن القول ان الروم لم يكونوا يعتنقون دينا واحدا اعتناقا جديـــا يجعلهم يستمدون تصوراتهم وتشريعهم منه وحده، يوضح ذلك ما قاله الاستاذ محمـد اسد .

" ان الرومانيين في الحقيقة لم يعرفوا الدين وان آلهتهم لم تكن سوى محاكاة شاحبة للخرافات اليونانيه ؛ لقد كانت اشباحا سكت عن وجودها حفظا للعرف الاجتماعي ، ولم يكن يسمح لها قط بالتدخل في أمور الحياة الحقيقيه . بل كان عليها ان تنطق بالرجز على السنة عرافيها اذا سئلت مثل ذلك ولكن لم يكن ينتظر منها ان تمنح البشر شرائع خلقيه " (١)

وعلى هذا يمكن ان نقرر ان المجتمع الروماني كان مجتمعا " لا دينيا " يعاني من انفصام بين معتقداته الكثيرة وبين واقع حياته العملي .

يؤيد ذلك ما عبر عنه " سيسرو " اذ يقول :

" لما كان الممثلون ينشدون في دور التمثيل ابياتا معناها : ان الآلهة لا دخل لها في امور الدنيا يصغي اليها الناس ويسمعونها بكل رغبة " (٢) وقاله الراهب " أوغستين - اوغسطين " .

" ان الروم الوثنيين كانوا يعبدون الهتهم في المعابد ويهتزأون بهم في دور التمثيل " (٣)

وقبلهم ابيقور الذى عاش في القرن الرابع قبل الميلاد يعلن اللادينية صريحة فيقول . " ان الالهه لا يشغلون انفسهم بامور بنى البشر . نعم انهم موجودون لانهم يظهرون من آن لآخر للاشخاص . بيد ان مسائل العالم الارضي لا تعنيهم . وما من علامة تدل على انهم " يعنون بعقاب الاثم ، واثابة الصالح ، ايمكن اعتقاد تدخلهم هذا مع ما نراه في هذا العالم ؟

ان جوبيتر يرسل الآن بالصواعق على معبده ، فهل سحق ابيقور الذى يجدف به ؟ .... ان الالهه يعيشون بعيدا عن العوالم . ولا يهتمون بشئونهم هم فلا تعنيهم امورنا . انهم يعيشون حكماء سعداء ويحطوننا بهذا

(١) الاسلام على مفترق الطرق : ٣٨ .
(٢و٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٠ .

المثال الذى يجب ان نسير علي منواله فلنحطمهم كمثل عليا يقتدى بها غير انـــــه يجب علينا ان لا نشغل انفسنا بما يريدونه منا فانهم لا يريدون منا شيئا ، هــــم لا يسيرون لنا بالا . فلنفعل نحوهم كما يفعلون نحونا . (١)

ضمن هذا النص يتضح لنا التصور الخاطئ للالهه - تعالي الله عن ذلــــك - والتصور الخاطئ لمهمة الدين في الحياة ، وواجب المخلوق تجاه خالقه . وهــو تصور يشارك ابيقور فيه معظم الرومان . بل ان الرومان ليتصورون الالهة تتصــارع في الفضاء كما يتصارع ابطالهم . (٢)

فاذا كان هذا هو تصورهم للاله انه لا يشرع ولا يتدخل في شئون الحيـــــاء فلابد انهم يحتاجون الي من يسن لهم قوانين وتشريعات في نواحي الحياة كلهــا اجتماعية - بدءا من الاسره ، واقتصاديه ، وسياسيه ، وذلك مايقوم به البشــــر ، وهكذا وقعوا في شرك الطاعه والاتباع وظهر للوجود بسببه هذا مايسمي بالقانـــون الروماني . اما نظمهم الاخلاقيه فقد اخذت من الابيقوريه .

حالة الشريعة المنزله علي عيسي عليه السلام حتى عام ٣٢٥ م .

اما عن الحالة الشريعة المنزله علي عيسي حتى عام ٣٢٥م ، فلابد لنـــــا من معرفة ماهي مهمة الكتب السماويه - التى كان الانجيل - احدها ، ثـــم تطبق ذلك علي واقع حياة نبي اسرائيل الذين ارسل اليهم عيسي عليه السلام .

اما عن مهمة الكتب السماوية فقد بينها الله تعالي في كتابه الكريم حيث قال " كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتـــاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .... " البقره : ٢١٣ .

فالتحاكم الي كتب الله المنزلة علي رسله في كل اختلاف وتطبيقها في كل نواحي الحياة واستنباط كل التشريعات منها هو الغايه من انزاله ، والكتب السماويه - كمـــا تنص الايه - كتاب واحد بالنظر الي ان منزلها واحد ، وموضوعها واحد وهــــو تقرير حقيقه واحده كبرى هي توحيد الله وعباده وحده بالمعنى الشامل للعباده -

(١) المشكلة الاخلاقية والفلاسفه : ٦٧ - ٦٩ .
(٢) جاهلية القرن العشرين في الحديث عن جاهليه الرومان فقد ذكر محمـــد هذا الكلام - المصارعة بين الالهه .

- اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهره والباطنه -

وهكذا كانت التوراة التي انزلها الله على موسى وأرسل عيسى باكا نها « وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظه وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر اهلك يأخذوا باحسنها سأوريكم دار الفاسقين » الاعراف : ١٤٥.

فهي شريعة كامله بالنسبة لعصرها - لأن الله لم يشأ ان تكون هي الشريعة الخاتمه - قام عليها دول ، كان ملوك بعضها انبياء كداود وسليمان عليهما السلام يحكمان بها وبالزبور ويسيرون الحياة كلها على شرع الله وامره.

واستمرت التوراة منهجا للحياة كلها « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين سلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » المائده : ٤٤.

فهذه الآية تنص وتؤكد على انه لا يجوز لمؤمن بها ان يستمد تصوراته ولا تشريعاته من سواها.

ولكن الذى وقع في حياة بنى اسرائيل ما يخالف ذلك انحراف لا يقره الله فارسل الله عيسى يذكرهم ويردهم الى جادة الحق « (١) وهو آخر رسل بنى اسرائيل. واذا كان مبعوثا الى بنى اسرائيل خاصه فلم يكن الانجيل الذى انزل عليه ناسخا لشريعة موسى ولكنه كان مصدقا لها. (٢)

وكان ما جاء جديدا في الانجيل التخفيف على اليهود - عن بعض التشريعات التي انزلت عقوبه مؤقته لليهود ولم تكن شريعه يراد لها الدوام من عند الله. (٣)

فعلى هذا كانت التوراة مع ما انضم اليها من الانجيل شريعه يلزم ان تطبق في واقع الحياة ، وعقيده يلزم ان تسير كل منهج للحياة. (٤)

---

(١) انظر سورة الصف : ٦
(٢) انظر سورة المائده : ٤٦
(٣) انظر في هذا سورة آل عمران : ٥٠
(٤) انظر في هذا سورة المائده : ٤٦، ٤٧

لكن ما حصل هو أن هذه الشريعة لم يكتب لها التطبيق العملي في واقع الحياة لسببين هما :

(١) أن هذه الشريعة لم يقم لها دولة تقيمها في واقع الحياة ، اذ أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله اليه وهو ما يزال في المرحلة الأولى للدعوة - التي تشبه مرحلة الدعوة المكية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن عيسى عليه السلام قد بعث الى قوم قساة القلوب ، قتلة للأنبياء ، وكانت المنطقة التي بعث فيها - وهي فلسطين - جزء من مستعمرات امبراطورية الرومان الوثنية فكان محاطا بالأعداء من كل جانب ونتج عن ذلك اضطهاد شخص المسيح عليه السلام انتهى بالتآمر على قتله اليهود والرومان بتحريض من اليهود .

واذا كانت هذه هي أسباب عدم التطبيق العملي للشريعة المنزلة على عيسى حتى عام ٣٢٥ م ، فهل طبقت هذه الشريعة بعد ذلك أم لا ؟ وهل جنت الكنيسة ورجالها والمسيحيون عموما مكاسب عقدية من جراء قرارات مجمع نيقية أم لا ؟

يعتقد رجال الكنيسة ان عام ٣٢٥م يمثل عام النصر على أعداء المسيح عليه السلام وانه يمثل عصر الحرية فيما يعملون وما يعتقدون ، بل يعتقدون انه يمثل بداية عصر السيادة المسيحية على الديانات الأخرى . بعد عصور الاضطهاد والهوان التي نال فيها المسيح عليه السلام أنواع من الاضطهاد وصلت الى حد تدبير قتله والشروع فيه . وهكذا لم يكونوا في تلك العصور يطمعون من هذه الامبراطورية بشيء ، ولكنهم في القرن الرابع وبعد مجمع نيقيه تصوروا انهم قد كسبوا كل شيء يكسبهم الامبراطور قسطنطين الذي أعلن دخوله في النصرانية وهو على فراش الموت .

لكن رجال الكنيسة نسوا قولة المسيح عليه السلام التي تعبر في صدق

عن حالهم وحال الامبراطور الوثني الذى كسبه رجال الكنيسة فيما ظنوا .

يقول" ٢٦ " فانه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ام ماذا يعطي الانسان فداء نفسه " (١)

ماذا ينفع المسيحية لا بل الكنيسة على الاصح اذا ربحت قسطنطين وامبراطوريته وخسرت دينها وتعاليمها ؟ - وكانت قد خسرتهما قبلا - الا انه بعد قسطنطين كان الخسران معطي الصفه الرسمية - فبعد ان كان التحريف يحارب من قبل بعض طوائف النصارى ، أصبح من يحارب التحريف الذى قرر في نيقيه - محارباً .

لو ان رجال الكنيسة يتبعون ما انزل الله على عيسى لكان اول عمل قاموا به بعد عصر الاضطهاد هو البحث عن ذواتهم ، يبحث انجيل عيسى المنزل عليه من ربه ، ونشره بين الناس وتحكيمه كما أراد الله في كافة شئون الحياة ، وكان في امكانهم - لو كانوا ربانيين - كما وصف الله بعض النصارى - ان يدعوا قسطنطين الي النصرانية الحقه والا فلا حاجة بدخوله في المسيحيه ويكفي ان يحاملهم بالتسامح الذى كان معمولا به من قبل الامبراطوريه سابقا مع سائر الديانات ، وعند ذلك تمارس تطبيق ما انزل علي رسول الله عيسى من تشريع على اتباعهما في ظل هذا التسامح . لكن الذى حدث هو انه لا رجال الكنيسة كانوا مؤمنين بشريعه عيسى ايمانا جادا - بل كانوا محرفين لها - منذ القرن الاول - يطمحون في هداية الناس ، ولا قسطنطين كان مؤمنا جادا - كما سيبان ذلك - يريد خلع الوثنيه واخلاص دينه لله ليقف موقف العابد لله امام معبوده المستحق للعباده وحده .

والواقع أن هناك رابط وثيق جمع بين رجال الكنيسة والامبراطور هذا الرابط هو المصلحة الدنيويه للطرفين ، وكان نصيب الامبراطور منها نصيب

---

(١) الكتاب المقدس انجيل متى : جـ ٢ : ف ١٦ / ٢

الاسد مقابل تنازل بسيط جداً .

يقول درابر في وصف حال الامبراطور وحال الكنيسة بمايلي :

" دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولـم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوماً من الايام ، وكذلك كـان قسطنطين فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينيـة الا قليلا في آخر عمره " ٣٣٧م " .

وان هذا الامبراطور الذي كان عبداً للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا رأى لمصلحته الشخصية والمصلحة الحزبين المتنافسين ـ النصراني والوثني ـ ان يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى أن النصارى الراسخين ايضـا لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر اذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة ، وسيخلص الدين النصراني عاقبـة الامر من ادناس الوثنية وارجاسها " (١)

هذا فيما يتعلق بالامبراطور اما فيما يتعلق بالذين اعتنقوا المسيحيـة المحرفة ـ من العامة ، فانهم لم يتغير تصورهم السابق حين كانوا وثنيين عـن الدين ودوره وظايفه في الحياة البشرية ، وكان غاية التغير الحاصل فـي تصورهم هو احلال مسميات (الاب ، والابن ، وروح القدس) التي يؤمـن بها النصارى محل " جوبيتر وبيمير ، ومارس ، وكورنيوس) الثالوث الرومانـي الوثني اذ لم يكونوا ـ وهذا امر طبيعي ـ ينتظرون من الهة بولس وكنيستـه من تشريع الا كما ينتظرون من الهتهم الجامدة ، ولم يكن مقام الآب عند النصارى الا كمقام جوبيتر عند هؤلاء ـ الرومان المتنصرين ـ اذاً فالقضية اصبحت تغييـر مسمي فقط فبدلاً من ان يسمي الناس وثنيين صاروا يسمون مسيحيين .

وهذا امر طبيعي اذ لا يتصور من رجال الكنيسة بتصورهم الفاسد للـ

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٦٦ ، ١٦٧ .

سبحانه وشركهم بالله في العباده ،(١) والطاعة والاتباع ، ان يقتلعــــوا جذور الوثنيه الضاربه باطنابها في اعماق نفوس الرومانيين ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، بل ان الواقع في الباطل لا يمكن أن ينقذ غيره مما وقع هو فيه وهذا هـــو حال النصارى .

ولقد عبر احد مؤرخي الغرب عن هذه المسألة ادق تعبير حين قال :

" .... ولابد ان المسيحيه لم تكن عند اكثر الناس غير ستار رقيق يختفـــي تحته نظرة وثنيه خالصة الى الحياة . ومن المقطوع به ان مبادئ الاخلاق فـــي هذه المدنيه لم يطرأ عليها اى تحسن منذ ايام روما القديمه . والغريـــب ان هؤلاء القوم كانت تثيرهم المناقشات التى تتناول المسائل الغامضه فـــي اللاهوت المسيحي وفيما وراء الطبيعه ، وهي المسائل التى تكاد تبدو لنـــا غير مفهومة و ولا نخال كثيرين منهم قد عرفوا من امرها شيئا " (٢)

واذا كان رجال الكنيسه قد عجزوا عن اقتلاع جذور الوثنيه من نفـــوس الرومان - وهو أول خطوه في الطريق الصحيح الى الله - فمن باب اولـــى سيعجزون عن اقامة حياة الناس ، بنظمها واخلاقها على هدى الدين ،

واصبحت المراسم التقليديه التى كانت تؤدى في المعابد الوثنيه تـــؤدى بعد دخول الرومان في النصرانيه في كنائس بل تزحزح رجال الكنيسه عن مركـــز التأثير في الناس الى مراكز التأثر بهم فدخلت نتيجة لذلك الخرافات والاساطيـــر الوثنيه في تعاليم المسيحيه .. ، وطقوسها ، واختلطت بروايات الاناجيـــل وآراء المجامع الكنيسه ، وحصل ايضا امتزاج وتلاقح بين الشريعة المسيحيـــه والقانون الروماني . يوضح هذا ماقاله الفيلسوف الفرنسي اوضح بيان حيـــن يقول :

---

(١) مااقصده هنا هو الشرك في الشعائر التعبديه والتوجه الى غير الله بذلك واما مفهوم العباده فيوضحه تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه اللـــه اذ يقول " العباده اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهره والباطنه .

(٢) تاريخ العالم : ٤/٣٣٠ .

" ... يسوغ اطلاقنا اسم الديانة التركيبية على النصرانية لما كان من تبني النصرانية لمعتقدات سابقة كانت تزعم انفصالها عنها على الخصوص ... (١)

وقد كان بولس اول من تنازل عن الشريعة مقابل قبول الوثنيين للعقيدة المسيحية كما مر سابقا . وكما اوضحه بعض المفكرين الغربيين . (٢)

وقد اضحى هذا الانحراف منهجاً معتمداً عند الكنيسة بعد مجمع نيقية اذ فصلت بين العقيدة والشريعة ، وبين الدين والدولة وقسمت حياة البشر بعد هذا الى قسمين منفصلين :

الاول : ديني يكون من اختصاص الله ويحتوي فقط على نظام للاكليروس (رجال الدين) ، والرهبنة ، والمواعظ ، والتشريعات المتعلقة بالاحوال الشخصية فقط .

الثاني : " دنيوي " وهو من اختصاص قيصر وقانونه ويحوي التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ونظم الحياة عامة وعلاقات الدولة بغيرها من الدول .

ولم يجد رجال الكنيسة غضاضة في هذا ، ولم يتحرجوا من ان يجعلوا قيصر شريكاً لله في التشريع والاغرب فقد جعلوا من قبله بولس شريكاً لله في التشريع والعقيدة .

ويرى بعض مؤرخي اوربا ان السبب الذي اوقع الكنيسة في هذا الشرك هو نظرتها القاصرة الى الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور والشرور وان عيسى سوف يعود ليملأ الدنيا عدلا بعد ان ملئت ظلما فما الذي يدعوهم لتغيير واقع الحياة الدنيا التي يحيونها ، ولذا قبلوا قوانين الرومان وتشريعهم . (٣)

ولرجال الكنيسة مستندات نقلية من نصوص الاناجيل كما يزعمون يحللون بها تركهم لتطبيق شرع الله المنزل على عيسى واتباع قوانين الرومان سوى ماعلل به المؤرخون ومنهم فيشر . ولابد من عرض نموذج لها ومناقشته ، واكتفي هنا بنموذجين .

(١) حياة الحقائق ٦٤ - ٦٦
(٢) انظر في هذا الصدد كتاب : افكار ورجال : ١٨١
(٣) انظر في ايضاح ذلك كتاب : تاريخ اوربا في العصور الوسطى ١/ ١٠٩، ١١٠ .

اولهما : القول المنسوب الي المسيح عليه السلا ((اوفوا مالقيصر لقيصر وما لله لله) . يزعم رجال الكنيسه ان المسيح عليه السلام قال هذا القول ، وهم يتملقون به ويعدونه اصرح الحجج واقواها علي انحرافهم في الفصل بين الدين والدولة ـ كمبدأ عام ، وقد ظل هذا القول شعار رجال الكنيسه في اوربا كلما املى عليهم داعي الهوى مخالفة شرع الله والنكوص عنه ، وهكذا انحسر مفهوم الدين على مر العصور حتى لم يبق له في حس الناس الا ساعه من الاسبوع خاليه من كل معنى . فهل لهذا الدليل الذى تتشبث به المسيحيه ـ المحرفه ـ قيمة علميه ؟

مما لا ريب فيه ان كل ماروى عن المسيح من اقوال ليست منسوبه اليه يقيناً ، بل ولا تنسب اليه بالظن الراجح ، ذلك ان رجال الكنيسه كما هو معلوم قد حرفوا الانجيل ـ بالاضافة والحذف ـ حتى طمست تعاليم عيسي التى انزلها الله اليه وحيا يوحي . وهذا القول الذى بين يدينا يمكن ان يقال فيه طرداً لهذه القاعدة انه لم يصدر عن المسيح ، وانما هو من اضافات المحرفين من رجال الكنيسه وبما ان البحث العلمي اثبت أن الاناجيل الموجوده ظنيه الثبوت ، ظنية الدلاله فكيف يجوز رجال الكنيسه لأنفسهم الاحتجاج بهذه الظنيات في مثل هذه القضيه الخطره ؟

هذا من جهة ـ فاذا تركنا ذلك وانتقلنا الي النظر الي هذا النص نظرة موضوعيه مجرده فاحصه فماذا نجد ؟ وماذا نستنتج منها ؟

ان هذه العبارة " اوفوا مالقيصر لقيصر ومالله لله " ظاهرها الامر بالشرك اذ هي تجعل قيصر شريكاً لله في التوجه اليه بالعمل ومن ينفذ مدلول هذه العباره يقع لا محاله في شرك الطاعه والاتباع . وهذه الدلاله ـ لهذه العباره ـ تكفي لنفي ان تصدر هذه العباره عن المسيح عليه السلام ، لان الانبياء عليهم السلام ، انما بعثوا في المقام الاول لانقاذ البشر من الشرك وتحذيرهم من الوقوع فيه فكيف يمكن ان يأمر نبي من الانبياء بالشرك ويدعوا اليه ؟ (١)

---

(١) الكتاب المقدس " انجيل متى " جـ ٢ ف ٢٢ ، ومرقس جـ ٢ ف ١٢ ص ٨١

هذا من اكبر المحال.

وهذا كاف لاسقاط حجيه هذه العبارة ، ولكن سنفترض جدلا علي سبيل التنزل مع هؤلاء المدعين ان نسبتها الي المسيح صحيحه ، فهل يعني ذلك ان يفهم منها مافهمه رجال الكنيسه ويتخذ من ذلك الفهم قاعدة عامة مطلقة ؟ لننظر في سياق النص الذي وردت فيه هذه العبارة فقد يساعدنا علي فهمها . يقول متي في انجيله .

"١٥ حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمه (١٦) فارسلوا اليه تلاميذهم والهيرودوسيين قائلين : يامعلم قد علمنا انك محق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد ولا تنظر الي وجوه الناس (١٧) فقل لنا ماذا تظن هل يجوز ان تعطي الجزية لقيصر ام لا (١٨) فعلم يسوع شرهم وقال : لماذا تجربونني يامراؤون ، اروني نقد الجزيه ، فأتوه بدينار (٢٠) فقال لهم يسوع : لمن هذه الصورة والكتابه (٢١) فقالوا لقيصر حينئذ قال لهم اوفوا ماللقيصر لقيصر وما لله لله ، (٢٢) فلما سمعوا تعجبوا وتركوه وانصرفوا " (١)

من المعلوم ان المسيح عليه السلام واتباعه وهم قلة مضطهده من قبل اليهود والرومان ويتبنون دعوة جديده ناشئه - لم يكن في طاقتهم الاصطدام بالدولة الرومانيه ، ومواجهتها بالعداء السافر ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى لم يكن مطلوبا منهم في هذه المرحلة - مثل هذه المواجهة كما حصل فيما بعد للرسول (ص) واصحابه في مرحلة الدعوه المكيه - وذلك حتى لا يستثار عدو قوى يبطش بالدعوه ورجالها اول عهدها .

وقد لاحظ هذا قتلة الانبياء - اليهود - فكادوا لعيسى عليه السلام ولدعوته بحيث تخرج الدعوه وصاحبها عن منهجها المقرر لمناوئة الاوضاع قبل اوان ذلك ، وبهذا يجد اليهود ذريعه للايقاع بعيسى واتباعه لدى الحاكم الروماني لذا سألوا هذا السؤال .

---

(١) الكتاب المقدس " انجيل متى " ج ٢٢/٢ ف ، ومرقس ج ١٢/٢ ف ص ٨١

وواقع الامر ان عيسي عليه السلام وأتباعه وهم قلة - ليس في استطاعتهم اولا ، ولا في منهج الدعوة ثانيا ان يرفضوا دفع الجزيه لطاغيه الرومان قيصر ، الا ان هذا لا يعني ان عيسي عليه السلام يعترف لقيصر بحق مساواة الله ويجعله شريكا لله في الوهيته كما فهم رجال الكنيسه المنحرفون .

اذاً فالمسيح وافق - علي فرض صحة العباره - علي اجراء موقت - تقتضيه طبيعه الدعوه المرحليه المشابهه لمرحله الدعوة المكيه .

ولو قدر لعيسي عليه السلام ،ان تبلغ دعوته من القوه مقدار ما بلغته دعوة الرسول صلي الله عليه وسلم عندما اذن لهم بالجهاد ، لاذن عيسي عليه السلام لقومه برفض دفع الجزيه لقيصر ورفض كل وضع جاهلي ، بل لامرهم بجهاد الرومان وغيرهم من الوثنيين .

وبذا يتبين انه حتي علي افتراض ثبوت العبارة فانها لا يمكن ان يستنبط منها قاعدة كلية عامة دائمة يقضي تطبيقها الي اهمال شرع الله ، باهمال اقامته في واقع الحياه ، واقرار الطواغيت علي طغياتهم . بل تبقي ذات مدلول محدود موقت في مسألة فرعيه في مرحلة معينه .

٢- القول المنسوب الي المسيح : "ان مملكتي ليست من هذا العالم"

لقد فهم رجال الكنيسه من هذه العبارة علي افتراض صحة نسبتها الي المسيح ان الدنيا والاخره ضدان لا يجتمعان ، اذ الدنيا مملكة الشيطان ومستقر الشرور والاثام وعمل الانسان فيها لطلب رزقه اولتحقيق اقصي قدر ممكن من السعادة ، والتمتع بطيبات الكون كل ذلك ارجاس ، يغري بها الشيطان لصرف الناس عن مملكة الله الخالده وهي الاخره .

ولذا فان الفقر والعنت مفتاح ملكوت الله ، وتدعي الاناجيل ان المسيح عليه السلام قال :

" ... (٢٤) وايضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب ابره من ان يدخل غني ملكوت السموات "(١)

(١) الكتاب المقدس" انجيل متى" ج ف ١٩/٢ ، وانظر" انجيل مرقس" ج ف ص ٢/١٠/٧٧

كما تدعي ان المسيح طلب من اتباعه ان يقصروا ادعائهم لله بطلب الكفاف يقول الانجيل حسب روايه متي .

"(١١) خبزنا كفافنا اعطنا اليوم (١٢) واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن أساء الدنيا .

(١٣) ولا تدخلنا في تجربه لكن نجنا من الشرير . آمين " (١)

فالانسان حسب هذا المفهوم المعوج مطلوب منه ان يرضي بالكفاف فقط ، فاذا اصبح غنيا وتمتع بطيبات الدنيا ونعمها التى اودعها الله فيها فهذا الانسان سيعاقب بالحرمان من دخول ملكوت الله .

فاذا كان هذا هو حال الانسان في الدنيا كما فهمه رجال الكنيسة فلماذا يبذل الانسان طاقه جهده لاصلاح ماكان بطبيعته فاسدا فليتحكم الطواغيت بالناس وليستعبدهم ، وليعيثوا في هذا الكون فسادا كما يحلو لهم فسوف يحاسبهم المسيح في الآخره .

اما من يحرص علي جمع المال والتمتع بالحياه الدنيا فسوف يحرمهم هذا من دخول ملكوت الله اما المسيحي الكامل فهو الذى يرضى بالكفاف في كل شئ ليحصل له الدخول في ملكوت الله .

هذا ما فهمه رجال الكنيسه من هذه العبارة المنسوبه الي المسيح - فقد فهمت من هذه العباره انها تؤدى الي نظره ضيقة للحياة الدنيا ، وبالتالي لمهمة وغاية الدين فيها ، يائسه من امكان اقامة الشريعه في واقع الحياة .

وهكذا حُرفت المسيحيه من عقيده شامله ذات منهج رباني كامل ، انزلت علي عيسي عليه السلام لازالة الواقع الجاهلي الذى يعيشه الناس واقامة واقع جديد محكوم بشريعة الله المنزله الي نظرة قاصرة للدنيا ، ورأت ان تنظيم شئون الحكم وتقويم كافة الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية او السياسية ، ليس من دين المسيحيه لان مملكة المسيح كما يقول ليست من هذا العالم لكن هذا لا ينفي ان رجال

---

(١) الكتاب المقدس" انجيل متى" ٦/٢-١٠

الكنيسه لم يمارسوا سلطات سياسيه ، او اجتماعيه ، فقد كان منهم ظالم يحصل من اعتى الجبابره - كما سأوضح ذلك - الا ان هذه الممارسة كانت محدوده بنطاق ضيق هو نطاق المطامع الشخصيه لهؤلاء ، وكانت الرغبه في اشباع هذه المطامع هي الدافع من وراء ممارسه السلطة . فقد كان البابا يهتم بالدرجة الاولى بتولي تتويج الملوك والحصول منهم على الضرائب ، اما الحكم بما انزل الله فليس من مهماتهم . ذلك ان الحكم ليس من اختصاص هؤلاء الرجال بل هو من اختصاص القيصر ، لان مملكة المسيح ليست من هذا العالم .

هذا بيان لما فهمه المسيحيون من هذه العباره على افتراض صحتها .

لكن هل هذا الفهم صحيح ام ان لها معنى آخر لو صحت ؟ لا يمكننا الاجابة على ذلك الا اذا اوردنا السياق الذى وردت العباره فيه وها هو السياق كما ورد في انجيل يوحنا :

" ... (٣٣) فدخل ايضا بيلاطس الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له : "أأنت ملك اليهود ؟ (٣٤) اجابه يسوع أمن عندك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني ؟ (٣٥) فاجاب بيلاطس : ألعلي انا يهودي ؟ . أمتك ورؤساء الكهنه هم اسلموك الي فما الذى صنعت (٣٦) اجاب يسوع "ان مملكتي ليست من هذا العالم" ولو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاربون عني لئلا أُسلم الى اليهود . والآن فان مملكتي ليست من هنا " (١)

بيلاطس هذا هو الحاكم لفلسطين من قبل الرومان ، وقد دبر اليهود مكيده اخرى ضد المسيح اذا رأوا ما عرفوا به من حيل ومكر الامكان إستعداء "بيلاطس" على المسيح عليه السلام عن طريق تلفيق تهمه ضده ، هي انه يدعي انه ملك على اليهود يهدف الى استقلال امته عن حكم الرومان المستعمرين ، وهذه تهمه كفيلة بتعريض المسيح للعقوبات القاسيه ، وهكذا سار اليهود في حبك هذه المكيدة فتظاهروا بالنصح للحاكم الروماني ، وحين احضر المسيح - كما

---

(١) الكتاب المقدس "يوحنا" ج ف ١٨/٢

تقول الاناجيل - الي بيلاطس تردد في ايقاع العقوبة به فهدده اليهود بشيء مخيف وهو انه ان لم يوقع بالمسيح العقوبة فهو ليس محبا لقيصر، وعدم حبه لقيصر سيدفع ثمنه غاليا، وهذا يوحي لبيلاطس ان اليهود سيوصلون هذا الامر الي قيصر ومن ثم سيعاقب قيصر هذا الحاكم المتخاذل، لا بل ان اليهود امعنوا في التهديد فقالوا ليس لنا ملك الا قيصر. يقول انجيل يوحنا ان اليهود قالوا:

"١٢) ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر" (١)

ويقول يوحنا ايضا ان اليهود قالوا:

"(١٥) ليس لنا ملك الا قيصر" (٢)

هذا هو موجز القصة كما رواها انجيل يوحنا، فقد وردت هذه العبارة خلال التحقيق معه من قبل الحاكم الروماني، والفهم السليم لها هو انه كان يقصد انني لست ملكا من الصنف الذي تتصوره انت واليهود علي مثال قيصر وكسرى، ذلك ان الملك المتخيل الذي يحتي المجد والمجد ليس لي منه حظ في هذه الحياة، وانما حظي منه عند الله في الدار الاخرة.

كما انه لم يقل كما قال اليهود ليس لنا ملك الا قيصر، ولو قال ذلك او قيل منه تصريحا او تلميحا لسلم من الاذى ولكنه لم يقل ذلك انه رسول من عند الله ارسله الله ليهدم كل سلطان لغير الله في هذه الارض فكيف يعترف بذلك، وحتى لو عجز عن هدم تلك الطواغيت فلن يقر ويعترف بها.

وهكذا يعمد رجال الكنيسة الي عبارات تنسبها الاناجيل الي المسيح عليه السلام قيلت في ظروف موقتة وملابسات معينة ليقرروا منها قواعد عامة توسسس عليها الديانة.

---

(١) الكتاب المقدس" يوحنا " ج ١٩/٢ ف

(٢) نفس المصدر: ج ١٩/٢ ف

واذا سألت اخي القارئ هل اكتفي رجال الكنيسه بما ادخلوه في النصرانيه من تحريف كبير ؟ وهل اكتفوا بالانحراف الذى ساد سلوكهم حتى بعد تحريفهم ؟ فالجواب انهم لم يكتفوا بذلك بل زادوا عليه باختراع بدع لم ينزل بها الوحي علي عيسي عليه وعلي نبينا افضل الصلاة والسلام . وهذا ماسوف نعرفه في الفقره التاليه من البحث .

المطلب الثاني : بدع استحدثها رجال الكنيسة

لم يكتف رجال الكنيسة بتحريف المسيحية عقيدة وشريعة بل وصلوا الى حد الزيادة وابتداع تعاليم لم ينزل بها وحي من الله وأصبحت من صلب تعاليم المسيحية وطقوسها . ولعل من أهم ما ابتدعه رجال الكنيسة ما يلي :

١- بدعة رجال الدين ، ٢- بدعة الرهبنة ، ٣- بدعة الادعاء بوجود اسرار مقدسة لا يعرفها الا رجال الكنيسة ، واحيانا تخفى عليهم ايضا ، ٤- بدعة العشاء الرباني ، ٥- بدعة عبادة الصور والتماثيل ، ٦- بدعة ادعاء المعجزات لرجال الكنيسة ، ٧- بدعة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التحلة . وغيرها من البدع الكثيرة وسوف أتحدث عن ثلاث منها فقط وهي :-

١- بدعة رجال الدين ، ٢- بدعة الرهبنة ، ٣- بدعة صكوك الغفران وحق الحرمان ، وحق التحلة .

وبدعة رجال الدين هي اخطر البدع واعمقها أثرا ، اذ البدع الاخرى ناشئة عن ابتداع رجال الدين ، واضفائهم الشرعية عليها بقرارات مجامعهم لهذا سوف يكون الحديث عنها أولا باعتبارها أم البدع الاخرى .

أولا :- رجال الدين " الاكليروس " [1] The clergy Priestly order

تعددت النظريات الجاهلية لتاريخ الأديان ، ولحياة البشر الدينية ولنشأة بدعة رجال الدين ، ومن ضمن هذه النظريات الجاهلية ، نظيرة الفيلسوف الغربي " أوجست كونت " الذي نشأ في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، اذ يرى أن تاريخ الفكر الانساني ينقسم الى مراحل ثلاث هي :

١- مرحلة السحر والخرافة أو المرحلة اللاهوتية .
٢- مرحلة الدين أو المرحلة الميتافيزيقية .
٣- مرحلة العلم " الوضعية العلمية .

---

(١) قاموس الياس العصري (عربي انجليزي) ; ٣٥ مادة " اكليروس ".

١ـ مرحلة السحر والخرافة :ـ ويرى أن الفكر البشرى كان فى أدنى أطواره ، وأن الناس كانوا يرون أن حياتهم مرتبطة بأسباب خفية لا يمكن ادراكها ، ولذا لجأ الانسان الأول الى السحر والشعوذة لاعتقاده أنهما القادران على التأثير فى مجرى حياته بطريقة غير محسوسة له . فلما ازداد فهم الانسان لحياته وكثرة آماله ومطامعه زاد تعلقه بالسحرة ليدفعوا عنه الأرواح الشريرة التى يعتقد أنها تسبب الضرر أو تجلب له النفع المتنوع ، ومن ثم أصبح هؤلاء السحرة يتمتعون بمراكز اجتماعية عليا لدى هؤلاء الناس ، فأصبحوا زعماء للقبائل وفرضوا لأنفسهم سلطانا ماديا على أتباعهم .

٢ـ مرحلة الدين :ـ انتقل الناس فى زعم "كونت" الى التدين حين انشغلوا بالزراعة ، فبنوا المعابد وأصبح بعض الكهان ملوكا يتوارثون الحكم وبقى البعض الآخر سدنة للهياكل والمعابد التى كانت تدر عليهم المال الوفير وتكسبهم الشرف الرفيع . وقد بقيت رواسب موروثة عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين يتمثلون فى سدنة المعابد والهياكل ـ وهم يوازون السحرة والكهنة فى المرحلة الأولى ، وظل هؤلاء ـ رجال الدين ـ يقومون بنفس المهمة التى كان يتولاها أولئك السحرة والكهنة ولا يوجد فارق بينهما غير أن رجال الدين يستمدون سلطانهم من الدين أما السحرة والكهنة فكانوا يستمدون سلطانهم من السحر والكهانة. (1)

٣ـ مرحلة العلم الوضعى :ـ ويرى "كونت" أنها بدأت من عهده . "وفيها أخذ الانسان يفسر الأحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة . يمكن ادراكها بالملاحظة أو بالمشاهدة العلمية . وفى هذه المرحلة فى رأيه لا تذكر "الأرواح والآلهة والقوى المطلقة". (2)

هذا هو أحد التعليلات الجاهلية ـ ولا يزال سائدا ـ لتفسير حياة البشر الدينية ، ولبيان كيف ظهرت طبقة رجال الدين .

---

(1) سلسلة تراث الانسانية : المجلد الأول والسادس عند الحديث عن كتاب اوجست كونت وفلسفته ، والحديث عن كتاب العقلية البدائية .
(2) الاسلام يتحدى : ٢٦ .

وهو لا ريب تعليل قاصر وباطل ، لانكاره الوحي الرباني ، واغفاله عن عمد للفترات المنيرة السابقة التي تخللت تاريخ البشر منذ خلقهم الله من أبيهم آدم وأمهم حواء ، وهي الفترة التي شهدت بعث أنبياء الله ورسله ومنهم آدم ، وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وهو بهذا التفسير يقصر نظره على ما أصاب البشرية من انحراف في فترات معينة بعدت فيها عن منهج الله الذي أنزله على رسله عليهم السلام فطغت فيها الشركيات وتحول فيها من أتبع الانبياء بعد مدة الى سدنة للأوثان - ومشعوذين وكهانا ، كما حصل للجيل الثالث من قوم نوح حين عبدوا " ود ، ويغوث ويعوق ، ونسرا ". (١)

وكانوا كما يقول المفسرون رجالا صالحين فاتخذ الجيل الثاني لهم صورا ليتذكروهم فيقتدوا بهم في صلاحهم ثم وسوس الشيطان للجيل الثالث أن هؤلاء كانوا يعبدون في الجيل الثاني ، أو أنهم يستحقون العبادة والتقرب بهم الى الله زلفى .

والتصور الاسلامي للتاريخ البشري - ينظر الى حياة البشر على أنها تمثل خطين متوازيين متحاذيين . خط مضيء يمثل البشر حين يهتدون بهدى الله بسلوك طريق الانبياء الذين يتتابعون لهداية البشر ورد من ضل منهم الى جادة الحق والصواب .

وخط آخر مظلم يمثل فترات الضلال التي تطرأ على حياة البشر حين يضلهم الشيطان وحزبه فبعد أن تكون الامة على الايمان تنحرف الى الكفر .

ومما يتميز به البشر عن غيرهم وجود الصراع بين أهل الهدى منهم وأهل الضلال .

---

(١) سورة نوح آية ٢٣ وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٦/٤ ، ٤٢٧

ان التعليل الصحيح المباشر الذى يوضح الأصل الحقيقى لنشـأة سلطان رجال الدين أولنشوء هذه الطبقة هو أن الله عز وجل أنزل التـوراة على موسى عليه السلام وأوكل الى الأحبار حفظها فى الصدور ، وحفظها فى واقع الحياة بالعمل بها .

" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون والأحبار بمـا استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . . . " المائدة : ٤٤ .

فكان مقتضى ذلك أن يوجد عدد منهم يعتنون بحفظ كتاب اللـه ، وشرحه وايضاح أحكامه ليسير عليها الفرد والمجتمع ، وقد أمر الله هؤلاء الأحبار ـ وهم علماء بنى اسرائيل ـ أن يكونوا ربانيين بما كانوا يعلمون الكتاب وبمـا كانوا يدرسون (١) ، كما نهاهم عن كتمان شىء منه أو تحريفه أو شراء شـىء من عوض الدنيا الزائل به . (٢)

لكن الأحبار لم يأتمروا بما أمرهم الله به وأغرتهم مطامع الدنيا الزائلـة واشتروا بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً واضاعوا الأمانة ، وفرطوا فى حفـظ التوراة ورضوا لأنفسهم سلطة دنيوية يأكلون بها أموال الناس بالباطل (٣) .

ولهذا استحقوا مقت الله وعقابه ، وكانوا قدوة سيئة لمن جاء بعدهـم ثم بعث الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وأنزل عليه الانجيـل فحذر أتباعه من اقتفاء أثر اليهود ودعا قومه الى التوجه الى الله وحده بالعبادة ونهى قومه عن التسلط كما تروى الأناجيل عنه ذلك . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧ والبقرة : ٤٠ - ٤٢ .

(٣) انظر فى هذا سورة ال عمران : ٧٧ . وسورة المائدة : ٤٣ ، ٤٤ ، وسورة التوبة : ٣٤ .

(٤) الكتاب المقدس "متى" ج ٢ ف ٢٠ ص ٢٧

ولكن القسس والرهبان لم ينصاعوا لما أمرهم به المسيح عليه السلام بل غرقوا فى أوحال الدنيا واستعبدوا أتباعهم المؤمنين وساعد وجودهم ضمن ولايات الامبراطورية الرومانية على تدعيم مراكزهم ، بل أنهم اقتبسوا من الأنظمة السياسية للدولة الرومانية فكرة انشاء أنظمة وهياكل كهنوتية فأصبحت الهياكل الكنسية المنظمة تمثل هرما قمته البابا ، وقاعدته الرهبان وقد رعت الامبراطورية الرومانية هذا الهرم الكنسى واستمرت فى ذلك لأنه لا يتعارض مع وجودها .(١)

وقد اخترع رجال الكنيسة بصفتهم المسيطرين على مقاليد السلطة الدينية من " الوساطة بين الله والخلق " واستمدوا منه مبررا لبقاءهم على قمة السلطة الدينية ، ومقتضى هذا المبدأ يذهب الانسان الى رجل الكنيسة " ليعمد الله بواسطته ويعترف امام رجل الكنيسة بذنبه فى الابرشية ، ومن ثم يقوم رجل الدين بالتوسط لدى الله ليغفر لهذا المذنب وليقبل توبته وعبادته ومن ثم نصب رجال الكنيسة أنفسهم أندادا لله سبحانه وتعالى ووقع أتباعهم بسبب هذا فى الشرك الاكبر وصدق عليهم قول الله تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الله الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " التوبة : ٣١ .

وترتب على هذه المسألة أن زعم رجال الكنيسة لأنفسهم حق تفسير الأناجيل(٢) ومهزلة صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، والتحلة .

ثانيا : الرهبانية وأثرها فى العالم المسيحى الغربى :(٣) «Monachism»

الحديث عن الرهبانية يتضمن الحديث عن ما يلى :-

---

(١) انظر فى بيان اقتباس النصارى هياكلهم التنظيمية الدينية عن الرومان كتاب : المسيحية : ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية : ٢٠٣ .

(٣) «قاموس الياس العصرى (عربى انجليزى) : ٢٦٥ مادة "رهب"»

١- ما هي الغاية من وجود الانسان في هذه الحياة ؟
٢- ما هي الرهبانية ؟
٣- متى نشأت وهل أمر الله بها أم لا ؟
٤- ما هي العوامل التي ساعدت على نشوء الرهبانية ؟
٥- الشروط الواجب توفرها فيمن يريد الرهبنة .
٦- نتائج الرهبانية على رجال الكنيسة وعلى المجتمع الغربي عامة .

١- الغاية من وجود الانسان : حدد الله الغاية من وجود الانسان في العبادة له سبحانه بما شرع قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون" الذاريات: ٥٦

ومن ضمن ذلك الخلافة لله في الأرض بعمارتها بطاعته وتنفيذ شرعه قال تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون " البقرة : ٣٠ . وحتى لا ينسى الانسان الغاية من وجوده - وهي العبادة - ولتقوم عليه الحجة امام الله جل وعلا جعلها الله جزءاً أساسيا من تكوينه النفسي والروحي .

" فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . . . " الروم : ٣٠ . كما أرسل الله الرسل الى الاقوام البشرية ليكونوا أنموذجا حيا لتحقيق هذه الغاية والدعوة اليها . لكن الشيطان أغوى الناس فضلوا الطريق فغفلوا عن غاية وجودهم وانغمسوا في الملذات العجلى ، أو تصوروا هذه الغاية على غير حقيقتها فضلوا في أعمالهم . ومن التصور الخاطئ لهذه الغاية الاعتقاد بحقارة الدنيا الى درجة تسقط معها قيمتها التي جعلها الله لها ، والذي ينتج عنه الغلو في تهذيب النفس الى حد التضييق عليها مع صرف النظر عن عمارة الكون بطاعته تعالى وتنفيذ شرعه التي هي جزء من الغاية الكبرى - عبادة الله .

ومن ثم تعد الرهبانية هي التطبيق العملي للتصور السلبي الخاطئ - الاعتقاد بحقارة الدنيا - وهذا التصور الخاطئ نشأ عن الجهل التام بطبيعة

الانسان ، ومهمته فى الوجود التى وضعها الله فى فطرته .

وهكذا تضل البشرية حين لا تهتدى بهدى الله فتغرق فى المادية التى يتسبب عنها الجفاف الروحى - الذى تعانيه فى هذا العصر - أو تغرق فى الرهبانية والتنسك الذى يصل الى حد تعذيب النفس الذى تحاربه الأديان كلها .

ما تعريف الرهبانية ؟: يقول ابن منظور "صاحب لسان العرب" فى مادة "رهب" ما يلى :

"... قال ابن الأثير : هى من رهبنة النصارى ، قال : وأصلها من الرهبة بالخوف كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا ، وترك ملاذها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعمد مشاقها ، حتى أن منهم من كان يخص نفسه ويضع سلسلة فى عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفاها النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ، ونهى المسلمين عنها ...."(1)

فعلى هذا يمكن تعريفها بالآتى :-

هى البعد عن ملاذ الدنيا ما أباح الله من المآكل والمشارب والملابس والاكتفاء بالكفاف فى المعيشة وتعذيب النفس لتعويدها على تحمل المشاق والمتاعب .

٣- متى نشأت الرهبانية وهل نشأت عن أمر من الله أم لا ؟ : اختلف المؤرخون فى تاريخ نشأتها لكنهم اتفقوا على أمر واحد وهو أن النصارى كانوا مسبوقين بذلك من الهنود البوذيين . أما عن نشأتها عند النصارى فاختلفوا فى تاريخه .

فالمؤرخ ويلز يذكر انها نشأت فى العالم الغربى فى القرنين السادس والسابع ويذكر أن بندكت (٤٨٠ - ٥٤٤) يعد من أهم الشخصيات التى ساهمت فى تطور الديرية فى أوربا . (2)

---

(١) لسان العرب المحيط : ١٢٢٧/١ .
(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٧٣٠/٣ ، ٧٣١ وانظر ما نصرها بحقيقة صدمت منصلحتى جص ٧٣٤ وانظر فى بداية نشأت الرهبانية عند النصارى وكيف انتقلت اليهم من الشرق ونظم بعض الرهبانات العجيبة فى كتاب تكوين العقل الحديث : ١/ ١٢٥-١٤٩ .

بينما يرى صاحب كتاب " تكوين العقل الحديث " أن " باشوميوس أولا ثم القديس باسليوس فى القرن الرابع الميلادى كانا أول من وضع القاعدة الكبرى للأديرة الشرقية . (١)

ولم يأمر الله بالرهبانية وانما نعى الله على الذين ابتدعوها من النصارى ولم يفوا بما الزموا أنفسهم به قال تعالى : " ... وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون" الحديد : ٢٧ . (٢)

٤- العوامل التى ساعدت على نشوء الرهبنة :- لكل حدث عوامل تؤدى الى ظهوره فما هى العوامل التى أدت الى ظهور الرهبانية ؟ يمكن تلخيص هذه العوامل فى الاتى :-

١- عقيدة الخطيئة الموروثة :- يعتقد المسيحيون أن آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة المعروفة التى نهى عن الأكل منها عوقب بالطرد من الجنة وأنزل الى الأرض ولم يكتف الله تعالى عن ذلك بمعاقبة آدم وانما ظل البشر كلهم يتالهم من آثار تلك الخطيئة الشعور بالذهب والجرم لفعلة أبيهم آدم عليه السلام ، وقد رحمهم الله بانزال - ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - حتى يصلب فداء للبشر كلهم ، وليوضح للناس طريق الخلاص من هذه الخطيئة ولهذا كما يعتقد رجال الكنيسة - أصبح من المحتم على الانسان أن يقتل نفسه لمنحها الخلاص من هذه الخطيئة التى تلاحقه منذ آدم . (٣)

ولما كانت المرأة حسب ما جاء فى سفر التكوين من العهد القديم - هى التى أغرت الرجل - أى آدم - بالاكل من الشجرة . فان المسيحية المحرفة عادت المرأة عداء شديدا ، لانها أصل الشر ومنبع الخطيئة فى العالم لهذا

(١) تكوين العقل الحديث : ١٢٧/١ "(٢)" انظر فى بيانه معنى الآية تفسير

(٢) ابن كثير : ٥٤/٨ - ٥٧ .

(٣) انظر فى قضية الخلاص الكتاب المقدس " متى " : ٢٠ ف ٢٨ و " لوقا " ٢ ف ١٧ . ومن العجيب تناقض النصارى فى قضية الخلاص فهم يقولون أن عيسى نزل حتى يصلب فداء للبشر ، ويقولون ان اليهود صلبوا المسيح ويعادون اليهود لذلك ولم يبرئوا اليهود الا عام ١٩٦٤م

فان الخلاص من الخطيئة الموروثة من عهد آدم لا تتم الا بانكار الانسان ذاتــه وقتله لكل ميوله الفطرية ، والا حتقار البالغ الحد للجسد وشهواته كلها لا سيما شهوة الجنس " النكاح ".

وقد ترتب على الشعور بالخطيئة الموروثة - أن أصاب القنوط الكثير ممن ينتسب الى المسيحية فقنطوا من رحمة الله فاذا ارتكب أحدهم ذنبا ضـــاق بالدنيا وذهب يعاقب نفسه بأنواع من العقاب ومن ضمن ذلك الانعزال عـــن البشر في الأديرة .

٢- رد الفعل العنيف المتطرف للمادية :

بعث الله المسيح عليه السلام في مجتمع يتكون من طائفتين متهالكتين على المتاع الدنيوي هما ، قومه اليهود أجشع بني البشر وأشدهم تعلقــــا وتشبثا بالحياة أي حياة " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ". والرومـــان الوثنيون الغارقون في الحياة البهيمية والشهوات الدنسة ، فكان عيسى عليـه السلام - بما أمره الله - يعظهم ويذكرهم بالآخرة ويضرب لهم الأمثال ويقـــص عليهم القصص المتنوع عن الأقوام السابقين وما أصابهم من جراء عبادتهم لملذات الدنيا وغلوهم اليها وغفلتهم عن الله وتنفيذ شرعه كل ذلك حتى يردهم الى جادة الصواب برفعهم عن عبودية الدنيا وملذاتها الى عبادة الله وحده ، ويوضح لهم ما ينتظرهم في الآخرة من النعيم ان هم استجابوا له ومن الأهوال ، والعذاب ان لم يستجيبوا له ليحسبوا لكل حسابه . فآمن به عليه الســلام قلة من قومه واتعظت قلوبهم ورقت لما سمعوا لكنهم بمرور الزمن وكرد فعـــل للضغط المادي عليهم غلوا فخرجوا عن حدود ما أمرهم به المسيح عليه الســلام وما تمليه عليهم الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها ، فنسبوا الى المسيح ما لم يقله من أنه أمر شابا غنيا أن يبيع كل شيء ويعطيه للمساكين ليكون لـــه كنز في السماء . (١)

---

(١) انظر في قصة الشاب الكتاب المقدس "متى " ج ٢ ف ١٩ ص ٣٥

كما نسبوا اليه أنه أوصى تلاميذه بعدم اقتناء الذهب والفضة وغيرهما[(١)]

٣- تأثير الفلسفات والوثنيات القائمة :- عاصرت المسيح عليه السلام فلسفات ووثنيات قائمة كالرواقية والبرهمية والبوذية . ودخل في النصرانية بولس اليهودي والمنحرف الأكبر للنصرانية وكان متشبعا بالفلسفات والوثنيات المعاصرة للمسيح ، فدخلت في المسيحية من ضمن ما دخلها من التحريف على يد اليهودي النظرة المتشائمة للحياة الدنيا وتمحها وبقى العالم فيما بين فترتي بعثة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام متعطشا الى دين صحيح يقيم الأمور على هدى شريعة الله ، وهذا ما لم تستطعه المسيحية بولس - كل ذلك ساعد على استبداد الحيرة والضلال عن الجادة الصحيحة بكثير من ذوي العقول المفكرة ، والمشاعر المرهفة فأبتكروا واعتنقوا الفلسفات التي تتم عن التهرب من الحياة وتقوم على الاستغراق في عالم ما وراء المادة ، ولهذا راجت الرهبنة في القرون التي تلت المسيح عليه السلام . (٢)

٤- الأوضاع الاجتماعية القاسية :- من المعلوم ان المجتمع الروماني كان مجتمعا طبقيا " ظالما " يعاني فيه سكان المستعمرات البؤس والحرمان من الحقوق الانسانية العامة بسبب الظلم والطغيان ، وكانت الجيوش تشكل من سكان المستعمرات مما جعلهم يقنطون من حياة الذلة والمهانة لذا رأوا أن خير وسيلة للتخلص من هذه المهانة - ولو أدى ذلك الى العيش الكفاف - هو دخول الأديرة حيث ينفق عليهم من التبرعات وأوقاف الكنيسة . (٣)

٥- الشروط الواجب توفرها فيمن يترهبن :

يشترط فيمن يريد الرهبنة شروط معينة منها :

١- العزوبية : وهي أهم الشروط للرهبنة ، اذ لا معنى للرهبنة مع وجود زوجة بمنصب انجيل متى الى عيسى عليه السلام انه جعل الطلاق بدون علة زنا ، والزواج بثانية زنا والزواج بمطلقة آخر زنا ، وأنه فضل البقاء بدون زواج

---

(١) نفس المصدر " متى " : جـ ٢ ق ١٠

(٢) انظر في ذلك " معالم تاريخ الانسانية : ٣/٧٣٠ ، ٧٣١ .

(٣) انظر : قصة الحضارة : ١٤/١٥٠ .

للتلاميذ .(١) .

وقد كان من المشكلات المستفحلة على الكنيسة ورجالها مشكلة زواج رجال الدين - غير الرهبان - أو تسريهم الاماء بحجة أن القس اذا تزوج يكون ولاؤه لزوجته وأولاده ، وأنه سينقل كرسيه لزوجه وأبنائه ، وهو مطالب بأن يكرس حياته لله ، وقد نادى "جريجورى" بمذهب التبتل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده باعتباره خليفة المسيح فى الأرض ، وأعلن عن استعداده للعمل فى كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ، ولو أدى ذلك الى فصم العرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين فى ألمانيا ، أو ترتب عليه اضعاف الكنيسة الالمانية الى أقصى حدود الاضعاف ...(٢) وهكذا الزم رجال الدين بعد جريجورى بالتبتل ، ويشرف على ذلك البابا لأنه خليفة المسيح فى الأرض .

فاذا كان التبتل قد فرض على غير رجال الدين من الرهبان وكان هذا حالهم ، يراقبون من قبل الباباوات فما بالك بالرهبان أنهم يعانون من الرهبنة الشيء العظيم .

٢- ان يتحرر من يريد أن يكون راهبا عن متاع الدنيا بمعنى ذلك الرضا من الرزق بالكفاف وعدم الاهتمام بالمطالب الجسدية ولو ضروريا من مأكل ومشرب وملبس ونظافة واذا كانت مسيحية بولس المحرفة تأمر عامة النصارى باحتقار الحياة الدنيا وتعد هذا من أولى الواجبات فطبيعى أن تكون معاملة الراهب أقسى .

يقول صاحب كتاب "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة" :

"... ولنقرأ هذا السفر الطريف "محاكاة المسيح" انه سفر من أكبر أسفار التبتل المسيحى ولنطلب بين صحائفه مظاهر الحياة المسيحية بمعناها الصحيح ان ما نجده فيها ليعبر عن الحال بأبلغ عبارة :

---

(١) انظر فى بيان ذلك الكتاب المقدس "متى" : ج ٢ ف ١٩ ص ٣٥
(٢) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى : ١٤٧/١ وقصة الحضارة : ١٤/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

١- احتقار أساسى لكل علم . وحتى ليشمل ذلك علم الالهيات .

٢- احتقار اصيل لكل ما تسعه خيرات هذا العالم الثراء ، والشرف والمركز الاجتماعى ، حتى المركز الوسط . وانه لحتم أن نستشعر دائما التواضع والندم وان نمارس عمليا على الدوام التضحية وكل مظهر عليه الرحمة . وان نشتغل اشتغالا دائما بالصلاة والسلام . وأن نجمع حواسنا فى صمت وذهول تام وتأمل دينى يتسى المرء فيه كيانه . يجب أن نقتل فينا كل ميل دنيوى يجب أن يموت عالم الرغبة . يجب أن نبدأ من هذا العالم الزائل ، ما سوف يكون لنا الوجود الابدى ."

ثم يقول معلقا :

" عظمة وعلاء! ولكن قضاء حد قاس على الانسانية . وان التطبيق الكامل لمثل تلك المبادىء ، ليمكن أن يملأ الارض بأديرة فيها الرجال من جهة والنساء من جهة أخرى ينتظرون فى طهارة وتأمل ، الزوال النهائى للنوع الانسانى "(١)

وفى هذا ما يكفى للتعليق على هذا الانحراف .

٣- أن يكون الراهب فى عبادة متواصلة يمليها عليه الاب ، ويجب أن يطيعه لانه خليفة المسيح فى الارض فاذا عصاه فقد عصا المسيح . بل يجب عليه إجهاد نفسه وتكليفها مالا تطيق ، من الصلوات والصيام وسائر شعائر التعبد فإن سئم ومل ، أو قصر فى شىء من ذلك ، فان لذلك عقوبات رادعة . فقد كان من تعاليم " سانت كولمبان" وهو أحد مؤسسى الاديرة ما يلى :

"١- يجب أن تصوم كل يوم وتصلى كل يوم ، وتعمل كل يوم وتقرأ كل يوم ، وعلى الراهب أن يعيش تحت حكم آب واحد .

٢- ويجب أن يأوى الى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر فى الطريق"

كما أنشأ نظام الحمد الذى لا ينقطع بايجاب تلاوة الأوراد على الرهبان بلا انقطاع ليلا ونهارا موجهة الى عيسى ومريم والقديسين .(٢)

---

(١) المشكلة الاخلاقية والفلسفة : ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) قصة الحضارة : ٣٦٥/١٤ .

أما العقوبات فكانت بالجلد بالسياط ،فاذا سعل الراهب وهو يبدأ ترتيله جلد ستة سياط ، وكذا اذا نسي ن رم اظافره قبل تلاوة القداس أو تبسم أثناء الصلاة ، وقرع القدح باسنانه أثناء العشاء الرباني . وكانت أثنا عشــر سوطا اذا نسي أن يدعوا الله قبل الطعام . وغيرها من العقوبات . (١)

٤ـ التعذيب الجنوني للجسم والنفس : ـ لم يقتصر الأمر على العزوبة والتجرد من متاع الدنيا ـ حتى ما رحله الله ـ والعبادة المتواصلة ، بل وصل الأمر بهم الى تصرفات تشبه تصرفات المجانين بزعم أنهم بذلك يعبرون عــن قوة ايمانهم !

يقول "ويلز" في وصفه لمثل هذا التعذيب :

" ... وقد أرسل القديس "بندكت" أرسل رسالة لراهب متعزل اخترع درجة جديدة من الورع يربط فيها نفسه بسلسلة الى صخرة في غار ضيق يثبـط فيها من حماسته ويدعوه فيها أن يخفف من غلوائه . قال بندكت "كسر أغلالك" لأنّ خادم الله الحقيق لا يغل الى الصخور بالحديد ، وانما يربطه المسيح الى الهدى والبر ". (٢)

النتائج التي حصلت بسبب الرهبانية :

من سنن الله في هذه الحياة أن كل عقيدة أو مبدأ لا يساير الفطـرة البشرية التي فطر الله الناس عليها فانه الى الخسران والفناء المحقق . ومصير من يعتنقه الشقاء والضياع ، ومن المعلوم المقطوع به أنه لا يستطيع أحد الاتيان بدين يوائم الفطرة البشرية الا من خلق البشر جل وعلا ، لذا كان المبتدعون ومخترعوا المذاهب البشرية المخالفة للفطرة أكثر الناس اساءة الى البشر ، والرهبانية احدى البدع التي ابتدعها البشر وليست مواءمة للفطـرة

---

(١) قصة الحضارة ١٤/٣٦٥ .

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ٧٣٢/٣ وانظر صورا اخرى لهذا التعذيب في " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ١٨٥ .

التى فطر الله الناس عليها ، ولذا لم يأمرها الله جل وعلا بل نعى على من ابتدعها [1] فهى بدعة ابتدعها النصارى قاصدين مرضاة الله لكنهم لم يرعوها حق رعايتها ولم يقوموا بما الزموا أنفسهم به من العبادة بل انخرط فى الرهبانية الفساق وطلاب المتع الدنيوة . فأصبحت الاديرة تعج بالفضائح المظيمة والدعارة التى لا تضارعها فيها أماكن الفساد . (١)

هذا فيما يتعلق بالرهبان . أما الافراد العاديون فقد زالت ثقتهم بالدين ذلك لانهم أصبحوا يرون الرهبان - وكانوا يعدون مثالا للطهارة - يغرقون فى الفجور وينالون من متع الدنيا مالا يناله غيرهم ، وهذا هيأ المناخ المناسب لنمو الفلسفات الاباحية والحركات الهدامة للاخلاق نموا قويا . وجعل بعض المفكرين الغربيين يصفون المسيحية بما يلى :

".. ان المسيحية نفاق منظم كما أتهمتها أجيال عديدة من النقاد العقليين المرة تلو الاخرى وأنها لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفى تحته نظرة وثنية خالصة الى الحياة "(٢)

ثالثا : صكوك الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التحلة [3] Indulgence Paper

١- صكوك الغفران : ان الله سبحانه وتعالى - كما نعتقد نحن المسلمين - هو الذى يغفر الذنوب ونعلم كذلك ان رسل الله جميعا أوضحوا هذه الحقيقة ايضا حا كاملا لا لبس فيه وقد تضمنت آيات كثيرة من القرآن وصف الله بأنه غفور رحيم ، وأنه هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين .

ولكن رجال الكنيسة منذ أن انحرفوا عن ما أنزل الله على عيسى عليه السلام وهم فى انحدار وغلو فى تقدير مكانتهم ومنزلتهم حتى وصلوا آخر المطاف الى اقرار أن البابا ، يملك حق غفران الذنوب ، وذلك فى مجمع روما المنعقد عام ١٢٢٥ وكانوا قد انحرفوا بجعل الله ثالث ثلاثة ، وبفرض الترهين على

---

(١) انظر قصة الحضارة : ٣٧٢/١٤ ، ٣٧٣ .
(٢) تاريخ العالم : ٣٣٠/٤ .
(٣) قاموس الياس العصرى (عربى - انجليزى) : ٨١٤ مادة صك

رجال الدين ،وغيرها من الانحرافات ـ ثم لحق ذلك اقرار عصمة البابا عـــام ١٨٦٩ وهكذا ادعى رجال الكنيسة مشاركتهم الله سبحانه وتعالى فى ملكيــة غفران الذنوب بل أنهم ارتكبوا هذه المهزلة ، فوزعوا الجنة وعرضوها للبيع فـى مزاد علنى ،وكتبوا وثائق للمشترين تتعهد فيها الكنيسة بغفران ذنوب المشترى للصك المتقدمه والمتأخرة ، وبراءته من كل جريمة أو خطيئة سبقت الصك ، أو تلحقه ،فاذا تسلم هذا المشترى الصك فقد ابيح له كل محظور على غيره ، وحل له كل محرم على غيره ممن لم يشتر صكا لغفران ذنوبه ، فليس عليه عقاب أن هو زنى ،أو سرق أو قتل أو شرب الخمر ، بل ليس عليه عقاب ان الحد وكفــــر بالمسيحية مادام هذا الصك بيده ،اذ المسيح هو الذى منحه اياه ـ لأن البابا هو مثل المسيح على الارض ـ والمسيح كما مر معنا فى أحد نصوص الاناجيــل المحرفة هو الذى يحاسب الناس .

ولم يكتف رجال الكنيسة بمنحهم صكوكا لغفران ذنوب الأحياء ، بل وصل الحد بهم الى أنهم أعطوا صكوكا لغفران ذنوب الأموات ، ذلك أن الأحيــــاء من حصلوا على صكوك لغفران ذنوبهم ـ رغبوا فى أن يحصلوا على صكوك لغفران ذنوب أقاربهم الموتى من آباء وأمهات وأخوة وأخوات وأبناء وبنات وغيرهم ، ذلك أن الانسان مجبول على حب الخير لأقربائه وخاصة فيما يتعلق بغفران ذنوبهم ـ فنحن المسلمين نسأل الله لموتانا المغفرة والرحمة لأنه هو المالك لهذا الأمر ـ أما عند النصارى بعد أن بدأت مهازل صكوك الغفران فان الذى يمنح ذلك هى الكنيسة ، وهكذا اتيح لمن يريد أن يشترى صك غفران لقريبه الميت ذلك ـ وليس عليه الا أن يكتب اسم من يريد غفران ذنوبه من أقاربه فى المكان المخصص لذلك وبعدها ينتقل المغفور له الميت الى النعيم مع المسيح والقديسين .

لكن هل صكوك الغفران تعطى من قبل الكنيسة تبرعا ودون مقابل أم أن هناك مقابلا يدفعه المغفور له ؟ واقع الحال أن هناك مقابلا يدفعه المغفـــور له ليحصل على غفران الذنوب والا لتمكن " العبيد " عند الاقطاعيين من الحصول على صكوك لغفران ذنوبهم ، ولكن ذلك لم يحصل وايضا لتمكن المريض المقعــد الذى لا يستطيع الحصول على المال الذى يشترى به صكا لغفران ذنوبـــه

أذا فهؤلاء لم تشملهم رحمة رجال الكنيسة وظلوا محرومين من هذه المغفرة ولو بلغوا في تقواهم وحبهم للمسيح وتعلقهم بالعذراء البتول مريم عليه السلام ما بلغوا .

وبهذا يتبين ان الغفران لم يكن يمنح الا لمن يدفع وهذا يعني أن رجال الكنيسة احتالوا على الاستيلاء على أموال الناس أو جزءاً منها بسن هذه المهزلة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما السبب الذي دعا رجال الكنيسة الى عمل هذه المهزلة ؟ لقد كانت الكنيسة مع مطلع القرن الثالث عشر تجتاز مرحلة حاسمة في تاريخها وكانت بحاجة الى المزيد من السلطة الدينية والنفوذ المالي لمواجهة أعدائها - المسلمين - فقررت عقد مجمع عام لبحث الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك فعقد المجمع الثاني عشر في روما عام ١٢١٥ وفيه تقرر ان الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء مع مبدأ آخر كان شائعا وهو استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني الى جسد المسيح ودمه. (١)

كما فرض المجمع على كل مسيحي أن يعترف امام قسيس الابرشية مرة كل عام حتى يستطيع الحصول على الغفران. (٢)

ولا ريب أن الناس بعد هذا أخذوا يتاغدون على الابرشيات لطلب المغفرة وللاعتراف بالذنب امام القساوسة فارتفع بذلك مركز رجال الكنيسة المعنوي المادي - كيف لا وقد جعلوا أنفسهم شركاء لله - تعالى الله عن ذلك - وبعد فترة اغرق رجال الكنيسة في المغالاة لتثبيت مركزهم وتعبئة خزائنهم فقرروا اتخاذ وسيلة تضمن استمرار هذا التسلط باسم الغفران وبعد التفكير والتقدير توصلوا الى طريقة - مدرة للمال ، ورافعة لشأنهم المعنوي - تلك الطريقة هي كتابة الغفران للبشر على شكل صكوك تباع على كل طالب لها وتنص على غفران ابدي للذنوب المتقدمة والمتأخرة حتى تصبح حاجزاً قوياً على دفع المبلغ المالي الذي تقرره الكنيسة أو القيام بخدمات للكنيسة . (٣)

---

(١) انظر نص قرار المجمع في : محاضرات في النصرانية : ٢٠٥ .
(٢) انظر في بيان هذا : تاريخ العالم : ٥/٥٠٢ .
(٣) انظر صورة صك الغفران في : محاضرات في النصرانية: ٢٠٦

وقد كان من أسباب اعطاء صكوك الغفران ان الجنود الذين شاركوا في الحروب الصليبية سئموا تلك الحروب ورأوا أنهم منهزمون آخر الأمر وفقدوا ثقتهم في الكنيسة التي كانت قد وعدتهم بالنصر المحتم على المسلمين . فلما رأى رجال الكنيسة ان سلطانهم سيزول معنويا وماديا قرروا اعطاء كل من يشترك في الحروب الصليبية ويحارب المسلمين في فلسطين أربعين يوما يعطى صك . غفران لذنوبه ، وكذا من يتكفل بنفقات محارب على أهله (١) .

ومما سبق يتضح أنه لم يكن يحظ بالحصول على صك الغفران ، الا أحد شخصين اثنين لا ثالث لهما ـ

١ـ شخص ذو مال بامكانه اشتراء الصك من رجال الكنيسة حسب تسعيرتهم المحددة .

٢ـ شخص يحمل سلاحه ويبذل دمه أو ماله لرعاية اسر الجنود المقاتلين وذلك على سبيل نصرة المسيحية والدفاع عنها .

أما من عدا هذين الصنفين فلا غفران لهم وتقتلهم الحسرة ان لا يجدوا ما ينفقونه للحصول على صك الغفران .

وهكذا يضحي الناس كلهم ورجال الكنيسة هم المستثمرون وهم الكاسبون الحقيقيون في هذه الدنيا ، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى من الله ولا يظلم ربك احدا .

---

(١) انظر في بيان ذلك : قصة الحضارة : ٦٦/١٥ .

نتائج بدعة صكوك الغفران

كل حدث لابد له من نتائج محمله سيئة او حسنه ، ولا ريب ان لبدعـــة صكوك الغفران نتائج محدده ، وانها احدثت اصداء واسعة في العالم المسيحـــي ، واثارت ردود افعال مختلفة ، خاصة وقد ظهرت في وقت كانت اوربا فيه قد اتصلت بنور الاسلام من الاندلس ، وصقلية ، والحروب الصليبية ـ وبدأت العقـــول الخامله تفكر ، والفطر السليمه تفيق ويهمني في هذا المقام معرفة اثر هـــــذه البهزلة على المجتمع . ثما هو اثرها ؟

الجواب على ذلك يتلخص في أن هذه المهزلة كانت سببا مباشرا في انطلاق الشراره الاولى التى اودت بالتعاليم الكنيسيه وقضت عليها ، ولا شك ان الاســلام كان له تأثير مباشر على الثورة العنيفه ضد رجال الكنيسه مع عداوتهم للاســـلام واهله ـ ومن ثم ساعدت هذه المهزلة على هدم التعاليم الدينيه ، والاستهتـــار بكل المعتقدات ... ـ المسيحيه وغيرها ـ وساعدت على انتشار فكرة انكار الجنــة والنار . واستمرت هذه المهزلة حتى هذا العصر مستندا قويا يستند عليــــه اعداء الدين في الغرب ، اذ نشأ عن الكفر برجل الكنيسه الممثله للنصرانيـــه الكفر بالدين ذاته . (١)

وكان هناك اسلام الاوربي احد خيارين لا ثالث لهما ـ وضعهما له اعداء الدين ـ اما ان يؤمن بجدوى صكوك الغفران وتكون قد حكم على نفسه بالشقـــاء والرجعيه والتخلف . واما أن يكفر بها فيجب عليه ان يكفر بالدين الذى نشأت صكـوك الغفران في ظله فيكفر بما جاء ... فيه وعلى الاخص ما يتعلق بالايمان بالغيبيـــات ومنها الجنة والنار .

---

(١) وهذا مايوجد للاسف عند كثيرمن انحرف عن الاسلام من ذراري المسلميـن فحين يرون انحرافا من احد علماء الدين الاسلامي يتصورون ان هذا الفعل امر به الدين الاسلامي لذا فهم ينقلون القضيه من شخص من انحرف عـــن علماء الدين الى شخص مايمثله هذا العالم . نسأل الله العافيهوعلمــوا ان كل انسان يمثل نفسه فقط ، وان كان تأثير عالم الدين اشد من غيــره لكن ذلك لا يوجب الانحراف .

* حق الحرمان ، وحق الغفران *

٢- حق الحرمان : ادعى رجال الكنيسه لانفسهم هذا الحق - حرمان الاشخاص المخالفين لهم في الآراء والمعتقدات من الجنه وطردهم منها كأنهم آلهة مع الله سبحانه وتعالى. وكان حق الحرمان هذا سابقا لحق الغفران مما يدل على ان رجال الكنيسه "غضبهم يسبق رحمتهم" بخلاف ما يتصف به الله سبحانه وتعالى فقد ورد في حديث قدسي عن الله سبحانه وتعالى " ان رحمتي سبقت غضبي "

وقد كان أول حرمان فيما اعلم - قررته الكنيسه هو ما قرره مجمع افسس الثاني عام ٤٤٩ اذ اتخذ في هذا المجمع قرارات بحرمان بعض البطارقه ، ثم في مجمع خلقيدونيه عام (٤٥١) حيث لعن نسطور ويسفورس واتباعها ، ثم لعن وطرد اصحاب فكرة تناسخ الارواح في مجمع القسطنطينيه الثاني عام ٥٥٣م . (١)

وتوالى صدور قرارات الحرمان والطرد واللعن على كل من يخالف رأى الاكثريه سواء كان من رجال الكنيسه او غيرهم ، فادعوا لانفسهم ما لا يكون الا لله فهو الذى يحرم ويمهل ويطرد من رحمته لا يشاركه ولا ينازعه في هذا السلطان احد من خلقه .

وحق الحرمان هذا عقوبه معنويه وقوية التأثير في نفوس النصارى وهي كالشبح المخيف للافراد والشعوب في وقت واحد . وقد تعرض لها على مر التاريخ الكنسي افراد بلا حصر فمنهم الملوك - مثل فردريك الثاني ، وهنرى الرابع الالماني ، وهنرى الثاني الانجليزى " (٢)

ومنهم رجال الكنيسه المخالفين امثال آريوس ، ولوثر (٣) ومنهم الباحثون العلميون امثال كوبرنيق ، وجاليليو وغيرهم .

(١) انظر المسيحيه : ١٦٩/١٧٠
(٢) معالم تاريخ الانسانيه : ٨٩٢/٣ ، فيما يتعلق بفردريك الثاني ونفس المصدر ٩١٠/٣ فيما يتعلق بهنرى الرابع.
(٣) محاضرات في النصرانيه : ١٥١ حيث تجد ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الامه القبطيه عن مجمع نيقيه والمسيحيه ٢١٧ ، ومحاضرات في النصرانيه : ٢١٥ فيما يتعلق بحرمان لوثر.

هكذا ، يقرر البابا الحرمان ثم يرفعه على حسب مزاجه ، الا انها الجاهلية المفرقة في التحكم والطغيان ، والعجب كل العجب كيف يرضخ شعب او امة لطغيان رجل يقرر حرمانها من نعيم الملكوت ، ثم يرفعه ، بل كيف يصدق هذا الشعب او هذه الامة بهذا الهراء ولكن البشر حين لا يهتدون بهدى الله يكونون كالانعام بل هم اضل سبيلا اسأل الله ان يحفظنا بالاسلام قائمين وان يحفظنا بالاسلام قاعدين ، وأن يحفظنا بالاسلام راقدين .

٣- حق الشحله : وهذا الحق ايضا من ضمن المدعيات التي ادعاها رجال الكنيسة زاعمين لانفسهم انهم يملكون ان يحلوا للانسان المسيحي التحلل من احكام الشريعة ، متى رأت الكنيسة ان المصلحة - مصلحة الكنيسة في ذلك .

ونترك الحديث في هذه القضية للمؤرخ الانجليزي ويلزفهاذا تراه يقول :

يقول : " .... وثمة دعوى اخرى ادعتها الكنيسة كانت هي ايضا أكثر سرفا وبعدا عن الحكمة هي قولها بأن لها " حق الشحله " ومعنى ذلك ان البابا كان يستطيع في كثير من الاحيان ان يهمل قوانين الكنيسة في حالات فردية خاصة ، فهو قد يأذن لابناء العم وابناء الخال ان يتزاوجوا ، وقد يسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ، او يحل اى انسان من نذره ولكن اتيان هذه الامور ينطوى على اعتراف بأن القوانين التي تتصل بها ليست قائمة على اسس من الضرورة اللازمة والصلاح الفطرى ، وانهما في الواقع انما تنطوى على التطبيق والمضايقة . فان شرع القوانين للبشر قاطبة مايلزم اكثر من كل انسان بالولاء للقانون . وهو دون الناس كافة ملزم ان يتصرف كأنما القانون سيف مسلط عليه قا . كا , الناس . ولكنه ضعف الانسانية عامة ذلك الذى يوحى الينا بأن نتخيل أن الوديعة التي تسلم الينا لاداراتها انما هي ملكت ايماننا" (١)

وصف واضح ، ونقد جرئ وجيد لمن زعموا لانفسهم حق النحلة . ولقد ذكر الله سبحانه وتعالي عنهم ذلك وعد النصارى عابدين لهم بهذا العمل فقال .

---

(١) معالم تاريخ الانسانية ٨٩٦/٣

" اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا

الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " التوبه : ٣١.

وقد سمع عدى ابن حاتم (رضي) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هـذه

الايه وكان قبل ان يسلم نصرانيا فقال يارسول الله انا لانعبدهم - ظنا منه ان -

العباده تنحصر في الشعائر التعبديه - فقال صلى الله عليه وسلم اليسو يحلون لكـم

ماحرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه فقال عدى بلى يارسول اللـه

فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم.

وبعد التحريف بالزيادة والنقصان ، والكتمان ، وبعد الابتداع في ديـن

الله مالم يأذن به .

وبعد كل هذه الانحرافات التي إنحرف فيها رجال الكنيسه هل بقي شيئـا

في الجعبه عنهم ؟ نعم . بقي الحديث من طغيانهم ، المتمثل في الطغيان

الديني ، والسياسي ، والمالي .

فلم يكتف رجال الكنيسه بتحريفهم للنصرانيه - عقيدة وشريعه ، ولا بانحرافهم

ولا بما احدثوه من بدع بل مارسوا عليها ابشع صنوف الطغيان ، الديني والسياسي

والاقتصادى وهذا ماسوف نعرفه في الفقره التاليه من البحث .

المطلب الثالث : طغيان رجال الكنيسة

سوف اتطرق في هذا الفصل للحديث عن امور عدة يمكن ايجازها في الاتي

١- ماهية الطغيان- تعريفه ٢- اسباب الطغيان ودواعيه ٣- أنواعه

١- تعريف الطغيان : يحسن بي أن انقل ماكتبه الامام ابن منظور في لسان العرب حيث قال :

" طغي : ابن سيده : طغي يطغي طغياً ويطغو طغيانا جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر . وفي حديث وهب : إن للعلم طغيانا كطغيان المال : اى يحمل صاحبه علي الترخص بما اشتبه منه الي مالا يحل له، ويترفع به علي من دونه ولا يعطي حقه بالعمل به كما يفعل رب المال وكل مجاوز قدره في العصيان طاغ .

وطغي ماء البحر : ارتفع وعلا علي كل شيء فاخترقه . وفي التنزيل العزيز انا لما طغي الماء حملناكم في الجاريه . وطغي البحر : هاجت امواجه. وطغي الدم : تبيغ . وطغي السيل . اذا جاء بما كثير . وكل شيء جاوز القدر فقد طغي كما طغي الماء علي قوم نوح . وكما طغت الصيحه علي ثمود .

الليث : الطاغيه الجبار العنيد . ابن شميل : الطاغيه الاحمق المستكبر الظالم " (١)

من هذا التعريف نخرج بهذا التعريف المختصر وهو : الطغيان - : مجاوزة الحدود في التعامل مع الاشياء واشده ماجاوز الحد في التعامل مع الله سبحانه وتعالي بالعصيان . والطاغيه هو : المتجبر الظالم العنيد المستكبر بحق .

واذا نحن نظرنا الي حديث بن وهب وطبقناه علي واقع رجال الكنيسة

---

(١) لسان العرب المحيط اعداد وتصنيف : يوسف خياط وندىم مرعشلي ٥٩٦/٣ ٥٨٧/
وانظر ترتيب القاموس المحيط : طاهر احمد الزاوى الطرابلسي : ٧١/٣ .

وجدناه مطابقا لهم تمام المطابقة ، كما اننا نظرنا الي قول ابن منظور وكل ماجاوز قدره في العصيان طاغ ، وقول الليث وابن شميل وجدنا كل ذلك ينطبق تمام الانطباق علي حال رجال الكنيسة فهم قد جاوزوا القدر في عصيان الله ، وهم قد تجبروا واستكبروا وظلموا بحمق .

٢- اسباب الطغيان ودواعيه : الطغيان مرض نفسي خطير ، يحيل من يمارسه الى مسخ شيطاني ، ومن المعلوم ان اعراض هذا المرض لاتصيب الا نفسا ضعيفة ، اتيح لها من الوسائل مايفوق قدرتها - مع خلوها من الوازع الديني الذي يكبح جماحها حين تتجه للطغيان في ادنى صوره قبل وصولها لا على صوره كما ان الطغيان هو اكبر المتنفسات لكل من يشعر في داخل نفسه بالنقص فيعود عن طريق الطغيان ستر نقائصه الداخليه التي يحطها .

واذا مارس الطغيان وثني ، فانه يكون اكثر ملائمة ومقبولية من ان يمارسه رجال يعتقد فيهم الناس الصلاح ، ويزعم لهم او يزعمون لانفسهم انهم (قديسين) ورسل سلام ومحبة وطلاب لما عند الله في الآخرة . لكنه اذا صدر عن هؤلاء ومارسوه فهذا هو البلاء المبين والطامة الكبرى . وهذا ماحدث من رجال الدين في اوربا الذين زعموا لانفسهم انهم رسل السلام والمحبة والتسامح وادعوا ان عيسى قال : " من لطمك على خدك الايمن فادر له الاخر ايضا . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين" (١)

وغيرها من النصوص الداعية الي المحبة والتسامح مع الاخرين تسامحا قد يزرى بالانسان ويسقط حقوقه .

ويمكننا تلخيص اسباب طغيان رجال الكنيسه - بعد الذي عرفناه عن احوال رجال الكنيسة واحوال المجتمع الغربي - في الاتي :

١- المركز الديني لرجال الكنيسه الذي فرض علي الناس عن طريق الاستدلال ببعض النصوص التي فسرت علي انها تعني رجال الكنيسه مثل القول المنسوب الي عيسى " انت بطرس . . . . "

٢- وراثة رجال الكنيسه عن أحبار اليهود الصفات الممقوته كاتباع الهوى وحب الجبروت

٣- اذعان الناس وطاعتهم العمياء لكل مايقوله رجال الكنيسه اغرى رجال الكنيسة بالطغيان .

٤- ان المجتمعات التي انتشرت فيها النصرانيه كانت مجتمعات قد الفت العبوديه والخنوع والخضوع لغير الله - من سحرة وكهنة وحكام وآلهة من الاصنام - فساعد ذلك علي طغيان رجال الكنيسه وتعبيد هم الناس لهم لانهم كانوا قد الفوا هذا الوضع ولان رجال الكنيسة استدلوا بنصوص فسروها علي انها توجب طاعتهم فما كل امر دون قيد او شرط .

---

(١) الكتاب المقدس : " متى " ج ف ٢/٥/٤٠ - ٤٢

٣-أ نواع الطغيان :-

أولا : الطغيان الديني لرجال الكنيسه

منذ اليوم الاول الذى ظهر فيه الي الوجود مايسميه مؤرخوا اوروبــــا بالمسيحيه الرسميه او على الاصح مسيحيه بولس ـ وهو اليوم الذى عقد فيه مجمع نيقيه واتخذت فيه تلك القرارات الخطيره التى تمس العقيده، وانشريمه الصحيحتين الـتى ارسل بالدعوة اليهما عيسى عليه السلام ـ منذ ذلك اليوم ، ورجال الكنيسه يمارسـون طغياناً وارهاباً دينياً بشعاً لم يمارس في تاريخ الديانات الا ماكان من قتل اليهـود للانبياء* واول طغيان مارسه رجال الكنيسه بتأييد الامبراطور قسطنطين هو فرض عقيده التثليث قهراً ، وحكمهم علي من خالف هذه العقيده بالحرمان واللعنه وعلى رأسهم آريوس الذى نفي مع اتباعه (١) ، كما سفكت دماء من قدر عليهم واذيقوا اصناف العــذاب والنكال ، ونصب رجال الكنيسه انفسهم آلهة مع الله يحلون ويحرمون ويضيفـــون وينقصون ، ولا قدرة لاحد بل ليس له حق الاعتراض علي هؤلاء وابداء الرأى علـى اضعف الاحوال مهما كان له من مكانه ، فإن فكر في الاعتراض او ابداء الرأى فـلا يلومن الا نفسه اذا قرار الحرمان واللعنه والطرد جاهز لكفره .

لقد كان من مظاهر الطغيان ، او الطاغوتيه . تحليل الحرام ، وتحريـم الحلال ـ كما ورد في حديث عدى بن حاتم الذى سبق بيان معناه ـ اذ كــان الختان واجبا على كل مسيحي فاصبح غير واجب ، وكان اكل لحم الخنزير محرمـا فاصبح مباحا (٢) وكانت التماثيل والصور شركا فاصبحت تعبد (٣) وكان اخـذ اموال الناس من عامة المسيحين من المنكرات فاصبحت الضرائب فرضا لازما على الناس كما سيأتي شرح ذلك ـ وكان زواج رجال الدين حلالا فاصبح حراما ـ كما مر بيان ذلك وما اضافة رجال الكنيسه ايضا الي ماسبق عقيده الاستحاله في العشـــاء الرباني (٤) وعقيدة الخطيئة الموروثة لبنى الانسان (٥) وعقيدة الصلب وانهـا

---

(١) قصة الحضارة : ١١/٣٩٥ (٢) المسيحية : ١٠٥، ١٠٧ وحاضرات في النصرانيه : ١٤١، ١٤٢.

(٣) قصة الحضارة : ١٤/١٥٤-١٥٨ (٤) محاضرات في النصرانيه : ٢٠٤ والمسيحيه : ٢١٣ .

(٥) المسيحيه : ١٣٥ ومحاضرات في النصرانيه ١٢٩

كانت فداء الخطيئة البشر (١) والطقوس - اى الصلوات - السبعه والاسرار السبعه (٢) كل هذه الامور فرضها رجال الكنيسه على اتباعهم بحجة انها اسرار عليا لا يجوز الشك في صحتها . وقد ساعد هؤلاء على تجاحهم في كل ذلك احتكارهم للمصادر الدينيه ولفهمها وتفسيرها وشرحها ، فعلى هذا لا يمكن لاحد ان يدخل ملكوت الله لا بواسطة من يملك حق تفسير الكتاب المقدس ، ولا يتمكن احد من الاتصال بالله بذاته بــــل لا بد أن تكون صلته بالله جل وعلا عن طريق هؤلاء . وهكذا احل رجال الكنيســـة الحرام ، وحرموا الحلال دون ان يشعروا بأدنى حرج بل كان ذلك تبعا للا هـــواء والصالح .

واليك نص ما قاله ويلز في وصف رجال الكنيسه فهو يعبر اصدق تعبير عن حـــال الكنيسه من رجل مسيحي يعرف ما اصيب به قومه .

" ولم تعد لهم بعد رغبة في رؤية ملكة الرب موطدة في قلوب النـــــاس فقد نسوا ذلك الامر واصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسه التى هى قوتهم ، متسلطة على شئون البشر . وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة على اتم استعداد للمساومة مع اى شئ حتى البغض والخوف والشهوات المستقره في قلوب البشر . ونظرا لان كثيراً منهم كانوا على الارجح يسرون الريبة في سلامة بنيان مبادئهم الضخم المحكم وصحته المطلقه ، لم يسمحوا بأية مناقشة فيه . كانوا لا يحتملون اسئله ولا يتسامحون فـــي مخالفه ، لا لانهم على ثقة من عقيدتهم ، بل لانهم كانوا غير واثقين منها . وكانـــوا يريدون من حولهم موافقتهم على رأيهم لاسباب تتصل بالسياسه . وقد تجلى فـــي الكنيسه عندما وافي القرن الثالث عشر مايساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التى تنخر بناء مدعياتها باكمله وقد تجعله اثراً بعد عين فلم تكن تستشعر اى اطمئنان وكانت تتعهد الهراطقه في كل مكان . فلم تكن تبحث المعابئر الخافقات - فيمـــــا يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي الدواليب قبل الهجوع الى فرشهن " (٣)

(١) المسيحيه : ١٣٥ ومحاضرات في النصرانيه : ١٢٩
(٢) المسيحيه : ٢٠٨ ، ٢٠٩
(٣) معالم تاريخ الانسانيه : ٣/٩٠٢ ، ٩٠٣

ولم يكتف رجال الكنيسه بذلك بل طبقوا الطغيان عمليًا - فأثبتو بذلــــك إصرارهم عليه - وذلك بحشد الجيوش الجزاره لحرب كل طائفه تسول لها انفسهـا مخالفة آرائهم او اعتناق عقائد لا يعتنقها رجال الكنيسه من النصارى ولعل من اظهر الشواهد علي ذلك وابينها ماتعرضت له " الكاثاريون " وطائفه " الوالدونيــون " الذين يقطنون بلغاريا وجنوب فرنسا فقد شنت عليهم حرب ارتكب فيها كل مايمكــن أن يتصوره العقل من أنواع انتهاك الحرمات !

ولم يكن لهولاء من ذنب سوى انهم أظهروا الشك في صحة مبادئ روما ، وفـي تفسير الكتاب المقـدس ، وانكروا علي رجال الكنيسه ثراءهم وترفهم الذي لا يليـق برجال مثلهم . (١)

حرب ضاريه ، انتهكت فيها الحرمات من اجل مخالفة بسيطة - وكــان معهم الحق في هذا - مع مايتسم به هولاء المخالفون من روح المسالمه ، ولكــن الطغيان والعنجهيه والعجرفه التي قادت هولاء المتسلطين علي الناس باســم الدين الي انتهاك الحرمات ، والي ايقاد حرب شرسه بشعه تتضاءل ازاء بشاعتها بشاعة الوثنيين في حرب المسيحيين في القرون الثلاثة الاولي - كما يقول ويلــز

" وليت امر هولاء وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الي ماهو اشنــع وافضل - خاصة بعد ان تبين بمالا يدع مجالا للشك لرجا ل الدين ان الاســلام في الاراء المخالفه لهم - اذ انشئوا محاكم التفتيش لمحاكمة كل من يخالـــف آراءهم ، وقد بدأ هولاء بالمسلمين في الاندلس باعتبار ان لهم تأثيرا في افكــار المعارضين فأبيدوا ابادة تامة بأفضع مايتخيله البشر من الوحشيه والقسوة والحقد ، ثم ثنى بالمخالفين من النصارى وانتقلت من اسبانيا الي بقية بلدان اوربــــا ،

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه : ٣/ ٩٠٤ ، ٩٠٥

وكانت المحكمة الكبرى ، اوالام لهذه المحاكم في روما وتدعي " المحكمة المقدسه" باعتبار ان البابا مقدس . (١)

ويسبب هذا الارهاب والطغيان المنيف عاش الاوربيون تلك الاحقاب في رهبة مفزعه ووقف كبار المفكرين والنقاد مبهوتين ، لا يستطيع احد منهم التصريح بعدم ايمانه بالمسيحيه مهما كانت آراؤه مخالفة لتعاليمها ، ويصف هذه الحالة وخاصة بين المفكرين والفلاسفه المفكر الامريكي المعاصر "كرين برنتن" اذ يقول

" . . . . كل منا منذ القرن الرابع" مسيحي" على صورة من الصور ، وهو على اقل تقدير مسيحي بالاعتراف ، ولم يكن بوسع الكثير من افراد المجتمع الغربي ان يعترفوا صراحة وجماعة بالالحاد واللا ادريه او بمذهب الاتصال بالله ، او بأى عقيده اخرى غير المسيحيه الا خلال القرون القلائل الاخيره . وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قلة نادرة في الالف سنه التى استغرقتها القرون الوسطى ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحيه هى كل شيء لكل الناس فلقد كان القديس" فرانيس وارازمس ولو يولا ، وميكافلي ، وباسكال ، ووزلي ، وناپليون ، وغلايستون ، وجون روكفلر" جميعا مسيحيين ، وتستطيع بطبيعة الحال ان نقول ان بعضا من هؤلاء كانوا مسيحيين حقا ، ولكنك لا تستطيع ان تصنف المسيحين كما يستطيع عالم النبات ان يصنف النبات . (٢)

لكن هل يستند رجال الكنيسه في طغيانهم هذا على مستند يحتجون به يعطيهم حق هذه السلطة والهيمنه على شئون المجتمع ؟

نعم لقد احتج رجال الكنيسه بحجة هي عبارة عن قول منسوب الي عيسى عليه السلام يخاطب فيه بطرس كبير الحواريين وهذا نصه .

" ١٣) ولما جاء يسوع الي نواحي قيصريه فُيلبُس سأل تلاميذه

قائلا من تقول الناس ان ابن البشر هو (١٤) فقالوا . قوم يقولون

---

(١) صدر قرار مجمع روما عام ١٨٦٩ باعتبار ان البابا معصوم ، وان ... من استغلال رجال الكنيسه بالقول المنسوب لعيسي عليه السلام ان بطرس ... تكون مشلبة عيسى .

والاحتيت عوض(؟)

انه يوحنا المعمدان ، وآخرون أنه ايليا ، وآخرون انه ارميا ، واحد من الانبياء" (١٥) قال لهم يسوع وأنتم من تقولون اني هو (١٦) اجاب سمعان بطرس قائلا انت المسيح ابن الله الحي (١٧) فأجاب يسوع وقال طوبى لك ياسمعان بن يونا فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السموات (١٨) وأنا اقول لك انت الصفاة وعلى هذه الصفاة * سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها (١٩) وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماربطت على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ماحللته على الارض يكون محلولا في السموات ."(١)

فهم رجال الكنيسه من هذا القول - المنسوب الى المسيح - ان المسيح عليه السلام - يريد بذلك ان السلطة الدينيه المهيمنه باسمه ستكون في الموضع الذي يموت فيه كبير الحواريين " بطرس" وقد مات في روما عام ٦٥م صلبا"(٢)

ولهذا اعتبر المسيحيون ان روما هي المركز الرئيسي الذي يحكم العالم بأسره باسم المسيح وفيها مقر الكنيسه التي يرأسها ممثل المسيح" البابا" المعصوم من الخطأ(٣) فكل ماتقرره هذه الكنيسه يكون هو الصواب لان المسيح هو الذى يملي عليها عن طريق الروح القدس كل تصرفاتها ومادام الامر كذلك فيجب طاعة رجال هذه الكنيسه على كل المؤمنين بالمسيح ، والخارج على سلطان رجال هذه الكنيسه او المنتقد لقراراتها كافر تحل عليه اللعنه والحرمان من ملكوت الله مهما بلغت وجاهة رأيه الذى يطرحه بل مهما كانت سوابقه وخدمته للمسيحيه وكنيستها .

---

(١) الكتاب المقدس" انجيل متى" ج ف ١٦/٢
(٢) محاضرات في النصرانيه ٨١ ، ٨٢
(٣) تقرر ان البابا معصوم من الخطأ في مجمع روما عام ١٨٦٩م انظر المسيحيه ١٧١
* هكذا وردت بنصها " الصفاه " من الكتاب المسمى مقدس

ان المسلم لا يملك الا ان يرفض وينكر صحة نسبة هذا القول الي المسيح عليه السلام ، لان مضمون هذا القول هو تحليل ماحلله رجال الكنيسه باهوائهم ويتبع ذلك تحريم ماحرمه رجال الكنيسة بل هو يتضمن ماهو اعظم من ذلك يتضمن اقرار عيسي عليه السلام ـ لسمعان بطرس حين قال لعيسي عليه السلام " انت المسيح ابن الله الحي " عند ما قال له " طوبي لك ... " والقرآن الكريم كماسبق أن ذكرت يحكي عنه عكس هذا القول ومن ذلك قوله تعالي "

" ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بعد اذ انتم مسلمون" آل عمران ٧٩ ، ٨٠ .

فانبياء الله ورسله دعاة للتوحيد ، فلا يتصور ان يصدر عنهم اى قول وعمل او دعوى فيها شائبة من شوائب الشرك ، فضلا عن ان يزعم اى واحد منهم لنفسه شيئا من خصائص الالوهيه كالعباده ، والتشريع فما بالك بادعائه وهب هذه الخصائص لغيره كما يزعم النصارى لبطرس.

واما الزعم بان عيسي يملك مفاتيح الملكوت ، فواقع الحال ان عيسي عليه السلام او غيره من الرسل بشر فضلهم الله ، باصطفائهم للرسالة ، ومقتضي هذه البشريه ان عيسي او غيره لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا الا ماكتبه الله له " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ..." المائدة١٧ فكيف يملك مفاتيح ملكوت الله . اذاً فمفاتيح الملكوت لا يملكها الا الله سبحانه وتعالي .

واذا تقرر هذا فلابطرس يملك ذلك ، ولاغيره من رجال الكنيسه من بعده الا اذا اعترفنا بالوهية عيسي وهذا ماننكره جازمين .

هذا وقد سخر الكاتب الامريكي المعاصر " كرين برنتن " من استدلال الكنيسه بهذا النص علي ان المكان الذى مات فيه بطرس هو المكان الذى يجب

ان تنطلق منه السيخيه ، وارجع السبب في وقوع الكنيسة في هذا الفهم الخاطئ الى وجود التشابه اللفظي بين " بطرس " و " صخره " واليك ما قال .

" ... ومن الحق ان أسقف روما في الزمان القديم قد زعم لنفسه حقوقا خاصة للسيادة على الاساقفه الاخرين . ويعتقد الذين يميلون الى الشك من هم خارج الكنيسه الا الرومانيين اصحاب الصالح منذ الجيل الثالث او الرابع قد بعد المسيح قد اقحموا على العهد الجديد تلك الفقرات التي اقامت التقليد البطرسي على اساس من الكتاب المقدس والمسيح - طبقا لهذا التقليد - هو الذى خطط البابويه الرومانيه . جاء في انجيل متى ان يسوع قال لتلميذه " وانا اقول لك انت بطرس ، وفوق هذه الصخرة سوف ابني كنيستي ، ولهذا توصد ضدها ابواب جهنم " وفي هذه العبارة ما تسميه الموضوعات غير الموثرة توريه ، لان اللفظة الاغريقيه التى تدل على " بطرس " هي بعينها اللفظه التى تدل على " الصخره " جاء في التقاليد القديمه ان بطرس رحل الى روما ذاتها ، واسس الكنيسة هناك " ثم مات شهيدا " (١)

نحو هذا النص يتضح مايلى

١- ان هذه العبارات لا تصح نسبتها الى عيسى عليه السلام كما سبق ان قررت بل هي مقحمة وان الذين اقحموها اصحاب المطامح من الجيل الثالث والرابع بعد المسيح من الرومانيين .

٢- ان الدافع الى اقحام هذه العبارات هو حب السيادة والزعامة على الناس لذلك استندوا على هذا النص المقحم في الانجيل منسوبا الى عيسى عليه السلام .

ثم ان المرء ليتساءل هل وصل المسيح عليه السلام الى روما حتى يخاطب بطرس فيقول له ما قال .

هذا . واذا نحن راجعنا نصوص انجيل متى الذى ورد فيه هذا الافتراء لوجدنا انه ينسب الى المسيح عليه السلام بعد فقرات ثلاث من هذا القول مخاطبا لبطرس بقوله .

" ٢٣ اذهب عني يا شيطان لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " (٢)

(١) افكار ورجال : ١٩٣ ، ١٩٤ (٢) متى : ١٦ / ٢٣

فكيف يوفق رجال الكنيسه الذى يدعون لانفسهم حق التشريع للمسيحين من المقر الرئيسي روما - بين ذلك القول ، وهذا القول المتضمن أتهام بطرس ، هيئة لبطرس ، ثم اتهام في مكان واحد لا يفصل بينهما الا ثلاث فقرات هل تصدق القول الاول او الثاني او نرفضهما جميعا ؟ الجواب على ذلك هو رفض هذين القولين جميعا والاستدلال بهما على التناقض والتحريف الذى لحق الانجيل .

ونتساءل لماذا تنظر الكنيسه الى هذا القول السابق ، وتغض من شأن القول المنسوب الى المسيح عليه السلام في انجيل لوقا .

" ١٧) لكن اقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم (١٨) باركوا لاعنيكم وصلوا لاجل من يحتنكم (٢٩) من ضربك على خدك فقدم الآخر ومن اخذ داءك فلا تمنعه ثوبك " (١)

والقول الاخر الـ منسوب الى المسيح ايضا في انجيل متى .

" (٢٤) فلما سمع العشرة غضبوا على الاخوين (٢٥) فدعاهم يسوع وقال لهم قد علمتم ان اراكنه الامم يسود ونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم(٢٦) واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم كبيرا فليكن لكم خادما " (٢)

وهذان النصان ينهيان النصارى عن التسلط على الناس والتحكم في حياتهم وهو ما خالفة رجال الكنيسه مخالفة واضحه فاضحه في محاكم التفتيش وغيرها من الاعمال التى اشركوا انفسهم مع الله سبحانه وتعالى .

---

(١) لوقا : جـ ٦ / ف ٢

(٢) متى : جـ ٢٠ / ف ٢ / ص ٣٧

ثانيا : الطغيان السياسي لرجال الكنيســـة

الامر الطبيعي الذى لا يستنكر أن تكون أزمة الامور جميعها ثم اقتصاديـــة وسياسية واجتماعية بعد ذلك مؤمنة تدين بدين الله وتطبق شرع الله في خاصة نفسها وتقيمه في واقع حياة الناس . وهذا ما كان يجب ان يقوم به رجال الكنيسة . لكـــن هل قام رجال الكنيسة بذلك فأقاموا شرع الله الذى انزل علي عيسي عليه السلام فـــي واقع حياتهم ، واقاموه في واقع حياة الناس ؟ ان الاجابة علي ذلك يندى لهــــا جبين كل مسلم . ذلك ان هؤلاء الرجال كانوا والعياذ بالله ابعد الناس عـــن ذلك ، فهم حرفوا دين الله الذى أنزل علي عيسي عقيدة وشريعة ، كما مر بيا ن ذلك - وانحرفوا عنها حتي بعد تحريفها ، ولم يكتفوا بذلك بل مارسوا طغيانـــاً عظيماً فصاروا طواغيت ومحترفين سياسيين باسم الدين ، وذلك حين فرضـــوا لانفسهم الوصاية علي الملوك والامراء ، وارغموهم علي الخضوع الذل لهم ، وأشاعوا في الناس أن مقدار صلاح هؤلاء الملوك مرتبط بمدى وبمقدار ما يقدمونه لهم مـــن مراسم الطاعة - لا بمقدار التزامهم بالعقيدة والشريعة التى انزلت علي عيسي عليــه السلام - فذلك هو الامر المعيب والمعاقب عليه عند رجال الكنيسة - وما الاضطهاد الذى وقع لأتباع آريوس الا دليل واضح علي ذلك .

لقد ظل الاوربيون يعانون تمزقاً نفسياً شنيعاً بسبب الصراع الذى دار فـــي العصور الوسطي بين رجال الكنيسة وبين ملوك اوربا للتحكم في المجتمع ، ذلــــك ان رجال الكنيسة يدعون لانفسهم حق الهيمنة والسيطرة علي المجتمع لانهم وكــــلاء عيسي عليه السلام ، والملوك يدعون لانفسهم ذلك لانهم هم الذين يحكمون هـــذه المجتمعات واقعياً وقد ورثوا ذلك كابراً عن كابر .

ولم تكن الحرب بين البابوات والاباطرة الا حربا بين فيئتين متناحرتين هدفهما الاساسي التسلط والسيطرة والمطامع الدنيوية ، وان كانت شعارات كل منهما تختلف عن الاخرى .

ولقد ضاق ملوك اوربا ذرعا بتدخل رجال الكنيسة في كافة شئونهم ولم يكونوا ليجدوا الرجال الكنيسة مبررا لتدخلهم مطلقا كما لم يكونـــوا

يرون ان الرجال الكنيسه ميزه عليهم الا " القداسه " ومع هذا فقد كان بعض ملوك أوربا يرون انهم مقدسون بأنسابهم . (١)

هذا ما كان من بعض ملوك اوربا ولكن البابوات كانوا يعتقدون ان خضوع الملوك والحكام لهم ليس امرا تطوعيا للملوك فيه الخيار ولكنه امر واجب عليهم بحكم مركز البابوات الديني ، وسلطانهم الروحي علي البشر لان البابا مثل الله في الارض . (٢) وقد اعلن (جريجوري السابع) : . . . . .

ان الكنيسه بوصفها نظاماً إلهياً خليفه بان تكون صاحبة السلطة العالميه ، ومن حق البابا وواجبه ، بوصفه خليفه الله في ارضه ، ان يخلع الملوك غير الصالحين وان يؤيد او يرفض اختيار البشر للحكام او تنصيبهم حسب مقتضيات الاحوال . (٣)

ولم يكتف بهذا بل قدح في دينهم وصمهم بالغدر وارتكاب الجرائم فقول ول ديورانت " قد تساءل " جريجوري " في رسالة كتبها وهو غاضب الي " هرمسان " اسقف متز :

" من ذا الذي يجهل ان الملوك والامراء يرجعون باصولهم الي الذين لا يعرفون الله ، ثم يتعالون ويصطنعون العنف ، ويرتكبون في الحقيقة جميع انواع الجرائم . . . ويطالبون بحقهم في حكم من لا يقلون عنهم ـ اى الشعب جشعا وعماية وعجرفة لا تطاق ؟ " (٤)

ولقد كان رجال الكنيسه اقوياء طيلة القرون الوسطي بسبب سلطتهم الروحيه المزعومه ، وهيكلهم التنظيمي الدقيق واستبدادهم الذى لا تحده حدود ، فقد كان البابوات هم الذين يتولون تتويج الحكام ، وكانوا هم الذين بامكانهم دون غيرهم خلع الحكام او عزلهم ، ولم يكن احد من الحكام بقادر علي الافلات من

---

(١) تاريخ اوربا في العصور الوسطي : ٧١/١
(٢) انظر في هذا قصة الحضارة : ٣٥٢/١٤
(٣،٤) نفس المصدر : ٣٩٣/١٤ ، ٣٩٤

ذلك ، ومن اراد ان يرفض الرضوخ لرجال الكنيسه ، فان حكمه في رأى رجال الكنيسه غير شرعي ، ومن ثم يحق للبابا اعلان الحرب عليه وحرمانه ، وسوف اسوق حادثة واحدة تعطي المثل الواضح لطغيان رجال الكنيسه وهي النزاع بين ملك ايطاليا فردريك الثاني وبين جريجورى التاسع ،

" ذلك ان فردريك الثاني تأخر في القيام بحملته الصليبيه الموعوده اثنتى عشرة سنه ، لذا حرمه البابا وشهر برذائله وهر طقاته وذنوبه عامة في رسالة علنية نشرها (١٢٢٧) فردريك على هذه بوثيقة موجهة الي كل الامراء - وصفها ويلز - بانها وثيقة ذات اهمية قصوى في التاريخ ، لانها اول بيان واضح صريح عن النزاع بين مدعيات البابا في ان يكون الحتكم المطلق على عالم المسيحيه بأسره ، وبين
مدعيات البابا في أن يكون الحاكم المطلق على عالم المسيحيه بأسره وبين مدعيات ..
مدعيات الحكام العلمانيين ، وقد كان هذا النزاع يسرى على الدوام كالنار تحت الرماد ، ولكنه كان يضطرم هنا على صورة ما ، ويتأجج هناك على صورة اخرى ، ولكن فردريك وضع الامر الان في عبارات واضحة عامه يستطيع الناس ان تتخذها اساسا لاتحادهم وهم بعضهم ببعض .

وفي عام ١٢٣٩ حرم جريجورى التاسع فردريك للمرة الثانية ، ثم انبعثت الخصومه مرة اخرى في عهد البابا انوسنت الرابع ، واصدر فردريك للمرة الثانيه رسالة ضد الكنيسه شهر فيها بكبرياء رجال الدين وانعدام التدين فيهم وعزى مفاسد الزمان الي كبرهم وثرائهم ، اقترح على الامراء مصادره املاك الكنيسه لخيرالكنيسه " (١)

وقد كان فردريك هذا اعظم من تحدى رجال الكنيسه وقاومهم ، وقد سماه بعض المفكرين المعاصرين باعجوبه العالم ، ووصفته الكنيسه بالزندقه (*) وذلك لزعمها انه اعتنق الاسلام ، ولا شك انه كان متأثرا بدراساته التى درسها في الاندلس .

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه ٣ : ٨٩٨ / ٨٩٩ بتصرف وانظر قصة الحضاره : ١٥ / ١٩٠-١٩٤ لمعرفة قصة النزاع بين الملك هنرى الثاني ملك انجلترا وبين رئيس اساقفه " كنتربرى " توماس بكت وانظر نفس المصدر ٣ : ٩١٠ / ٩١١ وتاريخ اوربا الوسطى : ١ / ١٤٧-١٤٩ لمعرفة قصة النزاع بين هنرى الرابع امبراطور المانيا وبين البابا جريجورى السابع .

(*) " ول ديورانت هو الذي سماه " اعجوبه العالم في كتابه قصة الحضارة وكذا " فشر " في كتابه تاريخ اوربا في العصور الوسطى .

ثالثاً : الطغيان الاقتصادى لرجال الكنيســـة

لم تنه الاناجيل - المحرفة - عن شيء وتشدد فيه كما نهت عن اقتناء الثـــروة والركون الى الحياة الدنيا ، ولكن لما تطاول عليهم الامد ظهرت مفارقات عجيبة بين المفهوم المسيحي الموجود في الاناجيل حول المال والثروة ومتع الدنيا كلها وبين واقع الكنيسه العملي ، اذ تشددت الاناجيل فحرمت ما احل الله من طيبات الحياة الدنيــــا وكان ذلك ما اقتبسته من نظره البوذ بين المتشابه الى الحياة الدنيا - هذا فـــي جانب وفي الجانب الآخر سجل رجال الكنيسه في القرون الوسطي على انفسهم صفحات مخزية من التهالك على الدنيا الذى تافسوا فيه اليهود عبدة الذهب وفاقوا فيـــه كبار الاقطاعيين ونسوا بذلك ما يوجد في اناجيلهم مما نسبوه الى المسيح عليه الســـلام اذ يقول - كما زعموا -

" (١٠) انه لا سهل ان يدخل جمل في ثقب الابره من ان يدخل غني ملكـوت الله " (١)

" (٢٤) وايضا اقول لكم انه لا سهل ان يدخل الجمل في ثقب ابرة من ان يدخل غني ملكوت السموات " (٢)

" (٩) لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم (١٠) ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصا لان الفاعل مستحق طعامه " (٣)

واذا فرجال الكنيسه قد اصبحوا ممن تتحقق فيهم هذه الصفات لهذا فهم من ابعد الناس عن الدخول في ملكوت السموات او ملكوت الله .

ولكن رجال الكنيسه هؤلاء الذين حرفوا دين الله الذى انزله على عيسي لـــم يكتفوا بذلك بل انحرفوا حتى عن الدين الذى صنعوه هم ونسبوه الى عيسي فجمعـــوا بين سيئتي التحريف والانحراف ، وزادوا عليهما بالطغيان الذى تمثل في صورتيـــن الاولى انهم فرضوا على اتباعهم الزهد والتقشف ، الثانيه : انهم اصبحوا من كبـار الاقطاعيين في اوربا فخالفوا ما امروا به الناس وخالفوا ما وضعوه من تشريع محرف .

(١) الكتاب المقدس " مرقس " ج ٢ / ١٠ / ٧٧ ص
(٢) نفس المصدر " متى " ٢ / ١٩ / ٣٥
(٣) نفس المصدر " متى " : ٢ / ١٠

ويصور "كرسون" هذا في اوضح عبارة حين يقول :

" . . . كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع ، والقناعة ، والصوم والورع والسذاجة والرحمة ، وارادة السلام بالعدل ومحبة الله الخالصة ، كل ذلك كان خيراً للمؤمنين ، وللقسيسين المنضوين ، وللقديسين ، وللخطب والمواعظ .

اما اساقفة البلاط واشخاصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر البذخ والاحاديث المتأنقة مع النساء والشهرة في المجالس الخاصة والحجلات والخدم والارباح الجسيمة والموارد والمناصب "(١)

وبامكاننا أن نلخص مظاهر هذا الطغيان في الاتي :

١ـ الاقطاعيات الكبرى : لا تخلو معظم كتب التاريخ الاوربي التي تؤرخ لاحداث القرون الوسطى من ذكر بعض مظاهر الطغيان لرجال الدين وعنها تملكهم دون ادنى مشروعية لاقطاعيات كبيرة يقول احدهم مايلي :

" وكان مالك الضيعة في بعض الاحيان اسقفا او رئيس دير ، وكان كثير من الرهبان يعملون بايديهم ، وكثير من الاديرة والكنائس تنال حظها من اموال العشور التي تجبى من الابرشية ، ولكن المؤسسات الكهنوتية الكبيرة كانت بالاضافة الى هذا العمل اليدوي وتلك الامور في حاجة الى المعونة المالية ، وكانت تنال الجزء الاكبر من هذه المعونة من الملوك والاشراف على صورة هبات من الاراضي والانصبة من الايرادات الاقطاعية وتراكمت هذه الهدايا حتى اصبحت الكنيسة اكبر ملاكي الاراضي ، واكبر السادة الاقطاعيين في اوربا ، فقد كان دير " فلـــدا " مثلا يملك " ١٥٠٠٠ " قصر صغير من قصور الريف ، وكان دير " سانت جول " يمتلك الفين من رقيق الارض ، وكان " الكوين في ثور " سيداً لعشرين الفاً من ارقاء الارض وكان الملك هو الذي يعين رؤساء الاساقفة ورؤساء الاديرة ، وكانوا يقسمون يمين الولاء له لغيرهم من الملاك الاقطاعيين ، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرهما من الالقاب الاقطاعية ، ويسكون العملة ، ويرأسون محاكم الاسقفيات والاديرة ، ويضطلعون بالواجبات الاقطاعية الخاصة بالخدمة العسكرية والاشراف الزراعي . . .

---

(١) المشكلة الاخلاقية والفلاسفة : ١٦٧

وهكذا أضحت الكنيسة جزءا لا يتجزأ من النظام الاقطاعي .(١)

هذا بالنسبة للأديرة ، وهي كما تعرف أماكن تجمع الرهبان ، والرهبان هم الذين زهدوا في الدنيا . فاذا كان هذا ما يفعله الزهاد - الرهبان - فما بالك برجال الكنيسة الآخرين الذين لم يزهدوا . (٢)

٢- المظهر الثاني : الأوقاف التي كانت تتبع الكنيسة :

كان رجال الكنيسة يملكون مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على اعتبار أنها أوقاف للكنيسة تصرف عائداتها على سكان الأديرة - وبناء الكنائس وتجهيز الجيوش للحروب الصليبية . الا أن هذه الأوقاف وصلت نسبة جعلت " ويكلف " المصلح الكنسي يحالف دوق " جناجونت" الذي يعمل مع غيره على الغاء أوقاف الكنيسة على الغائها . (٣)

وقد بلغت املاك الكنيسة من الأوقاف ١/٣ أراضي انجلترا كما يقرر ذلك ويكلف . (٤)

وقد اتهم ويكلف رجال الكنيسة بأنهم " أتباع قياصرة لا أتباع الله " (٥)

٣- المظهر الثالث : العشور والضرائب الأخرى : فرض رجال الكنيسة على أتباعهم ضريبة أسموها - العشر - وهي ضريبة تجعل لرجال الكنيسة الحق في الحصول على عشر ما تنتجه الأراضي الزراعية ، والماشية ، وعشر ما يحصل عليه أصحاب الحرف الأخرى وجاء في كتاب تاريخ العالم بيانا لذلك ما يلي :

".. ويلي ذلك - أي السخرة التي تكلم عنها قبل هذا - في قائمة الحقوق المفروضة على الفلاحين ، ما هو معروف باسم العشر ، وهو المكس يلتزم

---

(١) قصة الحضارة : ١٤/٤٢٥و ١٤/٤٢٦ .
(٢) انظر لمعرفة تعريف الاقطاع ومقوماته كتاب : شبهات حول الاسلام : ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ .
(٣ ، ٤ ، ٥) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ٢/٣٦٣ ، ٣٦٤ .

على ما تخرجه الارض من الزرع ، والماشية ، والركاز ، وهو مكس شائع بالبـــلاد المسيحية كافة ، ولم تنزل الكنيسة عنه في اراضيها الا بعد لأى واكراه ، على ان ذلك المكس ظل بيد جهات كثيرة حتى صار يشرى ويباع ، ويقسم الى اجزاء واصبح من الضرورى تنظيم حسابه وتحصيله في سجلات مضبوطه ، بواقع وحده من كل عشر وحدات من المحاصيل الزراعية ، ولذا غدت " عربة العشر " من الاشياء المعتاده وهي تشق طريقها بين الحقول وقت الحصاد " (١)
ولم يفرض رجال الكنيسه هذا العشر كعمل من اعمال الاحسان بل فرضوه كواجب محتم. (٢)

ولكن هل كان في مقدور احد رفض هذا القانون أم لا ؟ الواقع ان احداً من الناس سواء كانوا من الشعوب او الحكام لم يكونوا قادرين علي رفض هذا القانـــــون اذ الشعوب خاضعه تلقائياً لطوة رجال الدين لانهم مثلوا المسيح في الارض كمـــا نفخ في روعهم ذلك . هذا من ناحية الشعوب اما الملوك فقد كانوا هم الاخريـــن يخشون جبروت رجال الدين للسبب نفسه الذى تخشاهم من اجله الشعــــوب ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كانت هناك بين البابوات والحكام مصالح مشتركـــة تتمثل في مساعدة كل منهما الاخر في توحيد سلطانه . يقول تولستوى احد نقـــاد رجال الكنيسه مايلي .

" لقد استولي حب السلطة علي قلوب رجال الكنيسة كما هو مستول علـــى نفوس رجال الحكومات . وصار رجال الدين يسعون لتوطيد سلطة الكنائـــس من جهة ، ويساعدون الحكومات علي توطيد سلطانها من جهة اخرى واخــــذوا يفسرون احكام الانجيل حسب مطامعهم ، حتى انهم لم يتأخروا عن تحريفهـــا وفق منافعهم وبهذه الصورة اوجدوا كل تلك الخرافات التى تنسب الى ديانة المسيح والمسيح نفسه برئ منها . (٣)

وهكذا كانت مصالح الفريقين - رجال الدين ، والحكام - تقتضي بقـــاء الاوضاع على صورتها الموجوده .

---

(١) تاريخ العالم : ٥/١٨ ، ٥١٩٠ (٢) معالم تاريخ الانسانيه : ٨٩١/٢
(٣) احاديث في الاجتماع والسياسه : ٣٠١ .

٤- المظهر الرابع من مظاهر الطغيان : ضريبه السنه الاولى : لم يكتف رجـال الكنيسه بالعشور والاوقاف بل فرضوا ضرائب اخرى خاصة في الاحوال الاستثنائيـه مثل الحروب الصليبيه ، " فلما تولى البابا حنا الثاني والعشرين ، فرض ضريبـه جديدة اسماها ضريبة السنه الاولى "(١)

ولكن ماهي ضريبة السنه الاولى يقول فشر :

" ... وهي مجموعة الدخل السنوي لوظيفة من الوظائف الدينية أولا قطاعة التابعة للبابا " (٢)

وهكذا اصبح لرجال الكنيسة مورد مالي جديد يصب في حوضهم الطـامي بالاموال المحرمه . لكن لابد ان نقول ان احد مجامعهم وهنو مجمع بـازل انكر هذه الضريبة . (٣)

٥- المظهر الخامس : العطايا والهبات : كان رجال الكنيسة يحتلون بكثير من العطايا والهبات التى يقدمها الاثرياء والملوك خشية من سطوتهم وطغيانهـم فكأنهم بذلك يتملقونهم وهناك اناس يهبونهم ذلك بدافع من الاحسان والصدقـه ولم يكن هؤلاء ليفعلوا ذلك لو لم يكونوا يعلمون حرص رجال الكنيسة على الدنيـا وتكالبهم على المال ، كما انهم لو لم يعلموا انهم بذلك يستميلون رجال الكنيسـه لما فعلوا ذلك لعلمهم يقينا بان رجال الكنيسه بيدهم المغفره فيخشون حرمانهم منها عند موتهم . وقد اشتدت هذه الدوافع بعد ما زل صكوك الغفران اذ بدها انهالت الهبات والعطايا على رجال الكنيسه ، بشكل لانظير له حتى تضخمـت وازدادت ثروة رجال الكنيسه واليك وصفا لما حصل من الهبات في مهرجـان عقد عام ١٣٠٠ انقله من معالم تاريخ الانسانيه .

---

(١) تاريخ اوربا في العصور الوسطى : ٣٣٩/٢
(٢)،(٣) نفس المصدر : ٣٨٠/٢

" .... في عام ١٣٠٠م عقد مهرجان " اليوبيل " واجتمع له جمهـــور حاشد من الحجاج في روما ، بلغ من عظيم انثيال المال الى خزائن البابويــــة ، ان ظل موظفان يجمعان بالمجاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطـــرس(١) وهذه الهبات والعطايا وان لم يفرضها رجال الكنيسة على الناس رسميا ، الا ان الناس انما فعلوا ذلك طمعا في - غفرانهم - وخوفا من حرمانهم فهم بذلك كأنهم الزموهم بهذه الهبات .

٦- المظهر السادس - العمل المجاني - السخرة - بينت فيما سبق ان رجال الكنيسة سلوكا الاقطاعيات الكبيرة برقيقها وان بعض رجال الدين كان يملك الآلاف من الرقيق ، ومع هذا فانهم لم يقنعوا بذلك بل ارغموا اتباعهم على العمل المجاني في الحقول التي يمتلكونها ، والمشروعات التي يقيمونها خاصة بناء الكنائس وكـــان من الواجب على الناس بوصف رجال الكنيسة خلفاء الله في الارض ان يوضخـــوا الا وامرهم ويعملوا مجانا لمصلحة هؤلاء ، يوما واحدا في الاسبوع جاء في كتـــاب تاريخ العالم مايلي :

" ... اما السخرة ، وهي المؤاجرة التي شاعت تأديتها للسيد الاقطاعي بالخدمة في ارضه منذ اوائل ايام الدوجين ، فهذه زالت عن كثير من الاقاليــــم في القرن الثالث عشر الميلادي ، بقيام الفلاحين المكلفين بها بدفع بدل نقـــدي مقابل الاعفاء منها ، على انها بقيت ببعض الاقاليم ، وباتت رزءاً ثقيلا في حيـــاة الفلاح ووسيلة غير اقتصادية لزراعة الارض الخاصة بالسيد الاقطاعي وكثيراً ما حـــاول كبار الملاك في العصور التي قلت فيها الايدي العاملة - قبل عصر الغناء الكبير - ان يراجعوا عن المؤاجرات النقدية الي نظام السخرة القديم ، مما ادى الــــى ثورة الفلاحين في كثير من البلاد الاوربية " (٢)

وبهذا يتبين ان جماهير الشعوب كانت ترزح تحت نير رجال الكنيســـة ،

---

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٩١٣/٣ .
(٢) تاريخ العالم : ١٨/٥

وكان الملوك والاباطرة وصغار رجال الكنيسة يشعرون بمعاناة الناس ، ويهتبلون فرصة لاعلان احتجاجهم ورفضهم لجبروت كبار رجال الكنيسة ، وممن تضجر من ذلك واندفع بجرأة الى الاحتجاج العلني على سلوك رجال الدين الملك لويس التاسع ملك فرنسا اذ بعث برسالة احتجاجية الى البابا يقول فيها :-

" وليس من العسير على قارئ حوليات المؤرخ " ماثيو باريس " ان يستشف علامات السخط الذى اثارته تلك المطالب التعسفية في بلاد اشتهرت دون غيرها بطاعة الكرسي البابوى المقدس ، حتى ان ملك فرنسا " لويس التاسع " الـذى اختصت البابوية مملكته بشيء من حسن المعاملة والرفق ، اضطر الى تنبيه البابا في رسالة احتجاجية خطيرة ، ان الذى يشتد في ادرار الاخراج لابد ان يصيب الدم من حلماتها " . واستغاث رجال الدين من الانجليز من المطالب البابوية وشكوا حالهم سنة ١٢٤٦م الى المجلس الديني العام المنعقد في مدينة ليون وبعد ان السلطان البابوى ظل فوق الشبهات ، فالواضح ان روحاً من الغضب وسوء الظن حلت محل المحبة القديمة والاجلال " (١)

وهكذا يتضح ان الشكوى من طغيان البابوات قد امتدت حتى الى رجال الدين الصغار ولكن هذه الاحتجاجات من رجال الدين الصغار وغيرهم ممن يسمون في عرف رجال الكنيسة رجال الدنيا ظلت " صرخة في واد ونفخة في رماد " واستمر رجال الكنيسة على طغيانهم وتجبرهم ، حتى بعد عصر النهضة الـذى حدث فيه الصراع ، بين رجال الكنيسة ورجال العلم واستمر حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث وقعت الثورة الفرنسية فانتقل الصراع من صراع بين رجال الكنيسة ورجال العلم الى صراع بين الكنيسة والشعوب النصرانية وكان وراء ذلك الصراع العنيف الذى تمثل في الثورة الفرنسية - التى اصبحت معلما بارزا من معالم تاريخ اوربا - رجال اذكياء استغلوا هذه الاحداث وشاركوا في صنعها الا وهم اليهود. ثم جاءت طامة كبرى اخرى ساعدت على هروب الغربيين من الدين نهائيا تلك هي نظرية دارون التى كان لها نتائج سيئة في كل العلوم ومازال لها هذه النتائج رغم الانتقادات الموجهة الى اصول النظرية .

(١) تاريخ اوربا في العصور الوسطى : ٢٥٩/١

الفصل الاول

عوامل نشوء العلمانية في العالم الغربي

المبحث الثاني : عوامل ساعدة .

فرضية التطور وأثرها في الفكر والعلم والفلسفة .

...

فرضية التطور وأثرها فى الفكر والعلم والفلسفة فى العالم الغربى

عند الحديث عن فرضية التطور التى قال بها تشارلس دارون لا بد من معرفة المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه هذه الفرضية ولا بد من معرفة ما سبقها من فرضيات فى التطور افترضها علماء سابقون لدارون ، ومعرفة درجات الاستدلال العلمى عند معارضى الأديان ، ومن أى أنواع الاستدلال الأدلة التى استدل بها دارون ، ثم انتقل الى بيان الأسس التى تقوم عليها فرضية التطور الدارونية ، ثم أذكر أقوال علماء الطبيعة المعاصرين لدارون ومن جاء بعده فى رفضها وخاصة الداروينيين المحدثين وأختم هذا الجزء بالحديث عن آثار فرضية التطور.

وعلى هذا يكون الحديث عن فرضية التطور مسلسلا كالاتى :-

١- المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه الفرضية .

٢- الفرضيات السابقة على فرضية دارون .

٣- درجات الاستدلال العلمى عند معارضى الاديان ومن أى أنواع الاستدلال أدلة دارون .

٤- الأسس التى تقوم عليها فرضية التطور وأفكارها الأساسية .

٥- أقوال علماء الطبيعة المعارضين فى رفضها .

٦- آثار فرضية التطور على الايمان ، والعلم ، والفكر ، والفلسفة.[1]

---

[1] لم أتحدث عن حكم الإسلام فى هذه الفرضية ، وعن مكانة الإنسان فى الإسلام لأن المجال هنا ليس مجال دحض هذه الفرضية من خلال حكم الإسلام ، بل المجال هو بيان تأثيرها فى نشر العلمانية وأثرها على الإيمان والعلم ، والفكر والفلسفة . وقد حرصت على بيان رأى علماء الطبيعة والأحياء فى هذه الفرضية - من علماء الغرب - ليكون ذلك أبلغ فى دحض هذه الفرضية .

أولا : المناخ أو الجو الفكرى الذى ظهرت فيه الفرضية :

تعرضت المسيحية - المحرفة - قبل ظهور فرضية دارون لضربـــات قوية وهزات عنيفة أودت بالعقائد المسيحية والأخلاق المسيحية المحرفة ، يمكن تلخيصها في الآتي :

١ - تهافت النظرية المسيحية عن الكون المتمثلة في نظرية بطليموس .

٢ - انتقادات الفلاسفة وعلماء الطبيعة في القرنين السادس عشر والسابــــع عشر خاصة فولتير وسبينوزا وديدرو الذين كانوا من أشد المنتقدين على الكنيسة .

٣ - الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م وما لحق برجال الكنيسة على يديها مـــن أذى ونكبات .

٤ - النظرية الآلية الميكانيكية عن الكون المنبثقة عن نظرية كوبرنيق ونيوتن .

٥ - تقديس العقل وتقديمه على الوحي والدين الطبيعي اللذين تميـــز بهما القرنان السادس عشر والثامن عشر .

٦ - نظرية التطور الفكرى كما تخيلها كومت .

٧ - المذهب اللا أدرى ومذهب المؤلهة الربوبيين " الديين " (١)

٨ - الجمعيات السرية وأفكارها الهدامة مثل الماسونية التي وجدت في الفلاسفة الملحدين مثل فولتير ورسو ودالمار وفردريك ملك بروسيا ، انصارا تكاتفوا في هدم اركان الدين وتخريب الممالك والعروش " ١ "

وقد أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها عام ١٧١٧م " ٢ "

وهكذا ساعدت الامور السابقة على تقويض بعض دعائم الكنيسة ورجالها ورغم ذلك فان الانهيار الكامل للمسيحية - المحرفة - لم يكن متوقعا الا بعـــد قرون لانها بقيت برغم هذه الاحداث التي - زلزلت كيانها - كيانا معترفـــا به تدعمه عواطف الجماهير وتعضده موروثات قديمة متأصلة في نفوس الناس

---

(١) انظر تفاصيل عن هذه القضايا في "تكوين العقل الحديث" جـ٢ ص٩٠ . وكذا [illegible] الثورة الفرنسية .

١) جذور البلاء : ١١٨

٢) المرجع السابق : ١١٨٩

من القيم والمثل التي اشربت بها نفوس الجماهير .

لقد حدثت تغيرات كثيرة في تصورات الناس لكل شيء فقد حدث تغيير في نظرة الناس الى المسيحية ورجالها وبعض تعاليمها الا انه حتى ظهور هذه الفرضية لم يحدث تغير بالنسبة للتصور الديني ذاته اذ بقي سائدا لدى جمهرة كبيرة من الناس يدل على ذلك مابذله الفلاسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر من جهود لاحداث دين طبيعي أو انساني .

وحدث تغير في نظرة الانسان الى الكون ودوره فيه ، ولكن لم تتغير نظرته الى انسانيته وتفرده عن سائر المخلوقات وتفوقه عليها ، جسما وعقلا وروحا .

وحدث تغير في نظرة الانسان الى حركة سير التاريخ ولكن لم يجرؤ أحد على التصريح بأنه لا توجد قيم ثابتة أو اخلاق ثابتة ، حتى جاءت فرضية دارون القائلة بتطور خلق الانسان من مخلوقات **ادنى** ، فأدى ذلك الى القول بتطور الاخلاق والقيم . اذ الاخلاق يتخلق بها الانسان والقيم - العقائد - يعتقدها الانسان . فاذا كان الانسان قد تطور في خلقه فان الاخلاق والقيم متطورة تبعا لذلك . ومن ثم خرج فرويد ودوركايم وغيرهما بنظريات عن تطور الدين - بعد أن خرج دارون بفرضيته في تطور الانسان ، والكائنات الأخرى في خلقها .

ثانيا : الفرضيات التي سبقت فرضية دارون :

يمكن اعتبار " لينيوس " أول من قال بالتطور اذ انه استنتج من مشاهداته وجود كثير من التغيرات بين افراد النوع . مما دعاه يميل نحو الاعتقاد في تغير النوع "١" ثم جاء بوفون (١٧٠٧-١٧٨٨) الذى استنتج من دراساته في التشريح المقارن ان للاستعمال والاغفال أثرا في تشكيل أعضاء

---

١) الموسوعة العربية الميسرة : ٥٢٩ .

الفقاريات "١" وأشار في بحثه التاريخ الطبيعي الى الداروتيه قبـــــــــل وجودها "٢"

ثم جاء "لامارك ،جان بايست" (١٧٤٤ - ١٨٢٩) واشتهـــر بتقديمه نظريات التطور ، والخاصة للافقاريات ( ) "٣" ((ويعتمد لامارك على أثر البيئة المباشر في تعليل التطور وتسمى نظريته بنظرية الاستعمال والاهمال في بنية الكائن الحي استجابة للمطالب الجديدة ، ويدم وجودها ، أو يضعف نتيجة للاستعمال أو الاهمال ، ثم تتكفل الوراثة بنقل الصفات المكتسبة الجديدة للاحقاد "٤"

ثم جاء "كوفيه ، جورج ليوبولد" (١٧٦٩ - ١٨٣٢) الذى أدت بـه دراساته للحفريات وتكوين الارض الى رفض النظريات الخاصة بالتطور المستمر ، والى تأييد نظرية الكوارث "٥" وقد رفض "كوفييه" آراء لامارك "٦"

ثالثا : [illegible] بالاستدلال ادلة دارونه!-

ان آراء معارضي الاديان ترتكز على اساس واحد وهو ان اى شيء لا يصبح حقيقة الا اذا تم اثباته تجريبيا وتبعا لذلك فالاديان من النوع الذى لا يمكـــن اثباته تجريبيا فعلى هذا يكون محض عقيدة لا دخل لها في الحياة (العلمنه) وهذا هو المعيار الوحيد لمعارضي الاديان . ولكن له درجات أربع هي :

---

١) الموسوعة العربية الميسرة : ، ٥٣٠
٢) نفس المصدر : ٤٣٧
٣) المصدر نفسه : ١٥٤٣
٤) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها : ٣٥
٥) الموسوعة العربية الميسرة : ١٥٠٦ .
٦) نظرية دارويه بين مؤيديها ومعارضيها : ٥٣

١ - أن يكون الامر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول يدنا مباشرة .

٢ - ألا تكون الدعوى قابلة كليا للمشاهدة ، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها . كدعوة " كروية الارض " اذ لا يمكن مشاهدتها في صورتها الكاملة ، الا انه يمكن مشاهدة أجزاء منها توكد هذه الحقيقة اذا صورت الارض بكاميرا مزودة بمنظار مكبر فسوف تبدو الارض كروية في الصورة كالقمر ومن المعلوم ان ذلك جزءا من كرويتها وليس هو الصورة الكاملة لها " . "١"

٣ - ان الاستدلال يعتبر مقياسا علميا سليما اذا شوهدت فيه بعض جوانب التجربة التي توكد وجود حقيقة ما ، وذلك بالرغم من عجزنا عن مشاهدة تلك الحقيقة بكامل جوانبها في تلك التجربة وذلك مثل الالكترون . "٢"

٤ - ان المشاهدات والتجارب ، وان لم تكن مرتبطة بالقضية المطروحة - بالمعنى العلمي التكنيكي البحث - الا انه اذا كانت هناك قرينة جائزة لتأييد تلك القضية - وذلك في حالة عدم وجود نظرية اقوى لتفسير تلك المشاهدات - فان ذلك الاستدلال (بالقرينة الجائزة) على القضية المطروحة سيكون مقبولا وسليما " "٣"

" . . . وجدير بالذكر ان كل مقياس من المقاييس (الاول ، والثاني ، والثالث) التي مر ذكرها يرفض نظرية الارتقاء رفضا قاطعا ، الا ان المقياس الرابع وحده يتصدى لاثباتها . " "٤"

" ونصل من هذا الى ان العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة ، وانما يعتبر أن اية قرينة منطقية تستند الى تجارب ومشاهدات غير مباشرة ، يمكنها ايضا ان تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي نتمكن من مشاهدتها مباشرة " "٥"

(١ - ٢) الدين في مواجهة العلم : ١١

(٣-٤) المصدر السابق : ١٣ ، ١٦

(٥) نفس المصدر : ٢١

" ومن المعلوم انه مهما كانت المقاييس ، فان اى شي" يثبت بناء على تلك المقاييس يمكن ان يكون صحيحا او باطلا " .

والنظريات تتغير من يوم لآخر في عالم العلم ، بالرغم من انه لا يمكن اثباتها بصفة عامة ، بمقياس اوآخر من المقاييس العلمية المذكورة آنفا .

فالتسليم بجواز وحقية مقياس ما لا يلزمنا ان نقبل بالضرورة كل مايقدم الينا بواسطة ذلك المقياس على انه حقيقة علمية . فاحتمال كون النتيجة باطلة باق ، مع ان صحة المقياس وجواز الاستدلال به يبقى قائما أيضا في نفس الوقت" . "١"

وعلى هذا فان اتباع نظرية داروين الذين يقولون بالتولد الذاتي لا بالخلق المباشر ، بناء على اعتمادهم على هذا المقياس الرابع لا يحق لهم ان يعترضوا على القائلين بالخلق المباشر الخاص لان الادلة التي يستدلون بها موجودة عند القائلين بالخلق الخاص المباشر وهم اتباع الاديان وخاصة الدين الاسلامي - موجودة بصورة أكمل وأشد .

رابعا : الأسس والافكار الرئيسية التي تقوم عليها نظرية داروين :

يمكن تلخيص فرضية داروين في الآتي :

١) الانتخاب الطبيعي .
٢) التطور العضوي الذاتي للكائنات الحية .
٣) التنازع وبقاء الاصلح .
٤) القول بتسلسل الانسان من حيوان ادنى منه ووجود شبه بينه وبين القرد .

يقول الاستاذ قيس القرطاس تلخيصا لبعض هذه الأمور :

" وتتلخص نظرية داروين بما يلي : اننا نشاهد ان الخلق تظهر فيه بعض الاختلافات الطفيفة التي يتضح ظهورها بعد اجيال عديدة بواسطة ناموس

---

١) المصدر السابق : ٢٢ .

التغير وهذه الاشكال المختلفة تخرج الى الحياة في صراع دائم لتحقيق عليــة " تنازع البقاء " ليزداد القوى على قوته والضعيف ضعفا على ضعفه . وبذلك يتحقق " فوز القوى " أو " بقاء الاصلح " . ويعمل " الانتخاب الطبيعـــي " عمله فيفنى الذى لا يتلائم مع البيئة الجديدة ويبقى المرغوب وأن الصفات المكتسبة التي حصل عليها الحيوان خلال صراع الحياة تنتقل الى السلف لتحقق نوعـــاً جديداً تحقيقاً " لقانون الوراثة " وتستمر العملية الى أن تجد أمامك ماتـــراه من الانواع . "١"

أما عن التطور العضوى الذاتي للكائنات الحية فان داروين يفترض تطــور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد الى الدقة والتعقيد ، ومن الاحظ الى الارقى وان القرون الخلقية (داخل النوع الواحد تنتج انواعـا جديدة مع مرور الاحقاب الطويلة ،ولذلك يفترض داروين ان اصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائنا حقيرا ذا خلية واحدة " "٢"

وأما علة الانتخاب الطبيعي وبقاء انواع دون أخرى ، فان داروين يرى : " . . . ان التطور يحدث نتيجة للاختيار الطبيعي ،وان التغير في الانواع يحدث بانقراض الافراد الضعيفة والتي لا تتلائم والبيئة التي تعيش فيهـــا وتحيط بها ، وبذلك تنقرض ولا تورث صفاتها .

وان الطبيعة " Nature " اختارت كائنات معينـــة لتعيش وتتناسل وتتكاثر ولتبقى . . وهذه الكائنات هي التي تتلائم مع بيئتهـــا أما الكائنات التي لا تستطيع أن تتلائم مع بيئتها او الكائنات الضعيفةفانها تموت وتنقرض . . اى ان البقاء للاصلح " "٣"

---

١) نظرية التطور بين مؤيديها ومعارضيها : ٣٨
٢) العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة : ١٤٨ بتصرف طفيف
٣) نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٤ ، ٤٥ .

أما فيما يتعلق بشبه الانسان بالقرد وغيره من الحيوانات فيقول عنه دارون في كتابه "اصل الانسان" مايلي :

" انه لشيء سخف أن نقول أن الانسان قد بني على ذات الطريقة العامة أو النموذج الذى بنيت عليه جسوم "الثدييات الاخرى ، فكل العظام في هيكله يمكن مقارنتها بمثيلاتها في القرد ، أو في الخفاش ، أو في الفقمة ، وكذلك هو في عضلات وأعصابه وأوعيته الدموية ثم في احشائه الداخلية وكذلك المخ - وهو الاكثر اهمية من بين كل الاعضاء - ذات النظام كما اوضح هكسلي وعلماء التشريح الآخرون " "١"

ويقول في نفس الكتاب :

" بعد التقارير السابقة التي قدمها مؤلفون كبار ، فلسوف يكون من نافلة القول في الجزء الخاص ان اقدم عدداً من التفاصيل المستعارة مبينا أن جنين الانسان يشبه تمام الشبه غيره من اجنة الثدييات الاخرى . ومن المحكن - رغم ذلك - ان اضيف ان الجنين البشري يشبه كذلك وفي نقاط عديدة في التركيب ، اشكالا خاصة من الكائنات غير الراقية عندما تنضج ، فمثلا يوجد القلب في أول الامر كوناً نابض بسيط ، وتخرج الفضلات عن ممر المذرق ، وتبرز عظمة العصعص شبيهة بذنب حقيقي ، وممتدة الى درجة كبيرة خلف الارجل الظاهرة " "٢" ثم يقول :

" انه يمكن حتى في مرحلة جنينية متأخرة - ملاحظة بعض التشابهات اللافتة للنظر فيما بين الانسان والحيوانات الادنى " "٣" . الى ان قال :

---

١) العلم اسراره وخفاياه : ٣/٤٩٧

٢،٣) المصدر السابق : ٣/٤٩٩

" ولسوف اختتم بعبارة مقتبسة من قول هكسلي الذى يقول بعد تساؤل عما اذا كان الانسان قد نشأ بطريقة مختلفة عن كلب ،او طائر ، او ضفدعة او سمكة؟ . . . يقول بأن الجواب على ذلك لا يشك فيه لحظة واحدة . وبدون تساؤل ، فان طريقة النشوء ، ثم المراحل المبكرة لتطور الانسان متطابقة مع مثيلاتها عند الحيوانات التي تسبقه في سلم التطور . . وبدون شك في تلك الاعتبارات فان الانسان يقرب من القرد بأكثر مما يقرب القرد من الكلاب " "١"

أما أدلة داروين واتباعه فقد استندت الى علم التشريح المقابل ، والاعضاء الاثرية والتصنيف الطبيعي ، والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ،وعلم الاحافير . وأكتفي هنا بدليل واحد من أدلتهم وهو دليل علم التشريح المقابل :

" يقول انصار التطور لو فحصنا يد الانسان وجناح الخفاش ومجداف الحوت وحافر الحصان وأطراف العضايا والتساح والضفدع بواسطة التشريح لوجدنا ان في جميعها نفس العظام والعضلات والاعصاب وان هذا التشابه لا يمكن أن يفسر الا ان هذا النظام التركيبي قد تطور من سلالة واحدة " "٢"

وأكتفي في الرد على ذلك بنقل رأى آرثر كيث وهو احد كبار انصار التطور اذ يقول :

" وتبلغ العلامات المشتركة بين الانسان وكل من الشمبانزى والغوريلا الى سائر العلامات التي احصيتها تقريبًا ثمانية وسبعة اعشار بالمائة " "٣" فقط ، وهكذا يستنتجون من تشابه ضئيل مزعوم لا يبلغ الا ٨٫٧ ٪ على تسلسل الانسان من الحيوان .

---

١) العلم اسراره وخفاياه : ٣/٤٩٩ .

٢ - ٣) نظرية داروين مؤيدها ومعارضيها : ٥٥ .

وانظر بقية الادلة ،وهي ادلة الاعضاء الاثرية ،والتصنيف الطبيعي ، والتوزيع الجغرافي ، وعلم الاجنة ، وعلم الاحافير : ٥٩ - ٧٧ ،

وانظر كتاب " نظرية التطور بين العلم والدين : ٤٩ - ٩٩ .

لقد كان الجديد في أمر الغرضية ليست هي فكرة التطور فقط فقد قـال بذلك قبله اشخاص سابقون له ـ لكن الجديد هو في القانون الذى تسير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية .

ولكن لم تكن آراء هؤلاء العلماء ـ وكان منهم غير من سبق ذكرهم : راى ، وباركتسون ، وليفو ـ قد قدمت للتطور تفسيرا آليا ميكانيكيا كما فعـل داروين واتباعه وانما كان تفسيرهم دينيا ، ولذا سميت نظريتهم بنظرية التطـور اللاهوتية .

جاء في كتاب " تراث الانسانية " في توضيح ذلك وبيان سبب انتشار مذهب داروين وغيره :

" . . . والامر الذى حمى معه وطيس الجدل ، وثارت فيه المناقشات هو ذلك الموقف الذى يقفه كل من علماء التطور من جهة ، ورجال اللاهوت من امثال (راى) من جهة أخرى ، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة العثور على حفريات تتمايز تارة وتتشابه أخرى مع نظائرها الحية من نفس النوع مثل الفيل والماموت ، والماستدون . فذهب (راى) الى انه من اليسير تفسير مثل هذه الظاهـرة عن طريق القول بوجود الثغرات " أو " الحلقات المفقودة التي لم تعثر عليهـا بعد في سلسلة الخلق المستمر لمثل هذه النظائر بين الانواع الحفرية والانـواع الحية . وذهب " باركتسون " مذهب اللاهوتيين ، حين طبق مضمون التصورية المسيحية للتاريخ الطبيعي للانسان والعالم ، وهي التصورية القائلة بخلق الارض كسوح لتاريخ الانسان ، وان التغيرات التي طرأت عليها انما تؤكد ماضيها الجيولوجي الحافل بالاحداث التي سجلتها الحفريات حتى تحكـي قصة " التقدم الكوني " كما وضعها خالق الكون استنادا الى خطة زمانيـة الهية ، تترتب فيها المراحل التي بمقتضاها تتجه عملية الخلق المستمرة . بمعنى ان التطور عند اللاهوتيين " هو رحمة مستمدة تفيض من العناية الالهية حسب تعبير المؤلف " .

هذا هو التطور اللاهوتي الذي يفيض عن الخالق ، ولكن التطور العضوي عند " لامارك " و " داروين " يقوم على الصراع والبقاء للاصلح . وهما بعد آن تطوريان يفترضان القسوة كأساس والحرب كعلامة بين كائنات حية وبيئة فيزيقية صارمة . فالتطور اللاهوتي خطة مرسومة نحو حياة أفضل ، وفيها رحمة للعالمين فقد خلق الله في الطبيعة عددا محددا من الانواع ، وسيبقى ثابتا ، وتلـك هي وجهة النظر في فلسفة اللاهوت المسيحي " "١"

وهكذا فلأنها كانت تسمى لاهوتية أو كانت تنسب التطور في الخلق الـى الخالق جل وعلا اضفى عليها المفسدون في الارض النسيان .

وذلك لان الصراع بين الدين ممثلا في رجال الكنيسة ، والعلم ممثلا فـي رجال العلم كان في ذلك الوقت في حالة غليان لا يسمح بانتشار نظرية تشم منهـا رائحة الكنيسة والإلهيا .

ولقد كان علم نيوتن قد قذف في روع اعداء الدين الكنيسة امكان تفسـير الظواهر الطبيعية تفسيراً ميكانيكياً اي دون حاجة الى خالق مدبر - رغم أن نيوتن لم يقل ذلك لذا فقد كانت ظروف النزاع تستدعي من رجال العلم ايجاد فكرة عن الحياة تقوم على قانون ميكانيكي بحت . ولهذا فقد حاول الكثير من العلمـاء الحصول على شرف اكتشاف هذا القانون قبل داروين منهم : لينيوس ، ثم بوفون ، ثم " لامارك جان بابست " ثم " كونيه جورج ليوبون " وغيرهم فقد بذلـــوا جهودا كبيرة في سبيل ذلك وقد استطاع داروين العثور على هذا القانــــون اذا استوحاه من نظرية مالتوس في دراسة السكان التي تقول :

" ... ان التكاثر ان لم يحده قيد فإنه يدعو الى التزايد ، السكان وفقا لمتوالية هندسية / في حين ان الزيادة في موارد الغذاء ليست بهذه السرعـة أو انها بعبارة أخرى تسير حسب متوالية عددية " "٢"

---

١) تراث الانسانية : ٩/ ٧٢ .

٢) المذاهب الاقتصادية الكبرى : ٧٣ ، والمتوالية الهندسية هي : ٢ ، ٤ ، ٨ ، ٣٢ ، ٦٦٠ الخ .
والمتوالية العددية هي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ الخ

فاستنتج داروين عن افناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة بقاء الاقوياء - كما تخيل وتوهم مالتوس - قانونه المسمى "الانتخاب الطبيعي وبقاء الأنسب" وبواسطته وباستعانته بابحاث "البيل" الجيولوجية تمكن من صياغة فرضية التطور الميكانيكية، ومن ثم عثر اعداء الدين - النصراني - على ضالتهم المنشودة.

خامسا: اقوال العلماء المعاصرين واللاحقين لداروين في نقضها:

تعرضت فرضية داروين لانتقاد علماء الطبيعة المعاصرين واللاحقين له بل ومن الداروينيين المحدثين أنفسهم. وهذا ابلغ رد على افتراضات داروين، اذ لم يأت الرد من اللاهوتيين - الذين لم يكن ليسمح لقولهم في عصر داروين - فقط. بل شمل حتى علماء الطبيعة والداروينيون ايضا، يقول العقاد:

" وقوبل مذهب النشوء باعتراض شديد بين علماء الطبيعة الذين ناقشوه بالادلة العلمية، وطلبوا من دعاته دليلا محسوسا على فعل الانتخاب الطبيعي في تحول الانواع، ولا سيما نوع الانسان ... فالمعترضون عليه - طلبا للادلة الطبيعية - لا يقلون عددا ولا اعتراضا عن المعترضين اللاهوتيين. وقد أيده اناس من كبار علماء الطبيعة وتحمسوا لتأييده، فكان تحمسهم له باسم حرية الرأى أشد من تحمسهم له ايمانا بحقيقته واعترافا بكافة براهينه. فمن هؤلاء العلماء - بل من اشدهم حماسة له - توماس هكسلي صديق داروين وصهره ومدره المذهب كله في حياته، فانه لم يزعم قط أن ادلة الانتخاب الطبيعي المؤيده لتحول الانواع بكافية لتقرير هذه النتيجة، وانما كان يقول ان الانتخاب الطبيعي يفسر لنا جملة من الظواهر والمشاهدات تبقى بغير تفسير لو لم تتقبل مبادىء الانتخاب الطبيعي، كما عرضها داروين بعد تعديله لاراء مارك. ويرى ان نظرية التطور على اساس الانتخاب الطبيعي، انما هي نظرية منطقية وليست بالنظرية التي تعتمد على شواهد التجربة والادلة الحسية. قال في رده على هربرت سبنسر: " اننا لن نستطيع ان نثبت بالمشاهدة عملية الانتخاب الطبيعي." [1]

---

(١) الانسان في القرآن: ١٠٩

كما عارضها الفلكي " سيرجون هرستل " الذى وصف النظرية الداروينية بانها " قانون الخلط ملط " . واما الاستاذ " سيد جويك " استاذ الجيولوجيا بجامعة كمبريدج الذى كان استاذاً لدارون فقد اعتبر النظرية " خاطئة ومؤذية بشكل مريع " وكتب الى دارون يقول : " انه ضحك حتى تالمت جوانبه " من كتابه وأنه اعتبر ذلك الكتاب " آلة بدائية تشبه القاطرة التى اخترعها القسيس ويلكر لكى تبحر بالناس الى القمر "(١) .

وقد يقال ان انتقاد هؤلاء الاشخاص كان لاسباب دينية أو شخصية حسداً منهم لدارون خاصة استاذه - وهو امر محتمل ولهذا اريد ان انتقل الى بيان آراء علماء اخرين ومنهم الداروينيون .

يقول العقاد رحمه الله :

" يقول ولاس فى كتابه عن عالم الحياة " انه من المحتمل جدا ان السجلات الجيولوجية الباقية لا تحملنا الى ابعد من منتصف العمر الذى عمرته الحياة على الكرة الارضية فليس فى السجلات الجيولوجية دليل ولا قرينة تؤيد القول بتطور الانسان من نوع آخر . واهم من ذلك لا يوجد امامنا دليل يؤيد تحول الانواع فى عالم الحيوان او عالم النبات وان تشابه الاجنة الذى يتخذه النشوئيون دليلا على التشابه القديم بين انواع الحيوانات دليل مكذوب ، لان صور الاجنة الصحيحة لا تبرز هذا الشبه ، وما عدا ذلك من الصور المتشابهة فهو مهزوز باعتراف واضع تلك الصور العالم الالمانى " ارنست هكل " فانه اعلن

---

(١) تراث الانسانية : ٩/١٢٥ بتصرف .

بعد انتقاد علماء الاجنة له انه اضطر الى تكملة الشبه في نحو ثمانية في المائة من صور الاجنة لنقص الرسم المنقول " [١]

وهكذا يتضح ان بعض العلماء زوروا ـ لشهوة تأييد مذهب التطور ـ فلما كثر النقد الموجه الى احدهم " ارنست هكل " اعترف بتزوير صور للاجنة ليؤيد بها فرضية تطور الانسان من حيوانات أخرى ، وقد يقال عن ولاس ان نقده ايضا كان بدافع الحسد لدارون فلا يقبل . فاليك بعض آراء علماء آخرين

يقول الاستاذ " شايمان بنشر " انه لا احتمال لتسلسل الانسان من القردة كما نعرفها ، لان القردة متفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحيا أن يتطور منه تركيب الانسان ، اذ كان الانسان قد نما له خلال مليون سنة دماغ أكبر وقامة أقوم ويد تفوق هذا وذاك ـ اصلح للتناول والتصرف بالاستعمال " [٢]

ويقول : " أ. كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور " النشوء والارتقاء " لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة " الجينات " وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، اعني عند الخلية ، ذلك الكيان الذى يحتوى الجينات ويحملها " [٣]

ويقول : " روبرت هورتون كاميرون " : " ويختلف الانسان في جميع الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الارضية الاخرى ، فهو خليفة الخالق على الارض . . " [٤]

وهكذا نقض العلماء في اقوالهم هذه ، الاستدلال بقضية التشابة على انحدار الانسان من كائنات حيوانية كالقرد مثلا . والقول بالتولد الذاتي .

---

١) الانسان في القرآن : ١٠٦ وانظر اعتراف هكل في كتاب : " مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ٨٣ .
٢) الانسان في القرآن جـ ٩٣ وانظر : ١٢٣ ، ١٢٤ .
٣) العلم يدعو للايمان : ١٤٧ وانظر ١٣٩ في بيان محتويات الخلايا المذكرة والمؤنثة وتأثيرها بقدرة الله على خصائص كل نوع . و ١٤٠ لمعرفة طريقة تطور الجنين وقدرة الله عز وجل على ذلك و ١٤٦ لمعرفة مايوجهه علم الوراثة من اسئلة على قضية التطور .
٤) الله يتجلى في عصر العلم : ١٢٧ ، ١٢٨ .

ونتيجة للهجوم العنيف على نظرية داروين من قبل معارضيها من علماء الطبيعة والاحياء وغيرهم اضطر الداروينيون المحدثون الى اجراء عدة تعديلات على النظرية ، اضحت فيما بعد نظرية مستقلة أو نظريات . فلقد ارغموا على الاعتراف بان قانون الانتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور ، فاضافوا اليه واستبدلوا به - قانونا جديدا - اطلقوا عليه اسم " الطفرات " أو - " التحولات المفاجئة " "١" وصاحب هذه النظرية هو "دى فريس" من أتباع داروين وخلاصة هذه النظرية : "ان التغيرات بعد ان تتم فجأة وعلى سبيل الطفرة التي لا يستبين فيها سبب ظاهر تتسجل نورا في الذخيرة الوراثية حيث تنتقل بعد ذلك الى السلالة بعامل من الوراثة ، ثم يقوم الانتخاب الطبيعي باختيار الملائم منها وافناء غير المرغوب فيه لتوجيه عملية التطور" "٢"

ثم اضطروا أيضا إلى التراجع والقول بانه لا يوجد اصل واحد نشأت عنه الحياة كلها كما تخيل داروين بل اعتقدوا بوجود عدة اصول تفرع عن كل منها أنواع مستقلة ،- ومنها الانسان - فهو ينتمي الى اصول متعددة. "٣"

ثم اضطروا اخيرا الى الاعتراف بتفرد الانسان "البيولوجي" .

رغم التشابه الظاهرى ،الذى أسس عليه داروين فرضيته في تطور الانواع بعضها من بعض ، واليك ماقاله بعض اساطين الداروينية الحديثة . قال جوليان هكسلي - زعيم الداروينية الحديثة - بعد ذكره لجملة كثيرة من خصائص الانسان وسماته التي لا يشاركه فيها احد من المخلوقات قال :

---

١) الطريق الطويل الى الانسان : ١٩٧ ومابعدها .

٢) كبرى اليقينيات الكونية : ٢٨٤ ، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها ٤٨ .

٣) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٥ - ٤٧ وصاحب النظرية هو " هرمن كلاتش " .

" ... وهكذا يضع علم الحياة ، الانسان في مركز مماثل لما انعم به عليه كسيد للمخلوقات ،كما تقول الاديان . ومع ذلك فهناك فروق هامة بعض الشيء بالنسبة لنظريتنا العامة ، فمن وجهة النظر البيولوجية لم تخلق الحيوانات الاخرى لخدمة الانسان ، ولكن الانسان تطور بصورة مكنته من التخلص من بعض الانواع المناقسة ، ومن استبعاد انواع أخرى بالاستئناس . ومن تعديل الاحوال الطبيعية والبيولوجية في معظم اجزاء اليابس من الكرة الارضية ،ولم تكن وجهة النظر الدينية صحيحة في تفاصيلها او في كثير مما تضمنته ،ولكن كان لها اساس جيولوجي متين " "١"

ولقد اعترف آرثر كيت وهو من الداروينيين المتعصبين - كما سيتضح ذلك فيما يأتي - " بأنه كان يتوقع ان يكرر الجنين الصفات المميزة لاسلافه من ادنى اشكال الحيوان الى اعلاها ، ولكن بعد دراسة الجنين في كل مراحل تكوينه خابت آمالنا . فالجنين لم يكن قردا في أي من مراحله " "٢"

وهكذا يعترف هكسلي بوجود فروق هامة بين الانسان والحيوان ، ويعترف بان لوجهة النظر الدينية - وهي الخلق المباشر - اساس جيولوجي متين وهكذا يتضح أيضا ان النظرية استغلت في حرب الدين ومخالفة رأيه لان الصراع في تلك السنين كان على اشده بين رجال الدين ، ورجال العلم وقد كان رجال الدين قد اسرفوا من ظلم رجال العلم ، فكان رد الفعل من رجال العلم فلسفة كل كشف علمي أو كل فرضية نظرية الى حرب الدين والهزء بما يتضمنه من عقائد حول الانسان أو الكون او الحياة .

ومن الثغرات التي استغلها اعداء فرضية دارون - وحق لهم ذلك - قضية الحلقة المفقودة بين القرد والانسان .

---

١) معركة التقاليد ج ٦٤ ، ٦٥ .

٢) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ١١

يقول " انتوني ستاندن في كتابه العلم بقرة مقدسة :

" انه لا قرب من الحقيقة ان نقول ان جزءاً كبيراً من السلسلة مفقـود وليس حلقة واحدة ، بل اننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها " "١"

وقد أعلن " اوستن كلارك " انه لا توجد علامة واحدة تحمـــل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره . ان كـــل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة لقد ظهـــر الانسان على الارض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن " "٢"

وتقول مجلة العلوم المصورة : " ان العلم يؤيد قصة آدم وحواء الـى حد ما ، اننا نعترف بحقيقة الاسرة البشرية ذات الاصل الواحد " "٣"

وهذه النقول تقرر امرين مهمين في قضية التطور الانساني - وهـــذا هو مايهمنا في الفرضية

أولهما : ان الانسان لم يتطور عن غيره من المخلوقات قردا كان او غيره وانما خلق خلقا خاصا مباشرا .

ثانيهما : وهو متفرع عن الاول هو انه لا يوجد حلقات مفقودة مادمنا قد انتهينا باعتراف علماء الاحياء والطبيعة - الى ان الانسان لم يتطور عن غيره من المخلوقات . ولكن علماء الاحياء ينقدون على فرضية التطور وجود هذه الحلقة المفقودة بين القرد والانسان لان دارون واتباعهم اعترفوا بها فاذا كان هناك حلقة مفقودة لم يتوصلوا الى معرفتها فهذا نقص في النظرية ومطعن قاتل يسدده اليها معارضوها وقد فعلوا .

---

١) المصدر السابق : ١٤ .(٣٦٢) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين

٢٦١٣) وانظر كتاب الانسان والعلاقات البشرية ص ١٢٨ ، ١٢٩ ففيه يقول ستيوارت تشيس ان [illegible] علماء الاحياء ايد و قصة آدم وحواء .

٣) المرجع نفسه : ٢٣

هذا ماقاله علماء الطبيعة والاحياء والجيولوجيا والفلك عن هــــذه الفرضية وهو كاف لرفضها وسقوطها . ولكن هناك مقلا آخر هو أشد المقاتــل في نظري للقضاء على القُرْمة وآثارها . ذلك هو ما اشار اليه (سير آرثركيت) أحد الداروينيين المتعصبين ، اذ يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الان بدون براهين ،وستظل كذلـك والسبب الوحيد في اننا نؤمن بها هو ان البديل الوحيد الممكن لها هـــو الايمان بالخلق المباشر ، وهذا غير وارد على الاطلاق " [١]

وما اشار اليه البروفيسور واطسون في قوله :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة ، او الاختيار او الاستدلال المنطقي ولكن لان فكرة الخلق المباشر فكرة بعيدة عن التصور " [٢]

وما أشار اليه كل من البروفيسور د . هـ.سكوت والجيولوجي " سيرج . ولـ اوسون في قوليهما :

" ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ،ولا يمكن أن نتخلى عنها ، حتى ولو اصبحت مجرد عمل من عمال الاعتقاد " [٣]

" هذا الاعتقاد هو نوع من الايمان الاعمى الممتزج بالسذاجة والخرافة " [٤]

وهكذا يرفض هؤلاء القول بالخلق الخاص المباشر ويتشبثون بهذه الفرضيـة لمجرد انهم اتخذوا لانفسهم الالحاد مذهبا . فالسير آرثر كيث مع معرفتـه بأن البديل للتطور القول بالخلق الخاص . الا انه لا يؤمن به مع عدم ثبـــوت فرضية التطور ببراهين دامغة .

وواطسون يقرر ان علماء الاحياء يؤمنون بفكرة التطور لان فكرة الخلـــق المباشر فكرة بعيدة عن التصور . وفي اعتقادي ان الفصام النكد كما يسميــه الشهيد سيد قطب - بين رجال الكنيسة ورجال العلم كان من اسباب اصــرار هؤلاء العلماء على آرائهم واعتقادهم في التطور رغم معرفتهم بعدم ثبـــوت

(١ - ٤) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين : ٦ ، ٧ .

هذه الفرضية كحقيقة علمية ، وهكذا أكون قد أتيت على جملة من آراء المعارضين لفرضية التطور من المعاصرين لدارون واللاحقين له ، ومن أتباعه أيضا الداروينيين المحدثين ، فهل يكون في هذه الاعتراضات الصريحة عبرة لببغاوات الشرق الاسلامي الذين بلي بهم المسلمون في هذا العصر ، أم أنهم سيظلون من الناعقين بما لا يعرفون .

سادسا : آثار فرضية التطور :

لقد كان لفرضية التطور آثار كبرى وخطيرة على المجتمع البشري يمكن تقسيمها الى أقسام عدة هي :

١ـ انهيار العقيدة الدينية .
٢ـ نفي فكرة الغاية والقصد من خلق الله للخلق
٣ـ الاعتقاد بحيوانية الانسان .
٤ـ الاعتقاد بمادية الانسان .
٥ـ الاعتقاد بالتطور المطلق
٦ـ آثارها على الفكر والفلسفة والعلم .

أولا : انهيار العقيدة الدينية :

عرفنا فيما سبق أن بذور الالحاد في العالم الغربي قد بدأت بعصر النهضة ، ثم وصل الالحاد الى ذروته بعد الثورة الفرنسية التي اباحت الالحاد باسم حرية الاعتقاد التي كفلت لمن يريد التملص من واجبات المسيحية المحرفة - ولا شك ان حركة نيوتن وتجاربه ونظريته قدمت خدمة كبيرة للملاحدة فقد اتكؤا عليها واستنتجوا منها أنه يمكنهم تفسير أحداث الكون تفسيرا ميكانيكياً دون حاجة الى الاعتراف بالله سبحانه وتعالى رغم ان نيوتن لم يدعي ذلك " "١"

ورغم ذلك فقد ظل الالحاد حتى عام ١٨٥٩م قضية فلسفية محصورة في مجموعات من الطبقة المثقفة ، وظلت المسيحية تحتفظ بالمركز القوي بين أفراد الشعب وفي الجامعات التي كانت في معظمها هيئات دينية خاضعة لنفوذ الكنيسة . أما بعد عام ١٨٥٩م وهو عام نشر فيه داروين كتابه الاول " أصل الانواع " (فقد اصيب العالم بنقص حقيقي في الايمان) "٢" كما ذكر ويلز ، وبسبب هذه الفرضية نشبت معركة تعد من أعظم معارك الفكر في التاريخ بين أنصار الفرضية وأعدائها خاصة من رجال الكنيسة - وربما كانت آخر المعارك بين هذين المعسكرين فيما اعلم - واشتط اصحاب الفرضية واعداؤها ، فأصحاب الفرضية اشتطوا في موقفهم المتمثل في انكار التصور الديني جملة ، واعلان الالحاد الصريح . واشتط رجال الكنيسة باعلانهم كفر وهرطقة كل من لم يؤمن برأيها دون ان تقدم الدليل القوي لرأيها بينما وقف انصار الفرضية أمام الناس وكأنهم يملكون الادلة المادية على صدق فرضيتهم وكان هذا العصر هو

---

(١) انظر الدين في مواجهة العلم (وحيد الدين خان) : ٤٢ فقد نقل النص الاتي عنه " هذا هو اسلوب الله في العمل - فالله يجري مشيئته في الكون بواسطة اسباب وعلل ، وهو خالق الاسباب والمسببات .

(٢) معالم تاريخ الانسانية : ١٣١٦/٤ .

عصر الانسان بالمحسوسات فما لا يقع تحت الحواس لا يصح الايمان به . فلما استطاع رجال العلم سابقا إقناع الناس بنظريتهم عن الكون واسقاط نظرية رجال الكنيسة عن الكون فقد استطاعوا هذه المرة زلزلة العقائد الدينية ونشر الالحاد اذ أن مايوجد في العقيدة المسيحية - المحرفة - عن الانسان هو ان الله خلق آدم وحواء ونهاهما عن الاكل من الشجرة - شجرة معرفة الخير والشر - فأغرتهما الحية فأكلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر وظل البشر يرسفون في اغلال الخطيئة الموروثة حتى ارسل الله الى العالم من زعم النصارى انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فصلب ليخلص البشرية من الخطيئة .

هذه هي محور تعاليم المسيحية المحرفة للانسان ولا شك ان الاديان السماوية ومنها الاسلام تقول بالخلق الخاص المباشر لآدم وحواء ، وارتكابهما الخطيئة ولكن الاسلام لا يحمل وزر احد على احد " ولا تزرو وازرة وزر أخرى "

ولذا " فمن البديهي ان تقضّ هذه النظرية مضاجع رجال الدين الذين رأوا - محقين في ذلك " ان التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التي فسرها داروين معناه أنه لم يكن هناك آدم ولا حواء ولا عدن ولا خطيئة واذا لم يكن ثمة خطيئة فإن الصرح التاريخي للمسيحية وقصة الخطيئة الاولى وهي السبب الداعي الى الكفارة ، التي أسس على اركانها التعليم السارى للعواطف المسيحية والاخلاق المسيحية ، فإن ذلك كله ينهار كبيت من ورق اللعب "(١)"

وما دام الانسان الغربي لا يعرف عن الدين الا أنه هذه المسيحية المحرفة فإنه سيجد نفسه قد اصبح ملحدا . وهنا يظهر مدى تقصير المسلمين في ابلاغ الدعوة الى الامم الاخرى فلو ان المسلمين قد بلغوا الاسلام للشعوب الاخرى لما حدث شيء مما نحن نتحدث عنه الآن .

يقول المؤرخ ويلز في وصف الحالة في عهد دارون :

----

(١) معالم تاريخ الانسانية : ٤ / ١٣١٣ . بتصرف .

" والحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة في المسيحية - فان الامبراطور فردريك الثاني كان على وجه التحقيق احد المتشككين ، وفي القرن الثامن عشر كان جيبون وفولتير ينكران المسيحية صراحا وجهارا ، وأثرت كتاباتهما في عدد من القراء مبعثرين هنا وهناك . على ان هؤلاء كانوا أناساً غير عاديين .. فأما الان فقد اصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككة ، اذ مست هذه الخصومة الجديدة كل انسان قرأ كتاباً أو سمع محاورة بين أذكياء ، وشاجيل من الشباب نظر حوله فوجد المدافعين عن المسيحية في حالة من الشراسة الحادة ، يحاربون من أجل قضيتهم بلا كرامة ، ولا إنصاف ، وكان الذي زج في مأزق الخطر بسبب تقدم العلم الحديث هو اللاهوت التقليدي الفلسفي ، غير أن اللاهوتيين القضاب كانوا يصرحون بأن الخطر انما يحدق بالدين .

وقد يكتشف الناس في النهاية ان الدين سوف يزيد من بريق صقالة عندما يزول منه كل ماهو ملفق به من مبادىء مذهبية ، فأما الشباب فخيل اليهم أنه كان هناك نزاع فعلا بين العلم والدين ، وأن العلم كان المظفر في ذلك النزاع الكبير في فكرات الناس وطرائقهم في طبقات الموسرين وذوي النفوذ في كل أرجاء العالم الغربي الصيفة ، أثرا هداما بالغا في الواقع ، ولم يأت العلم البيولوجي الجديد حتى ذلك الحين بشيء انشائي يحل محل الاشياء القديمة التي طرحت جانباً ، وتلا ذلك انحلال خلقي حقيقي " [١]

ومن المرجح أن هذه الفرضية لو لم توجد في مثل الظروف التي كانت تعيشها أوربا من تقديس العقل والنزعة الانسانية ، ومعارضة الدين ومخاصمته متمثلا في النصرانية بالاضافة الى جهلهم بالدين الاسلامي الناشيء عن تقصير المسلمين في ابلاغه مع سيادة المذهب التجريبي والايمان بالحواس او بما يقع تحت الحواس .٢- ولو لم يستغلها المفسدون في الارض ، وتركت ليحكم لهــا

---

(١) المصدر : سابق ١٣١٥/٤

أو عليها العلماء في هذا الشأن كما حصل أخيراً . أقول لو لم يحصل شيء من ذلك لما كان لها هذا المقام كله بين جمهرة من علماء الطبيعة والاحياء والجولوجيا وغيرهم ممن اتخذوا الالحاد مذهباً لهم واعتقاداً ووجدوا في هذه الفرضية مجالاً ومنفذاً للتخلص من فكرة " الايمان بالله " مع علمهم بعدم ثبوت هذه الفرضية كحقيقة علمية - كما سبق ان أوضحت سابقا من خلال ماكتبوه - او لما كان لها هذه الايحاءات الفكرية والفلسفية التي شملت كل فروع المعرفة بهذه السرعة . بيد آن الذى جعل لفرضية داروين هذا المقام هو تضافر عاملين أشرت اليهما اعلاه .

ولقد اعترف اليهود [illegible] لهذه الفرضية " لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا آن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الامي (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد . . " "١"

ويمكن للباحث آن يتأكد من صحة الدعوى عندما يعلم السرعة المذهلة التي أثرت فيها فرضية التطور على كافة مجالات الفكر والفلسفة والعلوم ، وعندما يعلم أن رؤوسا من اليهود - أمثال فرويد ، ودوركايم ، وماركس - " قد قاموا بصياغة الفكر الاوربي كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع على أساس معاد للدين ، بل محطم لكل مفاهيمه " "٢"

وهناك أسباب أخرى غير هذين السببين لا تقل أهمية عنهما توضح لنا دور اليهود في نشر هذه الفرضية منها :

١) الاهمال الكامل للنظريات التطورية اللاهوتية وغيرها مما فيها الاعتراف بخلق الله للانسان ، والاعتراف بوجود غاية للخلق عامة - خلق الانسان وغيره - وكدليل على ذلك فإن ولاس وهو من القائلين

---

١) الخطر اليهودى " البروتوكولات " : البروتوكول الرابع عشر ١٠٦ ، ١٠٧

٢) التطور والثبات في حياة البشرية : ٣٤ بتصرف طفيف .

بالتطور لا يكاد يعرف عند غير المختصين والسبب في ذلك أنه قال بأن وراء التطور قوة مدبرة ، قال في كتابه عالم الحياة :

" إن كثرة التراكيب في الاجسام الحية تستلزم وجود قوة خالقة ، وثانيا وجود عقل مدبر وثالثا وجود غاية لاجلها خلقت الاحياء ، وهي أن تصل في إرتقائها الى الانسان الذى هو غاية كل اعمال النشوء في الكون " "١"

٢ - الطريقة التي استقبلت بها [المرضية] والتي اشيعت بها ، مما جعل الناس يتلقونها لا بوصفها فرضية بل بوصفها حقيقة لا تقبل النقاش ، [وهذا ما جعلها تحل المحل] محل المسيحية كما مر بنا في فقرة " خامسا "

٣ - ما اضفى على داروين من التمجيد : اذ حاز داروين على شهرة لم يظفر بها احد من خدم البشرية بابحاثه امثال " باستور او باستير" وأديسون "٢" وغيرهم ممن اكتشف او اخترع أمورا نافعة للبشرية . وقد شبهه بعض مؤرخي الفكر الغربي بالمسيح فقال : " كان له مثل طبع المسيح " وشبهه آرنست هيكل " بأنه اطلس يحمل عالم الفكر على منكبيه " ولقبه جورج حنا " بقاهر الطبيعة " "٣"

---

(١) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٤ .

(٢) باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥) اول من اكتشف ماتؤديه الجراثيم من دور في نقل الامراض ، واول من اكتشف علاجا لداء الكلب ، " دائرة معارف الشباب " ١٦٥ ، ١٦٦ . واديسون (١٨٤٧ - ١٩٣١) مخترع المصباح الكهربائي وسكة الحديد الكهربائية ، والهاتف (دائرة معارف الناشئين : ١٥) .

(٣) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ٤٣ .

وهذه أدلة واضحة ليس فيها على أن المعركة التي نشبت بين الكنيسة ودارون لم تكن طبيعية ، بل كانت مستقلة من قبل عنصر آخر استفاد من هذه المعركة هم المفسدون في الارض وكان هدفهم الاجهاز على كل القيم والمعتقدات الدينية المتعلقة بالانسان وهذا غاية ماتهدف اليه مخططاتهم .

وقد كانت النتيجة المترتبة على انتصار الدارونية على المسيحية المحرفة ان عمت موجة الالحاد مجتمعات الغرب ، ثم انتقلت منها الى بقية انحاء العالم ومنه العالم الاسلامي للاسف ، وقد تمثلت هذه الموجة الالحادية في سيطرة الافكار المادية على عقول الطبقات المثقفة ،والتخلي عن الايمان بالله وطغيان الفوضى العقائدية على العالم الغربي - ففي كل يوم عقيدة جديدة ومبدأ جديد - ينتشر في المجتمع - .

وبعد أن كانت أوربا تعبد المسيح قبل نظرية دارون اصبحت تعبد الشيطان ،فطائفة تعبده عن طريق عبادة الطبيعة فقد قال دارون : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " "١" وهذا لايعني أن أوربا لم تكن تعبد الطبيعة سابقا فقد بدأ تقديس الطبيعة منذ القرن الثامن عشر ، ولكن دارون اصبح زعيما جديدا لهذه العبادة .

وعبدته طائفة أخرى عن طريق عبادة الانسان ، وهي الفكرة التي نادى بها الفيلسوف الالماني نيتيشه فقد " نادى بفكرة الانسان الاعلى " " suporman "و " موت الاله " "٢"

ولذا وجد اليهود فيه بغيتهم فأشادوا به في " البروتوكولات " (٣) كما

---

١) التطور والثبات في حياة البشرية : ٤٠ هامش .

٢) نفس المصدر : ٥٧ هامش . و(٣) الخطر اليهودي : ١٢٣-١٢٤ ؛ البروتوكول الثاني .

دعا الى هذه العبادة في هذا القرن ـ الداروني الملحد جوليان هكسلي مؤلف كتاب " الانسان في العالم الحديث " الذى قال في هذا الكتاب :

" إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان خرافة خلقها الانسان لنفســـه لتؤنسه حين احس بالوحشة في هذا الكون ، وأنه قد آن الأوان لنبذ هـــذه الخرافة ، ولان يضع الانسان نفسه مكان الله " "١"

وعبدته طائفة عن طريق عبادة المادة ووسائل الانتاج وكان زعيم هــذه الطائفة يهودى هو " ماركس " .

وعبدته طائفة عن طريق عبادة " الجنس " وكان اليهودى سجيموند فرويد هو زعيم هذه الطائفة "٢"

وكل هذه الانواع استمدت الفرضية ، ولقد كان للفرضية التطــور آثارا على دارون نفسه في تذبذبه بين الالحاد واللاإ درية ، وهي الحـــاد في نهاية الأمر . "٣"

كما كان لها آثار على عقائد معتنقي هذه النظرية سواء كانوا أوربييـــن أو شرقيين مسلمين للاسف . "٤"

وبذا يتضح ان نظرية التطور اسهمت اسهاما فعالا في هدم العقائــد الدينية ـ وان كانت محرفة ـ .

---

١) معركة التقاليد : ٦٢ ، ٢م انظر كتاب "التطور والثبات": ٢٩-٥١، ودراسات في النفس الإنسانية: ٢٥٧-٢٦١
ومعركة التقاليد: ٢٣-٣١ لبيان ذلك.

٣) انظر اقوال دارون المتناقضة حول مايعتقده في كتاب نظريـــة " دارون بين مؤيديها ومعارضيها : ١٤٣ - ١٤٥ " .

٤) أنظر أقوال المعتنقين لهذه النظرية وفيهم كتاب شرقيون من أمثال اسماعيـــل مظهر مترجم كتاب أصل الانواع وشبلي شميل في نفس الكتاب x ١٤٥ - ١٤٧ ولولا خشية الاطالة لنقلت هذه الاقوال .

ثانيا : نفي فكرة الغاية والقصد من خلق العالم - الصادفة - :

ما اتفقت عليه الاديان وتطابقت على الايمان به العقول والنظر غير الملوثة ان للوجود عامة، ولوجود الانسان على ظهر هذه الارض - خاصة - غاية ارادها خالق الكون واقتضتها حكمته . قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " . (الذاريات : ٥٦ - ٥٨) .

وهذه الحقيقة - الايمان بوجود غاية من الخلق - آمنت بها الاجيال المتعاقبة من البشر ولم يكن ايمانها بهذه الحقيقة منبثقا عن الايمان بالخلق المستقل للمخلوقات فقط كما يظن التطوريون بل لان كلتا الفكرتين الايمان بالخلق الخاص المستقل ، والايمان بوجود غاية من الخلق - مركوزتان فى الفطرة البشرية . قال تعالى : " أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا " مريم : ٦٧ .
فالاية تقرر أن الانسان خلق خلقاً مباشراً مستقلاً . وقال تعالى : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (الروم : ٣٠) . فتبين من هذه الاية ان الدين هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها "[1] .

لذا فنحن نجد ان الرسالات السماوية لم تأت لاثبات هذه الغاية ، بل للتذكير بها ، وبيان حقيقتها وتجلية ما ران عليها من الاباطيل ، كما يلاحظ الباحث ان الفلاسفة كانوا يركزون جهودهم على الحديث عن العلل الغائية للاشياء ومن ثم يبنون عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والانسان والحياة ولم يكونوا يبالون بالعلل الصورية فالفلاسفة اذا يجهدون انفسهم فى البحث عن الغاية من خلق الانسان ووظيفته فى هذا الكون ولا يهتمون بالبحث عن كيفية الخلق والعلل المباشرة لذلك "[2] .

وحين ظهرت فرضية دارون فى التطور العضوى " الذاتى " التى نادت بان الانسان كان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة حتى وصل الى ما هو عليه ، لم يعد مايدعو الى التفكير فى الغاية من خلق الانسان فى نظر القائلين بها

---

(١) انظر فى ايضاح معنى هذه الاية تفسير ابن كثير : ٦/٣٢٠ - ٣٢٣ . فقد اوضح بالادلة ان فطرة الانسان مجبولة على العبادة لله ولكن الشياطين اجتالت بعض بنى ادم عن ذلك .

(٢) العلة الصورية هى التى يجب عن وجودها وجود المعلول لها بالفعل كالشكل والتاليف للسرير . والعلة الغائية هى التى يكون وجود الشىء لاجلها كالجلوس على السرير فهى الغاية التى من اجلها وجد . انظر المعجم الفلسفى : ٩٦ . وانظر كتاب ((معيار العلم)) : ٢٥٨ .

إن فرضية داروين تنسب عملية التطور الى العوامل الطبيعية المحتة ، واذا كان الامر كذلك فمن العبث البحث عن الغاية من الخلق عموماً والغايـة من خلق الانسان خصوصا . ولذا قال الداروني الملحد - جوليان هكسلي - مايلي :

" .. وبظهور نظرية داروين بدأ الخطار يتأرجح عكسياً ، واعتبـر الانسان حيواناً مرة أخرى .. ووصل الخط رشيئاً فشيئاً الى اقصى مدى تأرجحه ، وظهر مابدا أنه النتائج المنطقية لفروض " داروين " : فالانسان حيوان كغيره (من الحيوانات) ولذلك فإن اراءه في معنى الحياة الانسانية والمثل العليـا لا تستحق تقديراً أكثر من آراء الدودة الشريطية أو بكتيريا الباشلي والبقاء هـو المقياس الوحيد للنجاح التطوري . ولذلك فكل الكائنات الحية الموجودة متساوية القيمة وليست فكرة التقدم الا فكرة انسانية . ومن المسلم به ان الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفار " "١"

وكان ظهور هذه الفرضية في العصر الذى ازدهرت فيه النظرية الميكانيكية عن الكون وعدت أحد العوامل التي شجعت على قبولها اذ ان فرضية داروين ترجع حوادث الكون كلها الى قوانين الطبيعة وهذا هو لب النظرية الميكانيكية عـن الكون .

جاء في كتاب " عرض تاريخي للعلم والفلسفة " في معرض بيان اثر الداروينية على نفي فكرة الغاية والقصد مايلي :

" من الوجهة الفلسفية تنحصر أهمية مذهب داروين في أنه يساعد علـى النزعات الطبيعية والوضعية التي ظهرت في ذلك العصر ، فإن فكرة تنازع البقـاء وبقاء الاصلح بدا أنها تقضي على الحاجة الى الاراء عن الغاية والنظام الحكيم ، لتفسير الظواهر البيولوجية . فقد بدا انها تقدم تفسيراً ميكانيكياً محضاً في ناحية تعتبر الحصن الحصين للفلاسفة المثاليين " "٢"

---

١) معركة التقاليد : ٦٣ .
٢) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ١٤٧ .

وجاء في دائرة معارف افريمان (٣ / ٦٨١) مايلي :

" أما في ميدان التفكير الفلسفي ، فالذي يبدو أن الداروينيـــــة تتعارض مع أي إدراك غائي ، كما تتعارض مع النظرية القائلة بأن الله تدخل في خلق الكون على أساس خطة مترابطة ، وبدلا من ذلك تقدم الداروينية فكـرة ميكانيكية " "١"

وقد ترتب على ذلك أن أهملت العلوم الغربية فكرة الغائية بدعوى انها لا تدخل في نطاق عمل الباحث العلمي المتحرر ولا تهمه ، ونتيجة لذلك تحررت علوم الفلك والاحياء والجيولوجيا والطبيعة والطب وغيرها من أنواع العلوم من أي تأثير ديني ، واستبدل من يسمون بالعلماء - من الملاحدة - بهذه الفكرة فكرة أثبت العلم في هذا القرن هزالها وبعدها عن الحق وهي فكرة "المصادفة" اذ بعد أن ابطل " لوي باستور " - خرافة التولد الذاتي بابحاثه التجريبية "٢" لم يجد دعاة الالحاد الهاربون من الدين - المحرف - مايسترون به فشلهـــم وعوار مذهبهم في التولد الا القول بالصدفة .

ويدهش المرء حين يرى كثيرا ممن يدعون بالعلماء يعتقدون بأن هـذا الكون بما فيه من دقة متناهية مذهلة وجد صدفة .

" شجع مذهب دارون في التطور على قيام النزعات الطبيعية والوضعيـــة في القرن الماضي ، وأغنى الباحثين عن فكرة الغائية والنظام المعقول في تفسيـر الظواهر البيولوجية وقدم للعلماء تفسيرا آلياً ميكانيكياً للوجود " "٣"

ويعرف برنارد شو الانتخاب الطبيعي : بأنه " كشف طريقة يمكن ان تكون كل مظاهر التدبير الفكري من عمل الصدفة المحضة " "٤"

---

١) نفس المصدر : ١٤٧ ، ١٤٨ . وانظر ماقاله الفيلسوف برتراند رسل في هذه الفلضية بأنها ميكانيكية لا تعترف بالخالق فيما كتبه في أثر العلم في المجتمع : ١٢، ١٣

٢) [illegible]

٣) انظر بيان ذلك في كتاب مواقف حاسمة في تاريخ العلم : ٣٢٦ - ٣٦١

٤) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها : ١٦٢ .

ولكن الله كشف عوار هذه النظرية " الصدفة " على ايدى الغربيين أنفسهم من علماء آخرين " نصارى " يقول ادوارد هارشان عن الصدفة :

" ان وجود هذا الرأى عند الداروينيين هو من المسلمات التي لا يقوم عليها دليل ومن الاوهام التي لا اساس لها " "١"

ويقول " هنرى فيرفيلد اسبرن " عن الصدفة :

" إن آراء دارون كلها وجيهة ، ولا تزال في مكانها مهما كتب ضدها رغم كل ماكتب ضدها ، ولم يضعف منها الا ماقال عن وراثة التنوعات الجسدية أو الصفات المكتسبة ، وعن فعل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء وبقاء الاصلح ، وهذا الامر الاخير أهمها ، ويكاد يثبت الآن ، إنه لا يحدث شيء بالصدفة والاتفاق : بل لكل شيء ناموس يجرى عليه ، ولو كنا لا نعلمه ، ولما ذكر دارون الصدفة ، قال إنه عني بها مالا يعلم سببه اى أنها مرادف للجهل "٢"

ويصدق على القائلين بالصدفة قول الله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار " سورة (ص) : ٢٧ .

هذا ماحصل من نتائج على المستوى النظرى أما على مستوى الواقع المعاشي للاوربيين فقد تزعزعت قيم الحياة لدى كافة الناس ، واستبد بهم شعور بالقنوط واليأس والضياع ووجدت في إوربا اجيال حائرة لا تطمح الى غاية ولا تعرف لحياتها هدفا ، وهذه نتيجة منطقية لعقيدة تولد الانسان من الحيوان ، ولعقيدة أن الخلق كان صدفة وليس للخلق هدف ولا للحياة غاية . وأصيب المثقفون بالخواء الروحي الذى سيطر عليهم وفي هذا المناخ ـ الذى استغلته

---

١) المصدر السابق : ١٦٣ وانظر قول لويز بورد و وفون بابر في نفس الصفحة فقد نفي وجود شيء بالصدفة .

٢) نفس المصدر : ١٦٣ ، ١٦٤ .

اليهود - جاء فرويد بنظرية التحليل النفسي وهنري برجسون بالروحية ، وسارتر - المقدس عند منحرفي وملاحدة الغرب - بالوجودية وكلهم من اليهود ، واشيع عن برجسون انه اعتنق المسيحية "١"

ثالثا : حيوانية الانسان ومادية :

حينما خرج كوبرنيق بنظريته الفلكية القائلة بأن الارض ليست مركز الكون - التي كان يعتقد بها المسيحيون - صدم الاوربيون في كرامتهم ، ومركزهم في الوجود أو هكذا خيل اليهم ، وتصور البعض أن الايمان بهذه النظرية يعد اهانة واضحة للانسان ، ثم جاء داروين بالمصيبة الكبرى ، فأدعى حيوانية الانسان فوجه بذلك أعنف لطمة للانسان في تاريخه ، وقلب المشاعر الانسانية رأسا على عقب وزلزل المعتقدات يقول الاستاذ محمد قطب في آثارها مايلي :

" أولى نتائجها زلزلة الايمان بالله والعقيدة " :

وثانية نتائجها زلزلة الايمان بالانسانية والانسان ورفعته وسموه ، وروحانيته .

وثالثة نتائجها زلزلة الايمان "بثبات " أي نظام من النظم أوقيمة من القيم أو فكرة من الافكار .

ورابعة وخامسة وسادسة .. زلزلة كل شيء كان راكزاً من قبل وتحطيم كل بنيان راسخ الاساس) "٢"

ويحصر في موضع آخر التصورات التي نشأت عن هذه القطيعة في :

" ١ - حيوانية الانسان ومادية .

٢ - والتطور الدائم الذى يلغي فكرة الثبات .

---

١) مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة (كلية الشريعة بمكة) فقد ذكر المؤلف الشيخ الميداني ان برجسون وسارتر كانا يهود يين ص ٥٩-٦٨ وانظر بالنسبة لفرويد كتاب (التراث الصهيوني والفكر الفرويدي) .

٢) معركة التقاليد : ١٨٤-١٨٧

٣ - وحتمية التطور الذى لا يدفيه للانسان ، ولا رأى ولا اختيار" [١]
وأصبح الحال كما وصفها جوليان هكسلي .

" ... وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتباره نفسه حيوانا " [٢]

والواقع ان ايحاءات هذه النظرية كانت صدمة عنيفة للبشر .

ومن بعد دارون جاء اناس تلقفوا النظرية ووجهوها لخدمة أهداف معينة خفية . وكان المتلقلون لها هم اليهود - باعترافهم كما مر بنا - ولذا فلم يكن غريبا ان يعترف الداروينيون" [٣] المحدثون - رضوا أم أبوا - بحقيقة تفرد الانسان عن كل المخلوقات بينما بقي مجموعة من المغرضين مصرين على مايعتقدون من افكار تنظر الى الانسان على انه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان - الاكل - والشرب - والجنس - وتدرسه كما تدرس الحيوان ومن هنا كان مذهب ماركس الذى يحدد مطالب الانسان بالبحث عن الطعام ، ومذهب فرويد واتباعه الذى يحدد مطالب الانسان في الجنس والاشباع الجنسي .

هذا عن الايحاء الاول للنظرية اما الايحاء الثاني للنظرية ، وهو القول بـ" مادية الانسان " ، " بمعنى حصره في نطاق حواسه ومحيطه المادى فقد كانت على رأى هكسلي - تبدو نتيجة منطقية لنظرية دارون عن حيوانية الانسان ، فالحيوان محدود بنطاق حواسه ، ومن ثم كان الانسان - الذى هو حيوان - محدودا كذلك بالمحيط المادى وبما تدركه الحواس" [٤]

---

١) معركة التقاليد : ٦١ .

٢) التطور والثبات : ٣٨

٣) انظر كتاب معركة التقاليد : ٦٤ - ٦٨ . حيث نقل الاستاذ محمد قطب مقتطفات من اقوال جوليان هكسلي الدارويني الحديث ، وقد لخص تفرد الانسان في خصائص نفسية واجتماعية ثلاث اضافة الى تفرده في الجسم .

٤) نفس المصدر ٧٦ ، ٧٧

ولقد كان تطور الانسان في نظر دارون واتباعه مظهرا لخضوعه للبيئة الطبيعية اى لعوامل خارجية محتمة عليه ، ولم يكن متوقعا ان يقول الداروينون في ظروف اوربا السائدة في ذلك الوقت ان الله هو الذى خلق الانسان ، اذ أن ذلك سيفقدها الصيغة التي امتازت بها وهي ـ النظرة الميكانيكية ـ في الخلق ، بل ان هذا يستدعي منها الاعتراف بان للانسان روحا ، وان لوجوده غاية كما يقول رجال الكنيسة ، وهم في صراع مع الكنيسة وآلة الكنيسة . فلا مفر من القول بان العوامل الطبيعية وحدها هي صانعة التطور وهي التي تفرضه على الانسان .

ولقد ظهر بعد ذلك أثر هذين الايحاءين واضحا لا ليس عليه في الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تناولت موضوع الانسان فردا أو جماعة .

ولعل من أبرز هذه الافكار الاجتماعية والنفسية ـ النظرية الشيوعية ـ ونظرية العقل الجمعي ونظرية التحليل النفسي ، فاليهودى كارل ماركس استمد من حيوانية الانسان ماظهر واضحا في البيان الشيوعي اذ حدد فيه مطالب الانسان الرئيسية في " الغذاء والمسكن والجنس " .

واستمد من ماديته التي اوحت به ـ حتمية التطور ـ التفسير المادى للتاريخ والجبرية الاقتصادية .

يقول الاستاذ محمد قطب بيانا لذلك :

" يقول التفسير المادى للتاريخ ،

أولا : ان تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام .

وثانيا : ان القوى المادية او القوى الاقتصادية هي التي تكيف الحياة البشرية وتصطبغها طابعها ، وتنشيء افكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور .

فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة

المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتي لا علاقة لها بارادته الذاتية فإن صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير ويتغير كل شيء في المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً ضمنياً ، لا يملك السيطرة عليه احد لانه ليس من صنع البشر ، وانما هو من صنع الهيئة المادية أو القوى الاقتصادية " "١"

وأما دوركايم وهو يهودي أيضا "٢" فقد جمع في نظريته في العقل الجمعي بين حيوانية الانسان وماديته وتتلخص نظريته في أن الانسان خاضع بحكم حيوانيته لجبرية اجتماعية أو قهر اجتماعي ، يقول دوركايم في ذلك :

" .. ويجب على الباحث ، من جهة أخرى ، الا يعجب من ان الظواهر الطبيعية تشبه الظواهر الاجتماعية من جهة انها تحتوي باعتبار آخر على نفس الخاصة التي استخدمناها في تعريف الظواهر الاخيرة وذلك لان هذا التشابه يرجع الى هذا السبب اليسير ، وهو ان هذه الظواهر اشياء حقيقية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية ، فان لكل شيء حقيقي طبيعة خاصة تفرض نفسها وتجبر المرء على ان يحسب لها حسابها ،ولا يستطيع قهرها ابدا تمام القهر، حتى لو تمكن من محو الآثار التي ترتبت عليها ، وهذه هي في الحقيقة أهم العناصر الاساسية التي ينطوي عليها معنى القهر الاجتماعي ، ذلك لان هذا القهر لا يتضمن شيئا آخر غير المعنى الاتي وهو : ان ضروب السلوك والتفكير الاجتماعيين اشياء حقيقية توجد خارج ضمائر الافراد الذين يجبرون على الخضوع لها في كل لحظة من لحظات حياتهم . فهذه الضروب اشياء ذات وجود قائم بنفسه ، ويجدها الفرد تامة التكوين منذ ولادته ، وهو لا يستطيع القضاء عليها او تغيير طبيعتها ولذا يجبر على ان يحسب لها حسابها ، وانه لمن العسير كل العسر (ولا نقول من المستحيل) أن يغير أشكالها وذلك لانها تساهم الى حد ما في خلق كل النفوذ المادي والادبي الذي يباشره

---

١) معركة التقاليد : ٢٣ ، ٢٤ .
٢) انظر ماكتبه الاستاذ محمد قطب تحت عنوان اليهود الثلاثة في كتاب التطور والثبات .

المجتمع على افراده " ١ "

وأما مذهب التحليل النفسي أو نظرية التحليل النفسي وصاحبهـــا " فرويد " الذى استمد من حيوانية الانسان نظريته في تفسير سلوك الانسان من الولادة الى الوفاة تفسيراً حيوانياً قذراً ، اذ يرى ان الدافع الجنسي هو الدافع الوحيد للانسان ، فالمولود يرضع ثدى امه بدافع جنسي ويتبـرز بنفس الدافع ، ويستمر في تعامله مع الآخرين مسوقاً بهذا الدافع دون غيره ، والدين والاخلاق العليا في نظر فرويد تابعة من هذا الدافع فالانسان عنـده ليس حيوانا فقط بل هو حيوان جنسي ، وراء كل حركة من حركاته شهوة جنسيـة ظاهرة أو خفية " ٢ "

واستمد فرويد من القول بمادية (الانسان) القول بالجبرية النفسية يقول الاستاذ محمد قطب :

" ... كما نشأ من ايحاءات فرويد لون من الاعتقاد بالجبرية ، ولكنها ليست الجبرية الدينية التي كانوا يعيبونها على الشرق المتأخر ، والتي تؤمـن بان الانسان ليس حرا في تصرفاته لان الله هو المسيطر ، بل هي جبرية نفسية، يؤمن أصحابها بان الانسان مسير لان غريزته هي المسيطرة عليه " ، وهي التي توجه السلوك دون أن تدع للفرد مجالا للاختيار .

ومن الايمان بهذه الجبرية حدثت تطورات عنيفة في المجتمع الغربـي ، فحطمت تقاليده واخلاقه ، واثرت في قوانينه كذلك ، فقد اطلق العنان للفرد - في المسألة الجنسية - يصنع مايشاء بلا حظر ولا عقاب ، لانه مسكين معذور .. ومجبر على مايفعل ، وليس امامنا اذاً (منصفا) الا نتيجة واحدة هي الكبت المدمـــر للاعصاب " ٣ "

----

١) قواعد المنهج في علم الاجتماع : ٤٢ - ٤٣ .

٢) الموجز في التحليل النفسي : ٢٢ - ٢٤

٣) الانسان بين المادية والاسلام : ٥١ .

رابعا : القول بالتطور المطلق :

" كان الثبات هو الطابع المسيطر على الحياة كلها في الغرب في العصور الوسطى ، وكان العالم الاسلامي قد أخذ دوره من النشاط الحي المتحرك الخلاب ثم أخذ يركن الى الهدوء والى الركود التدريجي البطيء".

وكان مفهوم الثبات في أوربا مستمدا من الدين ،كما هو مستمد من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الثابت الاركان " "١"

وبعد أن اتصلت أوربا بالعالم الاسلامي عن طريق المعابر التي انتقلت بها العلوم والمعارف من المسلمين الى أوربا ، وهي الاندلس ، وصقلية ، وكذلك الحروب الصليبية بدأت أوربا تتحرك " واخذت الحركة تصطدم بمفهوم الثبات وقد كان هذا المفهوم بعيد الغور في التربة الاوربية . . " "٢"

وكانت أول هزة لهذا المفهوم المطلق " الثبات " على يد " كوبرنيكس " ، " وجاليليو " ولم يقصدا احداث هذه الهزة ، فدوران الارض الذى نادى به " كوبرنيكس " يتلخص في أن الشمس لا الارض وهي مركز الكون الذى تدور حوله الكواكب وانها تدور حول الشمس ثم ازداد الايمان بفكرة كوبرنيكس ، وضعف الايمان بفكرة الكنيسة بعد التقدم في الكشوف والابحاث الذى بدأ بعصر النهضة .

ثم ظهرت فكرة التطور لدى بعض الباحثين فظهرت نظرية التطور العقلي والديني " من الخرافة الى الدين الى العلم الوصفي " وصاحبها " وصيف كونت ، ثم ظهرت نظرية عويز التي قال فيها بان المجتمع البشرى تطور من الوحشية الغابية الى الحالة الاجتماعية .

ثم جاء رسو الذى قال بتطور المجتمع من الحالة الطبيعية الى الحالة الفوضوية وهذا يستوجب وجود عقد اجتماعي " بين الافراد .

---

١) التطور والثبات في حياة البشرية ١١.

٢) نفس المصدر : ١٥

بيد أن هذه النظريات لم تكن قوية ولا عامة بحيث يكون لها اثر في زلزلة فكرة الثبات ، لكن لا شك ان لها اثرا في التمهيد لذلك .

ثم جاء القرن التاسع عشر فحدث تحول عام في حياة الاوربيين بسبب ما احدثه الانقلاب الصناعي ـ الذى بدأ من منتصف القرن الثامن عشر ـ من نقل الناس من البيئة الزراعية الى البيئة الصناعية وكان لهذا أثره العظيم في أخلاق الناس وتقاليدهم وأوضاعهم بشكل عام ،وهذا تطور اقتصادى واجتماعي يوازى التطور العلمي .

في ظل هذه الاحوال المضطربة المتغيرة المتطورة خرج داروين بنظريته في التطور العضوى للكائنات الحية ـ الذى اودعه في كتابه اصل الانسان وأصل الانواع الذى قال عنه " وست " .

" لقد كان تأثير هذا الكتاب عظيما ولا شك ،فمن طريق وضع مبدأ جديد للدراسة وهو مبدأ ديناميكي وليس مبدأ استقراريا واستاتيكيا امكنه ،أن يحدث ثورة في كل فروع المعرفة من علم الفلك الى التاريخ ، ومن علم الحفريات الى علم النفس ،ومن علم الاجنة الى علم الدين " "١"

ومن ثم حدثت الزلزلة في كل شيء على يد داروين في كتابه ،فانتقلت اوربا من الايمان بالثبات المطلق الى الاعتقاد في التطور المطلق .

ولم يقل داروين صراحة انه لا يوجد شيء ثابت على الاطلاق وان الحياة البشرية تمضي في حلقات مختلفة كل حلقة تختلف عن التي تسبقها اختلافا جذريا ، بيد أن النظرية توحي بذلك .

" اذا كانت الحياة تتطور ـ من الخلية الواحدة الى الانسان الشديد التعقيد ، واذا كان الانسان ذاته قد تطور من حيوان سابق الى حيوان يشبه الانسان ، الى انسان يشبه الحيوان . . الى انسان . . فماذا يمكن أن يكون ثابتا على وجه الارض على الاطلاق ؟ " "٢"

---

١) تراث الانسانية : ١٢٧/٩ .

٢) التطور والثبات : ٢٠

لقد ارتكزت نظرية داروين على عنصرين هما " الحتمية ، والاضطراب "
اي حتمية التطور اذ كل مرحلة من مراحل التطور - في نشوء - تلت المرحلة
السابقة بطريقة حتمية بمعنى ان العوامل الخارجية - كما مر سابقا - هي
المحددة لنوعية هذه المرحلة .

وأما الاضطراب فهو من خط سير التطور فالتطور في كل مراحله مضطرب
ليس له غاية او هدف لان الطبيعة هي الموجدة للتطور وللخلق والطبيعة
غير واعية ولا عاقلة فهي تخبط خبط عشواء .

وهكذا عن طريق هذين العنصرين اوحت نظرية داروين بالتطور الحتمي
المطلق الذى لاغاية ولا حدود له . وهكذا فالايمان بالحتمية يجمل الايمان
بثبات أى شيء وان كان الدين رجعية وتخلفاً وجموداً ، ويستدعي معركة خاسرة
مع الطبيعة التي لا تقهر ، والاضطراب في خط سير التطور يلغي كل ماتعارف
عليه الناس من معايير وضعوها للحكم على الاشياء والاحداث .

وهكذا آمنت أوربا بالتطور المطلق ، وتأثرت بذلك المذاهب النفسية
والاجتماعية والاقتصادية خاصة التي كان زعماؤها من اليهود - فرويد ، دوركايم ،
ماركس " فأما فرويد فيرى حسب تفسيره الدنس للدين ان اصل الدين ،
او العبادة هو الشعور بالندم " الذى استولى على ابناء الاسرة البشرية البدائية
الاولى حين قتلوا اباهم لانه كان يحول بينهم وبين اللقاء الجنسي باسهم فابتدأ
الدين في أول صوره عبادة للاب . ثم تحول الامر الى عبادة الطوطم لانه
من النفس البشرية هكذا يرتبط الاب برمز الحيوان (لماذا) وفي الوقت
ذاته وجد الابناء انهم سيتقاتلون بينهم للحصول على الام . وهذا امر لا يجوز (
(لماذا) فقرروا تحريمها على أنفسهم فنشأ بذلك أول تحريم (جنسي) وانصب
على الام ، كما قرروا التعاون فيما بينهم بدل الخصام والعراك (لماذا)
فنشأت القيم " ٢ "

---

١) التطور والثبات : ٤٨ بتصرف طفيف .

وأما دوركايم فله نظرة أخرى في الاجتماع يلخصها الاستاذ محمد قطب فيقول : " ... ثم يجي علم الاجتماع على يدي دوركايم فيقول ان الدين والزواج والاسرة ليست فطرة لدى الانسان، إنما هي من عمل " العقل الجمعي " وهو شيء (ماهو ؟) دائم التطور والتغيير والتشكل، لان المجتمعات لا تثبت على حال واحد ، ومن ثم فكل مجتمع يضع دينه (ولا دينه) ونظم زواجه (أو لا زواجه) ونظم اسرته (أولا اسرته) فاذا قال العقل الجمعي في طور من اطواره : ليكن دين .. فليكن دين ؟ واذا قال : ليكن زواج .. فليكن زواج . واذا قال : لتكن اسرة .. فلتكن اسرة .. اما اذا قال - حسب هواه ، أو حسب " حتمية الظواهر الاجتماعية " التي لا تنشأ من ضمير الفرد ولا فطرته ، ولا علاقة لها بمشاعره الفردية ، ولا برضاه أو عدم رضاه عنها!- اذا قال ليكن لا دين . وليكن لا زواج . وليكن لا اسرة : فسرعان مايرضخ الافراد " لقهر الظاهرة الاجتماعية " فينسلخون من دينهم واخلاقهم ويتبرأون منها ويحلون روابط الزواج والاسرة ، ويصيحون أي شي يريده العقل الجمعي .. "[١]

والاخلاق بدورها مرت بمراحل تطور الدين نفسها لانها جزء من الدين ويرى أحد فلاسفة هذا القرن الملحدين وهو برتراند رسل : " ان الاخلاق مرت بثلاث مراحل تطورية هي :

أولا : اخلاق " التابو " المحرم .

ثانيا : ثم اخلاق الطاعة الالهية .

ثالثا : اخلاق المجتمع العلمي "[٢]

ويقول " وليم جيمس " عن أثر نظرية دارون على الاخلاق :

" .. دعنا نوضح هذا بذكر بعض الامثلة ان فلسفة النشوء والارتقاء قد ألقت المعايير الاخلاقية التي سبقتها كلها لانها رأتها معايير ذاتية شخصية وقدمت لنا معياراً آخر نتعرف به الخير من الشر وهو ان المعايير السابقة معايير

---

١) نفس المصدر : ٧٩ ، ٨٠ .

٢) المجتمع البشري : ، ١٩ / .

نسبية فهي مدعاة للقلق والاضطراب وأما هذا المعيار الذى ارتضوه وهو ان الحسن ماقدر له ان يظهر ويبقى فهو معيار موضوعي محدد ولكنا نلاحظ أن هذا المعيار لايمكن أن يبقى موضوعيا الا اذا بقيت انا وما أعمل خارجين عن الاعتبار ، وأما اذا كان مايسود أو مايبقى لا يمكن ان يسود ويبقى الا بمجهودى الشخصي والا اذا كنت عنصرا فعالا فيه ، واذا كان لابد ان يسود شيء آخر اذا ما غيرت تصرفي واتجاهي فكيف اتمكن الان مادمت مدركا لوجود أشياء شتى للفعل ، كل منها يمكن افتراضه قادراً على أن يغير مجرى الحوادث في المستقبل ؟ فاذا كانت الحوادث ستأخذ نفس الوجهة التي اتجهت اليها فمن البين انها هي التي تبعث اتجاهي ولم يكن اتجاهي نتيجة لمجراها ... "[1]"

فأما ماركس فقد خرج بالنظرية الشيوعية التي تستمد تفسيرها المادى للتاريخ من فكرة التطور الحتمي . اذ المجتمع البشري كما تخيل فلاسفتها ومنهم ماركس مرّ بخمس مراحل حتمية لكل مرحلة عقائدها ، واخلاقها التابعة من الظروف الاقتصادية والاوضاع المادية . يقول الاستاذ محمد قطب في بيان ذلك :

" كان الانسان في المجتمع الزراعي يعبد الله .. لانه .. يضع البذرة في الارض ويطلب الحب من الرب (لانه عاجز بنفسه عن التأثير في عملية الانتاج ، لا هو يستطيع أن يسرعها أو يبطئها عن مدتها (الفهيمة) ولا هو يستطيع - الا بقدر ضئيل - أن يتحكم في النتائج (بالجهد المبذول من جانبه) فالاعاصير والآفات ، وتقلبات البرد والحر لا سلطان له عليها البتة .. ولابد أن ينتظر فيها كلمة السماء .. وكان الرجل هو المنتج الرئيسي ، وهو الذى يعول المرأة ، ومن ثم كان هو المسيطر صاحب السلطان ، وكانت الاسرة تمثل سلطان الزوج ، وهو حريص عليها شديد الحرص لانها تهيء له ذلك السلطان ،

---

١) العقل والدين : ٦٨ .

ومن ثم يفرض على المرأة قيوداً خلقية شديدة ، فالعفة شرط رئيسي لحياتهــا وعنصر لاغناء لها عنه ، والعفة معناها (في هذا التفسير) ان يتأكد الرجل ـ صاحب السلطان ـ ان هذه المرأة أو تلك له وحده لم يمسها أحد غيره . ثم يجيء الدين (الذى يمثل هذا الطور) فيقول ان العفة مطلب الهي من البشر عليهم أن يلتزموا به من اجل الله . "

" ثم انتقل الناس الى الطور الصناعي .. فتبدلت الاحوال ، عملية الانتاج لم تعد غيبية فهي عملية متطورة ـ الالة المنتجة متطورة ، والمادة المنتجة متطورة كذلك ، والانسان هو الذى يديرها وليس الله (!!) ومن ثم فلا ضرورة شعورية لعبادة الله !! والمرأة قد استقلت اقتصاديا بحكم سلسلة من الظروف الاقتصادية المتوالية ، فلم يعد الرجل هو الذى يعولها ومن ثم لم يعد الرجل هو المسيطر أو على الاقل لم تعد سيطرته مطلقة فلم يعد في وسعــه ـ تدريجيا ـ ان يفرض العفة على المرأة . أى يفرض عليها أن تكون له وحده ـ فصار من حقها ـ تدريجيا الا تكون عفيفة لانها لا تستطيع حين يرفضها الرجل ـ اذا رفضها لـ لعدم عفتها ، ان تعول نفسها بنفسها .. ولانها استقلــت اقتصاديا اضطر الرجل ان يحترمها ، وينزل عن سلطانه ويعطيها حــق الاباحية الجنسية .. ثم انتهى الامر أن يحبذ هو تلك الاباحية بحكم التطور"[1]

وهكذا آمنت أوربا كلها بفكرة التطور المطلق التي مؤداها ان لا شيء ثابت على الاطلاق وقد عبر عن ذلك " برتراند رسل " حين قال :

" ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقدم بعدها .. وأى اعتقــاد نعتقده وان كان مما نظنه بالغ الاهمية ليس بباق مدى الدهر ، ولو تخيلنــا انه يحتوى على الحق الابدى فإن المستقبل كفيل بأن يضحك منا " "[2]

والواقع ان هناك رغم ذلك علماء عارضوا فكرة التطور المطلق ـ المنبثقة

---

١) التطور والثبات : ٧٧ ، ٧٨ .
٢) العقل والمادة : ٢٥٦ .

أو التي اوحت بها فرضية التطور العضوى ـ غير أنهم قوبلوا بالنقد اللاذع ، والاستنكار العنيف .

يقول كارل " بوبر " :

" انما ندعوه بفرض التطور انما هو تفسير لجمهرة من المشاهدات البيولوجية والحفائرية مثل بعض وجود الشبه بين الانواع والاجناس المختلفة وذلك استنادا الى القول باصل واحد تشترك فيه اشكال الحياة المتآمرة . الا انني اشعر بشيء من الارهاب لما يميل اليه اصحاب مذهب التطور من الصاق تهمة الوقوف في وجه الاصلاح والتنوير بكل من لا يشاركهم موقفهم العاطفي ازاء التطور باعتباره تحديا جريئاً ثورياً للفكر التقليدى " [1]

خامسا : تأثير الفرضية على الفكر والعلوم والنظريات العلمية :

يمكننا ان نلمح ونعلم مدى تأثير هذه الفرضية على الفكرة والفلسفة ، والنظريات العلمية اذا قرأنا بعض أقوال أهل الفن ، فلنستعرض ماقاله المفكرون والعلماء الغربيون بيانا لتأثيرها :

يقول جورج بوهن : " ان نتائج كثير من المباحث البيولوجية والسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان أصحاب هذه المباحث يعطونها لنظرية الانتخاب الطبيعي ويكفي في ذلك ان يقرأ الانسان الكتابات الاخيرة التي نشرها (ج . لويب ( ) وكتابات " دولاج " و " جولد سميث " ليدرك مبلغ نقص الثقة في هذه النظرية " [2]

وهكذا فان الالتزام بفرضية التطور يؤثر في نتائج ابحاث الباحثين البيولوجيين وغيرهم في مصلحة الفرضية فاذا تخلصوا من أثرها خرجت الحقيقة ناصعة .

---

١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها : ١٥٢ ، ١٥٤ .
٢) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها : [illegible] : ١٤٩ .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية (فصل نظرية التطور) حول سيطرة هذه الفرضية على جميع ميادين العلوم " ولم تسيطر هذه النظرية على جميع والعلوم التي لها علاقة بالامور الحياتية فحسب ولكن نتائجها نفذت الى جميع المجالات العلمية . ولتثبيت هذا النجاح ، فلا بد من القضاء على كل معارضة كالعصبية الدينية والاستشرابية الثقافية ، وكان أصعب شيء ، التغلب على نظرية الجينات التي كان الطبيعيون يعتقدون بها " "١"

ويقول : " راندال " " . . فكرة التطور غيرت خارطة العالم الفكرية بكاملها أولا في الفلك ثم علم طبقات الارض ، ثم في علم الحياة ، وأخيرا في العلوم الاجتماعية " "٢"

اما أثر هذه النظرية في علم النفس فيوضحه قول " جيلفورد " " ومن المحتمل ان عددا قليلا جدا من علماء النفس وغيرهم من العلماء يتمسكون بالرأى القائل بان نمو الفرد من الجنس البشرى يعيد عن الانواع الحيوانية كلها ولكن تطور الطفل بما فيه حياته الجنينية هو من جهة أخرى حلقة الاتصال بين سيكولوجية الحيوان وسيكولوجية الانسان البالغ " "٣"

ولقد كان لفرضية دارون في " تنازع البقاء وبقاء الاصلح . . أثر على حركة الاستعمار يقول المؤرخ " هربرت فشر "

" وكذلك تأثرت السياسة بنظريات دارون فقد أخذ الناس يسألون اذا كان علم الاحياء هو المفتاح لفهم مغاليق الماضي ، أفلا يمكنه أيضا ان يساعد على صوغ المستقبل ؟ وهل في وسع الساسة الا يكترثوا للعامل البيولوجي ؟ أو ليس واجبهم يدعوهم الى تشجيع السلالات القوية وتثبيط السلالات الضعيفة ؟ وهل يستطيع مجتمع البقاء دون أن يتعاون اما عن طريق التشريع أو

---

١) نفس المصدر : ١٥٣
٢) تكوين العقل الحديث : ٢ / ٢ ١٤٠.
٣) ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية : ١/ ٢٢، ٢٣ وانظر ص ٣٤ لمعرفة أثر هذه الفرضية في مسألة الغرائز والذكاء .

عن طريق العرف ـ مع الطبيعة في إبادة غير الصالح . . " ١ "

هذا كله من آثار الداروينية بالإضافة الى العصبية العلمية للفرضيـة وقد مر ذكر شيء من ذلك خاصة قول آرثر كيث ، كما كان من آثارها تحريـف المصطلحات العلمية فقد استبدلت كلمة الخالق الدالة على الله سبحانه وتعالى وهي صفة من صفاته ، بالطبيعة ، وجرت بعد ذلك كتب العلوم حتى المدرسية على هذا التحريف . " ٢ "

وبذا يتبين ان من عوامل نشوء العلمانية في الغرب مايلي :

١) تحريف المسيحية ـ عقيدة وشريعة ـ .

٢) انحراف وطغيان رجال الكنيسة ـ عن الدين الحق وطغيانهم علـى الناس ـ .

٣) فرضية التطور وآثارها في الايمان ، والفكر والعلم والفلسفة والسياسة .

وإذا أردنا ان نضع لكل عامل نسبة معينة فاننا نعطي العنصر الاول نسبة كبيرة لا تقل عن ٥٠ ٪ .

وقد كنت عازما على الحديث عن أثر العلمانية في التربية والتعليم فـي الغرب الا انني صرفت النظر عن ذلك لأمرين :

أولهما : ان الحديث عن هذا الموضوع يستدعي مني الرجوع الى المراجـع باللغتين الانجليزية والفرنسية أو الانجليزية وانا لا اعرفها .

ثانيهما : أن اثر العلمانية في التربية والتعليم في الغرب يمكن التماسه فـي الواقع الاسلامي المعاصر في البلاد التي تأثرت بالاستعمار .

وسوف يتضح شيء من آثار العلمنة في التربية والتعليم في افكـار التربويين المسلمين وقد تخرج بعضهم في جامعات الغرب . . وتأثروا بالفكر

---

١) تاريخ أوربا في العصر الحديث : ٣٢٥ . (٢) نظرية داروين مؤيديها ومعارضيها : ١٥٣-١٥٦ .

العلماني - أو جامعات من العالم الاسلامي تسير على ذات المنهج العلماني ، وفي الواقع العملي المتمثل في تقليل نصاب علوم الدين بالاضافة الى عدم صياغة المقررات من وجهة نظر اسلامية ، وفي الاختلاط في التعليم ، وفي عـــــدم سلامة أهداف التعليم في بعض البلدان الاسلامية .

الفصل الثاني

عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

المبحث الاول : عوامل داخليـــة .

المطلب الاول : عوامل ذاتية .

أ ـ الانحراف الذاتي للمسلمين وأثره في تقبل العلمانية .

ب ـ مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

جـ ـ المستغربون وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

المطلب الثاني : نصارى العرب واثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

...

المطلـــب الاول :
عوامل ذاتيـــــة :

١ - الانحراف الذاتي للمسلمين :

لم يتوف الرسول صلي الله عليه وسلم حتى أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ، قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " المائدة : "٣" . وقد أمرنا الله باتبـــاع ما أنزله على نبينا صلى الله عليه وسلم وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في كل أحوالنا .

قال تعالى : " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونــه أولياء قليلا ما تذكرون " الاعراف : "٣" .

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نأتمر فيما بيننا بالمعروف ونتناهى عن المنكر وجعلها صفة أساسية للمسلمين فقال تعالى :

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـــر وتؤمنون بالله " آل عمران : "١١٠" .

ووعد الله من يتبع شرعه وهديه بالاستخلاف في الارض فقال تعالى :

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فـــي الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا " النور : "٥٥" .

ورد الله على أبينا ابراهيم دعوته حين طلب من الله أن يكـــون ذريته من بعده الأئمة . قال تعالى :

" وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين " البقرة " ١٢٤ " وحكم أن الامامة لا تكون الا لمن اتبع ملة ابراهيم ، وانه لا ينالها الظالمون حتى ولو كانوا من ذرية ابراهيم عليه السلام .

وبين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم سنته في اهلاك الأمم وتغيير حال الناس وربط سبحانه سنته الكونية بسنته في حياة الناس. وأوضح ان الناس اذا آمنوا به فإنه سيفتح عليهم بركات من السماء والأرض .

وقال تعالى : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " الروم : " ٤١ " .

وقال تعالى : " ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم " الانفال " ٥٣ " .

وقال تعالى : " وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون " القصص " ٥٩ " .

وقال تعالى : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " الاعراف " ٩٦ " .

نستنتج من هذه الآيات مايلي :

(١) ان الله اشترط على المسلمين لاستخلافهم في الارض أن يعبدون سبحانه وتعالى ولايشركون به شيئا ، أي ان يجعلوا حياتهم كلها خاضعة لشرعه . فهل حقق المسلمون في العصور المتأخرة ذلك ،

أم أنهم انحرفوا فنزع الاستخلاف منهم .

٢) ان الامامة والقيادة للعالم لا تكون للظالمين فإذا ظلم المسلمون أنفسهم وغيرهم بإنحرافهم عن شرع الله فان الله ينزع منهم القيادة العالمية وهذا ماحصل فعلا .

٣) ان الله جعل من سننه الثابتة في اهلاك الامم أن الذنوب والفساد والظلم هي اسباب الهلاك وان الله لا يغير ما أنعم به على عباده الا اذا غيروا ما بأنفسهم .

٤) ان من سنن الله في خلقه أن لا يهلك قوما حتى يبعث لهم رسولا يرشدهم الى مايجب عليهم لله .

٥) ان سنن الله الكونية مرتبطة بسننه الاجتماعية في حياة الناس .

٦) ان من سنن الله في خلقه أن يفتح البركات على من يؤمن بالله وينفذ شرعه .

وبهذا يتضح أن القاعدة المطردة في سنن الله في المجتمعات انالله لا يغير ما بالمجتمعات من الذل والهوان حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانحراف في الافكار والسلوك ، وان الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ويؤيد ذلك ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج مسلم بسنده عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة "بعامة" وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يامحمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك

أن لا اهلكهم بسنة "عامة " وان لا اسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها أو قال مَنْ بَيْنَ أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا . "١"

ولا يهلك المسلمون بعضهم الا اذا انحرفوا عن اتباع نهج الله سبحانه وتعالى ، وقد وقع في المسلمين الانحراف في التصورات والسلوك وهذا كان عاملا اساسيا وحاسما في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وكما أن تحريف القسس للنصرانية في أوربا كان من العوامل المباشرة لنشوء العلمانية فقد كان انحراف المسلمين عن فهم الاسلام في العصور الاخيرة من العوامل المباشرة التي ادت الى انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي .

فما هي مظاهر هذا الانحراف ؟

ان مظاهر الانحراف تتلخص في ان المسلمين في العصور الأخيرة انحرفوا في العقيدة بمعناها الصافي . وتبعا لذلك انحرفوا في السلوك .

وتمثل انحرافهم في العقيدة في انحراف تصورهم للالوهية ، والايمان بالقدر ، اما عن انحراف تصورهم للالوهية فتتمثل في انحراف فهمهم وتصورهم للعبادة ، والتحاكم الى غيره سبحانه .

ولذا فسوف اتتبع عوامل ومظاهر الانحراف على النحو التالي :

أولا : الانحراف في مفهوم الالوهية .

ثانيا : الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر .

---

١) اخرجه مسلم في صحيحه : ٢٢١٥/٤ كتاب " الفتن " باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

الانحراف في مفهوم الألوهية :

لا ريب أن الفطر مجبولة على الاقرار بأن الله خالق كل شيء ،

قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله"

لقمان : "٢٥" .

وهذا مايسميه علماء المسلمين بتوحيد الربوبية ، والاعتراف بذلك لا ينفع الانسان حتى يتوجه بأعماله كلها لله رب العالمين ، ولهذا كان الكفار في كل عصر ومصر يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت الا ماكان من فرعون في الاعصر السابقة والشيوعيون في العصر الحاضر ـ ولكن ذلك لم يتقهم عند الله شيئا لأنهم أشركوا معه غيره في العبادة . ولن ينفع أيضا هذا الاقرار اى مقرب بالربوبية مشرك في العبادة .

أما الذى ينفع الانسان الاقرار به ، المقر به في عداد المسلمين فهو توحيد الالوهية وهو كما يعرفه علماء المسلمين " توحيد الله بأفعال العباد " أى التوجه بكافة أنواع الاعمال لله سبحانه وتعالى تحقيقا لقوله تعالى : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين وبذلك أمرت وانا أول المسلمين " : الانعام " ١٦٢ - ١٦٣ " .

ويقسم بعض علماء السلف الصالح توحيد الالوهية الى قسمين هما :

١) توحيد الطاعة والاتباع .

٢) توحيد الارادة والقصد " العبادة " . وسوف أسير على هذا التقسيم في تتبع مجارى الانحراف عند المسلمين في ذلك .

١ - الانحراف في الطاعة والاتباع ـ ومنه الحكم ـ ١ ـ

ـ ١ القرآن والسنة مليئان بالنصوص التي تأمر

المسلمين بالطاعة والاتباع لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ،
أذكر بعضاً منها هنا لنرى أين المسلمون من ذلك في العصور المتأخرة ،

قال تعالى : " وأطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا اعمالكم " محمد :
" ٣٣ ".

وعن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" لا طاعة لبشر في معصية الله انما الطاعة في المعروف " أخرجه البخاري
ومسلم وابو داود والنسائي وأحمد وابو داود الطيالسي . وفيه قصة .

فهذه النصوص وغيرها كثير توجب على كل مسلم أن يتبع ما
أنزل الله على رسوله وان يطيع الله ورسوله في كل ما أمرا به ، في شئون
الفرد والاسرة والمجتمع والدولة . ولكن المسلمين في عصور الانحطاط نسوا
ذلك أو غفلوا عنه ، وبعضهم انحرف عن ذلك فنتج عن هذا ان صرفوا
هذا النوع من العبادة "الاتباع والطاعة" أو جزء منه الى الحكام وعلماء
المذاهب ، بل مشائخ الطرق الصوفية الذين غل بسببهم خلق كثير
من أجيال المسلمين المتأخرة . وهذا الانحراف بدأ ضعيفا ثم اتسع
واتسع حتى شمل أكثرية المسلمين للأسف .

وقد كان العالم الاسلامي في القرون الأخيرة تتقاسمه ثلاث دول
هي الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، والدولة المغولية .

ويهمني في هذا المقام ايجاز الحديث عن الدولة العثمانية لانها
كانت تحكم مساحة شاسعة من بلاد المسلمين بينما الدولة الصفوية كانت
منحصرة في ايران وأفغانستان ، والدولة المغولية منحصرة في حكم
الهند .

وأبادر فأقول أن الدولة العثمانية في أول عهدها كانت أصلح هذه الدول الثلاث عقيدة وسلوكا ولكنها بعيدة عن منهج الخلافة الراشدة الذى سار عليه الخلفاء الاربعة وعمر بن عبد العزيز ، وهذا البعد يقل أو يزداد حسب نوعية الخلفاء الذين يتولون الحكم .

كما أبادر فأقول ان الدول العثمانية كان لها مآثر لا يستطيع الباحث المنصف أن ينكرها بل يتوجب عليه أن يقدرها ، اذ هي التي جعلت المد الاسلامي يصل الى أقصى مدى له في اوربا الشرقية والوسطى (المجر ، والنمسا ، وسويسرا) بعد أن فقد المسلمون بلاد الاندلس في أوربا الغربية بسبب انحرافهم عن منهج الله المتمثل في الدويلات التي نشأت على العصبية .

كما أنها - اى الدولة العثمانية - أخرت سقوط البلاد الاسلامية في أيدى المستعمرين الاوربيين قرونا عدة .

اضافة الى روح الحماسة للدعوة الاسلامية ونشرها في أوروبا التي اعترف لهم بها حتى اعداء الاسلام . "١"

بيد أن وجود كل هذه المآثر لا يعني عدم وجود انحراف في هذه الدولة فقد استمرت الدولة العثمانية على خط الانحراف الذى ورثته عن الدول السابقة لها وزادت عليه بحسن نية وبدون وعي خاصة في أوائل الدولة العثمانية .

وكان من مظاهر هذا الانحراف في الحكم أن الدولة العثمانية واجهت حركات الاصلاح والتجديد التي كانت تدعو الى التوحيد بافراد الله

---

١) انظر في ذلك كتاب الدعوة الى الاسلام : ١٧٠ - ٢٣٤ وانظر خاصة (١٨٤ ، ١٨٥) .

بأنواع العبادة ونبذ الشرك الذى وقع فيه المسلمون المتمثل بدعــــاء الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ، والتي دعت الى نبذ التقليــد والجمود الفكرى ، بالاخذ من الكتاب والسنة مباشرة لمن له أهليــــة الاجتهاد . وكانت اكبر هذه الحركات حركة الامام محمد بن عبد الوهــاب (١١١٥-١٢٠٦ هـ) التي جيشت الدولة العثمانية الجيوش لوأدهـــا بقيادة ابراهيم باشا . "١"

وقد نتج عن هذا الانحراف أمران خطيران :

الأول : استمرار الحكم على طريقة الوراثة الذى بدأ في عهد الدولة الأموية ، ولهذا ماله من ايجابيات ولكن كان في الامكان أن يكون مبــدأ الشورى هو قاعدة وركيزة هذا النوع من الحكم . " وأمرهم شورى بينهم " الشورى : "٣٨" " وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكـــل على الله " آل عمران : "١٥٩" .

أما ترك الامور على تلك الحال فان الطريق الى الاستبداد والجبروت والظلم سهياً والمناخ مناسب وهذا ماحصل فعلا من بعض السلاطين ، بل بين ولاة الاقاليم ، هذا ماكان حاصلا . أما في أوربا التي - سنعرف كيف أثرت في العالم الاسلامي فيما بعد - فقد كانت عروش اباطرتهـــا تضطرب تحت مطارق الدعوات التحريرية التي كانت تطالب بالمشاركة فـــي الحكم وحرية الشعب في اختيار الولاة . فكان على الخلفاء في الدولة العثمانية أن يتعظوا بذلك ويقطعوا الطريق على دعاة التقريب الذين كان لهم أثـــر

---

١) انظر تاريخ هذه الفترة في كتب التاريخ ومنها كتاب تاريخ الدولـــة العليه العثمانية : ٢٠١-٢٠٥ . وانظر كتاب الاتجاهات الفكرية عند : ٤٢ ، ٤٣ .

كبير - في أواخر حكم الدولة - في القضاء عليها من داخلها ، وذلــــك يكون بالعودة الى الاصول الاسلامية الراشدة .

الثاني : قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع الحديثة بالاستنبـــاط الفقهي من الكتاب والسنة .

لا يشك مسلم في أن القرآن والسنة يتضمنان منهجا كاملا شامـــلا لكافة جوانب الحياة البشرية منذ أن أنزل الله القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنذ تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحاديث الى أن يرث الله الارض ومن عليها اذ لا يخرج عن دائرة توجيه وهيمنة الشريعة أى شيء مــن احداث البشر مهما استجدت ومهما تغيرت الاحوال .

قال تعالى : " مافرطنا في الكتاب من شيء " الأنعام : "٣٨" .

وقال صلى الله عليه وسلم : " قد تركتكم على مثل البيضـــــاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك " "١"

وهذا من البدهيات في التصور الاسلامي وفي حس المسلمين ، والريبة في هذا الامر اتهام واضح للبارى عز وجل بالنقص واتهام الله بالنقص كفر واضح .

كما أن البشر في حركة دائمة وسعي متواصل لعمارة الارض ، فــاذا كانت هذه الحركة مقرونة بالاستسلام لله والدينونة له - بعمارة ارضـــــه بطاعته - فلا بد أن تنشأ لهم من الاقضية بقدر ما يسعون . واذا كان المسلمون

---

١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن : ١/١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ بألفاظ متقاربة ، وأسانيد مختلفة .

بحاجة الى من يجتهد لهم في تلمس الاحكام المناسبة لما يجد لهم من أقضية وقد آمن المسلمون بشمولية الشريعة الاسلامية ، وغابت عن أذهان كثير منهم في العصور المتأخرة الحركية في الواقع البشري ، ذلك لانهم يعيشون واقعاً اسلامياً جامداً لا جديد فيه ، ولا ينمو الفقه ولا تنمو ملكة الاستنباط والاجتهاد الا في ظل حركة واقعية في ظل الشريعة الاسلامية فتجد للمسلمين وقائع يحتاجون فيها الى احكام مستنبطة من عمومات القرآن والسنة .

ولقد كان من هولاء الذين غابت عنهم هذه الناحية علماء الدولة العثمانية وخلفائها الذين تأثروا بالعلماء - الذين عارضوا فتح باب الاجتهاد فأصيب الفقه الاسلامي بالجمود ، وظلت حياة البشر متطورة متحركة حسب سنة الله في الحياة . وهكذا ضاق لاول مرة في تاريخ المسلمين مجال الفقه الواقعي عن الاحاطة باحداث الحياة في بلاد المسلمين ، وذلك بسبب ضيق أفق العلماء واقتصارهم في الفقه على المتون والحواشي التي ألفت في عصور سابقة ، وقد كان المجال مفتوحا أمام من لديه أهلية الاجتهاد ان يجتهد ويستنبط من القرآن والسنة ولكنهم أخلدوا الى الركود والجمود على المتون والحواشي .

يقول الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي مايلي :

" وقد غلب التقليد للعلماء - وعلى الاخص الأئمة الاربعة ابو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، واحمد - وان وجد مجتهدون قلة من مبدأ المائة الثالثة الى نهاية المائة الرابعة ، وصار التقليد غالبا في الرابعة بل أصبح جل علمائها مقلدين متعصبين مع ان الكل يعلم ان لكل امام هفوة وسقطة

بل سقطات فما من امام الا وقد ثبت عنه قول أو فعل خفي عليه فيه السنة وأخطأ به في الاجتهاد ... وهذا كله باعتبار الغالب .. "[١]

ويقول الشيخ الغزالي مايلي :

" ... مع ان الزمن لا يقف ... ومع أنه تحدث للناس أقضية بقدر ما احدثوا من فجور ، ومع ان الجماعة الانسانية تدخل في أطوار متباينة ، من ناحية العلاقات الدولية والاوضاع الادارية والاقتصادية والسياسية . ومع ضرورة بقاء الدين مهيمنا على توجيه القافلة السائرة . مع هذا كله فان التفكير الاسلامي الفقهي توقف في أغلب ميادين المعاملات، ان لم يكن جمد فيها كلها ... واغلقت ابواب الاجتهاد بضعة قرون حتى انكسرت أخيراً تحت ضغط الحاجات الملحة . وصحب الانكسار فوضى منكرة في الفهم والتطبيق .. "[٢]

والواقع ان الذى حصل في الدولة العثمانية - من عهد السلطان سليم الثالث - اتضح من فتح باب الاجتهاد أو كسره . فالتاريخ يحدثنا ج

---

(١) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي : ٢/ ٥ - ٩ ، وانظر ٤٨/٢ من قوله ففي القرن الثالث و ١٦٣ أن حدد المؤلف طور الشيخوخة في الفقه بما بين القرن الخامس والرابع عشر وأوضح اسباب ذلك وانظر ماقاله صاحب كتاب المعجب عن حالة الفقه في الثلث الاول من القرن السادس ص ١٧٤ . وانظر الهامش ، وانظر ص ١٧٥ ، ١٧٦ ففيه بيان أن الفقهاء لا يهتمون بالنظر في الاحاديث .

(٢) الاسلام والطاقات المعطلة : ١٠٠ ، ١٠١ ،

" ان المطبعة ادخلت على يد " ابراهيم متفرقة " في أوائل القرن الثامن عشر ، وطبعت فيها الكتب غير الدينية والشرعية ظهر من بعد ذلك عدد من المثقفين العلمانيين من غير رجال الدين " "١"

وان الدولة العثمانية : " استعانت بخبراء أجانب من امثال الفرنسي (Bonhval) (والبارون دى توت " "٢" .

وقد كان أول من بدأ بالاستعانة بالاوربيين السلطان سليم الثالث الذى استعان بهم لتحديث جيشه ليحل محل جيش الانكشاريين فاستقدم عددا من المهندسين من السويد وفرنسا لصنع المدافع ، واصلاح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التي أسسها البارون دى توت المجرى . . " "٣"

وليت الأمر اقتصر على تنظيم الجيش وتدريبه وتقويته فإن ذلك لاغبار عليه ولا أحد يعارضه لان في قوة جيش الدولة قوة للمسلمين ، ولكن الذى حصل هو ان تنظيم الجيش كان البداية لدخول تنظيمات بل تعديلات حتى في التشريعات الاسلامية ، بل كان الافكار الجديدة بعد الثورة الفرنسية والتي رافقتها كان لها أثر على بعض السلاطين ، فهزت أفكار بعضهم وسار على منوالها البعض الآخر وتأثر بها " "٤"

---

١) التاريخ الحديث للشعوب الاسلامية : ١٧٥ .
٢) المرجع نفسه : ١٧٥ .
٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ١٧٩ .
٤) التاريخ الحديث : ١٧٥ ، ١٧٦ في الحديث عن سليم الثالث .

ثم ماذا ؟

تولى السلطان محمود الثاني الحكم عام ١٨٠٨ بعد مقتـــل سلفه سليم الثالث على يد الانكشارية وقد كان يضمر الاصلاح ، ولكنه يخشى أن يصيبه ما أصاب سلفه وكان يبحث عن وسيلة تمكنه من القيام بالاصلاح دون اثارة أعداء الاصلاح عليه .

وحين عزم على تحقيق هذا الاصلاح واجه أزمات معقدة ، ورغم ذلك سار في طريق التغيير الجذري لنظم الدولة العثمانية على أساس :

١ - الاقتباس من نظم الغرب (westernization

٢ - وتقوية قبضة الحكومة المركزية على مختلف أجزاء الولايات .

٣ - مع اجتثاث المفاسد من جذورها ان أمكن .

فكانت هذه الخطة الثلاثية هي التي سار عليها السلطان محمـــود الثاني فكيف نفذها .

كانت الخطوة الاولى هي القضاء على الانكشارية واستطاع ذلك فـــي مذبحة عطها لهم عام ١٨٢٦ "١"

" ثم شرع في تكوين جيش جديد على الطراز الاوربي الحديـــث واستدعى لتدريبه ضباطا ومهندسين فرنسيين وألمان . وتأسست أكاديميـــة عسكرية في ١٨٣٤ وارسل بعض خريجيها الى العواصم الأوروبية لاستكمال دراساتهم العليا ... " "٢"

---

١) المصدر السابق : ١٧٦ - ١٧٨ .

٢) نفس المصدر : ١٧٨ بتصرف .

ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، بل أنشأ ادارة للترجمة تحولت بعد ذلك الى وزارة للخارجية وأنشأ المجلس الاعلى للقضاء الذى كلف باعداد القوانين الجديدة ، وكان أعضاؤه من مختلف الأديان وانبثق منه مجلس الدولة (شوارى دولت) ..

كما أنشأ مجالس للولايات تضم مسلمين ومسيحين ترتبط هذه المجالس بالولايات المركزية .[١] ولم يكتف محمود الثاني بذلك ، بل ساوى بين المسلمين والنصارى ثم وضع الجزيه عنهم ابنه عبدالمجيد .(٢)
ثم جاء عهد عبد المجيد الاول فأصدر مرسوما بالتنظيمات ، وعرف بخط كلخانة عام ١٨٣٩م وقد كان هو الخطوة الكبيرة الثانية كما يرى الدكتور عبد العزيز سليمان نوار للأخذ بالقوانين الوضعية حين قرر المساواة بين المسلم وغير المسلم فكان ذلك هو الخطوة الاولى لفرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين . كذلك ساوى الخط بين الطوائف المختلفة في فرض الضرائب أمام القانون بصفة عامة .

وصدرت في أعقاب هذا الخط سلسلة من القوانين التنظيمية لوضع أسس هذا الخط موضع التنفيذ ، فصدرت القوانين الجنائية والقضائية والمدنية ، وظهرت المحاكم على مختلف أنواعها وصدرت فرمانات بتأسيس بنك الدولة والاوراق النقدية وانشاء جامعة عثمانية .[٣]

واستغل الاوربيون الدولة العثمانية اقتصاديا ، وتوقعوا فتح باب الارساليات التبشيرية والمدارس الاجنبية على مصراعيه .

---

١) المصدر السابق : ١٧٨ - ١٨٠ (٢) نفس المصدر : ١٨١

٣) نفس المصدر : ١٨٥ .

واستغلت الدول الاوروبية هذه التنظيمات لاغراضها فسعت فرنسا الى حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية ، وسعت روسيا الى حماية الارثوذكس ، وسعى مبشروا بريطانيا الى تحويل مسيحي الكنائس الشرقية الى الكنيسة البروتستنتينية "١"

وفي عام ١٨٥٥ صدر فرمان يرفع الجزية عن المسيحيين ، وفي عام ١٨٥٦ أصدر الخط الهمايوني "٢"

وقد تضمن عدة أمور منها :

- التمكين للدول الاوربية للتدخل في شئون الدولة العثمانية ، والمساواة الدينية ، وفصلت للنصارى حقوقا معينة منها :

- ان المسائل المدنية تكون العهدة في ادارتها الى مجلس مختلط من بين المدنيين ورجال الدين النصراني ينتخبه الشعب بنفسه ، ومنها عدم اكراه المسلم الذى يعتنق النصرانية على الرجوع الى الاسلام بل يسمح له بالردة عن الاسلام واعتناق النصرانية . . "٣"

وأكد الخط الهمايوني حق الدولة في تجنيد المسيحيين ، وان أبقى على حقهم في دفع البدل العسكرى ، كما سمح للاجانب بامتلاك العقارات وفق شروط معينة . "٤"

----

١) المصدر السابق : ١٨٦ ، ١٨٧ .
٢) نفس المصدر : ١٩٣ .
٣) تاريخ الدولة العثمانية : ١٦١ .
٤) التاريخ الحديث (الشعوب الاسلامية) : ١٩٣ .

وقد رأت الغالبية العظمى من مسيحيي الدولة في صدور هـذا الخط مظهراً من مظاهر ضعف الدولة وتطلع زعمائهم الى الدول الاوربية ، وتمسكوا بالحقوق التي سنها لهم الخط الهمايوني ، وضربوا صفحاً عـن مافيه من التزامات عليهم بل تمسكوا بما كان لديهم من امتيازات قد يـمـة تتعارض مع الخط الهمايوني . "١"

وحصلت لبنان بعد هذا الخط بعد الفتن التي حصلت بين المسلمين والنصارى على استقلال ذاتي بنظام المتصرفية وعين لـه حاكم نصراني . "٢"

ويقول الدكتور / عبد العزيز سليمان نوار :

" وصدرت بعد الخط الهمايوني مجموعة من القوانين التنظيمية التي مست المجتمع العثماني بقوة أهمها :

١ - قانون الاراضي " الطابو " ١٨٥٨

٢ - قانون الولايات ١٨٦٤

٣ - مجموعة القوانين الجنائية والتجارية (١٨٦٠-١٨٦٣)" "٣"

يقول الدكتور على حسون : " واستدعى - اى في عهد السلطان عبد المجيد - الخبرات الفرنسيين والبروسيين لتدريب الضباط وافتتحت المدارس التدريبية للاطباء وموظفي الدولة المدنيين وأرسل الطلبة لاول مـرة الى أوربا لاتمام تحصيلهم فأنشأت وزارة المعارف وأعلن مبدأ التعليم المجاني

---

١) نفس المصدر السابق : ١٩٣ ، ١٩٤ .
٢) نفس المصدر : ١٩٣ ، ١٩٤ وتاريخ الدولة العثمانية : ١٦٢ .
٣) نفس المصدر : ١٩٤ .

والاجباري واعيد تنظيم الادارة المحلية والمركزية ولربط كان الشيء الاكثر خطورة هو ذلك النوع من التعليم العلماني الجديد الذي ادخل الاصلاح السلطة القضائية ولم يبق تحت حكم الشريعة الاسلامية سوى قانون الاحوال الشخصية ، واصدر قانون جنائي جديد يعتمد علي القانون الفرنسي ، ثم نشر قانون تجاري في عام ١٢٦٧هـ وازدادت الاتصالات مع الغرب فمن جهة عين الشبان العثمانيون الذين تعلموا في ديار الغرب بالدبلوماسيين ..

* وشقت الأزياء الاوربية طريقها الى العاصمة الاسلامية واعطي السلطان المثل بارتداء اللباس الاوربي ومنحه العطايا واقامة المناسبات والحفلات على ذلك الطراز ..

* وقد أدخل نظريا قانون مبدأ المساواة التامة الغربي الحديث والعلماني في الدولة قبل قانون الرعايا ومع ذلك فمدوها - أي الاوربيون - سطحيه وطالبوا باسمه اصلاح الافئدة والعقول وشرتها في صفوف من يقودون دفة الحكم في الدولة ، وازداد تدخلهم في شئونها تحت شعار انصاف النصارى والدفاع عن حقوقهم .. (١)

وقد حدث ذلك بسبب الضغط الاوربي علي الدولة العثمانية ،

يقول الدكتور زين نور الدين زين :

" ... في القرن التاسع عشر ادخلت الدولة العثمانية عددا من الشرائع والقوانين العلمانيه وعمتها في طول البلاد وعرضها وقد جاء هذا التشريع العلماني الحديث نتيجة لعدد من العوامل منها وقع الفكر الغربي علي الامبراطوريه العثمانيه والضغط السياسي الذى كانت الدول الغربية تمارسه في علاقاتها مع الاتراك والمحاولات المخفقة التى قام بها الاتراك انفسهم لاصلاح موسسات الدولة العثمانية لاسيما التنظيمات "(٢)

ويقول الاستاذ صالح بن عبدالله العبود - بعد ان ذكر الامتيازات التي اعطيت لفرنسا في الدولة العثمانيه - خاصة في التعليم للنصارى الكاثوليك

" ... وهذه الامتيازات التى نفذت منها فرنسا الماسونيه واستطاعت ان تجبر تركيا عليها لمصلحة اليهود ترجع الي ثغرات قد فتحها العثمانيون علي أنفسهم في الداخل والخارج ، ففي الداخل فكان

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية : ١٥٠ ، ١٥١ .
(٢) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام : ٤٢

السلاطين - كما يقول زين نور الدين زين - " لا يطبقون الشرع الاسلامي على الجاليات غير المسلمة الا في حالات نادرة . . .

" وفسروا هذا المبدأ بأن على السلطان الفاتح أن يلتزم بما منح الاباطرة البيزنطيون هذه الجاليات من امتيازات وضمانات بل للسلطان أن يضع لهم أحكاما خاصة بهم توفر لهم تصريف امورهم بطريقتهم الخاصة . .

" فنشأ مايسمى نظام الامتيازات وهو نظام كانت تتبعه الدولة البيزنطية الصليبية في الدويلات التي أنشأوها في الشرق الأدنى "(١)

وهكذا بسبب قصور علماء الشريعة عن مجاراة الوقائع المتجددة بالاستنباط الفقهي - الذى نتج عن غلق باب الاجتهاد - اصبحت القوانين الوضعية المستوردة من الغرب تحتل شيئا فشيئا جوانب من حياة المسلمين فتهيمن عليها ، ولم يكن في ذلك مايلفت نظر المسلمين لخطورتها اذ أن المجتمع في الدولة العثمانية كان خاملا ومصابا بالجمود الفكرى ، فاذا أتاه مايحركه استقبل ذلك بترحاب ، واستمر الوضع على هذه الحال حتى لم يبق للشريعة الاسلامية من هيمنة الا على الاحوال الشخصية للاسف، لا بل لم يبق لها في بعض بلاد المسلمين أى شيء فقد قيد الطلاق، وتعدد الزوجات بقيود غير شرعية ، وابيح للعمال الفطر في نهار رمضان ، وهكذا لم تأت العقود الاولى والوسطى من هذا القرن الميلادى العشرون حتى اصبحت القوانين في اكثر البلاد الاسلامية مقتبسة من القوانين الغربية - فرنسية ، وانجليزية ، وسويسرية وغيرها - .

---

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ص ٣٩ .

وبذا حصل الشرك في الطاعة والاتباع ، وأهم ذلك هو الحكم بغير ما أنزل الله !

وهذا يجعلنا نقرر في غير حرج ان انحراف المسلمين في الطاعة والاتباع افرادا وجماعات ودولا - الناتج عن الجهل بحقيقة الاسلام ، وسنن الله في حياة البشر والعجز عن الاجتهاد والاستنباط الاحكام الاسلامية لكل واقعة تحدث لهم مستندين من القرآن والسنة - كان ولا ريب أحد العوامل الرئيسية لانتقال العلمانية الى بلاد المسلمين .

٢ - الانحراف في توحيد الارادة والقصد " العبادة " :

لابد لمعرفة كيف حصل الانحراف فيهي هذا المفهوم وماهي مجاريه الفكرية والعملية - من بيان التصور الاسلامي الصحيح للعبادة ، ولدينا القرآن والسنة وأقوال أئمة السلف المستندة والمستنبطة في القرآن والسنة التي توضح المعنى الصحيح للعبادة .

قال الله تعالى : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

" وعن عدي بن حاتم : " انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم " الآية ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : اليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ، ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ . فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم " رواه احمد والترمذي وحسنه .

وقال الامام ابن تيميه في بيان معنى العبادة لما سئل عن ذلك :

" العبادة : اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقـــوال والاعمال الباطنة والظاهرة . . " "١"

ثم حصل الانحراف من المسلمين في العصور المتأخرة عـــن العبادة الحقة لله بمعناها الشامل الواسع وصرف ـ للأسف فئام مـــن المسلمين ـ انواعا من العبادات لغير الله أو اشركوا معه غيره ، فذبـــح بعضهم لغير الله ، ونذروا لغير الله ، واستعاذوا بغير الله ،واستغاثوا بغير الله ، وطلبوا الشفاعة من الأموات وغلوا في الصالحين والاوليـــاء أو من ضنوهم أولياء ـ أحيانا ـ وخاف بعضهم من غير الله فيما لا يخاف فيه الا من الله ، واشركوا في التوكل ، واحبوا وأبغضوا لغير الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه علي رضي الله عنه قال : " حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ،لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الارض" رواه مسلم .

والله يقول في ذم الاستعاذة بغيره سبحانه وتعالى : " وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " الجن : "٦" .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاءه من الصحابـــة يستغيثون به من أحد المنافقين انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله" "٢"

---

١) العبودية : ٣٨ . وقد عدد مجموعة من الاقوال والاعمال كأمثلة للعبادة

٢) كتاب التوحيد حق الله على العبيد : ١٤٨ ، ١٤٩ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .

وقال تعالى في الشفاعة ونفيها عن البشر الا بعد اذن الله :
" وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون " (الانعام : ٥١) .

وما كلته عن الانحراف في العبادة يشاهده كل مسلم عند المشاهد وقبور الصالحين أو الاولياء حيث تصرف - وللاسف - أنواع من العبادة لأصحاب هذه المشاهد . واذا بدا المسلم واع أن يرد هذه الجموع عن هذا الانحراف لبيان أن العبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله إحتجوا عليه بأن هؤلاء مقربون عند الله ونحن نطلب الزلفى الى الله عن طريقهم . أو يقولون ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسوا او نسى مشائخهم الذين ألموهم أن الله رد هذه المزاعم على مشركي الازمان الغابرة "١" .

١ - وقد فهم المسلمون الاولون أن العمل لعمارة الارض بطاعة الله سبحانه وتعالى من العبادة لأنهم فهموا من القرآن والسنة ذلك ، ولذلك كانوا يسعون في الارض لابتغاء الرزق . وعلموا أنهم انما يعبدون الله بعملهم ذلك لانهم أحسنوا القصد والنية لله .

قال تعالى : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون " (الجمعة : ١٠) .
وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله ، هل لي أجر في بني إبي سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ؟ انما هم بني فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم " متفق عليه .

---

(١) انظر في بيان ذلك : سورة يونس : آية ١٨ ، وسورة الزمر : آية " ٣ " .

وغيرها من الاحاديث الدالة على أن الكسب وطلب المعيشة اذا اقترنت بنية صالحة كانت عبادة يؤجر عليها ، واذا اقترنت بنية فاسدة كانت معصية يعاقب عليها .

٢ - كما فهم المسلمون الاوائل ان التوكل على الله لا يعني ترك الاخذ بالاسباب بل ان التوكل الحقيقي هو في عمل الاسباب " اعقلها وتوكل " "١" كلمة قالها صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل المسجد وترك ناقته غير معقولة فلما خرج وجدها قد هربت . ولقد انحرفت مفاهيم المسلمين في هاتين القضيتين :

١ - لقد وجد أول الامر اناس تركوا العمل " زهدا في متاع الدنيا " واستندوا في ذلك الى بعض آيات وأحاديث تنهى عن التكالب على الدنيا فظنوا ان العمل للدنيا واكتساب الرزق أمر ينهى عنه الاسلام ونسوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال في مقابل ما احتجوا به من احاديث : " نعم المال الصالح للمرء الصالح " "٢" فراحوا يستسلمون للدعة والكسل ويأوون الى الخلوات والزوايا ، ثم خلف هؤلاء خلف تطور الامر بهم الى أن وضعوا أحاديث في التنفير من الدنيا وبعضها نذكر منها :

ترك الدنيا أمر من الصبر ، وأشد من حطم السيوف في سبيل الله ، ولا يتركها احد الا اعطاه مثل مايعطي الشهداء ، وتركها قلة الاكل والشبع ، وبغض الثناء من الناس .

---

(١) اخرجه الترمذي عن أنس وحسنه .
(٢) اخرجه احمد : ١٩٧/٤ ، ٢٠٢ .

* حب الدنيا رأس كل خطيئة .
* من أصبح ، والدنيا أكبر همه ، فليس من الله في شيء . "١"

" وقال أبو سليمان الداراني : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا " "٢"

" وقال الجنيد - وهو سيد طائفة التصوف - كما يسمونه :
" احب للمبتدىء الا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، والا تغير حاله :

١) التكسب .
٢) طلب الحديث (كذا !!!)
٣) والتزوج . وواجب الصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه أجمع لهمه " "٣"

بل وصل الامر بهولاء " - الذين عرفوا في التاريخ الاسلامي بالمتوصفة - الى تأويل الاحاديث الصحيحة على غير ماتدل عليه ليوءيدوا مذهبهم في الخمول والدعة والاتكالية المتناهية على الاخرين .

فقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي ان بعض الصوفية أول قـــول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اطيب ما اكلتم من كسبكم بأنه المسألة عند الفاقة .. (كذا !!!) "٤"

(١ - ٤) التصوف بين الحق والخلق : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٤٣ / ٤ / ، ١٣٠ ، ١٣١ / ١١٢

وانظر هذا التصور المضحك المحزن في آن واحد من علم من أعلام المتصوفة :

" قيل لابي يزيد ماتراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك ، فقال : مولاى يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا زيد " "١"

وهكذا ساعدت هذه الاحاديث الموضوعة واقوال هؤلاء الزعماء وتأويل الاحاديث على غير ما تدل عليه ، ساعد كل ذلك على انتشار الدعة والخمول والاتكالية على الغير في طبقات معينة من المجتمع الاسلامي فتعطل بذلك جزء كبير من طاقات الامة الاسلامية وانتشرت البطالة باسم التدين والتدين من ذلك براء فحق عليهم وصف " الطاقات المعطلة " وهي معطلة ذاتيا لم تجبر على التعطل والتبطل .

ولعل خير مايرد على هذا التصور البائس للزهد ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قدوتنا الذي أمرنا بالاقتداء به .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه " ان نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : مابال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ ولكني اصلي وأنام ، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" متفق عليه .

----- -------------

١) المرجع السابق : ١١٢ . ان أبا يزيد حين قال هذا الكلام غفل عن أن الكلب والخنزير رزقا بعد أن بحثا عن الرزق فاحتجاجه برزقهما إحتجاج غير صحيح ، وهذا ما يؤسف له ويجعل الألم يعتصر قلب المسلم لما وصل اليه بعض من كان بأيديهم القيادة الفكرية لعامة المسلمين من المستوى الفكري المنحط .

وانظر الى الفهم السليم للزهد في هذا القول للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه :

" سئل الامام احمد عن الرجل يكون معه مائة الف دينار هل يكون زاهدا ؟ قال : نعم ، بشرط أن لا يفرح اذا زادت ، ولا يحزن اذا نقصت " [١]

ولا ريب أن لنشأة هذه النزعة - أول مانشأت - أسباباً معينة لانها لم تنشأ في فراغ بل نشأت في مجتمع ، ولعل من أسباب نشوء هذه النزعة - التي بدأت أول مابدأت زهداً معقولاً ثم تطورت الى زهد لم يأمر به الاسلام ، ثم انتقلت الى نزعة لها فلسفة معينة في كل الامور دخلت على المتصوفة من البوذية والنصرانية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاشراقية [٢] لعل من الاسباب انحراف الخلافة ، ثم انغماس الناس في الترف وانصرافهم عن الاهتمام بالآخرة .

يقول الاستاذ الغزالي في ذلك :

" ... اقبل العامة بقيادة المتصوفين - على الطقوس والاوراد - وأقبل الحكام ومن في حجوا شئيهم وركابهم على الشهوات والملذات [!] . وهذا الخلط الصوفي الاحمق يعتبر أول صدع أصاب التفكير الاسلامي في صميمه بل أول تصدع أصاب كيان الامة الاسلامية فيما بعد - بالانهيار " [٣]

---

١) عدة الصابرين : ٩٠ .

٢) انظر لمعرفة أثر الفلسفات الوثنية على التصوف كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي : ٢/٥٣ ، وانظر ٥٩ ففيه مايؤكد ذلك . وكتاب ظهر الاسلام : ٤/١٥٤-١٥٦ .

٣) الاسلام المفترى عليه : ٦٨ .

وهكذا أصبح الاسلام في نظر هولاء كما يتضح من عباراتهم محصورا في الشعائر والاوراد المشروعة وغيرها فانحسر بذلك مفهوم العبادة وأصبح يتحذر بسبب هذه النظرة المنحرفة القيام ببعض أركان الاسلام كالزكاة .

لقد كان المسلمون الاوائل يستشعرون في قرارة أنفسهم أنهـــم يعبدون الله حتى وهم يسعون لطلب الرزق ، أو لطلب العلم ، أو يسعون في أرض الله ، دون أن يوجد في نفوسهم شعور بالانفصام والثنائية بيـن الشعائر وهذه الاعمال ، ولكن أصبح المريد من المتصوفة - الذي انحصر عنده مفهوم العبادة في الصلوات والاوراد - يحس بأن جزءاً كبيراً من حياتـه فارغ فيلجأ الى شيخه لملأ هذا الفراغ ، فيكلفه الشيخ بدوره بحفظ أوراد كثيرة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرددها بطريقة غير شرعية . وأحيانا يكلفه بما يسمى السياحة في الارض بلا زاد حتى يقوى ايمانـــــــه ويصدق في توكله - كما زعموا - .

وهكذا تطور الامر الى انحراف مفهوم العبادة ذاته بعد أن كـــان الانحراف متمثلا في انحسار مفهوم العبادة في أعمال الصلاة والذكر . اذ المريد أصبح يستقي الاذكار - وهي عبادة - من غير الكتاب والسنة .

هذا هو التصور الغالب على المسلمين في القرون المتأخرة ، وهـــذه هي حالتهم الغالبة ، لكن ذلك لا يعني أنه لم يوجد احد من المسلميـــن مخالف لهذا الواقع يفقه المعنى الصحيح للعبادة ويسير عليه خاصــــــة العلماء بل وجد من اعرض على هذه السخافات وشدة كابن تيميه وابن القيم وابن الجوزي وغيرهم ممن الفوا كتبا في انكار هذه الانحرافات

القرن الرابع عشر

كما أن معظم الناس في القرون المتأخرة برغم هذا الانحراف لم ينقطعوا عن الدنيا بل كانوا يعملون فيها ويسعون في الارض الا إنه كان ينتابهم شعور بالذنب لأنهم يرون أنهم لا يعبدون الله حين يقومون بذلك لما رسخ في حسهم من أن العبادة لله تكون في الاكثار من الصلوات والاذكار ونسوا أنهم حين يسعون في الارض انما يقومون بجزء من العبادة .

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " الذاريات: ٥٦

" هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها " (هود : ٦١)

" هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه " (الملك : ١٥) .

وقعت هذه الانحرافات قبل قيام الدولة العثمانية ، وعندما سيطر العثمانيون إزداد الانحراف حتى أصبح في حس معظم الناس أن العبادة نفسها هي ما يأمر به الاولياء - المزعومون - من البدع وبهذا وقعت في شرك حقيقي بما كان الجهلة -لا بل بعض العلماء- يمارسونه من تقديس للموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضر ، بل وصل الأمر الى حالة أسوأ فقد كانت الجموع الحاشدة من الجماهير المسلمة الجاهلة يستغيثون بالسيد والولي حتى في حال الكرب والشدة .

قال الامام محمد بن عبد الوهاب :

" القاعدة الرابعة : ان مشركي زماننا اعظم شركا من الاولين ، لان الاولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء ، ومشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى : " فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون - ليكفروا بما آتيناهم فسوف يعلمون " "[١]

---

(١) مجموعة التوحيد : ٢٥٦ .

وقال الاستاذ الغزالي : ـ بعد أن سرد حوارا بينه وبين أحـــد الذين يتعلقون بالموتى للتوسل بهم ـ " ان الخاصية الاولى في الاسلام أنه دين التوحيد المطلق . ويظهر أن بعض التابين تهبط طبائعهم دون ذلك فيجنحون الى الاوهام المجسمة لينشئوا علاقات معها تنمو علـــــى حساب التوحيد الخاص !

وقديما عندما هاجم التتار بغداد ، سُمع بعض المغفلين ـــــــ هؤلاء يقولون :

ياخائفين من التتــــر لوذوا بقبر أبي عمر

ولا أعرف ابا عمر هذا ، ولا قبره ، سواء كان صالحا أو طالحا ، فإن اللياذ به لا يغني شيئا .

وقد سقطت بغداد ، وأُعمل السيف في رقاب الرعاع اللائذيـــن به . . . وكان بعض الحشاشين في القاهرة يستنكر أن يحتلها الانجليز ، وفيها قبر فلان وفلان من الائمة ، ماذا دهى المسلمين حتى سرت بينهــم تلك الخزعبلات ؟ فاذا شرحت عقيدة التوحيد في أدب وتيسير جاء ــــ يتهملك بعداوة الصالحين " "١"

---

(١) ركائز الايمان : ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وانظر ماكتبه الجبرتي عن القصة المحزنة المخزية في المنزل المقدسة التي كان يقدسها مــن يسمى الشيخ عبد اللطيف ، والتي ذبحها الوالي وقدمها طعامـا له ولاتباعه وحاشيته ثم بكّت الشيخ وتهكم به : ١ / ٤٠١ - ٤٠٣ .

٢ ـ أما عن الانحراف في مفهوم التوكل فيمكن القول بأن التوكل على الله كان هو الباعث للصحابة والتابعين على الجهاد والانطلاق والحركة في الارض لعمارتها بطاعة الله واقامة شرعه فكيف انحرف. وانقلب هذا المفهوم الى تواكل ودعة وخمول في القرون المتأخرة من حياة المسلمين ؟

لا يمكن أن نعرف ذلك الا اذا عرفنا معنى التوكل الحقيقي والمعين الذى نأخذه ونستنبط منه نحن المسلمين مفاهيمنا ـ هما القرآن والسنة النبوية فماذا في القرآن والسنة ؟

يقول الله تعالى : " وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله .. " (آل عمران : ١٥٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه عمر بن الخطاب : " لو انكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " "١"

فالآية ترشد الى أن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى المؤمنين برسالته ان عليهم أن يتشاوروا فيما بينهم فاذا عزم القائد ـ يعمل الاسباب ـ فليتوكل على الله في حصول النتيجة .

والحديث واضح الدلالة على هذا المعنى ايضا فالطير تغدو في الصباح الباكر ضامرة من الجوع وتأتي مساء شبعى فهي تسعى في ارض الله لطلب الرزق فيحصل لها ذلك . فعلى المؤمن أن يسعى في طلب الرزق

----

١) اخرجه احمد في مسنده : ١/ ٣٠ ، والترمذى في سننه : ٢/ ٥٥ وابن ماجة في سننه : ٤١٦٤ والحاكم في المستدرك : ٤/ ٣١٨ .

بأسباب يتوصل بها الى ذلك ، ويتوكل على الله في حصول النتيجة فقد يسعى الانسان لعمل ولا يفيد منه وذلك لان الله قدر له أن لا يفيد رزقاً من هذا العمل وكذا طالب العلم قد يتوجه الى دراسة علم من العلوم ولكنه لا يوفق فيه لأن الله قدر له أن يوفق في علم آخر وهكذا ، فان الاسباب لا تؤثر في المسببات ولكنها وسيلة لحصول السبب .

وقد فهم السلف الصالح هذا الفهم السليم .

فقد بكت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجون بلا زاد ، فذمهم " قال معاوية بن قرة : لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، فقال : بل أنتم المتاكلون ، انما المتوكل الذى يلقي حبة في الارض ، ثم يتوكل على الله " . "١"

ولهذا لما فهم اعرابي - التوكل فهما خاطئا فلم يعقل ناقته بل تركها عند باب المسجد بلا عقل فهربت - قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " اعقلها وتوكل " فقد ارشده الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل السبب الذى يكون به في الغالب حفظ الشيء ويتوكل على الله في النتيجة .

هذا مافهمه السلف رضوان الله عليهم في التوكل ، ولكنه خلف من بعدهم خلف من متصوفة القرون الاخيرة ، ومن الجهلة المتبعين لهم فانقلب التوكل عندهم الى تواكل سماه بعضهم يقينا وسماه آخرون قناعة " والكل مخطيء في هذا الفهم . ومن المؤسف حقا أن يكون تصور بعض العلماء الذين يشار اليهم بالبنان هذا التصور الخاطيء . يقول ابو حامد

---

١) جامع العلوم والحكم : ٤١٤ شرح الحديث التاسع والاربعون .

الغزالي في شرح مقامات التوكل في ملابسة الاسباب مايلي :

" والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات : (الاول) مقام الخواص ونظرائه ، وهو الذي يدور في البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعاً ومافوقه ، أو تيسير حشيش لــه أو قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك ، فإن الــذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد ويصل بغيره ويموت جوعاً ، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده .

(المقام الثاني م) : ان يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه فــي القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ، ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة ، معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهــة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق ، فــإن ذلك من الاسباب الجالبة ، الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الــى الذي يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد ، اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريــك دواعيهم .

(المقام الثالث) : أن يخرج ويتكسب اكتسابا على الوجــه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب . . " (١)

---

(١) احياء علوم الدين : ٤ / ٢٦٨ . وهذا الترتيب من الغزالي يجعله المقام الاول هو مقام الخواص من الناس والمقامات الثانية هي لعامــة الناس يشعر بفهم منحرف لمعنى التوكل فالناس في التعامل مــع ربهم سواء .

وقال فيه كلاما حسنا - . واذا علمنا أن الغزالي رحمه الله قال هذا الكلام وجحافل الجيوش الصليبية في حملتها الاولى عدك معاقل المسلمين ادركنا مدى الانحراف في الفهم الذى وقع فيه حتى العلماء ، بل قال بعض مشائخ المتصوفة : " لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص " "١"

ويقول الامام ابن تيميه :

" ... فكل ما أمر الله به عباده من الاسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى : " ... فاعبده وتوكل عليه " وفي قوله : " قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب " وقول شعيب عليه السلام " عليه توكلت واليه انيب " . "٢"

ويقول الدكتور حسن الترابي في نقد الفهم الخاطئ للتوكل كلاما حسنا هذا نصه :

" ... فالتوكل شعبة من شعاب الايمان تهيء المؤمن في واقع الدنيا لحياة عامرة بضروب العمل الصالح مقتحمة بوجوه الخير وفقاً لتوجيهات الشريعة وحدودها وهو لذلك ايجاب لا سلب بدفع للاقدام لا للقعود .

" وينبغي لذلك أن تنفى عن عقيدة التوكل الصحيحة بعض التصورات الواهمة التي انحدرت اليها معتقدات العامة من بعض المسلمين ، فقد أخذوا من التوكل معنى التعطل ومن القضاء والقدر معنى الجبر المحتوم فانتهوا الى الخنوع والقعود عن محاولة التأثير الفعال في الحياة اعتذاراً

---

١) التصوف بين الحق والخلق : ٤٣ .
٢) العبودية : ٧٣ .

بأن القدار جاء على وجهه المكتوب مهما فعلوا واتكالا على أن الله سيدبر لهم الخير مهما تركوا .

" والحق أن اقدار الله هي أسباب الطبيعة وقواها وما الانسان بقوة الا بعضاً منها ولكنه يدعو - ومدعو بسلطان من الله - الى تفهم تلك الاسباب واقحام جهده فيها وتسخيرها بعضها على بعض. ولا يملك الانسان أن يغير السنن والاسباب المقدرة وانما يحاول أن يرتب التفاعل بينها نحو نتيجة يبتغيها ، فإن أصاب في محاولته وأدرك مبتغاه كانت النتيجة من كسبه هو بهذا الوجه ولكنها في الحقيقة الكلية من قضاء الله خالق الكائنات - انسانا وما سواه ومقدر قواها وقاضي مصائرها ، وليس التوكل أن يزهد الانسان في العلم والعمل بدعوى التفويض الى الله أن لا يترتب على ذلك سوى أن تجرى معادلات الاسباب وتفاعلاتها بمعزل عن تدخله وتستقر عند نتائجها المقضية بسنن الله واوامره . وانما يعني التوكل ثقة الانسان بالله ومن ثم الاستعانة بما يوقن به من حقائق الايمان ومايتعلمه من قواعد الشريعة ليزداد تفهماً للسنن الكونية ودراية بالمسالك الموصية الى مايبتغى من الخير " "١"

ومنذ أن فهم المسلمون في العصور الاخيرة هذا الفهم الخاطىء للتوكل الذى أصبح اتكالية وتواكلاً غطوا في نوم عميق ولم يستفيقوا الا على زحف المؤتية الغربية ممثلة في الاستعباد الغربي للعالم الاسلامي - وهي تدمر معاقلهم . وفوجىء المسلمون بذلك مفاجأة أذهلتهم عن أنفسهم

---

(١) الايمان وأثره في حياة الانسان : ٤٣ ، ٤٤ ، وانظر ماقاله شارح العقيدة الطحاوية : ٣٠١ .

وزلزلت ايمان بعضهم بدينهم . ذلك الايمان الذى كان خاملا مدة طويلة من الزمن حتى اعتقد بعض المسلمين أن الدين الاسلامي وعقيدة القضاء والقدر والتوكل على الله هي سبب تأخر المسلمين وجهلوهم ذلك لانهم عاشوا في مجتمع لا يعرفون فيه من شعائر الدين الا ما خطه لهم مشايخ الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الاسلامي - من الصلوات والاوراد - غير المشروعة في غالبها . كما انهم لا يعرفون من قواعد الايمان واركانه الا ان يرضى كل مسلم بما كتب له - حسب المفهوم المنحرف للقدر - كما أنهم باسم الزهد في الدنيا والاستسلام) الذليل للفقر والذل - بحجة الايمان بالقدر والتوكل على الله - تقهقروا أمام الزحف الاستعبادى للدول الأوروبية وضاع كيانهم السياسي والفكرى والعلمي .

الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر :

لمعرفة كيف انحرف المسلمون في فهمهم للايمان بالقدر وما هو المسار الذى ساروا عليه في هذا الانحراف ؟ لابد من معرفة التصور الصحيح للايمان بالقدر .

يقول الامام ابن تيميه :

" والقدر يؤمن به ، ولا يحتج به ، بل العبد مأمور أن يرجع الى القدر عند المصائب ، ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب كما قال تعالى : " ٤٠ - ٥٥ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك " ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت بأكله من الشجرة ، فذكر له آدم " ان هذا كان مكتوبا قبل أن اخلق ،

فحج آدم موسى " كما قال تعالى : " ٥٧ : ٢٢ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير " وقال تعالى : (٦٤ : ١١ ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه "

وقال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

فهذا وجه إحتجاج آدم بالقدر ، ومعاذ الله أن يحتج آدم ، أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر فإنه لو ساغ هذا الساغ أن يحتج ابليس ومن إتبعه من الجن والانس بذلك ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والعصيان ، ولم يعاقب ربنا أحداً ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعاً وعقلاً .

فإن هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء ، فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه .

" وهذا المحتج بالقدر ؛ لو جنى عليه جان لطالبه ، فإن كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه ، والا فليس حجة لا لهذا ولا لهذا .

" ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا : لم يكن للناس أن يعيشوا ، اذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول ان يعيشا ، اذ لكل منهما أن يقتل الآخر ، ويفسد جميع اموره محتجا على ذلك بالقدر " . "[١]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

ولم يكن الايمان بالقدر يعني ترك العمل بالاسباب ، لأن الله قدر الاشياء بأسبابها يوضح ذلك الامام ابن تيميه رحمه الله حيث يقول : وهو - يعد قاعدة عظيمة في هذه القضية - " ... وبين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر فقيل له : " أرأيت رقى نسترقي بها ؟ وتقي نتقي بها ؟ وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله

" فالالتفات الى الاسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات ، شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون اسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب المأمور بها قدح في الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدا على الله ، لا على سبب من الاسباب ، والله ييسر له من الاسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ... " (١)

وقد أدرك أحد المستشرقين الألمان - للأسف - على كفره ، الفرق بين الايمان بالقدر كما فهمه السلف ، والذى جعلهم أمة فاعلة في الارض نشرت لواء الاسلام فوق ثلثي المعمورة في ذلك الوقت ، وبين إيمان الخلف - الذين أثر فيهم المتصوفة - بالقدر . قال :

" ... ان طبيعة التدين هي شعور بقوة غيبية مقدسة لهـا سلطان على المتدين تخضعه لطاعتها وتوجهه حسب إرادتها ، فالمتدين يتلقى الاوامر وينفذها دون اعتراض ، بل يحاول التقرب الى هذه القوة بتنفيذ ماسنته من شرائع وما أوحت به من سنن ، ولم تبلغ درجة هذه الطاعة

----

(١) فتاوى ابن تيميه : ٥٢٨/٨ ، وانظر كذلك زاد المعاد ٦٧/٣

والخضوع في الاديان - ربما في الاديان كلها - قوة ما بلغته في الاسلام ، (فكلمة الاسلام تعني الاستسلام) فطبيعة المسلم التسليم لإرادة الله والرضا بقضائه وقدره والخضوع بكل مايملك للواحد القهار .

" وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان : ففي العصر الاسلامي الاول لعبت دوراً كبيراً في الحروب اذ حققت نصراً متواصلاً ، لأنها دفعت في الجندي روح الفداء .. وفي العصور الاخيرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الاسلامي ، فقذف به الى الانحدار وعزله وطواه عن تيارات الاحداث العالمية . " (١)

وهذا النص يوضح أن الذنب هو ذنب المعتقدين لا ذنب العقيدة فالعقيدة واحدة ومع ذلك أدت الى اثرين مختلفين بسبب حسن الفهم في العصور الاولى ، وسوء الفهم في العصور الاخيرة .

ولقد تنبه الى هذا الامر وصاغه في شعر جميل الشاعر الاسلامي محمد اقبال اذ قال :

من القرآن قد تركوا المساعي	وبالقرآن قد ملكوا الثريــا
الى التقدير ردوا كل سعــي	وكان زماعهم قدرا خفيا (اوحقيا)
تبدلت الضمائر في اســار	فما كرهوه صار لهم رضيا (٢)

ومعنى هذه الابيات أن المسلمين قد احتجوا في عصورهم الأخيرة بالقرآن في ترك السعي والعمل زاعمين أن ماقدر للانسان سيكون حتى لو لم يعمل ، وقد ملك أجدادهم الثريا بالعمل بالقرآن والاحتجاج به ،

---

١) الاسلام قوة الغد العالمية : ٧٧ ، ٧٨ .
٢) ضرب الكليم : ٩ .

ذلك أن عزم أجدادهم كان قدرا من أقدار الله .

ولا ريب أن كل ما أصاب المسلمين من ذل وهزائم حسية ومعنوية - كان بقدر الله الذي لا تخفى عليه خافية ، العالم بما كان وما سيكون ، لكن المسلمين في العصور المتأخرة حرفوا هذا المفهوم فجعلوا من الايمان بالقدر مبرراً لعجزهم وانهيارهم ، غافلين عن حقيقة أولية ثابتة من حقائق الايمان وهي أن اقدار الله تجري عليهم وعلى البشر وفق سنن ثابتة سنها الله جل وعلا وأوضحها في القرآن ، فالمسئولية مسئولية المسلمين وحدهم .

وبعد أن وصل المسلمون الى هذا الحد من الانحراف في التصورات الاسلامية للطاعة والاتباع ، والعبادة ، والتوكل والقضاء والقدر ، أصبح من السهل أن يقال للناس إن هذا الدين لا علاقة له بالحياة ، وإنما هو رابطة تربط قلب الانسان بربه ليفجو في الآخرة ، أما في هذه الدنيا فليس له علاقة بها ، وليس من شأنه أن يهيمن عليها . وكان هذا هو المنفذ الذي تسربت منه العلمانية كاحدى مظاهر الغزو الفكري للعالم الاسلامي .

وهكذا انتقلت الفكرة العلمانية - وهي فكرة أجنبية - الى العالم الاسلامي ووجدت المناخ مناخاً مناسباً بما وصلت اليه الحالة الفكرية والعلمية والسياسية من الوضع السيء المنحط .

والحق أن إنتقال هذه الفكرة الى العالم الاسلامي ماكان ليحدث لولا أن المسلمين كانوا مصابين بما أسماه المودودي رحمه الله بـ " قابلية الاستعباد " وما اسماه مالك بن رحمه الله بـ " قابلية الاستعمار " .

يؤيد هذا ، ان الامة الاسلامية تعرضت لغزوتين شرستين هما : الغزوة الصليبي والتترى . ومع ذلك لم تخنع الامة الاسلامية للامم الغالبة ، ولم تقتبس من مناهجهم ونظمهم شيئا بل التاريخ يحدثنا أن

الحروب الصليبية كانت إحدى معابر الحضارة الاسلامية الى أوربا كما يحدثنا التاريخ أن المغول قد اعتنقوا الاسلام ولم يحدث في تاريخ البشر أن إعتنقت الامة الغالبة دين الأمة المغلوبة ، وماذاك الا لأن المسلمين لم يكونـــوا قد وصلوا الى ماوصلوا اليه من الانحراف الذى وصلوا اليه في القرون الاخيرة .

وبعد أن عرفنا شيئاً عن الانحراف الذاتي للمسلمين وهو عامـــل حاسم في التهيئة لانتقال العلمانية الى العالم الاسلامي ننتقل الى بيـــان أثر عامل آخر في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي الا وهو " ماعدد مـــن المفكرين تأثروا بالفكر العلماني الغربي شعورا أم لم يشعروا " .

ب ـ مفكرون كان لهم أثر في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي :

سوف أستعرض في هذه الفقرة من هذا الفصل آراء وأفكار مجموعة من الكتاب الاوائل الذين عاشوا في الفترة من ١٢١٦ هـ الى ١٣٤٣ هـ (١٨٠١م - ١٩١٦م) وسوف يتضح من هذا الاستعراض مدى تأثير أفكار هؤلاء الاشخاص في انتقال الفكر العلماني الى العالم الاسلامي ، وان كان أغلبهم لم يقصد الى ذلك وإنما كانت آراءهم وأفكارهم التي سطروها ردود أفعال معينة لاحداث عاصروها خاصة الاحداث السياسية ، وللحالة الاجتماعية السيئة التي يعيشها المسلمون في تلك الفترة ، ولحالة الركود العلمي والفكرى التي سيطرت على العالم الاسلامي في القرون الاخيرة من الخلافة العثمانية مما تسبب عنه الجهل المطبق في علوم الشريعة وغيرها من العلوم النافعة ، فإذا أضيف الى ذلك ما رآه المتقدمون من هؤلاء الكتاب من بريق المدنية الغربية وقرب عهد أوربا بالثورات التي غيرت وجه أوربا ونقلتها من عهد الى عهد جديد مغاير للعهد الاول ـ خاصة الثورة الفرنسية اللادينية التي كان لليهود كما سبق أن ذكرنا الدور الكبير في قيامها ، خاصة من سافر منهم الى اوربا كالطهطاوى وخير الدين التونسي ـ أدركنا الأثر الذى كان لهؤلاء المفكرين في العالم الاسلامي .

أما رفاعة رافع الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ) (١٨٠١ - ١٨٧٣م) فقد أقام في باريس خمس سنوات موفداً لمرافقة البعثة المصرية الاولى الى فرنسا والتي بعثها محمد علي باشا للدراسة هناك وقد درس في باريس .

وأما الآخر وهو خير الدين التونسي (١٢٢٥ - ١٣٠٨ هـ) (١٨١٠ - ١٨٩٠م) فقد أقام في باريس أربع سنوات (١٨٥٢ - ١٨٥٦) "١"

يقول عنهما الدكتور محمد محمد حسين مايلي :

" نستطيع ان نجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة ، هي صدى لتفكير القرن الثامن عشر في أوربا ، وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص ، وهي آراء تظهر للمرة الاولى في المجتمع الاسلامي ، ربما رددا ها عن حسن قصد دون أن يسبرا اغوارها البعيدة أو يتعمقا حقائقها ، ولكنهما على كل حال قد وضعا البذور التي تعهدها من جاء بعدهما بالسقي والرعاية حتى نمت وضربت جذورها في الارض . وربما عرضت بعض هذه الآراء عرضاً سريعاً عاجلاً قد يبدو ضئيل الخطر ولكن أهمية الطهطاوي وخير الدين ترجع الى أنهما قد جلبا هذه البذور الغربية والقياها في التربة الاسلامية "٢"

ويرى الدكتور محمد محمد حسين أن الكلام عن الوطن والوطنية بالمعنى القومي الحديث في أوربا ، والاهتمام بالتاريخ القديم لتدعيم هذا المفهوم الوطني الجديد ، والحديث عن الحرية بوصفها الأساس في نهضة اى أمة ، والدعوة الى وضع مدونة فقهية واضحة محدودة ، في صورة مواد قانونية ، على نمط المدونات القانونية الاوربية ، ونقل النظريات الثورية التي تريد مناقشة الحكام فيما عليهم من واجبات وتبصر الشعوب بما لهم من

---

١) الاسلام والحضارة الغربية : ١٧ .
٢) نفس المصدر : ١٧ .

حقوق ، والعرض للنظم الاقتصادية الغربية القائمة على المصارف والشركات ، عرضا مجردا احيانا من التعليق ، ومشوبا بالإعجاب والتساؤل عن امكان تطبيقه بين المسلمين أحيانا أخرى ، وكذا الحديث عن المرأة ومايتعلق بها من تعليم ، ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين كل ذلك نجده لدى هذين المفكرين ونجد انهما أول من طرق هذه الموضوعات في العالم الاسلامي . "١"

وجاء في كتاب " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي " عن خير الدين مايلي :

انه " .. من المصلحين الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية واقتنعوا بأن على الشرق أن يغير أساليب الحكم الاستبدادي الذي جرى عليه " "٢"

والآن سوف أستعرض جملة من الآراء لهذين المفكرين ثم أعقبه باستعراض جملة من آراء المفكرين الآخرين .

يقول الشيخ رفاعة الطهطاوى عن الوطن والوطنية وحب الوطن مايلي :

" فابن الوطن المتأصل به، أو المتنجع اليه ،الذى توطن به واتخذه وطنا ينسب اليه تارة والى اسمه فيقال : مصرى ، والى الاهل فيقال : أهلي والى الوطن فيقال : وطني ، ومعنى ذلك أنه يتمتع بحقوق بلده ،واعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأنسية ،

---

١) المصدر السابق : ١٧ ، ١٨ .

٢) الأعلام : ٢ / ٣٢٧ هامش

ولا يتصف الوطني بوصف الجريمة الا إذا كان منقاداً لقانون الوطن ومعيناً على إجرائه . فانقياده لأصول بلده يستلزم ضمنا ضمان وطنه له التمتع بالحقوق المدنية ، والتميز بالمزايا البلدية ، فبهذا المعنى هو وطني وبلدي .. " (١)

وقال أيضا :

" .. فمحض تعصب الانسان لدينه لاضرار ، غير أنه لا يعد الا مجرد حمية وأما التشبث بحماية الدين لتكون كلمة الله هي العليا فهو المحبوب المرغوب " (٢)

" ان الاخوة في الانسانية تلزم عبادة الله ... ثم إن أخوة العبودية التي هي التساوى في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية وهي اكتساب مايصير به المسلمون اخواناً على الاطلاق " (٣)

" فجميع مايجب على المؤمن لأخيه المؤمن يجب على اعضاء الوطن في جميع حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن الاخوة الدينية فيجب أدباً لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثروته ، لان الغنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية ، وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لانتفاعهم جميعا بمزية النخوة الوطنية . " (٤)

---

(١) الاعمال الكاملة : ٢/ ٤٣٣ .

(٢) مناهج الالباب المصرية : ٤٠٦

(٣) المصدر نفسه . : ٤٠٦

(٤) المصدر نفسه : ٩٩

فاذا أردنا تقديم تقويم منصف لهذه الافكار التي تضمنتها النصوص السابقة فإننا نلحظ أن الطهطاوى قد حدد الوطن بتحديد جديد لا عهد للمسلمين به منذ بزوغ فجر الاسلام - اذ حدده بقطعة من الارض كمصر أو الشام - كما يرى أن الرجل لا يعد وطنيا الا اذا انقاد لقانون الوطن وكان معينا على إجرائه دون أن يفرق بين القانون الصحيح والفاسد . فكأنه بهذا اغفل عن ماورد في القرآن من تسفيه لقوانين أهل مكة الجاهلية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكأنه غفل عن وصم القرآن أهل مكة بالجاهلية رغم أنهم أهل وطن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل انه غفل عن ماجاء في القرآن بشأن عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب وهو من أهله وأقرب الناس اليه . كما أنه غفل عن التاريخ الاسلامي فالمستعرض لتاريخ المسلمين لا يجد أن مؤرخا من المؤرخين المسلمين استخدم كلمة وطن بل كان الاصطلاح الاسلامي المتعارف عليه بين علماء الشريعة ومؤرخوا الأمة هو تقسيم بلاد اللهالى دار اسلام ودار حرب . فدار الاسلام هي كل بلد تقع تحت حكم المسلمين وتطبق فيها شريعة الله . ودار الحرب هي كل بلد تقع تحت حكم طواغيت الارض ولا تطبق فيها شريعة الله .

والطهطاوى في هذه النصوص يدعو الى الاخوة الانسانية ويرى وجوب التساوى بين ساكني أهل المملكة ، ويرى أنه يجب على أعضاء الوطن بعضهم على بعض جميع مايجب على المؤمن لأخيه المؤمن لأنه يجمعهم وطن واحد لذا فإنه يرى أن من الواجب لمن يجمعهم وطن واحد أن يتعاونوا على تحسين الوطن واكمال نظامه بالسوية لانهم متفعمون بمزية النخوة الوطنية .

ولو أن الطهطاوى كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة لعلم

ان الله سبحانه وتعالى فرق بين من يؤمن بالله ويخلص دينه له ، وبين من يشرك مع الله غيره ، ولقد كان ممن وصمهم الله بالشرك النصارى واليهود .

والاسلام مع ذلك قد كفل للنصارى واليهود من أهل الذمة ـ الحقوق الانسانية وألزمهم بأشياء مقابل هذه الحقوق وهي ماتعرف عند مفكري الاسلام بحقوق أهل الذمة ـ ، ولو انه رحمه الله كلف نفسه مراجعة نصوص القرآن والسنة ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وفقه فقهاء المسلمين لهذه النصوص لعلم أن النصارى في تلك الايام عاشوا عيشة هنيئة لم يظلموا فيها ماداموا مؤديين للحقوق الواجبة عليهم للدولة الاسلامية .

ويقول في نص آخر مايلي :

" ... ومن زاول علم اصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية ، التي وصلت عقول أهالي باقي الامم المتمدنة اليها ، وجعلوها أساساً لوضع قوانين تمدنهم واحكامهم ، قل أن تخرج عن تلك الاصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية ، التي عليها مدار المعاملات . فما يسمى عندنا بأصول الفقه يشبه مايسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية . وهو عبارة عن قواعد عقلية ، تحسينا وتقبيحا ، يؤسسون عليها أحكام المدنية . وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية . وما يتمسك به أهل الاسلام عن محبة الدين والتولع بحمايته ، مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة ، يسمونه محبة الوطن " [1]

---

(١) الاعمال الكاملة : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

ثم يقول :

" ... ولما كانت أعمال كل نوع من أنواع المخلوقات وكل عضو من أعضاء فرد ذلك النوع منقادة لنواميس طبيعية عمومية خصته به الحكمة الالهية فكان لا يمكن مخالفة هذه النواميس بدون اختلال للنظام العام والخاص ، وهذه النواميس الطبيعية التي خصت بها العالم القدرة الالهية عامة للانسان وغيره ... " .

" ... فينبغي للانسان أن لا يتجارى على هذه الاسباب ويتعدى حدودها حيث ان المسببات الناتجة عنها منتظمة محققة ..

" ... وأغلب هذه النواميس الطبيعية لا يخرج عنها حكم الاحكام الشرعية ، فهي فطرية خلقها الله سبحانه وتعالى مع الانسان وجعلها ملازمة له في الوجود ، فكأنها قالب له نسجت على منواله وطبعت على مثاله وكأنما هي سطرت في لوح فؤاده بالهام الهي بدون واسطة ، ثم جاءت بعدها شرائع الانبياء بالواسطة وبالكتب التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهي سابقة على تشريع الشرائع عند الامم والملل ، وعليها في أزمان الفترة تأسست قوانين الحكماء الاول وقدماء الدول وحصل منها الارشاد الى طرق المعاش في الازمنة الحالية كما ظهر منها التوصل الى نوع من انتظام الجمعيات التأنسية عند قدماء مصر والعراق وفارس واليونان وكل ذلك من لطف الله تعالى بالنوع البشري حيث هداهم لمعاشهم بظهور حكماء فيهم يقننون القوانين المدنية لا سيما الضرورية لحفظ المال والنفس والنسل . " (١)

---

(١) المصدر السابق : ٤٧٩ - ٤٨١ .

ويمكننا أن نستنتج من النص السابق مايلي من الأفكار :

١ - ان الطهطاوى - رحمه الله - يشبه أصول الفقه الاسلامي المستنبط من نصوص القرآن والسنة بما وصلت إليه عقول الاوربيين بعيداً عن أحكام الشرائع المنزلة من عند الله ، وهذا خطأ بين ، فلا شك أن اصول الفقه لا يشبه شيئا من القواعد التي توصل اليها الأوربيون بعقولهم بعيدا عن شرع الله .

٢ - قياسة محبة الدين والعمل على حماية أهله على ماعند الاوربيين مما يسمونه محبة الوطن والحق أن محبة الدين أو الفكرة التي يؤمن بها الانسان تجعله يهجر وطنه - سقط رأسه - من أجل ذلك ووقائع التاريخ خير شاهد على ذلك .

٣ - يرى الطهطاوى أن الاسباب لابد أن تنتج مسبباتها . والواقع أن هذا خطأ واضح فالأسباب لا تنتج بالضرورة مسبباتها اذ قد يتخلف عنصر من العناصر المساعدة على تحقق المسبب فلا يتحقق .

٤ - يرى أن النواميس الطبيعية - وهي القانون الطبيعي عند فولتير - لا تخرج احكام الشريعة عنها وهي مسطرة من فؤاد كل فرد بالهام ، وأن هذه النواميس الطبيعية سابقة على شرائع الأنبياء ، وأن على هذه القوانين تأسست قوانين الدول القديمة في حفظ المال والنفس والنسل

وهو بهذه الافكار يقرب من أفكار فولتير وفي ذلك مافيه من خطورة على المجتمع المسلم .

ويقول عند الحديث عن الدستور الفرنسي - بعد أن تحدث عن الدولة وما يتألف منه الدستور ، وأن ملك فرنسا غير مطلق التصرف - يقول :

" والكتاب المذكور فيه أمور لا ينكر ذوو العقول أنها من باب العدل الذى فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاطينية ورقة ، ثم تسومح فيها ، فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة ، فلنذكره لك وان كان غالب مافيه ليس في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلماً ابداً ، والعدل أساس العمران . " "١"

والطهطاوى يعلم أنه يخاطب بهذا النص وبكتابه المسلمين ، ومع ذلك فهو يذكر قانون فرنسا المسمى شرطه مع علمه بان غالب مافيه كما يقول مخالف لما في الكتاب والسنة ، فكيف سوغ لنفسه أن يذكر ذلك القانون وان يثني عليه " .

لا ريب ان هذا السلوك منه - وهو ثناؤه على القانون المخالف لما في القرآن والسنة أثر من آثار الفكر العلماني الاوربي على الطهطاوى عرف ذلك أو لم يعرفه .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين تعليقا على النص السابق :

" وبذلك مهد الطهطاوى ، من حيث يدرى أو لا يدرى ، لقبول التشريع الوضعي الذى يستند الى العقل - على قصوره ، وعلى مخالطة الشهوات له . . " "٢"

----

(١) تخليص الابريز في تلخيص باريز : ١٤٠

(٢) الاسلام والحضارة الغربية : ٣١ .

وفي ختام حديثي عن الطهطاوى - رحمه الله - أذكر ماقاله الدكتور عزت قرني - بعد أن قدم تقويما عاماً لآراء الطهطاوى قال :

" ... هذه الافكار الجديدة هي أفكار الثورة الفرنسية (١٧٨٩) كما عدلها دستور ١٨١٨ الذى صدر في عهد الملك لويس الثامن عشر وكما انتقدتها وأكدت عليها ثورة ١٨٣٠ في فرنسا ، وهي التي إنتهت باعتلاء الملك لويس فيليب عرش المملكة ، والتي رأى احداثها رأى العين فتانا النابه المنتبه وقد عرضها " تخليص الابريز " على الخصوص في الفصل الذى خصصه بعنوان : " في تدابير الدولة الفرنسية " وهو الثالث من المقالة الثالثة .. " (١)

هذا فيما يتعلق برفاعة رافع الطهطاوى ، أما خير الدين التونسي فسوف أذكر له عدة نصوص :

قـــال :

" انه قد جمع في كتابه ماتيسر له من مستحدثات الاوربيين " المتعلقة بسياستي الاقتصاد والتنظيم " ، مع الاشارة الى ماكانوا عليه من العهد القديم ، وبيان الوسائل التي ترقوا بها في سياسة العباد الى الغاية القصوى من عمران البلاد ... والغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الاوروبية الى ماهي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية أن نتخير منها مايكون بحالنا لائقا ، ولنصوص شريعتنا مساعداً وموافقاً ، عسى ان نسترجع به ما أخذ من أيدينا ، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا " . (٢)

---

١) العدالة والحرية : ٣١

٢) أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك : ٣ - ٥ .

وقال في موضع آخر :

" ... هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليه بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهدة عند غيرنا ، وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا من الناس ، على دعامتي العدل والحرية ، اللذين هما أصلان في شريعتنا ، ولا يخفى أنهما ملاك القوة والاستقامة في جميع الممالك ؟ " [1]

في النص الاول يذكر التونسي أنه قد جمع ماتيسر له من ما استحدث في أوربا من النظم الاقتصادية والتنظيم (اى النظم السياسية) وهي التي يرى أنهم ترقوا بسببها الى الغاية القصوى من عمران البلاد ، وهو يريد أن يأخذ المسلمون بما يكون بحالهم لائقا .

والباحث المنصف اذا أراد ان يعرف ماهي النظم الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر فإنه سيجد أن النظم الاقتصادية السائدة في ذلك العصر هي النظام الاقتصادي الرأسمالي بزعامة آدم سمث (١٧٩٠م) ومالتوس (١٨٣٤م) وريكاردو ، وهو نظام قائم على الربا والاحتكار وعلى تفسير لاديني للحياة . أما المذاهب والنظم السياسية فإننا نجد أن المذاهب السائدة في السياسة في ذلك العصر هي مذاهب ونظريات كل من جان جاك رسو " (١٧٨٧) الذى يعد كتابه " العقد الاجتماعي انجيل الثورة الفرنسية " وقد كانت افكاره من الارهاصات الفكرية للثورة الفرنسية ، ونجد " جون لوك " (١٧٠٤) .

---

١) المصدر السابق : ٩

فهل يريد التونسي أن يأخذ المسلمون بهذه الأفكار والنظريــات وهي قائمة على اساس لاديني أم ماذا يريد ؟

ويقول خير الدين في موضع آخر في بيان مقصده من كتابة الكتاب مايلي :

" لما كان السبب الحامل على الشيء متقدما عليه طبعاً ناســب أن نقدمه وضعاً ولم نكتف بالايماء في الخطبة الى مادعانا لجمع التأليــف بل رأينا من المهم أن نعود الى ايضاحه عنا ونبني عليه ما أردنا ايــراده في المقدمة فنقول : ان الباعث على ذلك أمران آيلان الى مقصد واحد :

احدهما : اغراء ذوى الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس مايمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية ، وتنمية أسباب تمدنها ، بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان ، وتمهيد طريق الثروة ، من الزراعة والتجارة ،وترويج سائر الصناعات ، ونفي أسباب البطالة ، وأساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منه الامن ، المتولد منه الامل ، المتولد منه اتقان العمل المشاهد في الممالك الاورباوية بالعيان ، وليس بعده بيان .

وثانيهما : تحذير ذوى الغفلات من عوام المسلمين من تماديهــم في الاعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ماعليه غير المسلم من السيرة والتراتيب ينبغي أن يهجر ، وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر ". "١"

---

١) المصدر السابق : ٥

ثم يقول :

" وحيث تقدم بيان الادلة الكافية على وجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الاجنبي والمتوظفين منها لكان كافياً في الدلالة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة . كان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين احوالهم على وجه يزرع حب الوطن في صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم . . " (١)

يدعو التونسي هنا الى الاصلاح ولكنه يرى أن سبيل ذلك هو أن نأخذ من أوروبا ما وصلت اليه من تقدم في مجال الزراعة والتجارة ، وتوسيع دوائر العلوم والعرفان ، وهو يحذر المسلمين من اعراضهم عن الأخذ من أوروبا لمجرد انهم كفار .

والحق أن هذه الدعوة لها جانب ايجابي وجانب آخر سلبي ،

فأما الجانب الايجابي فيتمثل في أن الاسلام يدعو ابنائه الى السعي للوصول بأنفسهم الى أرقى ما يمكنهم أن يصلوا اليه في الزراعة أو الصناعة أوالتجارة ، والدعوة الى الله . وذلك بالعمل الذاتي المنتج باعمال أفكارهم لاصلاح حالهم على هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يستطيعوا ذلك بأنفسهم فإن الاسلام أباح لهم أخذ ما يفيدهم من غيرهم من الأمم واشترط عليهم حسن الاختيار وحصرها في الوسائل المفيدة الموصلة الى الاهداف والغايات النبيلة التي يسعون لها وهو تطبيق شرع الله على البشر كلهم ، ذلك لان " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن انا وجدها فهو احق بها " .

(١) المصدر السابق : ٥

أما الجانب السلبي في هذه الدعوة فهو يتمثل في دعوة التونسي الى تحذير المسلمين من إعراضهم عن أخذ مايحمد من سيرة الغير ، فاذا أردنا أن نعرف من هو هذا الغير فإننا نجد أن هذا الغير هم الاوربيون وعلى الأخص الفرنسيون المتأثرون بالثورة الفرنسية التي مازالت أفكارها اللادينية في السياسة والاقتصاد والاجتماع تموج ا في الساحة ، وتسيطر على الافكار والدول الاوربية .

وفي هذا النص ايضا يرد ذكر الوطن وحبه وقد سبق أن تكلمت عن هذا المفهوم بما أراه كافيا . وأضيف هنا أن أول مثل عرف عن استعمال كلمة وطن بمعنى سياسي كان - كما يقول برنارد لويس - في تقرير (لمورلي السّيد علي) افندى السفير العثماني في باريس في عهد حكومة المديرين . "١"

والتونسي يدعو في وضوح اكثر بالاخذ بالنظام السياسي الديمقراطي الغربي في نصوص أخرى . "٢"

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٥ .

٢) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٠ .

ويدعو الى الاخذ بنظام المصارف والشركات ويمثل ببنك فرنسا ومافيه من الثروة العظيمة ، ويمثل أيضا بشركة الهند الانجليزية (المساة بالغربية " "١"

ولعل الذى دعا الطهطاوي وخير الدين التونسي لما تقدم منهم من آراء أمور معينة يمكننا تلخيصها في الآتي :

١ - سوء الحال الذى وصلت الامة الإسلامية من الناحيتين السياسية ، والفكرية والعلمية فقد كانت الدولة العثمانية قد بدأ يسرى فيها الضعف بل ينخر فيها بسبب تأثر بعض حكامها بالثورة الفرنسية وأفكارها ، وكان الركود العلمي والفكرى هو الطابع المميز للدولة العثمانية في أواخر عهدها .

٢ - تأثرهما بأفكار الثورة الفرنسية خاصة أن الطهطاوى مكث في فرنسا خمس سنوات (١٨٢٦ - ١٨٣١) والتونسي مكث اربع سنوات (١٨٥٢ - ١٨٥٦) وفرنسا لا تزال تضطرب وتموج بأفكار الثورة الفرنسية اللادينية ، وهما قد قدما من بلاد الركود العلمي والفكرى . والضعف السياسي ولا ريب أن الانسان غالبا ما يتأثر بما يحصل في بيئته . فإذا كانت البيئة بيئة علم وفكر وقوة وعزة في السلطان السياسي فإن الغالب أن يخرج مفكرون ناضجوا الافكار لا تكاد تلمس الانحراف الفكرى في أفكارهم ، واذا كانت البيئة بيئة ركود علمي وفكرى وضعف في السلطان السياسي فإن الغالب أن يخرج من هذه البيئة مفكرون ضحلوا التفكير ، يمكن أن يتأثروا سواء شعروا أم لم يشعروا بأفكار الامم الغالبة في هذا

---

(١) المصدر السابق، ٨٦ - ٩٣

المجال ، وهذا ينطبق الى حد كبير على أفكار وآراء هذان الشخصان وغيرهم ممن إتعرض لافكارهم في هذا القسم من الفصل .

وأنتقل الآن الى نقل بعض النصوص التي تمثل أحد جوانب فكر الأفغاني : يقول الأفغاني في الحديث عن الدين والعلم مايلي :

" ان الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله . وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المرتدين برداء العلماء حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة ، والقرآن برئ مما يقولون والقرآن يجب أن يجل عن مخالفة العلم الحقيقي خصوصا في الكليات " "١"

أما تأويل النصوص لتوافق العقل فهو منهج قديم وحديث ، في القديم سلك المعتزلة هذا المسلك وفي الحديث سلك جماعة من علماء المسلمين على رأسهم الافغاني ثم محمد عبده هذا المسلك متأثرين بالفكر المعتزلي القديم والفكر الاوربي الحديث فقد دعا " جون لوك " . اخضاع الوحي للعقل ، وكلا الفكرين الاعتزالي القديم والجديد متأثران بالفكر الاوربي فقد تأثر المعتزلة بالفكر اليوناني .

ويقول الأفغاني عن الامة مايلي :

" ان الامة هي مصدر القوة والحكم . وإرادة الشعب هي القانون المتبع للشعب والقانون الذى يجب على كل حاكم أن يكون خادما له وأمينا " "٣"

---

١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : ١١٤ .

٢) تهافت العلمانية : ٢٦ .

٣) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٠٢ .

وهذا المفهوم - ان الامة هي مصدر القوة والحكم - أو مصدر السلطات وارادة الشعب هي القانون المتمتع للشعب وأنه يجب على الحاكم خدمته . مفهوم غربي وهو المفهوم الديمقراطي في الحكم الذي يرفع هذا الشعار وهو ترجمة لكلمة ديمقراطية " حكم الشعب للشعب ومن الشعب"

أما المفهوم الاسلامي فهو أن الحكم لله وحده " إن الحكم الا لله أمر لا تعبدوا الا اياه " والحكم لله يعني تنفيذ شريعة الله على الجميع وتساوى البشر كلهم كبيرهم وصغيرهم حاكمهم ومحكومهم امام شريعة الله . وليس للشعب أن يصدر قانوناً ولا للحاكم أن يصدر قانوناً فالشرع قد تكفل للناس ببيان كل مايحتاجونه أما فيما يتعلق بالامور المادية فللبشر أن ينظموا شئونهم بشرط أن لا يكون فيها مخالفة لقاعدة من قواعد الشرع الحنيف .

ويقول عن الاشتراكية مايلي :

" ... ودعوى الاشتراكية ... وإن قل نصراؤها اليوم ، فلا بد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان أنه وأخاه من طين واحد أو قسمة واحدة وأن التفاضل إنما يكون بالأنفع من السعي للمجموع وليس بتاج وإنتاج .. " (١)

وقال قبل ذلك : - بعد ان نقد الاشتراكية الغربية - عن ما أسماه بالاشتراكية في الاسلام مايلي :

" ... اما الاشتراكية في الاسلام فهي ملتحمة مع الدين الاسلامي ملتصقة في خلق أهله ، فقد كانوا أهل بداوة وجاهلية . أول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالاسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة ، وأعظم

----

(١) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني : ٤٢٣ .

المحرضين على العمل بالاشتراكية كذلك من أكابر الصحابة أيضا .." ١"

وهذا النص ينبيء عن تأثر الافغاني بالفكر الغربي كما اوضح ذلك النص السابق الخاص بالامة وانها مصدر السلطات أيضا . وهذا ما تبعه عليه تلامذته من محمد عبده وغيره ولعل هذه المحاولة هي المحاولة الاولى للتقريب بين الاسلام والمذاهب الوضعية البشرية والافغاني هنا يتنبأ بأن الاشتراكية ستسود العالم وماهي هذه الاشتراكية - هي اشتراكية الاسلام الملتحمة مع الدين الاسلامي ، والتي عمل بها الخلفاء من الصحابة - وقد نسي الافغاني ان يضيف الى هؤلاء " ابا ذر الغفاري " الذى أضافه احد المؤلفين في كتاب له سماه " أبو ذر الاشتراكي " ورد عليه مؤلف آخر بكتاب أسماه " أبو ذر الزاهد " "٢"

هذه المحاولات التقريبية بين الاسلام والانظمة البشرية تنبيء عن الانهزام النفسي والروحي - كما يرى سيد قطب رحمه الله - امام هذه الأنظمة ويهرجها الذى يخلب بريقه الابصار فيغشيها عن النظر الصحيح .

وهناك مفكر آخر كان له أثر فيما أعتقد - في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي وإن كنت أعتقد أن ذلك كان عن غير قصد ذلك هو الاستاذ عبد الله النديم وسوف أنقل عنه نصين اثنين يقول في أولهما مايلي :

" .. يابني مصر ليمد المسلم منكم الى أخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية ، وليكن المجموع رجلا واحدا يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين" "٣"

---

١) الاعمال الكاملة : ٤١٤ ، وخاطرات الافغاني : ١٢٠ .

٢) مؤلف الكتاب الاول عبد الحميد جودة السحار ، ومؤلف الثاني محمد منير الغضبان .

٣) سلافة النديم : ٢/٧٨ .

هذا النص واضح الدلالة في الدعوة الى الوطنية الضيقة التي دعا اليها الطهطاوي وأصدر من أجل ترسيخها أول ترجمة عربية لتاريخ مصر الفرعونية في أوروبا عام ١٨٣٨ ، وحاول عام ١٨٦٨م كتابة تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي . "١"

وقد سبق أن فندت هذا المفهوم الوطني الغربي .

ويقول في النص الثاني بعد أن تحدث عن حاجة الشرقيين الى نقد الافكار في الشئون الاهلية وما وصلته الامم الغربية من ذلك ، وما استطاعت ان تفعله عن طريق الشورى - مايلي :

" ... ولئن قيل إن التجارب دلتنا على أن الشورى لا تنجح في الشرق ، أو أن الشرقيين غير عقلاء كما يزعم محبو الاثرة والانفراد بالتسلط ، قلنا : إن اتحاد الشرقي مع الغربي في الخلق يرد هذه الدعوى الباطلة ، وانما ثابر الغربيون على العمل بالشورى وأخذوا يصححون الاغاليط ويراجعون الخطأ ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات وتصورت المطالب امامهم بصور الواقعيات ، وما اوصلهم الا لهذه الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والاذكياء منهم ، حتى اضطر الاغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التي بها ترشحوا للدخول في [illegible] الشورى .. " "٢"

الاستاذ النديم يقرر في هذا النص أن ماهو حاصل في أوروبا في النظام السياسي هو الشورى ، والحق أن ماهو موجود في الغرب أمر آخر

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١١٧

٢) الفكر العربي الحديث : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

غير الشورى يقوم على تصويت الافراد جميعا لاحزاب عدة تتصارع للوصول الى الحكم فإذا وصل حزب منها الى الحكم بالاغلبية كانت السيطرة لاعضاء الحزب الفائز في البرلمان . أما الشورى الاسلامية فهي على العكس من ذلك هي أخذ مشورة أهل الاختصاص كل في اختصاصه فيما يهم الأمة والمجتمع مما هو متعلق بالامور المادية وماكان من قبيل الوسائل ، ولا وجود للاحزاب في الدولة الاسلامية لأنها تفرق المجتمع الى فرق شتى ، كما أن أعضاء البرلمان يشرعون ، وأعضاء الشورى لا يشرعون فالتشريع من عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا ولا شك أثر من آثار الاتصال بالغرب وأفكاره .

على أنني أود أن اذكر أنه كان له جهاد بالقلم في مهاجمة الاوربين الذين يسعون لإضعاف المسلمين ولا أدل على ذلك من المقال الذى نشر في عدد ١٧ يناير عام ١٨٩٤م "١" ، ومقاله عن الاستعمار بعنوان " لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا " الذى هاجم فيه كرومر حين أنذر - كرومر - عباس لإقالة وزارة مصطفى فهمي باشا صديق الانجليز ، وقد عرج فيه الى إفساد الانجليز لاخلاق المصريين ، وهاجم أذناب الاستعمار الذين يرتكب الاستعمار مايرتكب باسمهم ، وأوضح أن سوء حال المصريين سببه زعماؤهم وعرض بصحيفة المقطم المتعاونة مع الاستعمار . "٢"

ومن العجيب أنه يتحدث في نفس المقال عن الشاميين ويعدهم من الغرباء ، وفي نفس المقال يتحدث عن أن الشام ومصر توأمان ابوهما واحد "٣" فكيف تجمع بينه وبين النص الاول الذى نقلته في الحديث عن

---

١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ٢١/١ ، ٢٢ .

٢) نفس المصدر : ١٦٥/١ - ١٧٠ .

٣) نفس المصدر : ١٦٨/١ و ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ .

مصر والوطنية فلعله يقصد نصارى الشام الذين نزحوا الى مصر .

كما أن النديم يهاجم التصوف والصوفية ، ويهاجم التفرنج بأحمد أولاد الفلاحين الذين درسوا في الغرب وجاء محتقرا أبويه . "[١]

لا يستطيع الباحث المنصف إلا أن يقول أن الفكرة الاسلامية غير واضحة في ذهن هذا الرجل رحمه الله .

أما محمد عبده تلميذ الافغاني وصديقه فإننا نقرأ له افكاراً في الوطنية والانتخابات التي يشبهها بالشورى ، وفتاوى عن اباحة التعامل مع الكفار وعن اباحة صناديق التوفير ، وغير ذلك وسوف اقتصر على بعض هذه الافكار .
يقول في تعريف الوطن ومايجب على الانسان نحو وطنه مايلي :

" تقرر مما سلف أن لابد لذوى الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها ، ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجراً صلداً ، وإن خير أوجه الوحدة الوطن ، لامتناع النزاع والخلاف فيه ، ونحن الآن نبين بعون الله ماهية هذا الوطن وبعض مايجب على ذويه " .

" والوطن في اللغة محل الانسان مطلقا ، فهو السكن بمعنى : استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها ، أى إتخذوها سكنا . وهو عند أهل السياسة مكانك الذى تنسب اليه ، ويُحفظ حقك فيه ويُعلم حقه عليك ، وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك . ومن أقوالهم فيه : لا وطن الا مع الحرية . وقال دلا برويير الحكيم الفرنساوى : لاوطن في حالة الاستبداد ، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء

---

(١) نفس المصدر السابق : ٣٢١/١ ، ٣٢٢ و ٣٦٨/١ ، ٣٦٩ .

الرومانيين : المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية " [١]

ثم يقول :

" على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة بأهداب الشرف الذاتي ، فهو يغار عليه ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمي اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه ، ولذلك قيل في مثل هذا المقام : إن ياء النسبة في قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هي من موجبات غيرة المصرى على مصر والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على انجلترة . . فإذا تقرر ذلك مما قلناه وجب على المصرى حب الوطن من كل هذه الوجوه ، فهو سكنه الذى يأكل فيه هنيئا ، ويشرب فيه مريئا ويبيت في الأهل آمنا . وهو مقامه الذى ينسب اليه ، ولا يجد في النسبة اليه عاراً ولا يخاف تغييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التي حصلت له بما أوضحناه من دخوله في دور الحياة السياسية . . " [٢]

ويقول الدكتور محمد محمد حسين بعد أن ذكر هذا النص ، وذكر نصا آخر بعنوان " ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها " .

" وهذا المقال يدعونا الى تعديل فكرتنا عن مدلول الوطن والوطنية في مقال محمد عبده الاول من الوقائع المصرية . وهو - مع ماسبقه وماتلاه من كتابات محمد عبده - يدعو الى التفكير في تعليل مايسود آراء محمد عبده من تباين واختلاف يبلغ حد التناقض في بعض الاحيان " [٣]

---

١) الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر : ٧٠

٢) نفس المصدر : ٧٠ ، ٧١ .

٣) نفس المصدر : ٧٣

[illegible] .

ويقول محمد عبده في نشأة الرأى العام - أو ما يعرف الآن - بالانتخابات - مايلي :

" ان القانون الصادر عن الرأى العام هو الحقيق باسم القانون بالبيان ليس إلا . . . " "١"

ويتكلم في بقية المقال عن وجوب النظام النيابي للحاكم والمحكوم - وان لم يذكره بهذا اللفظ - وقد سبق أن ذكرت أن القانون عند المسلمين لا يصدر من الشعب أو من الرأى العام لأن الشريعة لم تدع شيئا الا بينته . ويمكنني أن اضيف هنا أنه مهما بلغ صلاح الناس وتقواهم - التي تزول معها الريبة فيهم فإنه لا يحق لهم أن يقننوا للناس ويشرعوا لهم ، اما في الأمور المعاشية المادية كالزراعة والصناعة وما اليها فإن المسلم مأمور بان يسلك الوسائل الموصلة الى الارتقاء بهذه الامور .

وقال الشيخ محمد عبده عن البيعة وانها لا تتوقف صحتها على الشورى مايلي :

" والمبايعة لا تتوقف صحتها على الشورى ولكن قد يحتاج فيها الى الشورى لأجل جمع الكلمة على واحد ترضاه الامة فإذا أمكن ذلك بغير تشاور بين أهل الحل والعقد كأن جعلوا ذلك بالانتخاب المعروف الان في الحكومة الجمهورية وماهو في معناها حصل المقصود " "٢"

---

١) تاريخ الاستاذ الامام : ٢/١٩٧-٢٠٥ .

٢) تفسير المنار : ٤/٢٠٣ .

وما علم الشيخ رحمه الله أن عمليات الانتخاب ليست من العمليات السليمة في مثل هذه القضايا التي تتعلق بمصير الامة فقد أثبت الواقع المشاهد أن من ينتخب هو من يكون ذا دعاية أقوى وبذل أكثر لشراء ضمائر الناس .

ويقول كرمر . . . ان محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة فكرية تحديثية في مصر قريبة الشبه من تلك التى أسسها السيد احمد خان (في الهند) (مؤسس جامعة عليكره) ثم يقول : " إن أهميته السياسية ترجع الى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل مايمكن من العون والتشجيع ، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الاوربي . . " [1]

ويقول الدكتور محمد محمد حسين عن اتجاه محمد عبده وشيخه الافغاني - وهو التوفيق بين الاسلام وأفكار الغربيين :

" وحقيقة الامر في حركة الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الافغاني الذى إقترن إسمه به في الشطر الاول عن حياته لا تزال تحتاج الى مزيد من الوثائق التي توضح موقفهما وتزيل مايحيط به من غموض ومن تناقض فيما اجتمع حولهما من أخبار . فبينما ينزله رشيد رضا - ومعه كل أتباع الشيخ محمد عبده الذين ازداد عددهم على الايام - منزلة الاجتهاد في الدين ، ويرفعونه الى اعلى درجات البطولة والاخلاص الذى لا تشوبه شائبة ،كان كثير من علماء الشريعة المعاصرين له يتهمونه بالمروق من الدين والانحرافيه وتسخيره لخدمة العدو . فاذا تركنا هؤلاء وهؤلاء من قد

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر : ٢/٣٠٧، ٣٠٨ .

يجد الطاعنون سبيلا الى رميهم بالتحيز والمحاباة ، والتحامل والتزمت ، وجدنا كثرة من النصوص في كتب ساسة الغرب ودارسيه تتصور أبهم فيه وفي مدرسته وتلاميذه ومكانه من الفكر الحديث ، وهي جميعها تتفق على تمجيده والاشادة به وبما اداه للاستعمار الغربي من خدمات ، باعانته على تخفيف حدة العداء بينه وبين المسلمين ، وهو عداء يستتبع آثاراً سياسية تضر مصالحه وتهدد باذكار الثورات التي لا تفتر ولا تنقطع " (١)

وانتقل الى نقل نص لاحد المؤسسين للكتلة النيابية العربية عام ١٩١١م وهو عبد الحميد الزهراوي . فقد قال بعد حضوره للمؤتمر العربي الاول الذي عقد مابين ١٨ - ٢٣ حزيران عام ١٩١٣م بباريس مايلي لمراسل جريدة " Temps " الفرنسية :

" ان الرابطة الدينية عجزت دائماً عن ايجاد الوحدة السياسية وأنا لا أرجع الى التاريخ لا برهن على هذا بل حسبي مالدينا الآن من الشواهد الحاضرة . انظر الى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقو رابطتهما الدينية على ازالة خلاف بسيط بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق بالحدود " العاطفة الاسلامية لم تقدر مرة من المرات أن تحمل أميراً مسلماً على التنازل عن حقوقه لامير آخر من المتدينين بدينه حتى ولو كان هذا خليفة . " (٢)

---

(١) المصدر السابق : ٣٢٨/١ .

(٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٥١ ، ١٥٢ .

وهذه الدعوى وهي ان الرابطة الدينية عجزت عن ايجاد الوحدة السياسية شبيهة بدعوى طه حسين وهي أثر من آثار الفكر الغربي بعد الثورة الفرنسية العلمانية ، والتاريخ الاسلامي فيه من البراهين ما يدحض دعوى الزهراوي ويكفينا عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين ،وما حصل من الدول الاخرى أو من بعض حكامها هو إنحراف منهم عن الجادة الصحيحة وليس عيباً في الاسلام . أما الاحتجاج بما بين الحكومتين الفارسية والعثمانية فالواقع أنه لا حجة فيه إذ أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة خلاف عقائدي يتعلق بالقرآن والسنة والصحابة وليس هو خلاف فرعي كما يدعي بعض المتساهلين ولا مجال هنا لتوضيح ذلك . وأما ان العاطفة الاسلامية لم تستطع أن تحمل أميرا مسلما على التنازل عن حقوقه لامير آخر ، فإن حادثة عزل خالد بن الوليد من قيادة وامارة الجيش الاسلامي في الشام وتولية ابي عبيدة خير مثل على ذلك فخالد ابن الوليد سمع وأطاع لعمر واصبح جندياً في جيش ابي عبيدة ومن المعلوم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما عزله لأنه خشي على المسلمين أن يفتتنوا به فيعتقدون أن لا نصر الا بقيادة خالد رضي الله عنه وهذا من عمر رضي الله عنه هو حماية للتوحيد وسد لباب الشرك أن يلج الى صفوف المسلمين .

ومن العجيب أن يصرح الحرمثل الزهراوي بمثل هذه العبارات الجريئة التي لم يكن يستطيع التصريح بها اي واحد من اولئك المفكرين الذين استعرضت شيئا من افكارهم ولم يستطع غيره ممن عاصره التصريح بذلك ولعل السبب في ذلك هو تأثره من حيث لا يدري بأفكار النصارى المحليين الذين كانوا يسعون لتمزيق الدولة العثمانية بمساعدة من صليبي أوربا .

وقد ساعدت أفكار هؤلاء المفكرين في الوطنية والاعجاب بفرنسا وأوربا كلها في نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي العلم والدين وفيما يسمى بالديمقراطية أو حكم الامة وغير ذلك - ساعدت هذه الافكار على انتقال العلمانية على أيدي مفكرين جاؤا من بعدهم صرحوا بعزل الدين عن الهيمنة على الحياة فردياً واجتماعياً . وهم من أصطلح على تسميتهم بالمستغربين وسوف أفرد جزءا من هذا الفصل للحديث عن أفكارهم ان شاء الله .

وبعد أن عرفنا شيئا من أفكار بعض المفكرين ممن كان لهم أثر في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي - شعروا أم لم يشعروا - نتيجة لسعي بعضهم للاصلاح لكنهم اخطئوا والسبيل الى معرفة أثر المفكرون المستغربون في نقل العلمانية ، وهم يختلفون عن المفكرين الاولين اذ تميز هؤلاء أولئك في الجرأة على الاسلام والمسلمين .

جـ - المستغربون وأثرهم في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي :

في حديثي عن المستغربين سوف أوضح المقصود بهذه الصفة ثم استعرض جملة من أفكار بعض قادتهم التي كان لها أثر في انتقال العلمانية وذلك من كتبهم وأقوالهم

أما من هم المقصودون بهذه الصفة؟ فهم قوم من أبناء المسلمين ممن تأثروا بأفكار الغرب الفلسفية والادبية والفكرية والسلوكية ثم صاغوا تلك الافكار بأساليبهم الخاصة ونشروها بين الطبقات المختلفة من أبناء المسلمين ، وليس ضروريا أن يكون هؤلاء ممن درسوا في الغرب فقد وجد مستغربون لم يدرسوا في الغرب ولم يقيموا فيه اقامة طويلة ووجد اناس درسوا في الغرب ولم يزدهم ذلك الا استمساكا بدينهم . ولكن الغالب أن الفكر الغربي انتقل الى العالم الاسلامي عن أحد معبرين هما نصارى العرب ، والذين درسوا في الغرب من أبناء المسلمين ولم يكونوا من الحصانة الفكرية بحيث يقاوموا الفكر بالفكر فوقعوا فريسة وضحية للفكر الغربي .

ولقد كان للمستغربين أثر كبير على الحياة الاسلامية بل وعلى الواقع السياسي في العالم الاسلامي .

يقول برنارد لويس عن أثر هؤلاء المستغربين :

" ... والتغريب الذي كان من عمل الغربيين بل كان أكثره من عمل المتغربين من أبناء الشرق جاء بتغييرات يشك كثيرا في قيمتها أول هذه التغييرات هو الانحلال السياسي الذي ادى الى تفتيت المنطقة وتجزئتها فقبل ذلك التاريخ كان في الشرق الاوسط نظام سياسي مستقر فالشاه يحكم

ايران والسلطان هو عاهل المملكة العثمانية التي تشمل كل مابقي من الشرق الاوسط وقد لا يكون كل السلاطين الذين تعاقبوا على الحكم محبوبين من رعاياهم ولكنهم كانوا في موضع احترام والاهم من ذلك انه لم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم فالسلطان هو الحاكم بلا منازع لأنه عاهل لآخر خلافة اسلامية تخضع لجميع مسلمي العالم تقريبا . " "١"

يقول - لطفي السيد - أستاذ الجيل - كما يحلو للمستغربين تسميته :

" ... يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنعتها وتتواكل في ذلك على أوهام أو خيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربي ويسميها آخرون الجامعة الاسلامية" "٢"

وهذا يعني أن لطفي السيد يدعو الى الوطنية الفرعونية ، اذا كان الاتحاد العربي أو الجامعة الاسلامية خيالات وأوهاما .

ويقول مصطفى كامل - وهو يمثل أحد إتجاهي الوطنية - الذى لا يرى اختلافا أو تناقضا بين الرابطتين الوطنية والدينية :

" ان الوطنية هي أشرف الروابط للافراد ، والاساس المتين الذى تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة ، وكل ماترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية ، ماهو الا ثمار الوطنية . . " "٣"

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ٦١

٢) تحولات الفكر السياسي في الشرق العربي : ١٤٠

٣) مصطفى كامل : ١١٢ ، ١١٣ .

ويقول أيضا : " قد يظن بعض الناس أنّ الدين ينافـــي الوطنية ، أو أنّ الدعوة الى الدين ليست من الوطنية في شيء ، ولكنــي أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان وأنّ الرجل الذى يتمكن الديـــن من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً ، ويفديه بروحه وما تملك يداه ، ولست فيما أقول معتمداً على أقوال السالفين الذين ربما إتهمهم أبناء العصـــر الحديث بالتعصب والجهالة ، ولكني استشهد على صحة هذا المبدأ ببسمارك أكبر ساسة هذا العصر وهو خير رجل خدم بلاده ورفع شأنها ، فقد قال هذا الرجل العظيم بأعلى صوته : " لو نزعتم العقيدة ـــــن فؤادى لنزعتم محبة الوطن معها " (١)

والنص الاول واضح الدلالة ولا يحتاج الى تعليق ، ولكن النص الثاني قد يكون مبهما ولكن الابهام فيه يزول بقراءة النص الآتي الذى يمجـــد الفرعونية ، ويرى أنّ الوطني الحق هو الذى لا يفرق بين مسلــــم ونصارى بل الكل اخوة . صحيح أنّهم إخوة في الانسانية ولكن هناك اخوة أخصّ منها وهي التي اناط بها الاسلام احكاما كثيرة . فمجال الاخـــوة الانسانية أنّ لا يظلم الذمى في الدولة الاسلامية إذا ادى مايجب عليـــه من واجبات ، أما أنّ يستوى المؤمن والكافر فهذا أمرغير صحيح لان الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لم يسو بين المؤمن والكافر .

يقول مصطفى كامل :

" كيف يستطيع رجل وطني أن يدعو للشقاق والبغضاء ، وهـذه الدعوة مناقضة للوطنية الصحيحة فالارتباط إخوة لنا في الوطن تجمعنا بهـــم

---

(١) نفس المصدر السابق : ١٤٦

أشرف رابطة وقد عشنا معهم القرون الطوال على أتم وفاق وأكمل اتفاق " "١"

ويقول في نص آخر موغل في التعلق بالطين :

" بلادي بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فأنت انت الحياة ولا حياة الا بك يامصر ،، إنني لو لم أولد مصريا لوددت أن أكون مصريا .. " "٣"

يقول «نيازي» [لويس؟] عن زعماء الدعوة الوطنية والقومية مايلي :

" وقام زعماء هذا النوع من الوطنية العلمانية المتحررة من الطبقة المهنية مثل المحامين والرسميين والمعلمين والصحفيين وكان هؤلاء بطبيعة تربيتهم ووظائفهم أقل الناس تمسكا بالتقاليد القديمة وأكثر عناصر المجتمع المصري " تقريبا " ولهذه الاسباب بالذات بقي هؤلاء منعزلين عن جماهير الشعب المصري ولقد كانت نقمة الجماهير على الاجنبي سلاحا استغله هؤلاء الزعماء الوطنيون الا ان افكار وايدلوجيه هؤلاء الوطنيين المتحررين كانت غريبة ولا تعني شيئا بالنسبة لجماهير الشعب " "٢"

ويقول الدكتور / محمد جابر الانصاري في تقويم القومية -التي دعا اليها أول من دعا المسيحيون - :

" وفي الفترة ذاتها - اى في الفترة من ١٩٢٥ - ١٩٣٠ - بدأ التفكير القومي العربي يكتسب لأول مرة مفهوماً علمانياً على يد المفكر المسلم

----

١) المصدر السابق : - ١٤٨ [illegible] نقلاً عن المصدر / ١٣٤٤هـ

٢) الغرب والشرق : ١٣٠ ، ١٣١ ، ولكن هذه الأفكار درست في المقررات الدراسية فأثرت في الطبقة المثقفة بعد ذلك.

ساطع الحصري (١٨٨٠ - ١٩٦٨) ولم يجد الدين عنصراً جوهريـــاً حاسماً في القومية ، ولاحت امكانية تأسيس " أمة " عربية جديدة غيـــر مرتبطة ضرورة بمفهوم " دار الاسلام " . وإذا كان لطفي السيد قد دعـا الى وطنية مصرية علمانية ، فإن عمله هذا - اي ربط العلمانية بالشخصيـة المصرية منذ العهد الفرعوني - لم يكن في خطورة ماهدف اليه ساطع الحصري الذي كان مغزى فكرته يتركز في علمنة العروبة ، بادة الاسلام تاريخياً " . . اذ عندما تتعلمن العروبة لابد أن يتعرض ذلك المزيج العضوي التاريخـي للتحلل بافتراق عنصريه : " العصبية " العربية و " الدعوة " الدينيـة ، اذا شئنا استخدام مصطلح ابن خلدون ومفهومه التاريخي " "١"

أما فيما يتعلق بفصل الدين عن الحياة فقد دعا الى هذه الفكـرة عدد من مفكري المسلمين بعد النصارى ومنهم ضياء كوك آلب الذي يقول عنه هارولد ب . سمث مايلي :

" أما النظرية الثانية الجريئة التي قدمها كوك آلب فهي مبدأ الفصل بين الدين والدولة ودعواه أنه في الايام الاولى من الاسلام لم يكن رجال الدين أو العلماء عاملين في الحكومة ولم يصبح لهم وضع رسمي ولم يدخلـوا في إدارة الدولة الا بعد جيل أو جيلين وإذا كان هذا قد أضاف الى سلطانهم على سياسات الحكومة شيئاً كثيراً فإنه جردهم من الاستقلال الضروري للتأثير الديني النقدي على المجتمع . . " "٢"

ويقول الدكتور طه حسين في التبرير للدعوة الى فصل الدين عـن الحياة مايلي :

----

١) تحولات الفكر السياسي في الشرق العربي :

٢) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٧٣

" ومن المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدولة " . ثم يضرب أمثلة على ذلك ثم يقول :

" ... وكانت مصر أسبق الدول الاسلامية الى استرجاع شخصيتها القديمة التي لم تنسها في يوم من الايام .... - - - - - - - - - -

والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون ، وفي ظل الدول المختلفة التي قامت بعده .

فالمسلمون إذاً قد فطنوا منذ عهد بعيد الى أصل من اصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء آخر .

وهذا التصور هو الذى تقوم عليه الحياة الحديثة في اوربا . فقد تخففت اوربا من اعباء القرون الوسطى واقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية ،ولا على تقارب اللغات والاجناس .. " (١)

أما عن الدعوة الى تقليد الغرب فقد رفع لواء الدعوة الى ذلك أشخاص عدة أذكر هنا أفكار شخصين أحدهما : د / طه حسين والآخر سيد احمد خان . أما طه حسين فيقول-بعد أن اطال الكلام في مشابهة الشعوب لاوربا في قيمها وسلوكها وأنهم لم يبعدوا الا حين تشبهوا بأوربا ومثل لذلك باليابان - يقول :

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر : ١٩-٢١

" لكن السبيل الى ذلك ليست في الكلام "يرسل ارسالا ، ولا في المظاهر الكاذبة والاوضاع الملفقة ، وانما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء . وهي واحدة فذة ليس لها تعدد وهي : أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب وما يكره وما يحمد منها وما يعاب . "١"

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان عن أفكار سيد أحمد خان وينقل شيئا من كلامه في ذلك : يقول :

" . . . إن المع الاسماء التي طالبت المسلمين بدراسة العلوم الغربية الجديدة هو "سيد أحمد خان" (١٨١٧ - ١٨٩٨) الذى يعتبره المستشرقون مؤسس أول مؤسسة إسلامية عصرية . فقد أنشأ السير سيد أحمد خان كلية عليكرة المحمدية سنة ١٨٧٥ بالهند وضحى بحياته من أجلها حتى اصبحت جامعة بعد وفاته .

لقد كان سيد أحمد خان من اكبر المتحمسين لتعلم علوم الغرب ، ولا شك في أن خدماته في هذا الصدد غير قابلة للنسيان ولكن ماذا كان هدفه عن وراء تعلم علوم الغرب ؟

لقد كشف عن ذلك زميله الحميم " الطاف حسين حالي " في بيت شعر حين قال :

" تعال ، ياحالي ، لنقلد الغرب الآن " .

---

١) مستقبل الثقافة في مصر : ٤١ .

" وحين عاد سيد أحمد خان من زيارته لانجلترا سنة ١٨٧٠م ، مبهوراً بما رآه في الغرب ، أصدر مجلة " تهذيب الاخلاق " وكتب في مقدمة أول عدد لها :

" إنَّ الهدف وراء إصدار هذه المجلة هو ترغيب مسلمي الهند في الاقبال على " السيتيليتر يشن " او الحضارة الكاملة وذلك لينتهي الاحتقار الذى تنظر به الشعوب المتحضرة الى المسلمين بأنهم قوم ذوو شأن وحضارة"

وكان سيد احمد خان يتصور رقي المسلمين المثال ـ في " الكولوتيلات والميجورات المسلمين المرتدين الملابس العسكرية الزاهية " "١"

ويقول عنه أيضا :

" وكان الهدف النهائي للتعليم الذى نادى له سيد أحمد خان هو أن يتمكن المسلمون من الحصول على أعلى المناصب في ظل الحكومة الاستعمارية القائمة والحضارة التي نادى لها سيد أحمد خان قد سماها أحد تلامذته ـ مهدى افادى ـ بكل حق بانها " الثقافة الانجلو المحمدية !! وهي ثقافة ذات قشرة اسلامية مظهرية وطبيعية انجليزية ، قامت على التقليد"

أما عن الاعجاب بالثورة الفرنسية وتشبيه دعوة الاسلام بها فاليك نصان يدلان على ذلك أوضح الدلالة :

قال اسماعيل مظهر :

" قامت الثورة الفرنسية على دعاية الانيسكلوبيديين ، ديدرو وأصحابه لامتر وهو لباخ وهلفتيوس ، وعلى عقد رسو الاجتماعي وعلى آداب فولتير الوضاحة ، بل على مجهود سلسلة من العظماء تعهدوا

----

١) المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل : ٢٢ - ٢٤ .
٢) نفس المصدر : ٢٢ - ٢٤ .

الفكر الكامن في طبقات الامة المنتقاة منذ عهد ديكارت بتلك الفكـــرات الثابتة التي يذهب أثرها الى أبعد غور من اغوار الحياة الخفية في نفـــس الافراد والجماعات ، فأخذت عناصر الثورة تتكون في الفترة مابين ١٥٩٦ الى سنة ١٨٧٩ أى منذ تنفس ديكارت شيخ هذه الحياة الى اليوم الذى يخرج فيه أهل باريس يصيحون الى السلاح الى السلاح .

" استجمعت عناصر الثورة في قرنين من الزمان دأبت فيهـــــا الجامعات على بث المذاهب العلمية والفلسفية . وقام بها فحول مـــن الرجال أعطوا الجماهير أرقى المثل ، كما تتحكم في رقاب الشعب المستقيم لحكم الفرد ، ستبذون تحمدوه باقسى المثلات . " "١"

أما الدكتور الغنيمي فانه يشبه الدين الاسلامي بالثورة الفرنسية ، يقــول :

" ان الاسلام - بلا مراء - ثورة اصلاحية ، لابد أن تتخذ مكـان الصدارة بين الثورات الكبرى في تاريخ الانسانية . . مثل الثورة الفرنسية"٢"

ويدعو اسماعيل مظهر الى ما اسماه بالقضاء على الاسلوب الغيبي : فيقول : " على أنك لا تقع في كل هذا على حادث يلتئم من حوله الفكر غيـر أنني اتوقع وعسى أن يكون ذلك قريبا ، أن الخطوة التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي الى وضح الاسلوب اليقيني ، ســوف تقودنا حتماً الى ميدان يتصادم فيه الاسلوبان تصادماً يثير في جو الفكـر عجاجة ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبه واندكـت قوائمه ، وتترك الاسلوب اليقيني قائما بهامة الجبار القوى الاصلابـــه

---

١) تاريخ الفكر العربي : ١١٣ ، ١١٤ .
٢) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

مشرقاً على الشرق وقد هب من رقاد القرون ، ليسير في الدرب الذى مهدت سبله للانام نواميس النشوء والارتقاء " "١"

ويرى قاسم أمين بأن من أسباب ضعف المسلمين إعجابهم بماضيهم ويدعو في سبيل العلاج الى تربية أولادنا على التعرف على شئون المدنية الغربية ، فيقول :

" هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر الى علاجه - وليس له دواء ، الا أن نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى هذا الحين - ونرجو أن لا يكون بعيداً - إنجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربي . وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم اصلاح ما في أحوالنا اذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة . . " "٢"

ويشبه الدكتور طلعت الغنيمي العلاقة بين صفة النبي صلى الله عليه وسلم كرسول وصفته كرئيس دولة بالعلاقة بين التاج والملك في الدستور البريطاني ويرى أن البابا اضفيت عليه الشخصية القانونيه من باب التكريم اما الرسول (ص) فقد قامت في حقه مبررات اقوى واسلم "

ويزعم بأن القانون الاسلامي ليست له طبيعة عامة بل هو خاص[٣] ومعنى ذلك انه لا يصلح للبشر كافة .

وننتقل في الفقرة التالية من البحث الي الحديث عن أثر طائفة من الذين يعيشون في العالم الاسلامي ، ولكنهم كانوا من العوامل المؤثرة - بقوة - في نقل الفكر العلماني الي العالم الاسلامي الا وهم : " النصارى العرب " .

---

١) تاريخ الفكر العربي : ١١٥

٢) الاعمال الكاملة لقاسم أمين : ٢٠٩/٢ " المرأة الجديدة " .

٣) مفتريات على الاسلام : ٢٨٦ .

المطلب الثانـــي :

. نصارى العرب وأثرهم في انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي :

أثبتت النصوص التاريخية ـ ومنها اعترافات النصارى ـ أن أول من دعا الى العلمانية ـ اللادينية ـ بشعارها الصريح أو تحت شعـارات أخرى كالقومية والوطنية في العالم الاسلامي ـ هم نصارى العرب ، ومـــن العجب أن هؤلاء النصارى لم تسعهم الحياة الكريمة التي كفلها لهــــم المجتمع الاسلامي ، وأحياناً المحاباة الزائدة التي عامل بها بعض خلفاء المسلمين من الدول الاموية والعباسية والعثمانية ، بل لم تطفئ نار الحقد في قلوبهم ، فراحوا يعملون على تقويض أركان الدولة العثمانية ، وقد علموا علم اليقين أن شريعة الله المهيمنة على المجتمع الذى يعيشون فيه هـــــي العائق الوحيد دون مآربهم ، لذا فقد إستماتوا في سبيل الوصول الـــى إزالة هذه الهيمنة ، واقامة الانظمة اللادينية مقامها . ووجد اليهـــــود والصليبيون الاوربيون في هذه الفئة من نصارى العرب البغية المنشودة لهدم الدولة العثمانية ، ومن ثم القضاء على الحكم الاسلامي ـ المتمثل بهيمنـــة الشريعة الاسلامية ـ عن طريق عزل الشريعة عن ميدان الحياة وتوجيـــــه المجتمع ـ .

ولم يفت نصارى العرب ما حققته العلمانية ـ اللادينية ـ بإخوانهم في الدين في أوربا بل كان هذا هو الدافع لهم بأن ينادوا بهذا النظام في العالم العربي حتى يتمكنوا بواسطة ذلك من القضاء على هيمنة الاســـلام على شئون الحياة والمجتمع .

وقد تمثلت جهود النصارى في هذا السبيل في الاعمال الفكريـــة ، والاعمال السياسية لذا فسوف أقسم هذاالقسم من البحث الى .

أ - الاعمال الفكرية : وفيه أستعرض جملة من أفكار نصارى العرب في أمور عدة .

ب - الاعمال السياسية : وفيه أستعرض جملة من الاعمال السياسية التي تمثلت في إنشاء الاحزاب ، والصحف والمجلات السياسية التي تطالب بالانفصال عن تركيا أو تطالب بإقامة دولة عربية وطنية قومية ، أويعزل الدين عن الحياة .

أ - الاعمال الفكرية :

كان نصارى العرب أول من نشر الفكر والثقافة العلمانية ، وذلك عن طريق الصحف التي انشؤوها والكتب التي ألفوها ، فأصدروا صحفا منها الجنان التي أنشأها بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) والمقتطف التي أصدرها كل من فارس نمر (١٨٥٦ - ١٩٥١م) وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ - ١٩١٠م) ويعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) والهلال التي أصدرها جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤م) . "١"

أما الكتب فقد إتجه قسم من هؤلاء النصارى الى التأليف الموسوعي فألفوا المعاجم اللغوية ، وقواميس الترجمة ومن هؤلاء بطرس البستاني الذى أصدر " دائرة المعارف العربية " ، " ومحيط المحيط " من اللغة العربية .

وقام بعض هؤلاء النصارى بالترويج للفلسفات الملحدة مثل سلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨م) الذى ألف كتاب " نظرية التطور وأصل الانسان " . وشبلي شميل (١٨٥٣ - ١٩١٧م) الذى ألف كتاب : " فلسفة النشوء والارتقاء " .

---

١) انظر تراجم هؤلاء في كتاب الأعلام للزركلي (حروف الباء ، والفاء ، والشين ، والياء) .

وقام بعض آخر من هؤلاء النصارى بالترويج للأفكار الغربيـــة العلمانية كالوطنية والقومية عن طريق الشعر ومنهم إبراهيم اليازجـــي (١٨٤٧ - ١٩٠٦م) وكان أحد اعضاء جمعية بيروت السرية ومن أشهــر قصائده القصيدة السينية ، والهائية ، والقروى (١٨٨٧-)[1] والشعراء المهجريين .

هذا بايجاز دورهم في الفكر ، فإذا أردنا أن نفصل ذلك فاليـك بعض التفاصيل :

يقول مؤلف كتاب : " تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي " مايلي :

" قسم الدكتور شرابي صاحب كتاب " المثقفون العرب والغرب " دعاة العلمانية المسيحيين الاوائل الى ثلاث فئات هي :

١ - الادباء الرواد : وهم فارس الشدياق (١٨٠٤ -١٨٨٧) وناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) وابراهيم اليازجي (١٨٤٧-١٩٠٦) وأديب اسحق (١٨٥٦-١٨٨٥) وفرنسيس مراش (١٨٣٦ - ١٨٧٣) وانطاكي الحمصي (١٨٥٨ - ١٩٤١) .

٢ - رواد الثقافة والتربية وهم : بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٩٣) وجرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) ولويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧) وعيسى المعلوف (١٨٦٩ - ١٩٥٦) .

٣ - رواد الفكر العلمي والفلسفة والدعوة العلمانية الصريحة وهم يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) وشبلي شميل (١٨٦٠ - ١٩١٦)

---

١) انظر تراجم هؤلاء في الاعلام : حرف السين ، والشين ، والالف ، والفاء ، والقاف .

وفرح انطون (١٨٧١ - ١٩٢٢) وسليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥)
وامين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) ونقولا حداد (١٨٧٠ - ١٩٥٤)
وسلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨) "١"

ويقول البرت حوراني في كتابه الفكر العربي في عصر النهضة :

" وقد نادى بفكرة المجتمع قومي علماني - فريق من الكتاب المسيحيين السوريين كان الشدياق والبستاني رائدي مدرسة من الكتاب الذين فتحوا نحو الصحافة الدورية العربية مجالاً جديداً لمواهبهم ، ففي القرن التاسع عشر نوعان جديدان من الصحف السياسية المستقلة التي تنشر أخبار السياسات العالمية وتعبر عن الآراء السياسية، والمجلات التي كانت تتوخى غرضاً مزدوجاً هو اطلاع الفكر العربي على أفكار أوربا وأمريكا واختراعاتها وعلى كيفية التعبير عنها - باللغة العربية وكان العدد الاكبر من هذه المجلات الصادرة في القاهرة أو بيروت يحررها مسيحيون لبنانيون تثقفوا في المدارس الفرنسية أو الامريكية فزودوا القراء طيلة جيل بكامله بمادة للمطالعة الشعبية تكاد تكون الوحيدة في اللغة العربية آنذاك جاعلين للبنانيين تأثيراً كبيراً " . "٢"

وقد برز في الربع الاخير من القرن التاسع - كما يقول المحافظة - تياران فكريان بإزاء العلوم الحديثة أحدهما : يضم المفكرين التقليديين من الازهريين وأنصارهم ، والثاني يمثله المفكرون الليبراليون . وقد وقف التيار الأول موقف العداء من العلوم الغربية الكونية مكتفيا بالعلوم الشرعية الاسلامية .

---

١) ص ١٢ هامش

٢) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٠ .

بينما وقف الآخر موقفاً ايجابياً من تلك العلوم ، واعتبرها الاساس لقيام الحضارة المتفوقة ونموها ، ورأى ضرورة إقتباسها دون تردد ، ويضم هذا التيار جناحاً متعدلاً ، وآخر متطرفاً يضم قادة الصحفيين السوريين في مصر أمثال " يعقوب صروف ، وفارس نمر ، وجرجي زيدان " وحركة الفلسفة العلمية بزعامة الدكتور شبلي شميل ، وفرح انطون .

وأكد الجناح المتطرف على إعتبار العلم هو الاساس والتقليل من أهمية الدين وبرزت الدعوة العلمية العلمانية على يد شبلي شميل فكان أول من أدخل مذهب دارون في النشوء والارتقاء الى العالم العربي عن طريق الترجمات والمقالات التي كان ينشرها في مجلة " المقتطف " "١"

وقد كان نصارى العرب أول من نادى كما ذكرت بالقومية العربية ، وكانت قد انتقلت من أواسط وشرق أوروبا عبر عدة أقلية (وكان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب أول الناقلين عندما ذهبوا لتركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨ وبقي قسم كبير منهم فيها واعتنقوا الاسلام واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية وكان أحدهم الكونت قسطنطين بورزيسكي وقد تسمى بمصطفى جلال الدين باشا . ونشر عام ١٨٦٩م كتابا بالفرنسية في استنبول اسمه " اتراك الاس وأتراك اليوم " وفي الكتاب جزء كبير يشكل تقريراً للسلطان عن المشاكل الحاضرة في الامبراطورية واقتراحات حلها ، وبه جزء تاريخي يضم دراسة أجراها المستشرقون الاوربيون عن التاريخ القديم للشعب التركي يؤكد فيه دور الاتراك الايجابي في التاريخ . وحاول " بورزيسكي " جهده لاثبات

---

(١) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ٢٣٦ ، ٢٣٧ بتصرف طفيف.

ان الاتراك هم من العرق الأبيض مثل شعوب أوروبا وينتمون لما أسماه العرق " الطوراني الآري " "١"

وهكذا يتضح تأثير الصليبيين الاوربيين في صليبي الشرق ، وموآزرتهم لهم في سبيل الوصول الى مجتمع علماني تحكمه دولة أو دول علمانية - لا دينية - وقد كان المبشرون الاوربيون أول من عاضد وقوى شوكة نصارى العرب خاصة نصارى لبنان .

ففي مجال التعليم عاضد المبشرون الاوربيون نصارى العرب يقول انطونيوس ... مايلي :

" ... ويأتي في المنزلة الثانية المبشرون الامريكان وكان لجهودهم اينع الثمرات بفضل ماكان يوجهها من أفكار وماكان يدفعها من حماسة وأدركوا أن ماكانت تحتاج اليه البلاد قبل كل شيء هو نظام تعليمي يلائم تراثها (؟) وأدركوا كذلك أن الامة إذا أضاعت تراثها فإنها لا تستطيع استعادته الا عن طريق آدبها وكان أولى الامور بالتقدم تأليف كتب عربية وكتب مدرسية مختصرة فعزم " ايلي سميث " وزملاؤه على أن يقولوا ذلك وانكبوا على تعلم اللغة العربية خلال الزمن الذى استغرقه نقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت . ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى استطاعوا أن يسدوا بما طبعوا من كتب حاجة المدارس التي أنشأوها بل لقد زودوا المدارس الاخرى بهذه الكتب " "٢"

من هذا النص يتضح لنا أن المبشرين الامريكان كان لهم جهود يوجهها أفكار ؟ إذا ماهي هذه الافكار ، لا شك أنها افكار لتغتيت

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف طفيف .
٢) يقظة العرب : ١٠٥ .

كيان المجتمع واثارة الطائفية بين أهل البلاد وذلك باستقلال أبنـاء دينهم من نصارى لبنان ، وأنهم رأوا أن البلاد لتصل الى هذا الهدف وهو " علمنتها " لابد أن يوضع لها نظام تعليمي يلائم تراثها كما زعموا ، وأدركوا أن ذلك يكون عن طريق الادب ، وعن طريق تأليف كثير من الكتب العربية ، ومن المهازل المضحكة أن " ايلي سميث " وزملاءه الامريكان " تولوا ذلك وتعلموا اللغة العربية خلال زمن نقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت .

فاذا انتقلنا الى معرفة أثر هولاء النصارى في مجال آخر ألا وهو العلاقة بين العلم والدين - التي لا زالت غير واضحة في أذهان كثير من المفكرين المستغربين - وتصورهم للدين والعلم فاننا نجد أنهم يتصورون أن هناك تناقضاً واصطداماً بين الدين والعلم ، هكذا أرادوا تصوير ذلك . ويرون أن العلم وخاصة التجريبي يجب أن يكون هو أساس العلم وأن الدين بدائي لا يصلح للعصر .

وأكتفي بالحديث عن احد رواد الفكر العلمي والفلسفة العلمانية الصريحة وهو " شبلي شميل "

يقول البرت حوراني عن أفكار شميل هذا مايلي :

" ويقول إن العلم هو إعلان الحرب على الديانات القديمة . وما نشأت المسيحية الا عن الانانية وحب السيطرة من قبل روساء الدين وعن رغبة الانسان العادي في البقاء الفردي وليس مايحرر الانسان من نير الانانية سوى إدراك فكرة وحدة المادة والاقرار بها لكن للدين الجديد مستلزمات اجتماعية وسياسية واسعة أيضاً فالعلوم الطبيعية هي اساس العلوم الانسانية ولا تستمد الشرائع السليمة الا من العلوم الانسانية الصحيحة أما العلم

الزائفة فهي تؤدي الى شرائع وأنظمة حكم زائفة . وليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين فالحكم الديني يرفع بعض الناس فوق سواهم ويستخدم السلطة لمنع نمو العقل البشري نمواً صحيحاً أما الحكم الاستبدادي فينكر حقوق الافراد وما مصدر الاثنين الا المبدأ الخاطئ القائم على تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة . وهما يشجعان العقل على البقاء في حالة الجمود وبذلك يعرقلان التقدم التدريجي الذى هو قاموس الكون لكن بالامكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على قواميس الكون ويسمح بالتالي لتطور النمو الكوني ان يستمر وللانسان أن يعيش وفقاً لطبيعته ومثل هذا النظام ينبثق عن المبادئ ذاتها التي تنبثق عنها نواميس الطبيعة وهي أن الاشياء كلها سائرة الى التباين والتغير وأن التطور يتحقق بالصراع من أجل البقاء وأن البقاء للاصلح والام تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوربا لم تصبح قوية ومتمدينة فعلاً الا عند ما حطم الاصلاح (اصلاح لوثر) والثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الاسلامية " . "١"

في هذا النص الأخير يمكن أن نستنتج عدة أفكار يسعى الى تحقيقها شميل هي :

١ - " أن العلم حرب على الدين ، والعلم المادي هو المقصود " وليس مايحرر الإنسان من نير الأنانية سوى إدراك وحدة المادة والاقرار بها " .

---

١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٣ ، ٨٤ .

٢ - أن العلوم الطبيعية هي أساس العلوم الانسانية وأن الشرائع السليمة لا تستمد الا من العلوم الانسانية الصحيحة التي هي فرع عن العلوم الطبيعية .

٣ - أن الحكم الديني غير طبيعي وغير صحيح ، وأنه يقوم على مبدأ تفضيل المنفعة الشخصية على المنفعة العامة .

٤ - أن الحكم الديني يشجع العقل على البقاء في حالة الجمود .

٥ - ان بالامكان تصوير نظام للشرائع والحكم يقوم على نواميس الكون القائمة على مبدأ التطور .

٦ - إيمانه بفرضية التطور وايمانه بالصراع من أجل البقاء للأصلح . وابه البقاء

وأن الامم تقوى بمقدار ضعف الدين ويضرب مثلاً بأوروبا ويزعم أن ذلك يصبح على المجتمعات الاسلامية فهو اذاً يدعو الى القضاء على الدين واحلال ما اسماه العلم الطبيعي محله واقامة الدول اللادينية .

ويفصح سلامة موسى عن حقده على المسلمين ويجد نفسه غريباً عنهم وأن ساكنهم في وطن واحد فيقول :

" . . وسمع نفسه وهو يقول شرق وغرب إنه شرقي مثل سائر مواطنيه ولكنه تأثر على الشرق عندما أيقن أن عاداته تعوق إرتقائه . ودعا الى أن يأخذ الشرقيون بعادات الغربيين كي يقووا مثلهم ولكنه لم يجن من هـــذه الدعوة غير الكراهية والنفور . وأحس بالتناقض العميق بينه وبين المجتمع وهو تناقض كاد يفصل بينه وبين مواطنيه . فإن أسلوب حياته واهدافه الثقافية والسياسية والروحية تنأى عن عادات مجتمعه ، إنه ليخالف سائر الكتب اذ هو وإن كان يكتب باللغة العربية ، فإنه يفكر تفكيراً أوربياً وكان اعظم مايقطع كالسكين في كيانه النفسي أنه كان يضطر الى التلفيق أوكما يقول

غيره " التوفيق " فإنه هنا واقف لا يعرف كيف يكتب كأن هاتفا اجتماعيا قد هتف به : الا تكتب عن الرقص دع هذا الموضوع . لا تقربه أو قل بضع كلمات لا تغني ولا تتورط فيها) ولكنه عجز عن أن يصالح نفسه على هذا التلفيق " "١"

ان تأثير هذه الأفكار في نقل العلمانية الى العالم الاسلامي تكمن في أن الذين صرحوا بها كانوا هم الجسر الذى عبرت عن طريقهم علمانية أوربا الى العالم الاسلامي وفي أن هذه الافكار في الغالب كانت تنشر في المجلات التي يقرؤها طبقات مختلفة من أبناء المسلمين .

---

١) الأدب للشعب : ١٣٢٤/٣١ .

ب - الاعمال السياسية :

تتمثل الاعمال السياسية في اصدار الصحف والمجلات السياسية ، وفي الفكر السياسي الذى بثه الافراد من النصارى الذين يؤثرون في المجتمع باسمائهم اللامعة ، وفي الاحزاب والجمعيات الادبية والسياسية التي كانت تنشأ في أواخر الدولة العثمانية للاجهاز عليها واقامة دولة علمانية في المناطق التي يكون فيها نصارى بل وفي العالم العربي كله ، وفي الاحزاب التي تأسست بعد تمزيق الدولة العثمانية " كحزب البعث العربي " "١" بزعامة ميشيل عفلق ، (والحزب القومي السورى) "٢" بزعامة انطون سعادة . ويهمني في هذه الفقرة الحديث عن الاحزاب القديمة التي كانت تسعى الى القضاء على الدولة العثمانية ومن ثم القضاء على وحدة المسلمين ، وعن الصحف والمجلات السياسية القديمة أيضا ، وعن أفكار الرواد في هذا الفكر العلماني . ذلك لأن الاحزاب والصحف والمفكرين الرواد هم الذين كان لهم اكبر الاثر على حياة المسلمين ، ولأن الاحزاب التي لا زالت في الساحة يرى الناس ماهي فيه ومدى فشلها في تحقيق مازعمت تحقيقه للعرب .

أما الصحف التي صدرت فسوف أذكر بعضاً منها : فمنها صحيفة الجنان ، والمقطم ، والمقتطف ، والهلال ، والاهرام وغيرها .

" يقول جورج انطونيوس عن صحيفة الجنان مايلي :

" .. وفي سنة "١٨٧٠ بعد صدور معجمه الكبير - يقصد بطرس البستاني - أنشأ صحيفة سياسية أدبية تصدر كل اسبوعين (نصف شهرية)

(١ و ٢) انظر حديثا جيدا ومناسبا عن حزب البعث في " فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام " وانظر عن الحزب القومي السورى " حركات ومذاهب في ميزان الاسلام : ٧١-٨٥) .

وكانت الغاية منها كذلك محاربة التعصب والدعوة الى التفاهم والاتحاد لخير الوطن وكان شعار الصحيفة " حب الوطن من الايمان " وهو شعور لم يكن يعرفه العالم العربي حتى ذلك الزمن وكان يحرص على أن يبرز هذا الشعار على الصفحة الاولى مع العنوان من كل عدد " ١ "

أما مايتعلق بالفكر السياسي الذى اطلقه النصارى فانهم أول من أطلق شعار الوطن والوطنية ، وسبق أن ذكرت نصاً يثبت أن أول من دعا الى مجتمع قومي علماني هم النصارى وسوف أذكر نصاً آخر يثبت أن أحد النصارى دعا الى اقامة دولة علمانية .

يقول : " برنارد لويس " عن الوطن والوطنية :

" وفي سنة ١٨٨٢ كان الاحتلال البريطاني عاملا ضخما في اثارة الشعور الوطني حتى قبل أن يحتل الانكليز مصر قامت في مصر موجة كراهية للاجانب وكان شعارها مصر للمصريين ، ولقد أطلق هذا الشعار الصحفي المسيحي " سليم نقاش " " ٢ " وعمه " أبو نداره " وطبقه القائد المسلم عرابي باشا وفي الاعوام العشرة التي تلت ١٨٧٠ حدثت عدة تطورات في مصر أدت الى خلق ونمو هذا الشعور والتعبير عنه باسلوب رشيق لبق " " ٣ "

---

١) يقظة العرب : ١١٥ .

٢) توفي عام ١٨٨٤م / ١٣٠١ هـ وهو من أهل بيروت ألف كتاب " مصر للمصريين " تسعة أجزاء طبعت الستة الاخيرة وفقدت الثلاثة الاولى . (راجع الاعلام حرف السين) ومن العجيب في هذا ان يدعو هذا البيروتي لهذا الوطن وهو ليس وطنه ، ولكنه الكيد للاسلام وأهله .

٣) الغرب والشرق الاوسط : ١٢٢ .

ويقول البرت حوراني عن فرح أنطون وهدفه السياسي الذى كـان يسعى اليه :

" .. كان هدفه السياسي شبيها بهدف الشميل وسواه مـن كتاب عصره اللبنانيين ذلك أنه توخى وضع أسس دولة علمانية يشترك فيها المسلمون والمسيحيون على قدم المساواة التامة . فالطبيعة البشرية واحـدة أساسياً في نظر جميع الاديان والحقوق والواجبات البشرية واحدة ايضاً حتى أن الذين لادين لهم يختلفون عن غيرهم في الطبيعة والحقوق ".

ويذكر البرت حوراني قول فرح انطون : إن العالم قد تغيـر فالدولة الحديثة لم تعد قائمة على الدين بل على أمرين : الوحدة الوطنية ، وتقنيات العلم الحديث ، أمّا في العصر الحديث فالوحدة تتم بخلق الولاء القومي والفصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية .

ثم يقول البرت حوراني : " اننا نسمع من وقت الى وقت من خـلال صفحات فرح انطون نغمة هي أكثر من مجرد صدى لمعلميه أوربيين إنهـا التعبير عن وعي سياسي إيجابي عند المسيحيين العرب لقد بقوا مـدة طويلة مكتفين بأن لا يتدخل أحد في شئونهم مكرسين مواهبهم السياسيـة لمعالجة شئون بطريركياتهم المعقدة لكن فرح انطون الآن يطالبـه بدولة علمانية لم يطالب بعدم إضطهاد المسيحيين ومنحهم حقوقا متساويـة فحسب بل طالب بمجتمع يتسنى لهم فيه القيام بدور ايجابي لا بـل بمجتمع يتمكنون فيه من ممارسة شطر من المسئولية السياسية . ومع ذلك فقـد تردد معظم الكتاب المسيحيين في دفع هذا التفكير الى نتائجه السياسيـة وفي التحدث عن أمة عربية إذ انهم تخوفوا من أن تنكشف القومية العربية عن شكل جديد من اشكال التسلط الاسلامي ولم يكن بإمكانهم إزالة هـــذا

التخوف الا باحدى طريقتين :

الاولـــى : ان يجاوروا الاكثرية شأن الاقليات أحياناً ولــــو أثار بعض الالتباس .

والثانيـة : أن يصبوا في قالب مفهومهم للعروبة محتوى مفهومهم للبنان أو لسوريا فيحلموا بأمة عربية تكون منفصلة عن أساسها الديني وتضـم بدون أى وجه من وجوه التفريق المسلمين والمسيحيين جميعا وتتمتع بحمايـة روءوفة من قبل أوربة الليبرالية " "١"

أما الاحزاب والجمعيات فقد إتخذت أول الامر طابع الجمعيـات الادبية وهي تخفي ورائها أهدافا فكرية تتلخص في إذكاء الروح القوميـة في العرب ، وأخرى سياسية تدعو لانفصال العرب عن الدولة العثمانية ،وقد كانت أول جمعية تأسست في هذا الصدد هي جمعية الآداب والفنون التـي تقدم باقتراحها ناصيف اليازجي وبطرس البستاني الى البعثة التبشيرية الامريكية وحقق المشروع عام ١٨٤٧م وكان من اعضائها ، اليازجي والبستاني ،وايلي سميث وكرنيليوس فان دايك وعدد آخر من الاميركان وشخص إنجليزى يدعى " الكولونيل تشرشل " !!! وبلغ عدد أعضائها بعد سنتين من تأسيسهـــا

---

١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ٨٦ .

٢) [illegible]

خمسين عضواً . أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت ، ولم يكن فيها عضو مسلم أو درزي .

ثم أسس اليسوعيون عام ١٨٥٠ الجمعية الشرقية على نفس الأسس التي أسست عليها الجمعية السابقة وكان المحرك لها هو الاب " دوبر ونيير " الفرنسي (١) والذي وصل الى بيروت عام ١٨٤٩ وتعلم اللغة العربية فور وصوله .

ثم أسست الجمعية العلمية السورية عام ١٨٥٧ وهي أكبر من سابقتيها وتختلف عنها في أمرين :

١ - أنّ جميع أعضائها كانوا عرباً .

٢ - أنّ المسلمين والدروز اشتركوا مع النصارى وبلغ عدد اعضائها ١٥٠ عضواً . وكانت في غايتها ووسائلها وأنظمتها وقانونها على غرار الجمعية التي انشئت سنة ١٨٤٧ . ونالت اعتراف الحكومة بها سنة ١٨٦٨م "١"

أما أول جمعية تأسست منظمة تنظيماً سياسياً فهي " جمعية بيروت السرية " يقول عنها مصطفى الشهاب :

" تأسست " جمعية بيروت السرية " عام ١٨٧٥م على يد بعض الطلاب في الكلية الامريكية السورية البروتستانتية (الجامعة الامريكية) وأخذت توزع منشوراتها المكتوبة بخط اليد في الشوارع ، وتلصقها على الابنية في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا وكانت تطالب بما يلي :

---

(١) يقظة العرب : ١١٧ - ١٢١ بتصرف. وان تعجب فعجب زعم هؤلاء " العروبيون " الذين يدعون الى تمجيد العروبة واستبدالها بالاسلام ويدخلون معهم اعاجم من الامريكان والانجليز والفرنسيين ان هذا هو التناقض الذي يفضح أهدافهم الخبيثة وهي محاولة تمزيق المسلمين . وقد نجحوا للاسف .

١ - منح سوريا الاستقلال .

٢ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

٣ - الغاء الرقابة والقيود الاخرى المفروضة على حرية التعبير ونشر المعرفة .

٤ - جعل الخدمة العسكرية محلية ."[1]"

وكان الأعضاء المؤسسين - كما يذكر توفيق علي برو - اكثرهم من المسيحيين وبعضهم تخرج من كلية بيروت الامريكية وكان عددهم اثنا عشر رجلا ثم ارتفع الى سبعين منهم :

١) يعقوب صروف ٢) ابراهيم اليازجي ٣) فارس نمر

٤) ابراهيم الحوراني ٥) شاهين مكاريوس ٦) الياس حباليين."[2]"

واستطاع هؤلاء الاعضاء الاوائل أن يضموا اليهم (٢٢) شخصا من مختلف الطوائف الدينية وهم من الصفوة المختارة ."[3]" .

ويقول ساطع الحصرى عن مافعله نجيب عازورى مايلي :

" .. وأنشأ نجيب عازورى "عصبة الوطن العربي" في باريس بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم التركي ،ونشرت العصبة حوالي خمسين نداء موجهاً الى العرب تدعوهم الى الثورة على الاتراك . ونشر نجيب عازورى عام ١٩٠٥ كتابا بالفرنسية

---

(١) القومية العربية : ٤٥ وانظر يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .

(٢) العرب والترك : ٢٧ ، وكان ابراهيم اليازجي ينشئ القصائد في الدعوة الى اتحاد العرب ضد الاتراك وأشهرها القصدتين السينية والهائية ويرى انطونيوس ان المؤسسين كانوا خمسة .

(٣) يقظة العرب : ١٤٩ - ١٦٠ .

" يقظة الأمة العربية في آسيا " دعا فيه الى إنفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقراً لخلافة إسلامية عربية ، وأن تتكون من الشام والعراق دولة عربية موحدة عصرية ، كما طالب بتوحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية . ويعد عامين اصدر مع مجموعة من الكتاب الفرنسيين مجلة شهرية هي :

" L'Independance Arabe "

" استقلال العرب " صدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٠٧م وكان الغرض منها التعريف بالبلاد العربية وإثارة إهتمام الناس بقضية تحريرها الا أنّ عازوري لم يفلح في اثارة اهتمام العرب بهذا الموضوع فكان أثره ضعيفا وحالت الرقابة العثمانية دون وصول نداءاته ومنشوراته الى البلاد العربية " "١"

ويقول الاستاذ على المحافظة عن أهداف هذه العصبة مايلي :

" فهي ترغب ، قبل كل شيء في فصل السلطة الزمنية على السلطة الروحية ، من أجل صالح الاسلام ومصلحة الامة العربية ... " "٢"

لكن من هو هذا العازوري الذي يدعو الى دولة عربية علمانية قائمة على حرية المعتقد والمساواة بين جميع المواطنين ؟ انه كما يقول د. م وجيه كوثراني :

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية : ١٢٥ - ١٢٦ ويسمى جورج انطونيوس هذه الجمعية " جامعة الوطن العربي " ويرى أنّها أنشئت علم ١٩٠٤م وان اسم المجلة " الاستقلال العربي " (يقظة العرب : ١٧٢ - ١٧٤) .

(٢) الاتجاهات الفكرية عند العرب : ١٣٥ هامش .

" ماروني من جبل لبنان ، عاش منذ صغره في فرنسا ونشأ وتعلم في جو اجتماعي - ثقافي فرنسي ، ولم يكن يعرف العربية "(١)"

يقول الدكتور وجيه كوثراني في تقويم هذه الحركات القومية النصرانية وموقف المسلمين منها مايلي :

" .. بيد أنّ هذه النقطة المشتركة لم تعن ابداً التقاء بالوسائل والأهداف بين الفئتين الاجتماعيتين الاسلامية والمسيحية ففي حين كان مثقفو البرجوازية المسيحية في بيروت المتشربون بالافكار الاوربية " الليبرالية " قد بدأوا يلهجون بالانفصال عن الاتراك منذ (١٨٨٠) (جمعية بيروت السرية ومناشيرها) وينظرون لهذا الانفصال في باريس عام (١٩٠٥) بتعابير ومفاهيم اوربية (كتاب نجيب عازوري مثلا : يقظة الامة العربية. كان المثقفون المسلمون الذين غلبت على ثقافتهم سمات التراث العربي - الاسلامي - يرون في هذه الاتجاهات محاولات استعمارية مشبوهة يجب محاربتها "(٢)"

---

(١) الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ما أعجب هذا الامر شخص لا يعرف العربية ويتربى في فرنسا يدعو الى اقامة دولة عربية علمانية قومية الا يدل ذلك على ان هناك هدفا كبيراً يسعى له مسيحيوا المشرق والمغرب الا وهو القضاء على عز المسلمين .

(٢) الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي : ١١٠ .

ثم يقول أيضا :

" أما بالنسبة للبرجوازية المسيحية المدينية : صحيح أنها لم تكن اسيرة الموقع الاجتماعي الضيق الذى إحتله الموارنة في الجبل في اطار " النظام الاساسي " وسيادة الاكليروس الماروني ، ولكنها بارتباطها الاقتصادى بأوروبا وثقافتها " الليبرالية " التي تنحو نحو " العلمانية " وانفتاحها " الكوسموبوليتي " التي تجسد في انتماء بعض عناصرها الى المحافل الماسونية ، فإنها كانت لا تدعو فحسب للاستفادة من " النموذج الاوربي " ، بل أيضا لاعتبار أوروبا صديقة ينبغي أن تتدخل وتحكم لاصلاح حالنا واعداد " الدولة / الامة " المنشودة " " هذه الامة " هي المشرق العربي كما فهمها نجيب عازورى ، هي " سورية الطبيعية " كما دعا لها فارس نمر ويعقوب صروف صاحبا المقطم والمقتطف أو كما تصورها ندره مطران وجورج سمنه وخير الله خير الله في كتبهم التي حملت عنوان " سورية "

" ان هذه النزعة " القومية " ... الانفصالية حملتها في رأينا - وقبل ١٩١٥ - فئات إجتماعية غير " جماهيرية " ، بل أكثر من ذلك معادية " لخط الجماهير " من هنا لا يمكن - في رأينا - إعتبار اصحاب هذه النزعة " طليعيون " لا لسبب ، الا " لعلمانيتهم " المعلنة ، مايهمم ليس الفكر مجردا عن الواقع الذى انتجه .. ان المشروع السياسي الذى أنتجه أصحاب هذه النزعة هو " مشروع امبريالي " أو دعوة للاستعمار متلبسة لباس " التقنية " . قد يدعو هذا الكلام الى الدهشة . لكن ماذا يسمنا أن نحكم ------------------

نحكم حين نقرأ لفارس نمر ـ وهو يجادل رشيد رضا في الموقف عن الاستعمار ـ : " انا احتلالي على رؤوس الاشهاد " (١)

وهكذا اتضح لنا في الصفحات السابقة ومن نصوص النصارى مدى الدور الخطير الذى أدوه لنقل العلمانية الى العالم الاسلامي واتضح لنا مدى موازرة نصارى الغرب لهم في أداء هذا الدور . وبذا يتضح لنا مدى حقد نصارى الشرق والغرب على المسلمين ، وأن نصارى الشرق بعيدون كل البعد عما ادعوه من الوطنية الزائفة ، ولعل أقرب مثال حي حاضر هو مهزلة من يسمى بـ " المنشق سعد حداد " وسكوت نصارى لبنان وغيرهم عن هذا الفعل . وهذا يؤكد مايقوله كل مسلم ملتزم باسلامه من انه لا رابطة بين الناس الا رابطة العقيدة ، وكل الروابط الاخرى لا تصلح لتتكون منها المجتمعات والدول . وهذا كله مصداق قوله تعالى : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " (البقرة : ١٢٠) .

غير أن هذا لا يعني أن نلقى تبعاتنا على النصارى واليهود وننسب اليهم كل ما أصابنا كأنما هم قوة لا تقهر ـ في خططهم ـ وقد اجتاحتنا على حين غرة دون ان نقدر على دفعها .

---

(١) نفس المصدر السابق : ١١١ ، ١١٢ ، وتكملة العبارة المنقولة عن فارس نمر في مجادلته لرشيد رضا مايلي : " من اكبر الاحتلاليين ، لانني جاهرت وشهدت ولم أخف ولم أنكر أن المحتلين أصلحوا في هذا القطر اصلاحا عظيماً " .

نفس المصدر : ١٦٤ عن المقتطف مجلد ٦ ٣ ص ٢٦٠ - ٢٦٥ .

إننا كما أوضحت في الفصل الاول لم نوء‌ت الا من قبل أنفسنـــا وما عوقبنا الا بما جنته ايدينا " ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم" فنحن الذين أعطينا الكفار - من يهود ونصارى - الفرصة للتخطيط ضدنـــا وذلك حين واليناهم والله يقول ناهياً لنا عن ذلك : " يا أيها الذيــــن آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهـــم منكم فإنه منهم إنَّ الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أنَّ تصيبنا دائرة فعسى الله أنْ يأتـــــي بالفتح أو امر من عنده فيصبحوا على ماأسروا من أنفسهم نادمين" . . (المائدة : ٥١ ، ٥٢) .

" إنَّ الله تعالى يقول : " وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهـــــم شيئا " فلولا إفلاسنا من الصبر والتقوى ، بل ومن الايمان والتصور السليم ماكان لهذه المخططات من أثر ، وإن كان فهو كالجرح الذى سرعان مـــا يندمل او الاغفاء تعقبها الوثبة .

" . . وحين نقول إننا كنا مسلمين حقيقين حتى جاء الكفــــار فأفسدوا علينا ديننا ودنيانا فإنا لا نكون مخطئين في تصورنا فحسب ، بل نكون قد قطعنا على أنفسنا الطريق الصحيح للعودة . ذلك الطريق الـذى يبدأ أساسا من معرفتنا باننا كنا منحرفين ، وفهمنا لا سباب ومظاهـــــــر الانحراف والا ستقامة ". "(١)

---

(١) العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية : ٤٨٢ .

وبعد معرفتنا لأثر هؤلاء النصارى - الفكرى ، والسياسي - في العالم الاسلامي بنقلهم للعلمانية في الفكر والسياسة هل بقي عوامل أخرى ، كان لها أثر في نقل العلمانية - فكرا وتطبيقا - ؟ هذا ماسوف نعرفه في الفقرة التالية " المخططات الصليبية واليهودية " المتمثلة في قوى الاستعمار ، والتبشير ، والاستشراق ".

الفصل الثانــــي

عوامل انتقال العلمانية الى العالم الاسلامي

المبحث الثاني : عوامل خارجية (المخططات الصليبية واليهودية)

* تمهيـــد

أ ـ قوى الاحتلال المباشر وأثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني

ب ـ التبشير وأثره في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي

جـ ـ الاستشراق وأثره في نقل الفكر العلمانـــي

ـــ...ـــ

المبحث الثاني : عوامل خارجيه ـ المخططات الصليبيه واليهوديه ـ

تمهيـــد :

نزل القرآن الكريم وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت الدعوة فيه الى الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم موجهة الى كافة البشـر. (١)

بل وجهت الدعوة الى اليهود والنصارى خاصة باعتبارهم أهل كتاب سابق على القرآن منزل من عند الله . قال تعالى :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ." (٢)

فماذا كان موقف أهل الكتاب عموما من هذه الدعوة وماذا كان موقف اليهود خصوصا ؟ .

أما موقف اليهود فيوضحه قوله تعالى :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبـــل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علـــى الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينـزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافريـــن عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقـوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسمـا يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين . (٣)

---

(١) انظر سورة الاعراف : ١٥٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٦٤ وانظر سورة المائدة : ١٥ - ١٩ .
(٣) سورة آل عمران : ٨٩ - ٩٣ وانظر : ٩٩ - ١٠١ .

فالآية تبين أن موقف اليهود كان هو الكفر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن كفرهم هذا كان سببه الحسد للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه وحي وأن تخرج الرسالة عن بني اسرائيل .

ولم يكتفوا بهذا الموقف بل أنهم أخذوا يحاجون الرسول صلى الله عليه وسلم في قضايا كثيرة منها : ١- ملة ابراهيم [١] ، ٢- القبلة [٢]
٣- مواقف السخرية والتحدى للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمحاجة للرسول [٣]
بل زادوا على ذلك بالدسائس التي علوها بين المسلمين ، والتآمر مع المنافقين والمشركين . [٤]

وقد وصل بهم الحقد على المسلمين الى حد أنهم أساؤوا الى احدى نساء المسلمين في سوق بني قينقاع فكان ذلك سببا في اجلاء بني قينقاع من المدينة .

بل تآمرت قبيلة بني النضير على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءهم يستعين بهم في تحمل دية بعض القتلى من بني عامر الذين قتلهم أحد المسلمين فكان ذلك سببا لاجلائهم . [٥]

وتآمرت قبيلة بني قريضة مع المشركين في غزوة الأحزاب على قتال المسلمين فكان ذلك سببا في قتل مقاتلتهم . [٦]

أما موقف النصارى من الدعوة الاسلامية فكانوا في غالبيتهم يقفون موقف العداء والكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر سورة البقرة : ١٣٠ - ١٤٠ .
(٢) انظر سورة البقرة : ١٤٢- ١٥٢.
(٣) انظر سورة آل عمران : ١٨٠ - ١٨٣ وانظر سورة النساء : ٤٤- ٤٦.
(٤) انظر في ذلك : سورة البقرة : ٧٥ ، ٧٦ و ١٤ وسورة النساء: ١٣٨ ، ١٣٩ . وسورة المائدة : ٥١ ، ٥٢ ، وسورة الحشر : ١١.
(٥) انظر سورة الحشر .
(٦) انظر سورة الأحزاب .

قال تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

فهذه الآية توضح أن النصارى اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله واتخذوا المسيح كذلك وهم مأمورون بعبادة الله وحده ثم توضح أنهم لم يستجيبوا لهذه الدعوة بل هم يريدون إطفاء نور الله (الاسلام) بأقوالهم السيئة في الاسلام لتشكيك المسلمين في دينهم ومن ثم انهاء وجود الاسلام.

بل ان النصارى حصل منهم محاجة ومجادلة للرسول صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وخلقه ودعوى الوهيته. (١)

ولكن النصارى لم يستطيعوا التآمر على المسلمين وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لبعدهم عن المدينة ولانشغال دولة الروم النصرانية بصراعاتها مع دولة الفرس .

أما الحبشة فقد كان موقف ملكها النجاشي موقفا ~~بل~~ مشرفا هو قد أسلم فأمن المسلمون جانبه بل أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى بلاده مرتين ، ولكن ذلك لم يمنع نصارى الروم حين طمعوا اتساع نطاق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمعوا جموعا كثيرة في الشام لغزو المدينة فبادرهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوة تبوك وقد حكت سورة التوبة شيئا من هذه الغزوة

وقد نزلت آيات تدعو المسلمين لقتال النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، قال تعالى : " ... قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" التوبة : ٢٩ .

---

(١) انظر سورة التوبة : ٣١ - ٣٤ .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن عداوة اليهود والنصارى للمسلمين في قوله تعالى :

" ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " البقرة : ١٢٠، ١٢١.

فهذه الآية توضح بما لا يدع مجالا للشك أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم - وليس معنى اتباع ملتهم أن يدخل المسلمون في النصرانية واليهودية فقط - بل يشمل ذلك اخراج المسلمين من اسلامهم واتباعهم لأهواء اليهود والنصارى - وهذا يكفي اذا لم يستطيعوا ادخال احد من المسلمين في النصرانية أو اليهودية .

ولعلي لا أكون مبالغاً ولا مجاوزاً للحقيقة اذا قلت بأنه لم يوجد في التاريخ البشري عداوة تساوي أو تقرب في شراستها في الأساليب من عداوة اليهود والنصارى للأمة الاسلامية . ولم تكن أسباب هذه العداوة من نوع الأسباب السياسية أو الاقتصادية ، بل ان سببها المباشر الحقد على المسلمين الذين أنعم الله عليهم بهذا الدين .

وأوضح الادلة على عداوة النصارى للمسلمين الحملات الصليبية التي جهزت للقضاء على المسلمين على مدى قرنين من الزمان ، كما أن من الأدلة على عداوة اليهود للمسلمين المؤامرات الكثيرة ضد المسلمين التي دبرت من قبل اليهود بدءاً بقتل عمر رضي الله عنه ، وعثمان وانتهاءاً بالواقع الحالي المتمثل في سيطرة اليهود على العالم الغربي خاصة الولايات المتحدة ومن ضمن ذلك سيطرتهم في اتخاذ القرارات السياسية وقد بدأت معالم سيطرة اليهود على العالم الغربي بعد الثورتين الانجليزية والفرنسية ، ومن ثم اتخذت العداوة تحالفاً واحداً متضامناً لأن مصالحهما متشابكة ومتداخلة ، وكان الصليبيون على استعداد للتخلي عن عداوتهم لليهود ، بعد أن سيطر اليهود عليهم ، وهكذا سخر اليهود الصليبيين للقضاء على العدو الأكبر لليهود وهم المسلمون .

لقد كان للحروب الصليبية دور كبير فى أذكاء العداوة للمسلمين ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فقد كانت احد مظاهر العداوة للمسلمين .

ولا يمكن لباحث أن يدرس العلاقة أن يدرس العلاقة بين أوروبا باعتبارها منبت العلمانية ، والعالم الاسلامى بغير دراسة الحروب الصليبية لأن هذه الحروب اعطت لهذه العداوة الراسخة مظهرا جديدا ، وأذلت فيها روحا معينة هى الروح الدينية ؛ (١)

وقد أوضح أسبابها احد الاوروبيين الذين اسلموا . (٢)
كما أوضح هدفها " جان بول رو " اذ يقول :
" . . . لقد كان أمل هذه المغامرة الفلسطينية ضئيلا بالنجاح ، لقد قذف بملايين الاوروبيين على شواطئ الشرق ومهمتهم تغيير المعتقدات الشرقية ، ومن أجل الوصول الى ذلك كان عليهم أن يخرجوا الشرق ، وبما أن القضية بدأت لذلك كان من الواجب إنماؤها على أفضل ما يمكن وبسبب ارتباطهم بها ماديا ومعنويا ، تصلب الأوربيون فى عنادهم طيلة قرنين من الزمن .

" لم يكن القضاء على الدولة العثمانية الا مظهرا من مظاهر الهجوم العام الذى يشنه الأوروبيون على الدولة الاسلامية . ومن جزر الفلبين الى قلب افريقيا عمل الرجل الأبيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم وفرض عليه مفاهيمه فى الوجود وطرق معيشته وتفكيره ، ومخططاته وتكتيكه . (٣)

وهكذا يتضح من النص ان الهدف الاساسى للحروب الصليبية العسكرية انما كان " تغيير المعتقدات الشرقية " ولا يوجد فى الشرق الأسلامى سيطرة لغير عقيدة الاسلام ذلك أن النصارى أقلية فالمقصود بتغيير المعتقدات

(١) لا أدل على ذلك من ان الذين أذكوا الحروب العسكرية الصليبية هم رجال الدين النصرانى وعلى رأسهم "بطرس الناسك" مشعل الحروب الصليبية .
(٢) انظر فى بيان ذلك كتاب الاسلام على مفترق الطرق : ٥٦ .
(٣) الاسلام فى الغرب : ٤١ - ٤٣ . وانظر تقسيمه لمراحل الصراع بين المسلمين والنصارى فى نفس الكتاب : ٦٩ ، ٧٠ .

العام الذى يشنه الأوربيون على الدولة الاسلامية . ومن جزر الفلبين الى
قلب افريقيا عمل الرجل الابيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم وفرض
(٣)

الشرقية تغيير معتقدات المسلمين . وما دام أن هذا الهدف لم يتحقق للصليبيين فالعداوات كلها صليبية والحروب كلها صليبية .

ويؤكد أن هدف الأوربيين من كافة حروبهم هو القضاء على الاسلام ان أول عمل قام به الانجليز في الهند هو الغاء الشريعة الاسلامية وأن أول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الاسلامية واستبدالها بالقانون الفرنسي ، وان أول عمل قام به أذناب اليهود والنصارى في تركيا بعد ثورة مصطفى كمال " كان الغاء الشريعة الاسلامية ، واعلان الدولة التركية دولة علمانية .

ولقد ادرك الصليبيون واليهود ان التخطيط المشترك بينهم اصبح ضروريا بعد الموقف المشرف الذى واجه به السلطان عبد الحميد رحمه الله - هرتزل زعيم الحركة الصهيونية آنذاك أيقن هؤلاء أن القضاء على الدولة العثمانية يخدم مصلحة الطرفين فالصليبيون كانوا يتحينون الفرصة المواتية للأخذ بثأرهم من المسلمين لهزيمتهم في الحروب الصليبية واليهود أيقنوا أنهم بعد فشلهم مع السلطان عبد الحميد لا قدرة لهم على العمل المنفرد - فلا بد من التركيز على العالم الصليبي بثقل لجعله مسخراً لمآربهم - واتفقت أهداف المعسكرين الصليبى واليهودى ووصلت الى قمة التوحيد بعد قرار المجمع المسكوني الذى صدر من الفاتيكان عام ١٩٦٤ وقد نص على تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام وكان الهدف من هذا القرار محو كل اثر للعداء بين الصليبيين واليهود "(١)

واذا كانت العداوة للمسلمين لم تتغير فان الوسائل والخطط تغيرت كثيراً وقد طرح رأيان في هذا العصر لمسألة القضاء على المسلمين وعلى الاسلام في نفوس ابنائه .

الرأى الاول : يعتقد أن السبيل الى ذلك هو احتلال الاراضي الاسلامية احتلالاً عسكرياً كما فعل الصليبيون سابقاً . وهذا رأى المستشرق كيمون الذى يرى أن من الواجب ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر"(٢) .

---

(١) انظر بعض النقاط الاساسية في وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح في كتاب : التبشير والاستعمار : ٢٦٤ ، ٢٦٥ . وانظر حديث الشيخ محمد الغزالى عن الوثيقة في : حصار الغرور : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) الاسلام على مفترق الطرق : ٤١ والاتجاهات الوطنية في الادب العربي المعاصر ١/ ٣٤٩ . وانظر القومية والغزو الفكرى : ١٩٢ .

ورأى "غلادستون" رئيس وزراء بريطانيا سابقا الذي يقول

" مادام هذا القرآن موجوداً بين أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " [1]

ويبدو أن هذا التفكير الوحشي يطمع في أن يتكرر ماحصل في الاندلس - من انهاء وجود المسلمين - في المشرق .

أما الرأي الثاني - وهو رأى ذكي - فقد بحث أصحابه في سر الهزائم التي مني بها الغرب في الحروب الصليبية وفي عهود الاحتلال المباشر لبلاد الاسلام فوجدوا أن السر في ذلك هو الاسلام ، فوضعوا بناء على ذلك - خططاً لا تقوم على ابادة المسلمين واحتلال اراضيهم وانما هدفها الاساسي اقتلاع الاسلام من نفوس المسلمين ، أو عزله عن واقع الحياة ، وهكذا يريد هؤلاء أن تنتقل المعركة من الارض الى الادمغة ، وأن تكون وسيلتهما الفكر بدلاً من السلاح ، وأصبحت المؤسسات الفكرية ، والمناهج والخطط تدير هذه المعركة لاحتلال الادمغة وتسييرها حسب مايريد الصليبيون .

وقد عمل أصحاب هذا الرأى احتياطات كثيرة لنجاح هذه الحرب الفكرية ، كان على رأسها عدم التصريح بعداوة المسلمين ، وأن تتخذ المعركة شعارات عدة ، كأن توصف بأنها معركة بين الشرق والغرب ، أو انهما حرب بين اليسار واليمين ، ويجب تجنب وصف هذه المعركة بأنها دينية إذ أن هذا يستثير حمية الجهاد عند المسلمين ، واستثارتها يعني فشل خططهم وتكرر هزائم حطين وغيرها .

وقد سبق هؤلاء وكان أول من نبه الى هذه الخطة " لويس التاسع" ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثانية الذى اعتقل في المنصورة بمصر .

يقول الشيخ الغزالي عن ذلك مايلي :

---

(1) الاسلام على مفترق الطرق : ٤١ .

" يقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ " جوانفيل " الـــذي رافق لويس التاسع : إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئـة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها ازاء العـرب والمسلمين .

ويقول : " رينيه جروسيه " : إن الملك لويس التاسع كان بذلـك في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا الخطوط الرئيسية لسياســة جديدة شملت مستقبل آسيا وافريقيا بأسرهما .

" وهكذا انساق لويس التاسع بقوة الاحداث فرسم التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الاسلام والنيل مـن قوته ثم زادته الاحداث استيعابا وتفهما لمشكلات الغرب في هذا الصدد فوضح معالم سياسته الجديدة واتجاهاتها واسسها على النحو التالي :

أولاً : تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات صليبيـة سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين الا من حيث نوع السـلاح الذى يستخدم في المعركة . . وقد تمثل ذلك بإثارة الخلافات في أوسـاط المسلمين ، والامعان في ذلك بتأييد بعضهم على بعض واستغلال مايكـون بين المسلمين من خلافات استغلالاً يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية وتفتيت الكتلة الاسلامية بهذا ينتهي الاسلام من تلقاء نفسه ." [1]

ثانيا : تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليـم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب .

----

(١) معركة المصحف : ٢٠٤ .

ثالثا : العمل على استخدام مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب .

رابعا : العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزاً لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية ومنها يمكن حصار الاسلام والوثوب عليه كلما اتيحت الفرصة لمهاجمته .

وقد عين لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة ، الاراضي الممتدة على ساحل البحر الابيض من غزة حتى الاسكندرية وتشمل فلسطين والاردن ، والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها .

والى هذه السياسة ـ التي اتخذها الغرب أخيراً خطة له عن لويس التاسع واعتنقها وطبقها يرجع الفضل في تأخير سقوط بيزنطة في يد الاتراك لمدة ثلاثة قرون " (١) "

وقد نفذ هذه الوصية وسار على نهجها نابليون بونابرت فقد وجه خطابا الى الشعب المصري حين وصل الى مصر اقتطف نهذاً منه تدل على مدى المكر والخديعة لدى هولاء الصليبيين وقد بدأها بالبسملة كما في بعض ترجمات الخطاب في بعض الكتب التي نقلت الخطاب . " (٢) "

" ياشعوب مصر سوف يقولون لكم إني قادم لإبادة ديانتكم ، فلا تصدقوهم بل قولوا لهم اني آت لاعيد اليكم حقوقكم ، واعاقب مختلسيها ، وانا احترم الله ونبيه الكريم أكثر مما يحترمهم المماليك قولوا لهم ان جميع البشر متساوون لديه تعالى ، وانه لا فرق بينهم الا بالحكمة والمواهب العقلية

----

١) نفس المصدر : ٢٠٧

٢) نابليون المسلم .

والفضائل وعليه بأي حكمة ومواهب عقلية وفضائل يمتاز بها المماليك حتى يتسنى لهم أن يتمتعوا بكل مايجمل الحياة هنيئة وعذبة ؟-------

" أيها القضاة والشيوخ والشوربجية . قولوا للشعب انا اصدقاء مخلصون للمسلمين الحقيقيين أو لسنا نحن نكلنا بالبابا وقد كان ينادي بوجوب شهر الحرب على المسلمين ؟ أو لسنا نحن الذين أبدنا فرسان مالطـــة الأغرار وقد كانوا يعتقدون ان البارى عز وجلا يريد أن يشهر القتـال علـى المسلمين ؟ . . ." (١)

هذا ماقاله نابليون والواقع أن الاعمال الحقيقية التي غزا من أجلها مصر ، لم تكن خافية ولن تكون خافية على كل ذى عقل وبصيرة .

وهكذا استفاد الغربيون من وصية لويس التاسع وبدأت مخططاتهم المتآزرة مع المخططات اليهودية ، لاخراج المسلمين عن دينهم وحملهم على العلمانية وقد عمل الغربيون على تحقيق هذا الهدف عن طريق الاحتـلال المباشر ، والتبشير ـ التنصير ـ والاستشراق .

---

١) تاريخ نابليون الاول : ٩٢/١ ، ٩٣ ومثله مع اختلاف فـي الالفاظ أنظر " وثائق ونصوص من التاريخ الحديث والمعاصر "

أ - قوى الاستعمار وأثرها في نقل تطبيقات الفكر العلماني :

لقد استفاد الغربيون الصليبيون إستفادة عظيمة من وصية لويس التاسع فقد سعت جيوش الاحتلال الى العالم الاسلامي وهي تقاد بعقلية مختلفة عن العقلية الصليبية السابقة ؛ اذ هي تتمتع بدهاء كبير وتعلم مقدماً أن مهمتها أعظم من مهمة الاجداد الصليبيين وان أساليبها يجب أن تتغير ، وأن نجاح مهمة هذه الجيوش يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة التي نبه اليها لويس التاسع .

وكان من أول ثمرات هذه الخطة أن استطاعت الدول الصليبية محاربة جيوش الدولة العثمانية بإفراد من المسلمين ساروا تحت قيادة الجنرال اللنبي حتى دخل القدس .

والحق أن هذه الحروب هي أول حرب صليبية يكون وقودها مغفلون من المسلمين ، ولقد إقتضت اتفاقية " سايكس بيكو " بين فرنسا وانجلترا وروسيا توزيع بلاد المسلمين بين هذه الدول . "١"

وبدأت من بعد ذلك التقسيم الدول الصليبية تنفذ مخططها المرسوم لها في كل بلد ويمكن تلخيص جهود الصليبيين في إبعاد المسلمين عن دينهم في هذه الفترة - في الآتي :

١ - القضاء على الحركات الاسلامية التي جاهدت الصليبيين المحتلين لبلدانها مثل حركات اسماعيل الشهيد في الهند ، والمهدي في السودان ، والخطابي في المغرب ، وعبد القادر الجزائري في الجزائر

---

(١) عقدت هذه الاتفاقية في ١٦ مايو عام ١٩١٦م بموجبها فرنسا على جميع بلاد الشام وجزء من العراق وحصلت بريطانيا على فلسطين والاردن ومعظم العراق .

وعمر المختار في ليبيا ، وفي مصر قتل الشيخ حسن البنا بعد أن عجزت مخططات بريطانيا عن احتواء دعوته ثم ضربت الحركة على أيدي قادة الثورة عامي ١٩٥٤ م و١٩٦٦م .

٢ - الغاء المحاكم الشرعية واحلال القوانين الوضعية محلها :

لا ريب أنّ اقامة الحدود الشرعية والقصاص بل كون جميع القضايا التي تعرض للناس في حياتهم وتعاملهم مع غيرهم يبت فيها قضاة يستندون الى أحكام الشريعة فيما يحكمون لا ريب ان له نتائج حسنة وقد أدرك المحتلون للبلاد الاسلامية هذا فارادوا القضاء على المحاكم الشرعية واحلال القوانين الوضعية محلها حتى يعدم الامن بين الناس يقول الاستاذ علال الناسي في بيان ذلك :

* كان أول قطر بدأ فيه الغاء الشريعة الاسلامية - كما يقول المودودي - هو الهند فقد كانت الشريعة الاسلامية تطبق حتى عام ١٧٩١م لكن الانجليز أخذوا بعد ذلك يلغون من الشريعة الاسلامية شيئا فشيئا حتى تم الغاء التحاكم الى الاحكام الشرعية في منتصف القرن التاسع عشر .

* ثم الغي العمل بالشريعة الاسلامية في الجزائر عام ١٨٣٠ م واستبدل بالقانون الفرنسي .

* ثم أدخلت القوانين الفرنسية في تونس عام ١٩٠٦ والمغرب عام ١٩١٣ عوضا عن الشريعة الاسلامية ، وهكذا لبنان ، وأصبح لا يطبق حسب الشريعة الا ماكان متعلقا بالاحوال الشخصية ، وهكذا أصبح القانون المدني الفرنسي مطبقا في مصر ولبنان وتونس والجزائر والمغرب ،أما سوريا وفلسطين والاردن والعراق وليبيا فقد تأخر تطبيق القوانين الوضعية حتى انهيار الدولة العثمانية .

• أما البانيا وتركيا فقد ألغتا الشريعة ، فأعلنتا في القــــرن العشرين بكل جرأة أنهما دولتان لادينيتان "١"

ولعل أوضح دليل على ماصله الاستعمار في سبيل الغاء المحاكــم الشرعية ، إشتراط الانكليز على النحاس باشا حين ذهب الى لندن عام ١٩٣٦ ليفاوض الانكليز في أمر المعاهدة - الغاء المحاكم الشرعية - فاعتذر ، وأظهر خوفه من الهيجان الشعبي لكنه وعدهم بتقليص نفوذها من البلاد .

وعندما تعهد الانكليز بالخروج من الكويت شرطوا الغاء الحكـــم بالشريعة ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لابد من قانون يحمـــي حقوق الاجانب والمواطنين ، وسلمت المحاكم لحكام مدنيين . "٢"

٣ - الاجهاز على التعليم الاسلامي : وقد أدرك المحتلـــون للبلاد الاسلامية أن أنجع السبل لاقصاء الاسلام من نفوس أبنائه هــو أن يصبحوا جاهلين به ، وكان لهم في مصير كليبر "٣" - الحاكم العسكري الفرنسي ايام احتلال نابليون - على يد أحد طلاب العلم وهو سليمان الحلبي كما كان لهم فيما اصيبوا به من هزائم من جراء مقاومة المسلمين لهم في كافــة البلاد الاسلامية وعلى رأس المقاومين علماء الاسلام وطلابهم - كان لهم في ذلك عبرة وعظة إستفادوا منها في التخطيط لحرب المسلمين عقيدتهم عن طريق تخطيط مناهج ومقررات المدارس في التعليم

"١" دفاع عن الشريعة : ١٧٥-١٧٩ . وانظر تعليل تحريض الحلبي على الغاء الشريعة نفس المصدر : ١٧٤، ١٧٥ .
"٢" المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : ١٥٦

لذا فقد وضعوا من الخطط ما يقلص التعليم الديني تدريجيا واحلال التعليم اللاديني محله ، وقد كان أهم وأشهر هذه الخطط ، مخطط كل من كرومر ودنلوب في مصر .

وسوف أذكر معالم هذا المخطط عند الحديث على أثر العلمانية في التربية والتعليم .

٤ - إستخدام الطوائف النصرانية وغيرها واحياء الطوائف الباطنية وهي من أخبث خطط المحتلين وأكثرها دلالة على مدى الحقد على الاسلام والمسلمين ، فقد كان المحتلون الصليبيون يعملون ضمن مايعملون على إحياء العقائد الميتة في البلاد الاسلامية ، وتنظيم الطوائف النصرانية ، ويمهدون لها كل السبل لتولي المناصب المهمة ، ولا يخفى على الباحث ماعمله الصليبيون من ضغوط على الدولة العثمانية في أواخر عهدها لاعطاء النصارى في الشام حكماً ذاتياً عرف بنظام المتصرفية ، وهذا مهد الطريق لفرنسا حين احتلت لبنان لدعم النصارى وتسليمهم وظائف الدولة العليا ، وتنظيم طوائفهم في جمعيات ومؤسسات وأحزاب عسكرية ومدنية .

أما فيما يتعلق بالطوائف الباطنية فقد إستطاعت فرنسا بحكم إحتلالها لبلاد الشام أن تبعث عقائد الباطنية عن طريق مستشرقيها وتنشر كتبهم التي تدعو لهذه النحله ، وأطلق الفرنسيون على الطائفة الباطنية " النصيرية " إسم " العلويين " لتخفيف حدة العداء بين المسلمين وهذه الطائفة باضفاء اسم محبب عليهم ليتوهم الناس أنهم من محبي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ومن اتباعه وهم أبعد الناس عن ذلك .

واصطنعتهم عملاء لها وحرضتهم ومهدت لهم سبل الالتحاق بالجيش حتى تسنموا قيادته العليا ، ثم استطاعوا أخيراً التحكم في الاكثرية المسلمة .

أما في مصر فقد مكن للاقباط من بناء الكنائس والمدارس بكثرة ، ومكن لهم من تسلم المناصب الوزارية برعاية الانجليز ، ولقد كان الجنرال يعقوب أحد الاعلام النصارى الذين قدموا خدمات جلى للجيوش الفرنسية التي غزت مصر في عهد نابليون . يقول الاستاذ جلال كشك عنه مايلي :

" والجنرال يعقوب هو الذى كون فيلقاً لضرب الشعب المصرى ، ومعاونة الاحتلال الفرنسي ثم خرج هارباً مع جيش الاحتلال .

" وقد نهض يعقوب وحده باعباء تموين الحملة (حملة ديسيه على الصعيد) والجيوش المتفرقة على طول النيل ... [١]"

وفي معظم دول افريقيا خرج المحتلون الفرنسيون وغيرهم وسلموا الحكم لحكومات نصرانية في غالبها وتحكم شعوبا اسلامية قد تصل نسبة المسلمين الى أكثر من ٩٠ ٪ ولعل أقرب مثال على ذلك حكومة السنغال فان رئيس جمهوريتها نصراني " نصرته فرق التبشير في افريقيا منذ صغره [٢]"

أما في الهند وايران فقد اصطنع الاستعمار الانجليزى عملاء خرجوا بطوائف جديدة كالقاديانية والبهائية والبابية . [٣]"

---

١) الغزو الفكرى : ١٠٤ .

٢) ابن محاض الجيل المسلم : ٣٧ .

٣) انظر ماكتبه العلامة ابو الاعلى المودودى رحمه الله في كتابه " ماهي القاديانية " وماكتبه العلامة أبو الحسن الندوى في كتابه القادياني والقاديانية وماكتبه غيرهما . وانظر ماكتبه محب الدين الخطيب رحمه الله عن البهائية وماكتبه محسن عبد الحميد في كتابه البابية والبهائية وغيرها من الكتب .

٥ - اصطناع العملاء من أبناء المسلمين : وأول من تنبه لهذا الأمر فيما اعلم القسيس زويمر الذى قال :

" تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد اعضائها " (١)

وقد نفذ المحتلون هذه النصيحة ، واستطاعوا أن ينظموا من ضعفاء الايمان من المسلمين أحزابا واتجاهات بعضها سياسي وبعضها فكرى ربوا تحت رعاية المحتلين وحشيت أدمغتهم بالاكاذيب ضد الاسلام ، وبتمجيد الغرب وعلومه ومدنيته ، ومع الزمن أصبح هؤلاء يشعرون بالنقص والتبعية للغرب وآثروا فيمن يتصل بهم .

واختار المحتلون من هؤلاء الافراد الذين ربوا تحت سمع وبصر المحتلين بالطريقة التي يريدها الـ "لون - اشخاصاً رأى المحتلون فيهم أنهم أقدر من غيرهم على اكمال المخططات التي خططها بعد رحيله من البلاد . وكان لابد من ابراز اشخاص منهم فصنع لهم المحتلون بطولات زائفة حتى ظن معظم الناس ان نهضة البلاد ستكون على يد هؤلاء فخضعوا واسلموا أمرهم لهؤلاء الابطال المزعومين فلما تمكن هؤلاء الصنائع انزلوا بالامة من الذل والخراب في العقيدة مالم يفعله المحتلون الاسياد .

وإن من أمثلة هؤلاء الواضحة مصطفى كمال في تركيا ، وجمال عبد الناصر في العالم العربي ، وسوكارنو في اندونيسيا والشاه في ايران (٢)

---

١) الغارة على العالم الاسلامي : ٨٠ .

٢) انظر في هذا الكتب التاليه : الرجل الصنم ، اختاروا احدى السبيلين ، الصراع بين الفكرة الاسلاميه والفكرة الغربية .

٦ ـ مساندة النزعات القومية وإذكاء روح العصبية العرقية :

يتحين المحتلون الفرص لخروج شخص من المسلمين بفكرة جديدة تعارض مبدأ من مبادىء الاسلام ، ومن أهم الامور التي رأى المستعمرون أنهـــا مفيدة في القضاء على كيان المسلمين المتماسك هو مساندة الدعاة الـــى النزعات القومية أو اصطناعهم لبث هذه النزعات .

وقد كان أول من بدأ بالدعوة الى الطورانية شخص يدعى " يوسف آتشو رايك " من تركستان روسيا وقد شكل جمعية انضم اليها مجموعة من آمنوا بفكرة ودعو الى القومية الطورانية التركية ونبذ كل ماعداها ـــــ القوميات واطلقوا على هذه الجمعية اسم " ترك يورد وا " أي وطن الترك ثم قامت حركة أخرى من هؤلاء الدعاة " باسم " ترك اوجاغي " اى حول الموقد التركي ، واستمر هؤلاء في دعوتهم عن طريق نشر المقالات والمنشورات والكتب، وكان رجال المخابرات البريطانية يؤيدونهم وينفقون عليهم . وفي هـــــذه المرحلة قامت فكرة التجمع العربي على الاساس القومي ، وأيدهم الاستعمار وكانت مراكز تجمعاتهم في اسطنبول هي دور السفارات الانكليزية والفرنسية والامريكية . . "٢"

---

١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام : ١٢٥ ، ١٢٦ ،
وانظر البلاد العربية والدول العثمانية : ١٢١ ، ١٢٢ .

ب ـ التبشير ـ التَّنصير ـ وأثره في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي :

ماهي أهداف الصليبيين من حربهم للمسلمين خاصة الحروب الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشراق ؟ وما هي خطة العمل التي يسير عليها المبشرون ؟ وماهي وسائلهم في هذا المجال ؟ وهل هناك تآزر بين المحتلين الصليبيين واخوانهم المبشرين ؟

كل هذه التساؤلات سوف يجيب عليها هذا الجزء من البحث فأقول وبالله التوفيق :

اما عن الأهداف التي يسعى الصليبيون لتحقيقها في حربهم للمسلمين عسكريا وفكريا : فقد أوضحها القرآن توضيحاً شافياً وهو الحقد والحسد للمسلمين وهذا يدفعهم لمحاولة صد المسلمين عن اسلامهم واخراجهم منه "١" وقد أوضح كثير من الصليبيين هذا الهدف بوضوح ايضا .

قال غاردنر : " لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي ـ والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ماكانت لتدمير الاسلام " "٢"

وهكذا يوضح هذا القطب من أقطاب الصليبيين المبشرين أن هدف الحروب الصليبية كان هو القضاء على الاسلام وانهاء وجوده من واقع المجتمعات ، وتحويل المسلمين الى نصارى واقامة دولة نصرانية مكان الدولة الاسلامية .

---

(١) هذا هو ماينفع المبشرين ضُ التعامل مع كل المسلمين ولكنهم غيروا استراتيجيتهم فجعل الهدف هو تشكيك المسلمين عموما ومحاولة تنصير من يستطيعون تنصيره من الجهلة والاطفال .

(٢) التبشير والاستعمار : ص ١١٥ .

أما عن أهداف الحروب الفكرية المتمثلة في التبشير والاستشـــراق فسوف أقتصر هنا على ذكر اهداف التبشير ثم أذكر أهداف الاستشراق في موضعها من هذا البحث .

كان هدف التبشير ولا زال - في المناطق الجاهلة بأمور الاسلام - هو تنصير مايمكنهم تنصيرهم من ابناء المسلمين ، ولا أدل على ذلك من أن بعض زعماء افريقيا ممن أمكن تنصيرهم وأقرب مثال على ذلك رئيس جمهورية السنغال ليوبولد سنغور فقد استطاع المبشرون تنصيره مع أن ابويه واخوتـه واقاربه لا زالوا مسلمين . "١" وقد استقال أو أقيل وتولي الحكم بعده مسلم يدعى " عبده ديوف "

ويذكر الاستاذ احسان حقي في رسالة بعث بها الى مجلة المسلمون عن التبشير في افريقيا أن الحكومات الممثلة للبلاد الاسلامية هناك والقسس والمبشرون عملوا على تنصير المسلمين لكنهم لم يفلحوا في اكتساب احد الا من الوثنيين أو الاطفال الذين كانوا يأخذونهم ويربونهم على المسيحية . "٢"

ولهذا السبب فقد تنبه المبشرون الى أن هذه الوسيلة وحدها غير كافية فلا بد من وسيلة أخرى يكون مفعولها وأثرها على المسلمين أقوى فغيروا في استراتيجيتهم فجعلوا هدفهم الاكبر يتمثل في صورتين اثنتين :

احداهما : زعزعة عقائد المسلمين بالقاء الشبهات على المسلمين .

والثانيـة : فرض التجهيل على المسلمين وابعادهم عن الاتصال باخوانهم المسلمين . "٣"

---

(١) اين محاضن الجيل المسلم : ٣٢ .

(٢) مأساتنـــــــا في افريقيا : ٨٠ - ٨١

(٣) انظر لبيان هذين الهدفين كتابي " التبشير والاستعمار : ٤٦ ومأساتنا في افريقيا : ٨٠ ، ٨١

ولقد كان أول من نبه الى هذا الهدف وهو ـ اخراج المسلمين من دينهم دون ادخالهم في النصرانية القسيس زويمر ـ رئيس موتمر القدس التبشيري ـ فقد وجه خطابه الى المبشرين منتقدا لطريقتهم وموجها الى الطريقة الأسلم في نظره ـ والتي سار عليها المبشرون بعد ذلك فأثمرت فقال :

" أيها الاخوان الابطال والزملاء ، ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس .

لقد أديتم الرسالة التي انيطت بكم أحسن الأداء ووفقتم لهما أسمى التوفيق ، وان كان يخيل اليّ انه مع اتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم الى الغاية الأساسية منه ، اني أقركم على أن الذين ادخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : اما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الاسلام ، واما رجل مستخف بالاديان لا يبتغي غير الحصول على قوته ـ وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، واما آخر يبغي الوصول الى غاية من الغايات الشخصية ـ ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية ـ " اليها في البلاد المحمديه ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية " فان في هذا هداية لهم وتكريما ـ وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية ، وهذا ماقمتم به خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما اهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة . . " [1]

---

(١) جذور البلاء : ٢٧٥ .

ولا يحتاج هذا النص الى ايضاح فهو واضح جدا .

أما عن خطط التبشير فيمكننا معرفتها اذا قرأنا هذه النصوص :

جاء في كتاب التبشير والاستعمار مايلي :

" رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة الاسلامية وانها مصدر عزة للشرق وللعرب والمسلمين ، ثم انهم أيقنوا ان امة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع أو تذل أو تهيد . وهكذا انصرفت اذهان هولاء المبشرين والمستعمرين الى تشويه وجه هذه الثقافة والى الحط من شأنها في نفوس أصحابها وكان العمل عليهم سهلا ، أو هكذا ظنوه فقسموا العمل قسمين : قسما يتناول حقيقة الرسالة التي ادينا نحن الشرقيين العرب المسلمين وما فيها من أوجه العظمة والحقائق التي كانت أساس الرقي الانساني أو مافيها من الآراء الصحيحة الخالدة على مدى الدهر ، ثم قسما من الحقائق الحديثة التي لم تعرف قبل العصر الحاضر .

أما القسم الاول فساروا فيه ينحلون حقائقه الصحيحة وآراءه الصائبة غير العرب وغير المسلمين ، يجمع هذا كله قول " آرنست رينان الافرنسي " " الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة باحرف عربية . . " "١"

وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا وقد تبهي طائفة من كبار متعلمي المسلمين على هذه الافكار وكان لهم تأثير في مجتمعات المسلمين وطبقاتهم المثقفة على وجه الخصوص .

ويقول غرد نر في كتاب له عند الحديث عن الأزهر :

---

(١) التبشير والاستعمار : ٢١٨ .

" ان من سداد الرأي منع جامعة الأزهر ان تنشر الطلبة المتخرجين فيها في جنوب افريقيا اتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام لأن الاسلام ينمو بلا انقطاع في كل افريقية . . " "١"

واذا كان لم يتحقق هذا الأمل وهو منع متخرجوا الازهر من الانتشار في افريقيا فانه قد تحقق ماهو أفظع من ذلك انه قد أصبح يتخرج من الأزهر في الجملة من لا يمثل الدعاة المسلمين فأصبح منهم من الانتشار أو عدم منعهم غير ذى معنى - وسوف اوضح هذه النقطة عند الحديث عن أثر العلمانية في " الثقافة والعلم والتربية والتعليم " .

أما عن خططهم للمستقبل فيوضحه اجتماع أغنياء أمريكا عام ١٩٠٦ عقب مؤتمر " ناشفيل " من نفس العام واتفاقهم على تأليف لجنة منهم للمذاكرة مع رؤساء كل ارساليات التبشير الامريكية في الأمور الآتية :

١ - بذل المجهودات لاجل تربية المبشرين العلمانيين .

٢ - البحث واعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة في مدة ٢٥سنة

٣ - تشكيل لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضوا أو اكثر بأقرب مايمكن لكي تتعهد وتزور مراكز الارساليات التبشير وتعمل التقارير عنها "٢"

أما وسائلهم لتحقيق أهدافهم السابق ذكرها فكثيرة يمكن ذكر بعضها بايجاز :

١) تنصير من استطاعوا تنصيره :

وهذا ولو لم يكن الهدف الاساسي لكنه كما ذكرت سابقا يكون في

---

١) الغارة على العالم الاسلامي : ٢٥٤.

٢) المصدر السابق : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الأقوام الجاهلة أو الأطفال الذين يربون على أيدى المبشرين ، ولا ريب أن الصليبين يسرون لذلك لانهم بهذا يثأرون من الإسلام الذى اجتاح ديارهم قديما ،كما أن اخراج بعض المسلمين من الاسلام الى النصرانية فيه زلزلة لعقائد الآخرين ضعفاء الايمان . "١"

٢ - فتح المحاضن والمدارس دون الجامعية والجامعات في كافة أنحاء العالم الاسلامي ، فقد بلغ عدد المعاهد التعليمية التابعة للكنيسة مما هو دون الكلية أو الجامعة أو دور المعلمين - بلغ مايلي " ١٦٦٧١ " معهدا .

وبلغ عدد الجامعات والكليات والمعاهد العالية العاملة تحت اشراف المبشرين (٥٠٠) كلية وجامعة .

وبلغ عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القسس والرهبان والمبشرين بلغ عددها (٤٨٩) مدرسة .

وبلغ عدد رياض الاطفال (١١١٣) روضة .

وبلغ عدد الطلاب المسلمين الذين يشرف على تعليمهم المبشرون (٥ر١٩٠ر٦٠٠) "٢". هذا في افريقيا .

وفي الاردن " مائتي مدرسة تبشيرية " ذكر منها الاستاذ يوسف المعظم في كتابه أربعين مدرسة وذكر الموسسات التي تمونها ". "٣"

٣- فتح المستشفيات والصيدليات وأرسال الاطباء : ففي افريقيا ٥٠٠ مستشفى و ١٠٢٤ صيدليه . (٤)

---

١) وهذا كان الهدف السابق ثم تنبه زويمر الى ان هذا لايجوز ان يبقى الهدف العام لكل المسلمين

٢) ابن محاضن الجيل المسلم : ٣٤، ٣٥ .

٣) المصدر السابق : ٣٧ ، ٣٩ .

٤) ابن محاضن الجيل المسلم : ٣٤ ، ٣٥

٤) العمل على افساد المرأة المسلمة : ذلك لانهم اذا استطاعوا افساد المرأة المسلمة فسد معها الاجيال كلها الا من رحم الله اذ ان الام هي الملازمة للطفل حتى يبلغ سنا معينة فهي التي توجهه الى ماتريد فاذا فسدت فسد طفلها فيضمن بذلك الصليبيون بافساد المرأة افساد اسرتها ومن ثم تفسد الاسر كلها فيفسد المجتمع ، ولم يستطيعوا ذلك الا باحد طريقين :

الطريق الأول :

السخرية بالحجاب الاسلامي الذي كان يعزل المرأة عن الرجل في المجتمع الاسلامي وذلك عن طريق بث الشبهات حوله ، واصطناع علماء يعملون على ذلك لان المرأة اذا تركت الحجاب سهل افسادها .

الطريق الثاني :

تعليمها فكما أن التعليم يمكن أن يكون وسيلة اصلاح للرجل والمرأة اذا وجد المنهاج السليم ، والمدرس المسلم ، والكتاب الجيد ، فكذلك يكون التعليم وسيلة افساد اذا لم تتحقق هذه الشروط . وذلك لان التعليم سلاح ذو حدين ولهذا فطن المبشرون لذلك .

" فقد طلب المبشرون الامريكيون منذ عام : ١٨٧٠م مبالغ ضخمة من حكومتهم ليؤسسوا بها مدرسة دينية للبنات في بيروت وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية ، وان تلك المدرسة المزمع انشاؤها ستساعد على تنصير سورية في المستقبل " (١)

---

١) التبشير والاستعمار : ٨٧ وانظر الغارة على العالم الاسلامي : (٨٠ / ١٤٦ ، ١٤٧) لمعرفة جهودهم في مايسمى بتحرير المرأة ، وتعليمها ورقيها الاجتماعي والنفسي .

٥) محاولة القضاء على عقيدة الولاء والبراء :

أي الولاء للمسلمين والبراءة من الشرك وأهله وهي عقيدة ظلت منذ العصور الاولى للاسلام الحاجز النفسي المنيع في نفوس المسلمين تجاه الكفار . وليس أدل على ذلك من قول أحد المؤرخين العثمانيين :

" ان الاختلاط بالكفار محرم على المسلمين ومن غير المرغوب فيه أن يختلط طرفان متناقضان بينهما من الاختلاف مابين الليل والنهار " "١"

وقد عرف المبشرون ضرر هذه العقيدة على عملهم وتنبهوا الى خطرها عليهم "٢" فعملوا على القضاء على هذه العقيدة ومن ثم استطاعوا اخراج بعض المسلمين للاسف من اسلامهم ولم يدخلوهم في النصرانية أو على الاقل تشكيكهم في بعض شرائع الدين الاسلامي الحنيف كما وجههم الى ذلك زعيمهم " زويمر " في مؤتمر القدس الذى قدم للمبشرين نصائح من بينها :

* وجوب اقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداءهم .
* أنه يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم . "٣"

٦) تشجيع المسلمين على تحديد نسلهم :

لم يعرف المسلمون هذه البدعة حين كانت عقيدتهم سليمة لم تشبها شائبة من الشرك فحين كان المسلمون يؤمنون في قرارة انفسهم بـ " أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " لم تنتشر بينهم هذه البدعة وحين وهنت هذه العقيدة إنتشرت بينهم هذه البدعة التي نشأت في بريطانيا بعد نظرية مالتوس في زيادة السكان بنسبة اكبر مما يزرع ثم نقلها المبشرون الى العالم الاسلامي وهم يهدفون بهذا الى انخفاض نسبة المواليد في المسلمين ليضمنوا السطرة عليهم ،

---

١) الغرب والشرق الاوسط : ٥١
٢) انظر نصان يوضحان ذلك في كتاب التبشير والاستعمار : ٤٧
٣) الغارة على العالم الاسلامي : ٧٩ ، ٨٠ .

واتخذوا لذلك اسلوب الايحاء للمسلمين بأن السبب في الاختناقـــات الاقتصادية إنما هو زيادة نسبة المواليد ، وفي الوقت ذاته يشجع الصليبيـون ـ المحليون والاوربيون ـ النصارى وغيرهم من الطوائف الاخرى على الاكثـــار من النسل وأقرب دليل على ذلك التقرير الذى وضع من قبل القسس في مصر وعلى رأسهم البابا شنودة ودعا فيه النصارى الى زيادة النسل ودعاهم الـــى تشجيع المسلمين على تحديد النسل حتى يصبح الاقباط مساويين للمسلميــن في مدى سنين معينة . "١"

يقول التقرير القبطي :

" . . وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيــادة عددهم :

١) تحريم تحديد النسل او تنظيمه بين شعب الكنيسة .

٢) تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين (خاصة وان أكثـر من ٦٥ ٪ من الاطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم مـــن شعب الكنيسة) "٢"

----

١) هي من ثلاثة عشر الى خمسة عشر سنة من صدور التقرير الذى صـدر عام ١٩٧٣م اى في عام ١٩٨٥م أو ١٩٨٨م . انظر قذائف الحق : ٦٠ وانظر ماقالته مجلة التايم الامريكية في ١١ / يناير عام ١٩٦١م الذى نقله خورشيد احمد في بحثه استعراض علمـي لحركة تحديد " المطبوع مع كتاب حركة تحديد النسل للمودودى رحمه الله ص ١٧٤ . وانظر مابعده .

٢) قذائف الحق : ٦٠

٧) السيطرة على وسائل التربية ؛ واستغلال الاعلام خاصة الصحافة :

يقول القس زويمر في خطبته في القسس المبشرين مايلي :

" .. لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة او التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكمـا مباشرا ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الاوروبية والامريكية ومن مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الاشارة اليها ، الامر الذى يرجع الفضل فيه اليكم اولا والى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ماعرف البشر في حياته الانسانية كلها . إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذى مهدتم لها كل التمهيد (إخراج المسلم من الاسلام) إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها واخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل .. "١"

وفي هذا الخطاب مايوضح حرص المبشرين على إخراج المسلم من الاسلام وعدم إدخاله في المسيحية لأنهم يرون أن ادخاله في المسيحية شرف له - وليس لهذا من معنى الا أنهم يقصدون جعل المسلم الذى يستطيعون الاشراف على تعليمه وتثقيفه (علمانياً) لادينيا ، لانه إذا خرج من الاسلام - وان بقي اسمه اسم مسلم - ولم يدخل في النصرانية - كان لادينيا ، وهذا مايريده الصليبيون للمسلمين .

وجاء في كتاب التبشير والاستعمار عن الصحافة مايلي :

" ... يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص

---

١) جذور البلاء : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في اى بلد اسلامي آخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، أما مأجورة في اكثر الاحيان أو بلا أجر في أحوال نادرة . . "[١]

أقوال المبشرين :

أما عن أقوال المبشرين وأفكارهم المتعلقة بالاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم فسوف أكتفي هنا بأربعة نماذج لتدل على مدى حقدهم الدفين ومدى سخفهم في فهم الاسلام ، ومدى مايسعون اليه من خلال أقوالهم وأفكارهم من تشكيك المسلمين في دينهم ومن ثم اخراج من يستطيعون من المسلمين من دينهم :

١) جاء في كتاب " تاريخ فرنسا " تأليف " جوليهين " عن الرسول صلى الله عليه وسلم مايلي :

" إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر اتباعه أن يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى/ إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم .

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين "[٢]

وقد أثر مثل هذا الهراء في بعض المسلمين ممن درسوا في المدارس التبشيرية كالجامعة الامريكية ، وأثر في قوم آخرين تأثيرا سلبيا فقاموا يدافعون عن الاسلام بالقول إنه لم ينتشر بالسيف .

٢) وجاء في كتاب للخوري الحداد وهو من نصارى لبنان من الافتراءات فيما يتعلق بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والاسلام مايلي :

---

١) التبشير والاستعمار : ٢١٣ (٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار

٢) الفكر البعث ... ٥١٨

١ - قال في الصفحة ٣٠٩ من كتابه مايلي :

" إن الدعوة القرآنية دعوة إصلاحية محلية لا انشائيه ، وأنها لم تكن لتتجاوز اكثر من شعائر علية زهدية في شكلطوات وامتناع اختياري عن الطعام والشراب وأعمال خيرية لم تحدد كيفياتها . " "١"

٢ - وقال في الصفحة ٢٦٨ من كتابه مايلي :

" إن معجزة محمد الحقيقية هي بخاصة في إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسي دبني عربي قومي ، وهي معجزته العظمى " "٢"

٣ - وقال في نفس الكتاب مايلي :

" . . . إن انقلاباً شاملاً كاملاً طرأ على النبي ودعوته بعد الهجرة الى المدينة بسبب تدخل السياسة في الدين حيث انقلب الداعية الى رجل دولة وحرب ، وانقلبت طريقه من الحكمة والموعظة الحسنة وترك من لم يؤمن وشأنه الى قتال المشركين حتى يؤمنوا والكتابيين حتى يخضعوا ، ويعطوا الجزية ، وتخلى عن الدعوة الكتابية الى دعوة قومية عربية بسلطان سياسي وحربي ، والى ملة وسط لا يهودية ولا نصرانية ، بل حنيفية ابراهيمية ، وصار يحمل على اليهودية والنصرانية واليهود والنصارى الذين كان منظما اليهم وكواحد منهم . وكان الدين قد وحد معهم ففرقتهم السياسة عن بعضهم . " "٣"

وقد ادعت احزاب سياسية قومية نفس هذه الدعاوى ، من أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم " إصلاحية محلية " وأنها (" دعوة قومية عربية " وأن النبي صلى الله عليه وسلم سعى لاقامة وحدة عربية "

---

١) القرآن والمبشرون : ٣٠٩

٢) نفس المصدر : ٢٦٨ .

٣) نفس المصدر : ٣٠٧ .

ج ـ الاستشراق وأثره في نقل الفكر العلماني : ـ التبشير والاستشراق ـ

الاستشراق هو أحد جناحي الغزو الفكري الغربي للعالم الاسلامي الذي يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين ، وتشكيكهم في صلاحية الشريعة الاسلامية في حكم أحوال الناس كلها . وقد سبق الحديث عن التبشير ، وفي حديثي عن الاستشراق سوف اتعرض لدوافع الاستشراق ووسائل المستشرقين لتحقيق اغراضهم كما اعرض بعض آرائهم وأفكارهم :

أما من دوافع الاستشراق : فلا اكون مغالياً ولا متجنياً على الحقيقة اذا قلت بأن الدافع الاساسي للاستشراق هو دافع ديني ، فقد تعلم الصليبيون الغربيون أن القضاء على المسلمين لا يمكن أن يتحقق عن طريق الحروب العسكرية ، وانما سبيله الافضل والاسلم هو الحرب الفكرية المتمثلة في تشكيك المسلمين في كل مايتعلق بالاسلام والترويج لافكار الغرب ونظمه وفلسفاته . والدليل على ذلك أن الاستشراق بدأ بالرهبان والاحبار ، ولا زالت طائفة من المستشرقين من الرهبان والاحبار " [١]

يقول الاستاذ محمد أسد في توضيح هذا الهدف : بعد أن وضح السبب الذي يمنع المسلمين من تقليد الغرب ، وأوضح اعتقاد الاوربيين بتفوقهم العنصري على سائر البشر :

" على أن هذا وحده لا يكفي لاظهار مايكنه الاوربيون نحو الاسلام خاصة وهنا ، وهنا فقط (نعني فيما يتعلق بالاسلام) لا تجد موقف الاوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الاديان والثقافات : بل هو كره عميق الجذور يقوم في الاكثر على صدود من التعصب الشديد . وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ، ولكنه يصطبغ ايضاً بصبغة عاطفية قوية ، قد لا تتقبل

---

١) انظر " المستشرقون " ١١٢/١ ، و ١٢٠ ـ ١٣٧ ففيه بيان أن الاستشراق بدأ بالفتيكان . وفيه ذكر تسعة وعشرين مستشرقاً بين عامي (٩٣٨ ـ ١٥٥٢) يعدون من طلائع المستشرقين منهم ثمانية عشر راهباً ويهوديان وتسعة من غير الرهبان .

أوربا تعاليم الفلسفة البوذية او الهندوكسية ، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير ، الا انها حالما تتجه الى الاسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب "، حتى أن ابرز المستشرقين الاوربيين جعلوا من انفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الاسلام . ويظهر في جميع بحوثهم على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على انه موضوع بحث في البحث العلمي ، بل على انه متهم يقف أمام قضاته . إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع ، فهو مع إقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع اكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور " اعتبار الاسباب المخففة " وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها اكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى ، اي ان تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها . ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا اليه مبدئياً ، واذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود ، عمدوا الى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي يشهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما الى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الاخر ، اي من قبل المسلمين أنفسهم "[١]

من هذا النص يتضح أن جمهرة المستشرقين يكنون للاسلام حقدا وكرها عميقين ، ولكنهم في اسلوبهم عند معالجة مايتعلق بالاسلام من عقيدة وتشريع وتاريخ ولغة يتقاسمون الأدوار فبعضهم يمثل دور المدعي العام ضد المتهم ، وآخرون يقفون موقف المدافع الذي يطلب تخفيف الاحكام فالصنف الأول ينفر منه

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق : ٥٢ - ٥٤ .

قارىء من المسلمين لينصرفوا لمعرفة ماعند القسم الثاني الذى يمثل دور المحامي وذلك بتمجيد الاسلام والثناء على حضارته ، وبيان أن الغرب استفاد منها ، وفي خلال ذلك يوحي للقارىء بأن الحضارة الاسلامية هي حضارة العرب بل يصرح بذلك ، وحين يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يتهمه بشتى التهم وهكذا ينخدع المسلم الساذج بهذا الصنف وتمر عليه هذه الطعنات أو قد لا يقرأ مايتعلق بها وانما ينصرف همه لمعرفة فضل الحضارة الاسلامية على المدنية الاوربية " . "١"

أ) يمثل الصنف الاول أمثال جولد تسيهر ، وشاخت ، وغيرهم من مستشرقي اليهود والنصارى . ويمثل الصنف الثاني أمثال غوستاف لوبون ، وتوماس آرنولد وهؤلاء يمثلون للاسف لدى جمهرة من المثقفين المسلمين طائفة المنصفين لانهم ذكروا أن المسلمين أو العرب بتعبيرهم سبقوا الغرب في ميدان الحضارة والعلوم ، وغفل هؤلاء المثقفون عن ماضي كتابي هذين المستشرقين وهما " حضارة العرب ، والدعوة الى الاسلام " عند الحديث عن الرسول والاسلام من افتراءات باطلة .

أما وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم فيمكن تلخيصها في الآتي :

١ - تأليف الكتب عن الاسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً ولغة ، وعن الرسـول صلى الله عليه وسلم ، والقرآن وتحقيق المخطوطات والتعليق عليها وفي هذه الكتب من الدس على الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه ، والدس على الاسلام واتهامه وتحريف مافيه من شرائع ما الله به عليم حتى من يعدون في نظر المسلمين السذج منصفين كما اوضحت ذلك في الهامش السابق .

٢ - إصدار دائرة المعارف الاسلامية التي ترجمت الى اللغة العربية وفيهـا من الدس والتحريف والتهجم كما في الكتب التي يصدر كل مستشرق علـى حدة . ويزيد في بلاءها أنها تجمع آراء جمهرة كبيرة من المستشرقيـن فيكون ضررها اكثر من ضرر الكتاب المفرد ، وانها قدم لها بمقدمه مـن المشرقين على الترجمة العربية فيها اطراء وثناء على هذه الابحاث والواقع أنها لا تستحق كل هذا الثناء والمديح .

٣ - إصدار مجلات المختصة بنشر أبحاثهم حول الاسلام ، وبلاده ، وشعوبه ومنها " المجلة الآسيوية " الفرنسية ، ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية الانجليزية ، ومجلة " الجمعية الشرقية الامريكية " "١" ومجلة جمعيـة الدراسات الشرقية " الامريكية ، ومجلة " شئون الشرق الاوسط " ومجلـة الشرق الاوسط " الامريكيتين ، ومجلة " العالم الاسلامي " الامريكية وهي من أخطر المجلات . ومجلة " العالم الاسلامي " الفرنسية .

٤ - القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المخجل حقاً أن يدعي بعض من هولاء المستشرقين لالقاء المحاضرات في الجامعات في العالم الاسلامي ولا يفرق بين من يدعون بالمنصفين ، ومن هم شديدوا الحقد على الاسلام والمسلمين .

٥ - نشر المقالات في الصحف المحلية في بلادهم والتي تصل بعضها الى بلاد المسلمين فتثمر ثمرتها المرجوة منها .

---

٦ - عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم خططهم وقد كان أول مؤتمر عقدوه عام ١٧٨٣م يقول الدكتور محمد البهي مايلي :

" ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣م ومـا زالت مؤتمراتهم تعقد حتى اليوم .

" وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والامراء في الماضي من الاغداق على المستشرقين وحبس الاوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق "[1]

٧ - المشاركة في الابحاث المقدمة للمجامع اللغوية ، بل الاشتراك في المجامع اللغوية كأعضاء وهذا في الواقع من المهازل المضحكة المحزنة في آن واحد . "[2]

أما عن آرائهم وأفكارهم التي إحتوتها كتبهم فيمكن الحديث عنها في الآتي :

طرق المستشرقون كل مجال يتعلق بالاسلام والمسلمين سواء في العقيدة والتشريع المتمثل في القرآن والسنة ، أو الفقه المبني على فهم نصوص القرآن والسنة او التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، او مايتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، او اللغة العربية او الحديث عن الوحدة بين المسلمين ومحاولة دغدغة الشعرات العرقية . كل ذلك طرقه المستشرقون في كتبهم ، ودائرة معارفهم الموسومة " دائرة المعارف الاسلامية " ومجلاتهم . وسوف اقتصر على ذكر المزاعم التي بثوها فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبهم :

١ - الطعن في الاسلام عموما :

ويتمثل ذلك في مثل المزاعم التالية :

----

١) الفكر الاسلامي الحديث : ٥٢٦

٢) انظر في كل ماسبق من فقرات كتاب (الفكر الاسلامي الحديث : ٥٢٤ - ٥٢٧ ورسالة الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم : ٢٨ - ٣٢

١) الزعم بأن في الاسلام نصيب من اليهودية والمسيحية والزرادشتية ، أو هو مزيج من الآراء والمعارف السابقة عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم انتخب تعاليم الاسلام من اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية بعد أن هذبها ، أو أنه مأخوذ ومستقى من الشعوب الاخرى .

٢) القول بأن الفلسفات المعاصرة لظهور الاسلام كان لها أثر في الاسلام من طريق الحديث النبوي .

٣) الزعم بأن الاسلام ديانة بشرية ، وأنه ينحط بالانسان الى أسفل درك .

٤) الزعم بأن الاسلام كالنصرانية منشأه الاصول اليونانية والسامية ومنهما استمد الاسلام جانبا من عقائده كالنصرانية .

٥) الزعم بان الدين ينبع من الحياة الخيالية ويظل جزءا منها ، وأن الاسلام وليد بيئته التي نزل فيها .

٦) الزعم بأن العلاقة بين الدين والعلم في الاسلام معضلة ، وأن الاسلام يتعارض مع المنهج العلمي .

٧) الزعم بأن عبادة القديسين عادت الى الاسلام تحت شعار التصوف .

٨) الزعم بأن الاسلام انتقص النساء باباحته للرجال التزوج من أربع نساء .

٩) الزعم بأن هناك ثنائية في الاسلام بين الدين والدولة .

١٠) الزعم بان الاسلام صورة مختصرة من النصرانية ، وأنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم .

١١) الزعم بان عقيدة القدر في الاسلام هي السبب في تأخر المسلمين . "١"

---

١) انظر في هذه الكتب التالية : الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٥٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، مفتريات على الاسلام : ١٤٣ ، ٥٠ ، ٢٢٥ ، دراسات في حضارة الاسلام : ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ، دائرة المعارف الاسلامية : ٢٧٣ - ٢٧٥ ، العقيدة والشريعة : ٥١ ، الفكر الاسلامي الحديث : ٤١ ، ٤٢ ، تراث الاسلام : ١١ ، حضارة العرب : ١٥٨ ، الدعوة الى الاسلام : ٥٠ .

٢- الطعن في الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي عموما :

ويتمثل ذلك في الادعاءات المتنوعة كالادعاء بأن شرع الله كله لا يمكن ادراكه بالعقل بل هو تعبدي يجب أن يقبله الانسان مع تناقضه ، وأن هناك تشريعات أو صلوات لم تأت الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الشريعة الاسلامية أشتقت من شرائع العرب وشرائع الشعوب التي فتحت ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ شعيرة الصلاة من اليهود والمسيحين وأن الصلاة شبيهة بصلات اليهود والمسيحين ، وأن الحج شعيرة وثنية أو هي عادة عربية وأن الحجر الاسود مقدس عند المسلمين كما يقدس الوثنيون الهياكل والادعاء بأن الفقه الاسلامي يستمد من السنة صحيحها وزيفها ، وأن الفقه الاسلامي تأثر بالقانون الروماني والادعاء بأن الاسلام يقف أمام اي محاولة للاجتهاد ـ استغلالا لما حصل من المسلمين من خطأ حين قال بعض علمائهم باغلاق باب الاجتهاد بعد وضع المذاهب الأربعة والادعاء بأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم كلها بشرية حتى ما مس منها أمر الشريعة ، وأن مصلحة الجماعة تبرر التخلي عن القواعد العامة التي قررتها الشريعة . (١)

٣- الطعن في القرآن خصوصا : ويتمثل ذلك في الادعاءات الاتيه :

الادعاء بأن القرآن لا يتضمن عقيدة موحدة بل فيه متناقضات ، وانه لا يمكن نسبة القيم كلها الى القرآن وانه لا يمكن تأسيس حكما على الاسلام بالاستقاء من القرآن ، وان القرآن لم يحكم الا خلال العشرين سنة الاولى فقط ، وانه قليل

---

(١) انظر في ذلك كله الكتب التالية :
دائرة المعارف الاسلامية : ١٣/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ١٤/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ و ٢/ ٦٧٥ ، ٧٦ ، ٢٧٨ ، وتراث الاسلام : ١٠ ، والعقيدة والشريعة : ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٣٥٥ ، ٢٥٦ . دراسات في حضارة الاسلام : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ومفتريات على الاسلام : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

الارتباط ، وأن أسلوبه عاطل الترتيب فاقد للسياق ،وأنه لم يجمع الا في عهد الخليفة الرابع ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث فيه باسم الله ،والادعاء بأن العرب يبالغون في وصف القرآن بالبلاغة ، وأن وصف الكون من القرآن هو الوصف الموجود في الديانتين السابقتين ، وأن بعض أحكامه موقتة بزمن معين . وأن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم ، والادعاء بأن فكرة المشترك والمشركين والتنديد بهم لم يوجد في أوائل السور في القرآن بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان منشغلاً بمصيره الخاص عن أى شيء آخر ، متأثراً بفكرة اقتراب يوم الحساب ، والزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم ،اعترف في قرآنه بأن عبادة الاصنام قد تكون صحيحة ثم ندم على ذلك (قصة الغرانيق) . والزعم بأن أسلوب محمد في القرآن كاسلوب وعاظ النصارى ،وأن الوحي الذي أخذت بلاغته تصبح ضعيفة شاحبة حتى أصبح في مستوى النثر العادى ، وأن القرآن ثابت قطعاً رغم سعي الشيطان لتخليطه ، وأنه وصل غير محرف رغم نسيان الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من آياته . "١"

٤ - الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

ويتمثل ذلك في الطعن في نسبه وانه صلى الله عليه وسلم كان يسمى قبل البعثة قُثم بن عبد اللات ، ووصفه بأنه كان شاعراً ، وأن اسلوبه صلى الله عليه وسلم - طبعا في القرآن وغيره على زعمهم - اسلوب الكهان ،والتشكيك في اسمه ،والادعاء بأنه كان متعلماً . وأنه صلى الله عليه وسلم - على زعمهم - كان مصابا بالصرع والهوس ،أو أنه تتملكه رؤى واحلام أو أنه قلق نفسياً وأنه لم يعلن

---

١) انظر في ذلك الكتب التالية :
دائرة المعارف الاسلامية : ٢٦٦/٢ ، ٢٦٧ - ٥٦٠ - ٥٦٣ ،
و ٣٠١/٩ ، و ٣١٤/١٣ ، والعقيدة والشريعة : ٧٨ ، ٤١ ، ٢١٠
والدعوة والاسلام : ٤١ ، ٤٧ ، وحضارة العرب : ١٤٨ - ١٥٠ ،
ومعالم تاريخ الانسانية ج ٧٨٧/٣ - ٧٨٩ ،والفكر الاسلامي الحديث :
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ومفتريات على الاسلام : ٢٠٩ .

الدعوة الا بعد قلق ونزاع نفسي شديد ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مصاباً بفيمية ، وأنه مصلح أو عبقري ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف الدعوة النصرانية عن طريق المشرين النساطرة ، وأنه هو موسس الاسلام أو مكتشفه وانه يتأثر بتعاليم سابقة عليه ، أو متأثر باليهود والنصارى في نبوته ، - او بأنه استقى افكاراً من اليهود والنصارى والادعاء بأن الذى دعا النبي صلى الله عليه وسلم لاداء رسالته هو تصوره لهلاك العالم ، وأنه تلقى علم التوراة من راهب نسطوري وأنه اجتمع به مرة ثانية ، والادعاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شديداً على النساء رغم ميله الجنسي نحوهن ، وأنه صلى الله عليه وسلم شهواني ، والزعم بانه صلى الله عليه وسلم كالملوك ، وأن القرآن سجل لتجربته ، وأن رهبان النصارى وأحبار اليهود كانوا أساتذة للنبي صلى الله عليه وسلم ومع هذا تعرضوا لمهاجمته في القرآن ، والادعاء بأن سيرته صلى الله عليه وسلم أساطير ، وأن من هذا النوع القصصي التي ترمي الى أن أهل الكتاب عرفوا من كتبهم ببعثته ، والزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف الكثير عن اليهود ويعرف سخريتهم بالحجر الاسود ، ويرى عدم إخلاص العرب القاصدين للكعبة فضاق بذلك ذرعاً فأتى بالدين الجديد وربما أن اليهود كانوا قد دعوه الى ذلك وهو لا يدرك ماحدث له . والادعاء بأن اتباع الاديان السابقة الذين مالوا عن دينهم قووا في النبي صلى الله عليه وسلم ان انصار الدين القديم كانوا قد حرفوا الكتاب[١]

---

١) انظر في ذلك : العقيدة والشريعة : ١٢-١٤ ، ١٩-٢٠ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، حضارة العرب : ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٣-١٤٥ ، دائرة المعارف : ٥٧٠/٢ ، ٥٧٣ ، ٦٤٥ ، و ٣٩٧/٣ ، تاريخ الادب العربي : ١٣٤ ، ١٣٧ ، الدعوة الى الاسلام : ٣٤-٣٥ ، معالم تاريخ الانسانية : ٧٨٥/٣-٧٨٧ ، ٧٩٥/٣-٧٩٧ ، ٨٠٠/٣ ، ٨٠١ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٦٠ ، والفكر الاسلامي الحديث : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

٥ - الطعن في الحديث خاصة : ويتمثل ذلك في الادعاءات الآتية :

تكذيب السيرة النبوية التي وردت في السنة ، والزعم بأن الحديث لم يوضع الا بعد أن وجدت المذاهب الفقهية ، وأن كتب الحديث لم يتداولها الناس الا بعد الشافعي فأسرع الوضاعون لوضع الحديث . وأن المسلمين لما فتحوا البلاد حكموها بقوانينها بعد تحويرها وإضفاء الصبغة الدينية عليها ثم جعلوها أحاديث شريفة ، وأن الاحاديث زادت في القرون الاولى وانها استمدت اقوالا من المسيحية والبوذية . "١"

٦ - تحريف التاريخ الاسلامي وتفسير حركة الفتوحات تفسيرا ماديا :

ويتمثل ذلك في الادعاءات التالية :

الادعاء بأن انتشار الاسلام في المدينة كان عن طريق الحظ للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأن أهل المدينة إعتنقوا الاسلام غيرة من أهل مكة ، وأن العرب الذين أسلموا لم يتخلوا عن معتقداتهم القديمة ، وان عمر رضي الله عنه ، خلع خالداً عن قيادة الجيوش المسلمين في الشام غيرة منه ، وقد انتقص المستشرقون من قدر بني أمية وأثاروا شبهة أنهم اعداء للاسلام منذ الجاهلية وعدّوهم أعداء للاسلام حتى بعد اسلامهم ،وأدعوا أن التاريخ لم يخبرنا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في السنوات الخمس عشرة التي اعقبت زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بخديجة ، والادعاء بان السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفكر في المبادىء الدينية ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبد نفورا من عبادات العرب ولم يقع في تفكيره قلب تلك العبادات والزعم بأن العرب احتقروا غيرهم من اجناس المسلمين واستغلوا خيرات بلادهم ،والزعم بأن حركة الفتوح الاسلامية كانت لضرورات اقتصادية ، وأن ذلك كان عاملاً في تحمس المسلمين لنشر الاسلام وأن الغالب على المجاهدين أنهم جاهدوا لطمع

---

١) حضارة العرب : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ومفتريات على الاسلام : ٣٦ .

مأدى مع وجوه من جاهد للآخرة ، وتسمية الاسماعيليين والقرامطة بشيوعي الاسلام والثناء على جميع الحركات والمذاهب الهدامة كالاسماعيلية والقرامطة وثورة الزنج . "١"

٧ - محاربة اللغة الفصحى بالدعوة الى العاميات الاقليمية :

ويتمثل ذلك في الدعوة الى التحول عن الكتابة باللغة العربية الى الكتابة بالعاميات الاقليمية أو الكتابة بالحروف اللاتينية . وقد وضع المستشرق الالماني : " ولهلم سبيتا "كتاب" قواعد اللغة العربية العلمية في مصر " . وكتب المستشرق " دوفرين " تقريرا للمستعمرين عام ١٨٨٢م دعا فيه الى هجر الفصحى واحلال العامية المصرية محلها ، ووضع المستشرق "كارل فُركوس" كتابا اسماه " اللهجة العربية الحديثة " ووضع المستشرق " سلدن ولمور " كتابا اسماه " العربية المحكية في مصر " ووضع المستشرقان " باول " و " فيلوت " كتابا أسمياه " المقتضب في عربية مصر " ووضع المستشرق " ولكوكس" رسالة بعنوان " سورية ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية " وأسهم المستشرق "ماسينيون" في هذه الحركة فدعا الى الكتابة بالعامية بالحروف اللاتينية . "٢"

٨ - وضع المنهج اللاديني في البحث : وهو يقوم على البعد على الصدق والعمل بالهوى وانتحال ماليس حقا لدعم مايؤيده كل باحث :

يقول الاستاذ علي جريشة :

" يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه او يقبلونه من النصوص ، وكثيرا مايحرفون النص

---

١) انظر في ذلك : حضارة العرب : ١٣١ ، ١٣٤ ، والعقيدة والشريعة : ٨٠ ، ١٣٧ و ١٣٨ ، ومعالم تاريخ الانسانية : ٧٨٩/٣ ، ٧٩٠ ، و ٨٠٤/٣ - ٨٠٦ ، ودراسات في حضارة الاسلام : ٢٤٠ ، ومفتريات على الاسلام : ٧١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ .

٢) انظر تفصيل ذلك : اجنحة المكر الثلاثة : ٢٩٩ - ٣٠٨ ، وكتاب التبشير والاستعمار : ٢٢٤

تحريفاً مقصوداً ، ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد احيانا - في معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف .

" يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها ، فهم ينقلون من كتب الادب مايحكمون به في تاريخ الحديث النبوى ، ومن كتب التاريخ مايحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ماينقله الدميرى في كتابه " الحيوان " ويكذبون مايرويه الامام مالك في الموطأ " "١"

وتأثير المستشرقين في انتقال العلمانية هي أن كتبهم تنتشر بين أوساط المثقفين ويجدها جماعة من كبار المثقفين ويعدونها عمدة في الدراسات الاسلامية فيخدع بعض شباب الامة ويتجهون لقراءتها فتعلق بأذهانهم شبهات المستشرقين وخاصة مايتعلق بالتحرر في معالجة القضايا التي جاءت بها النصوص القرآنية والنبوية .

---

١) اساليب الغزو الفكرى : ٢٤ ، ٢٥ .

الباب الثاني

أثر العلمانية في المجالين التربوي، والتعليمي في العالم الاسلامي

الفصل الأول

في التربية عامة

الفصل الثاني

في التعليم الرسمي

الفصل الاول

أثر العلمانية في التربية عامـــة

المبحث الاول : الافكار والنظريات المستوردة من الغرب

المبحث الاول :

. الافكار والمذاهب التربوية التى أثرت فى التربية والتعليم :-

كان للمدرسين الاجانب والمدارس الاجنبية ، والكتب المترجمة ، والبعثات الدراسية التى بعثت الى الغرب - آثار كبرى فى نقل أفكار الغرب وفلسفاته فى مجالات العلم والثقافة والتربية والتعليم ، فكان تأثيرها فى مجال التربية والتعليم بصفة خاصة لبعض هذه الافكار والنظريات التربوية الغربية ، التى لم يسبق لمسلم أن سمع بها ، وأصبح لكل مذهب من مذاهب التربية فى الغرب معتنق من أبناء المسلمين ، فهذا يعتنق المذهب الحسى الواقعى وذاك يعتنق المذهب الطبيعى ، وثالث يعتنق المذهب الانسانى ، ورابع يعتنق المذهب البراجماسى ،وخامس يعتنق المذهب المنطقى الوضعى . وهكذا ، وكل يدافع عن ما يعتنقه من مذهب ويدبج المقالات بل يؤلف الكتب فى بيان مزايا المذهب الذى يعتنقه وعيوب المذاهب الاخرى ، حتى أصبحت المكتبات فى العالم الاسلامى تعج بمئات الكتب التى تنشر هذه المذاهب كلها .

وقد ساعد على انتشار هذه المذاهب وغيرها من أفكار الغرب-خاصة بعد الثورة الفرنسية التى قلبت موازين الفكر - أمور سبق الحديث عنها أوجزها فى الاتى :

١- الجهل بالاسلام الذى خيم على عموم المجتمع ، فاذا جهل عموم المجتمع الاسلامى بالاسلام فليس بمستغرب تقبله لتأثيرات الغرب .

٢- انحراف بعض العلماء والحكام مما مهد السبيل لانتشار أفكار الغرب وفلسفاته منذ بدء الاتصال بين المسلمين ودول الغرب .

٣- انفتاح المسلمين على الغرب وعلومه وفلسفاته وتقنياته فى عصر كان يخيم على بعض طوائفهم الجمود ، وعلى شعوبهم الجهل بالاسلام مما سهل عبور الغث والسمين من علوم الغرب دون تميز من المسلمين . ذلك أن الانحطاط الفكرى والعلمى ، والجهل لا يتيحان -لشعب يتصف بهما - التميز ،اذ أن فاقد الشىء لا يعطيه .

٤- تفوق الغرب فى الوسائل المادية للحضارة فى مقابل التخلف فى هذه الناحية لدى المسلمين مما بهر بعض المسلمين بالتفوق الغربى . وبالتالى سهل ذلك قبول أفكارهم ومذاهبهم فى النواحى الاجتماعية، والثقافية ، والتربوية ، والاقتصادية والسياسية .

وسوف أناقش بعض الأفكار والنظريات التى دعا اليها بعض المفكرين والتربويين . وأبدأ بمناقشة آراء أبلها رفاعه رافع الطهطاوى وهو من طلائع المفكرين الذين تأثروا بأفكار الغرب ، فقد كان للطهطاوى رأى فى الغايات التى يجب ان يحققها التعليم ، ورأى آخر فى تعليم الفتاة .

أما رأيه فى الغاية من التعليم فيوضحها فى الآتى :

" أولا : أن يكون للفرد المصرى شخصية متكاملة قوامها سلامة الجسد وصحة الادراك التى تقوم على المعرفة الصحيحة والاعتدال فى التصرف .

ثانيا : أن يحترم الأسرة ويتحلى بالفضائل المنزلية الصحيحة .

رابعاً : أن يحب وطنه مصر ويشعر بالانتماء الى أبناء شعبه من المسلمين منهم وغير المسلمين ، ويتعامل معهم بالاستقامة والعدل والسخاء والنجدة.

ثالثاً : أن يؤمن بالله والاسلام ويمارس الفرائض .

خامسا : أن يحترم حكامه ويطيعهم الطاعة كاملة بخضوعه الى القوانين المرعية ويفهم مسئولياته السياسية وحقوق المجتمع عليه من تضحيات .

سادسا : أن يفهم قوانين الحياة الاجتماعية فى وطنه والمشكلات القائمة فيه فيحاول أن ينكب عليها ويجد حلولا لها فى ضوء العلوم الأوروبية الحديثة ويسهم فى الانتاج القومى بحسب مواهبه ومؤهلاته "(١)

---

(١) الفكر العربى فى مائة سنة : ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

والناظر فى هذه الغايات التى وضعها رفاعة للتعليم يرى ان الثلاثة الأولى سليمة لا غبار عليها ولا اعتراض ، أما الغايات الثلاثة الأخيرة فان فيها نظراً . اذ أن قصر الحب للوطن والشعور بالانتماء اليه بهذا المعنى هو لوثة من لوثات الفكر الأوروبى العلمانى ، فلم يكن المسلمون فى السابق يرتبطون بالوطن المحدود بحدود الوطن الصغير اذ كانوا يشعرون ان كل بلاد الاسلام بلادهم

كما أن التسوية بين المسلم وغير المسلم فى المحبة لوثة أخرى من لوثات الفكر الغربى العلمانى ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يسو بين المسلمين والكفار " أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون " سورة (ن) : ٣٥ ، ٣٦ .

وهذا غير التعامل معهم فان الذميين اذا دفعوا الجزية ولم يظاهروا على المسلمين أعداءهم من الكفار ، لم يجز لمسلم معاملتهم بالسوء .

أما ما يتعلق باحترام الحكام وطاعتهم طاعة كاملة فى كل ما يسنونه من قوانين باطلاق هكذا . فليس هذا من عقيدة المسلمين ولا من فكرهم فى شىء فان نصوص القرآن والسنة أوضحتا حقوق كل من الحاكم والرعية وواجباتهم نحو بعضهم . فمن حقوق الحاكم على الرعية طاعته فيما لا يخالف شرع الله فأما إن أمر الحاكم بما يخالف شرع الله أو سن من القوانين ما يخالف شرع الله ففى هذه الحالة لا طاعة له . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الكبرى فى التعامل حيث قال فيما رواه على رضى الله عنه :

" لا طاعة لبشر فى معصية الله ، انما الطاعة فى المعروف "(١)

---

(١) صحيح البخارى (باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية: ٨/١٠٥ وصحيح مسلم : (باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية) ٣/١٤٦٩ وسنن النسائى (كتاب البيعة ، جزاء من أمر بمعصية فأطاع : ٧/١٥٩ ، ومسند احمد : ١/٩١ من مسند على .

ومن حقوق الرعية على الحاكم وواجبه نحوهم أن يحكم فيهم شرع الله كما هو في القرآن والسنة ، والا انطبقت عليه أحد الأوصاف الآتية " الظلم ، الفسق ، الكفر " .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " سورة المائدة : ٤٥

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " سورة المائدة : ٤٧

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " سورة المائدة : ٤٤

وان يعدل في حكمه نحوهم قال صلى الله عليه وسلم :

" ما من رجل يلي أمر عشرة ، فما فوق ذلك ،الا أتى الله عز وجل مغلولا يوم القيامة يده الى عنقه ، فكه بره ، أو أوثقه اثمه ، أولها ملامة وأوسطها ندامه وآخرها خزي يوم القيامة " (١)

وهكذا البحث عن حلول المشكلات الاجتماعية في ضوء العلوم الأوروبية الحديثة ينبئ عن التأثر بالفكر الغربي فحلول المشكلات الاجتماعية في بلاد المسلمين يجب أن تستخرج من نصوص القرآن والسنة ، والدعوة الى البحث عن حلول لها في ضوء العلوم الأوروبية يعني أن تحل على ضوء مفاهيم علم الاجتماع، وعلم الاجتماع الغربي بكافة مدارسة علماني ومعنى هذا ان رفاعة يريد المسلمين ان يحلوا مشكلاتهم الاجتماعية حلا علمانيا .

أما رأيه في تعليم الفتاة فيوضحه النص الآتي :

" ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب وذلك فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف اهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال

---

(١) اخرجه الامام احمد في مسنده : ٥/٢٦٧ من مسند ابي امامه.

أن تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فان فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالاباطيل وقلوبهن بالاهواء واختلاق الاقاويل فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة واذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء »(١)

والطهطاوى فى هذا القول يدعو الى أمرين اثنين فى تعليم النساء

الاول : عدم التفريق بينهن وبين الذكور فيما يتعلمنه ، وهذا ما يسير عليه الغربيون وتبعهم فى ذلك المسلمون ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد فرق بين الذكر والانثى من حيث التركيب البيولوجى والنفسى بحيث يتخصص كل منهما بنوع معين من الاعمال . فالمرأة لتحمل وتنجب الاطفال ولتدبر شئون بيتها ، والرجل للعمل والكدح خارج المنزل . وقد أوضح علماء الاحياء ذلك . واذكر هنا قول الكسيس كاريل :

" . . ان أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم لم تفهم حتى الآن الى درجة كافية . مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة . . . ومن ثم فمن سخف الرأى أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة . ولذا يجب الا تلقن الفتيات التدريب العقلى والمادى ، ولا أن تبث فى نفسها المطامع التى يتلقاها الفتيان وتبث فيهم . . . وكذا لوظائفها الطبيعية . فهناك اختلافات لا تنقض بين الجنسين . . . ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات فى انشاء عالم متمدين "(٢)

الثانى : ان تعمل المرأة من الاعمال ما يعمله الرجال على قدر طاقتها وقد اثبت علماء الاحياء أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء ، كما ذكرت وأكتفى هنا بذكر نصين للدكتور " الكسيس كاريل " فى قضية عمل المرأة :

---

(١) المرشد الامين للبنات والبنين : ٦٦ .
(٢) الانسان ذلك المجهول : ١١٠ ، ١١١ .

" لقد ارتكب المجتمع المصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما .. ولهذا تترك الأمهات أطفالهم لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف الى أعمالهن ، أوطامعهن الاجتماعية ، أو مجاملتهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية أو اللعب البريدج ، أو ارتيادهن دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل " (١)

وأوضح مهمته فى المراد النص الاتى :

" ... أن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . اذ أنها ذات طبيعة أكثر من ذلك ... انها تنشأ من تكوين الأنسجة .. ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالداعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة . والحقيقة ان المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شىء بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى .. فليس فى الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها ، ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هى ، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون ان يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحددة " (٢)

وبهذا يتضح خطأ رأييه فى تعليم المرأة ما يتعلمه الرجل ، وفى عملها ما يعمله الرجال .

(١) نفس المصدر السابق : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
(٢) الانسان ذلك المجهول : ١٠٨ ، ١٠٩ .

وكان على مبارك وهو من أوائل المبتعثين الى فرنسا ، يدعو الى تعليم المرأة على نفس النمط الأوربي .

ويقول د . سعد مرسى احمد ورفيقه :

" . . . ومن الدعوات والآراء التى كان فيها على مبارك مستقبليا واسع الأفق دعوته لتعليم المرأة . . وما يقوله على مبارك فى تبرير هذه الدعوة أن المرأة المتعلمة السافرة أصون لنفسها ، وأحفظ لكرامة زوجها وأهلها من الجاهلة المحجبة وهو لا يكتفى فى تعليم المرأة ، بذلك القدر اليسير الذى يدفع عنها وصمة الأمية فقط ، بل يدعوها لأن تمعن فى الثقافة والمعرفة حتى تستوى فيها بالرجل " (١)

وقد كان من المذاهب التى انتشرت فى العالم الاسلامى وكان لها أثر على التربية والتعليم واعتنقها بعض المتخصصين فى التربية والتعليم المذهب البراجماسى أو البراجماتى " والمذهب الوضعى المنطقى ، وكان المذهب الأول أكثر انتشارا من المذهب الثانى .

يتحدث د . سعد مرسى احمد ورفيقه عن غلبة المذهب البراجماتى وفى العالم العربى فيقول :

" . . فى الوقت الذى افتتح فيه معهد التربية للمعلمين سنة ١٩٢٨ كانت الأبصار تتجه الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت الفلسفة البراجماتية قد بدأت تشد ساعدها بما اتخذته من سبل تربوية تحاول عن طريقها تطبيق أفكارها ومبادئها الفلسفية وبرز اسم " جون ديوى " وتلاميذه " كلباتريك " و " كونتس " و " بود " و " رج " وغيرهم ، واستأثرت أعمالهم بالاهتمام فى مختلف الأوساط التربوية فى مختلف أنحاء العالم . ومن هنا كان طبيعيا أن يتجه مفكروا التربية فى مصر ابتداء من ذلك الوقت الى الاستفادة بهذه الجهود وبتلك الفلسفة ، وبدأت المؤثرات الأوربية فى تفكرنا

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

التربوى تمهد لتحل محلها مؤثرات أخرى أمريكية تعكس فلسفة برجماتيـــة بحتة ، فأخذت البعثات تتجه فى أغلب الأحوال الى الولايات المتحدة وحمل العائدون الى مصر أفكار البرجماتية الى معاهد التعليم فى مصر وطفقـــوا يجربون ما رأوه فى الولايات المتحدة من طرق وأساليب ويترجموا كثيرا من الكتب التى كتبها ديوى وتلاميذه ، حتى أصبح الفكر التربوى فى بلادنا منطقة نفوذ ضخمة للفكر البرجماتى تشكل فيها العديد من المربين المصريين والعـــرب ، وأصبحت كثيرا من تجاربنا وأساليبنا تعكس وجهة النظر هذه أكثر ما تعكــس نظر النقلة والمترجمين "(1)

ويقول الأستاذ أنور الجندى عن أثر الفكر البراجماتى خاصة فكـــــر جون ديوى :

" ... وهكذا اعاش التعليم الوطنى على الصراع بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية ، ثم جاء بعد الحرب العالمية الثانية صراع بينهما وبين الثقافــة الأمريكية وعاشت مصر على استعارة الأذواق والعقليات الغربية المختلفة .

والاطار كله وافد وتوضع فيه المعلومات على نحو سئ ، وهو اطار قديـــم لم يتغير بعد الاستقلال ولا بعد انتهاء الاحتلال الا فى جزئيات بسيطــة ، وهو فى مجموعة لا يلتزم برسالة أو بهدف .

وكان من أخطر ما فرض عليه المنهج الأمريكى الذى يطلق عليه نظريـــة ديوى ، وأبرز مظاهر مذهب ديوى فى التربية هو ابعاد الدين فى مجال التربية ، وكان فى الغرب يستهدف ابعاد المسيحية ، وقد قصد الاستعمار الى فرض هذا المذهب فى دراسات مدارس المعلمين العليا التى كانت مجالا لتخريج رجال التربية فى مصر ورأى فى هذا عوضا عن الاشراف البريطانى على التعليم الذى كان يقوم به دنلوب (١٩٠٦ - ١٩١٩) فأصبحت نظرية ديوى هى عماد المنهج

---

(1) تاريخ التربية والتعليم : ٤٣٠ ، ٤٣١ .

التربوي بعد ذلك ، وكان اسماعيل القباني حامل لواء هذه الدعوة وقد اتيحت له الفرصة لانشاء معهد التربية الذي كان المكان الأول لجعل هذه النظريـة فلسفة عامة للتعليم المصري والعربي فيما بعد .

وقد ظل لاتباع ديوي سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم الى وقت بعيد وبذلك استطاعت نظريتهم ان تبعد الاسلام عن مجال التعليـــم والتربية مع حملات مستمرة على أساليب التعليم الاسلامية وابعاد خريجي الأزهر عن مجالات التربية بحجة ما أطلق عليه النقص في مستوى الكفاية الفنية للتعليم وذلك جرياً مع الهدف التغريبي الواضح ، كما حصرت هذه المناهج على حجب الدراسات الوطنية والتاريخية التي تعمد الى بث امجاد الأمة وعظمـــة الشخصية العربية في نفوس الطلاب وهذا الاثر أخطر آثار التبعية للثقافات الغربية وخاصة الثقافة الأمريكية "(١)

لكن ما هي معالم المذهب البراجماتي الذي غزانا ضمن الأفكـــار والمذاهب التربوية وغيرها ؟

يمكن تلخيص الأفكار العامة للبرجماتية في النقاط الآتية :

١ - تنكر البراجماسية اي نظرية تدعو الى ثبات القيم ، وخلودهـــا ، فهي متغيرة على الديمومة ، وهي تسميـة ، ويرى فلاسفة البرجماسية " بأن الانسان هو الخالق لمثله في ميادين نشاطه ، وأن الحقيقة لم ينته بعد ـــن صوغها ، وتنتظر بعض ما يجيء به المستقبل "

٢ - ان الحكم الصحيح عند البرجماسيين هو الذي ينتج نتائج تصمد للتجربة ، ولا سبيل لاختيار صحة الحكم الا بتعريضه للاختبار ، فالعمل والمنفعة هما مقياس الحكم الوحيد .

٣ - ان الحق ليس له وجود ذاتي بل هو صفة تلحق بالحكم فالحكم قد يتصف بعد التجربة بأنه حق ، ولكنه قبل ذلك لم يكن حقا . اذ تقول : أن

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ١٠٦ ، ١٠٧ .

العقيدة صحيحة ما دامت لها فائدة "(١)

ولننظر فيما يقوله زعيمين من زعماء البراجماتية هما "وليم جيمس" و "جون ديوى" لنعرف عن كثب صحة نسبة هذه الأفكار اليهما .

يقول "وليم جيمس" :

" .. نفرض أن فكرة ما صحيحة فأى أثر سيترتب عليها فى الحياة ؟ كيف يمكن التحقق من صحة هذه الفكرة ؟ ما هى النتائج التى ستحدث وتجعلها مخالفة لها لو لم تكن صحيحة ما هى قيمة الحقيقة الفورية ؟ "، " الآراء الصحيحة هى تلك التى نستطيع أن نحققها ونتمثلها ونثبتها اما الآراء الفاسدة فلا نستطيع تحقيقها أو تمثيلها أو اثباتها "

ويقول أيضا :

" فالحق بالنسبة لنا اسم عام لعمليات اثبات مثل الصحة والثروة والقوة .. الخ اسماء عامة لعمليات عديدة ، تتصل بالحياة وتتابع الواحدة تلو الأخرى عن طريق الخبرة .

فالحق ليس الا صفة لتفكيرنا ، كما أن الصحة صفة لسلوكنا ، فالصفة دائما تتغير بتغير الخبرة وما تقتضيه من ظروف وملابسات "(٢)

ويتضح من هذا النص ما يلى :

١- انه لا وجود لفكرة أو عقيدة أو قيمة ما مسبقا .

٢- ان الآراء والأفكار والعقائد الصحيحة هى ما يستطاع تحقيقها واذن فما لا يستطاع تحقيقه تحت أى ظرف - من الأفكار والعقائد - يعد فاسدا فى نظر جيمس .

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية : ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) نفس المصدر : ٦٠ ، ٦١ وانظر كذلك كتاب فى فلسفة التربية : ٧٢ ، ٧٣ .

٣ - ان الحق والأفكار والعقائد قد تتغير بالخبرة والتجربة ، لأنهما صفات لتفكيرنا وتفكيرنا يتغير بحسب الخبرة .

وأما جون ديوي فان له أفكارا قريبة من أفكار وليم جيمس في القيم الاخلاقية يمكن تلخيصها في الآتي *:

١- ايمانه أن القيم الاخلاقية هي أمور انسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الانسان على ظهر هذه الأرض ، وليست مفروضة عليه فرضا من جهة عليا .

٢- أن المصدر الأساسي للقيم الاخلاقية هي الخبرة والتجربة ، فالفرد عنده يكتسب قيمة الاخلاقية عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به مثل بقية المعارف والمهارات والاتجاهات والعادات .

٣- أن القيم الاخلاقية أو الاخلاقيات هي أخلاق اجتماعية ، لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل ، ولكنها تكتسب نتيجة لتفاعل الفرد وأعماله .

ويترتب على الايمان بأن الاخلاق اجتماعية : "اننا اذا شئنا تحسين الاخلاق فعلينا أن نعدل النظم الاجتماعية وأن نحسن تربية الفرد ."

وفي ذلك يقول "ديوي" :

"اذا كانت موازين الاخلاق منحطة فذلك ناشئ من نقص التربية التي يتلقاها الفرد في تفاعله مع بيئته الاجتماعية "(١)

٤- يؤكد "ديوي" على عنصر التكامل بين الغايات والوسائل ، ويصر على أن الغايات ينبغي تحديدها على ضوء الوسائل التي تستخدم لتحقيقها

---

* من العوامل التي أثرت في تفكير "ديوي" تأثره بالفلسفة المثالية الهيجلية عن طريق استاذه "جورج موريس" ثم تحول الى تأييد فرضية التطور كما شرحها "داروين" و "توماس هنري هاكسلي" انظر كتاب "تطور النظريات والافكار التربوية" : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(١) تطور النظريات والافكار التربوية : ٣٤٥ ، ٣٤٦ بتصرف .

حتى يمكن أن يكون للغايات معنى مقبولا أو لتصبح ذات معنى على الاطلاق ، ويغير هذا التحديد تصبح الغايات معان جوفاء ، ولذا استحدث مفهوم النمو " Growth " كجزء لا يتجزأ من الغايات والوسائل فى التربية وكمحور أساسى للعملية التربوية بكاملها .

٥- ان الغايات فى نظر " ديوى " باعتبارها قصداً تعليمياً ، ينبغى أن تبنى على حاجات التلاميذ وميولهم وأغراضهم ، كما تبنى على الظروف البيئية وحاجات الجماعة . لذا يرفض ديوى فكرة تحديد الأهداف التربوية المطلقة بناء على تشريعات مسبقة ، لأنه يرى أن هذه الأهداف تبنى على تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان . أما بالنسبة للغايات المحددة بموقف معين وأجل غير بعيد فيمكن أن تبنى داخل الاطار الذى رسمت من أجله ، وان كان المعيار الحقيقى عنده هو اخضاع الغايات والوسائل للتجربة حتى يمكن الحكم عليها . (١)

ويتضح من أفكار " جون ديوى " أنه يرى :

١- أن الوحى الالهى لا دخل له بالقيم ، فالقيم والعقائد والأفكار أرضية وهذا معنى أنها " ليست مفروضة من جهة عليا " وأنها " لا تنبع من الضمير " وهو ما يقابل معنى الدين .

٢- أنه لا يؤمن بتحديد أهداف تربوية مطلقة بناء على تشريعات مسبقة لأن هذه الأهداف تبنى على تفسيرات تختلف باختلاف الزمان والمكان .

٣- ان المصدر الأساسى للقيم هو الخبرة والتجربة ، وبما أن الخبرة والتجربة تختلف وتتغير لذا فان القيم والعقائد والأفكار عرضة للتغير كذلك .

---

(١) دراسات فى تاريخ الفكر التربوى: ٢٣٠ ، ٢٣١ .

هذه هي معالم أفكار زعماء البراجماتية ، ومن المؤسف أننا نجد لهذه الأفكار صدى واسعا لدى بعض التربويين في العالم الاسلامي واكتفي هنا بنقل بعض النصوص عن كتابين من كتب رجال التربية في العالم العربي أحدهما للدكتور / محمد لبيب النجيحي ، والآخر للدكتور محمد الهادي عفيفي وهما فيما أعلم من أشد المتخصصين في التربية تأثرا بالفكر البراجماتي اذ أنهما في كتابيهما يركزان تركيزا شديدا على الخبرة ، ويؤكد أن على الأهداف التربوية ينبغي أن لا تكون ثابتة .

يقول الدكتور محمد لبيب النجيحي :

" ... ولا شك أن فكرتنا عن الخبرة التربوية تجعلنا ننظر الى الأهداف على أنها نابعة من هذه الفكرة ، فلا توجد أهداف في نظرنا - من خارجها - لهذه الخبرة هي بوتقة تجاربنا ، وهي عالمنا وحياتنا ، ولا نعرف فوقها أو تحتها عالما آخر يمكن أن نلجأ اليه ، فالأهداف من صميم الخبرة التربوية منها تنبع واليها ترتد قائدة وموجهة ومصلحة وعند ما ترتد اليها تتشكل من جديد ، وأن يعاد تشكيلها حتى يناسب الخبرة في تغيرها وفي تطورها فأهم ما يميز الأهداف على هذا الأساس هو التشكيل واعادة التشكيل ليقابل حاجات بيئة اجتماعية ديناميكية متطورة . ويستطيع المدرس بذلك أن يرتبط ببيئته لا أن ينفصل عنها ، وأن يعالج مشكلات جماعته التي يحس بها وينفعل بها ويعيش فيها "(1)

ويقول عن معايير الأهداف التربوية ما يلي :

" .. أول هذه المعايير من وجهة النظر الفلسفية التي ألف هذا الكتاب في اطارها * أن الأهداف ليست نهائية ، فاذا كان النمو ليس له هدف من وراءه الا النمو ذاته ، فان التربية تصبح بذلك عملية مستمرة لا تستقر عند غاية

---

(1) مقدمة في فلسفة التربية : ٧١ ، ٧٢ .

* وجهة النظر التي ألف الكتاب في اطارها هي وجهة النظر البراجماتية وانظر ما قبله ص ٧٠ ، ٧١ .

معينة تحققها وانما تجعل من الهدف عند تحقيقه وسيلة لما بعده من أهداف وهذا تستخدم هذه الأهداف استخداما تجريبيا . وتصبح التربية عليه خلاقة لا بمعنى أن المدرس أو التلميذ يخلق واقعا خارجيا ، ولكن بمعنى أننا عند ما نقبل الواقع الموضوعي فاننا نستخدمه للوصول الى نتائج مطردة التحسن والتقدم "(١)

ويقول عن القيم ناقدا للاعتقاد القائل بوجود قيم ثابتة في عالم علوى ما يلي :

" ... ولقد ادى الاعتقاد بوجود قيم اخلاقية ثابتة في عالم علوى مثالي الى أن تنقسم الغايات الى ذاتية ووسيلية . والغايات الذاتية هي التي ترجى لذاتها ، وقيمتها في نفسها . أما الغايات الوسيلية فهي الوسائل التي تتخذ لتحقيق الغايات الذاتية ، ونتج عن هذا أن انقسم الخير الى ذاتي ووسيلي ، وانفصل الخير الذاتي بذلك عن مواقف الاهتمام في حياة الانسان المادية واصبح ما يهم الانسان في هذه الحياة هو الخير الوسيلي "(٢)

ويتحدث الدكتور محمد الهادى عفيفي عن القيم الخلقية فيقرر أنهـا تستمد سلطتها من قدرتها على تحمل الاختبار . يقول :

" .. فالقيم الخلقية والروحية في جوهرها تستمد سلطتها وقوتها في المجتمع من قدرتها على تحمل الاختبار في الخبرات الانسانية المتتالية وعلى مر العصور ، ومن جماعات مختلفة ، ولهذا يتجاوز تأثيرها حدود الزمان والمكان وتتقيد في توجيه الخبرات الانسانية في استمرارها وفي تطورها وفي تحديدها في آن واحد ."(٣)

---

(١) مقدمة في فلسفة التربية : ١٤٦ ، ١٤٧ وانظر كتاب " الديمقراطية والتربية : ١١٣ تجد نفس الفكرة .

(٢) نفس المصدر : ٣٦٠ .

(٣) في أصول التربية " الأصول الفلسفية للتربية " : ٣١٢ ، ٣١٣ .

فاذا قارنا ماكتبه هذا ان المؤلفان وكل ما كتباه في كتابيهما ينطلق من منطلق الايمان بالفلسفة البراجماتية في التربية ،وبكفي تصفح هذين الكتابين لمعرفة مدى تأثرهما بهذه الفلسفة - أدركنا مدى الاثر العلماني على الفكر التربوي في العالم الاسلامي . ولا ريب لدينا نحن المسلمين في فساد أفكار هذا المذهب وضررها على من يعتنقها من أبناء المسلمين ولكني أكتفي هنا بذكر بعض النصوص تمثل نقدا للبراجماسية أو البراجماتية .

يقول " نيللر ":

" ... اما الموضوعات الرئيسية في هذه الفلسفة فهي حقيقة التغير على الديمومة ، نسبية القيم ، الطبيعية الاجتماعية البيولوجية ، أهمية الديمقراطية كطريقة في الحياة ، قيمة الذكاء الناقد في جميع السلوك الانساني "(١)

ويقول أيضا :

" ونعد القيم للبراجماسية نسبية فليست هناك مبادئ مطلقة نستطيع أن نتعلم على أساسها بغض النظر عن نتائجها بالنسبة للآخرين فجميع الشرائع الخلقية والجمالية عرضة للتغير غير التطور الثقافي ولكن هذا لا يعني أن الاتجاه الخلقي يجب أن يتذبذب من يوم لآخر أنه يؤكد أنه لا توجد قاعدة سلوك يمكن أن تعتبر ملزمة بشكل ما بغض النظر عن الظروف التي تمارس في نطاقها "(٢)

ويقول " جيمس .س.د وس " في نقد البراجماتية :

" ... والآن علينا أن نناقش البراجماسية ، ونرى أثرها في التربية فالفكرة الأولى للبراجماسية تقرر أن الحق هو التجربة النافعة لأكبر عدد ممكن من الناس بشرط أن يكون هذا النفع مستمرا أطول مدة ممكنة . فان كان النفع مقصورا على فرد واحد أو عدد قليل من الافراد لم تكن التجربة حقا ،وان كان

---

(١) في فلسفة التربية : ٦٩ . وهذه الموضوعات هي ذات الموضوعات التي طرقها وتعرض لها كل من د . محمد لبيب النجيحي و د . محمد الهادي عفيفي .

(٢) نفس المصدر : ٧٥ .

لا يتجاوز مدة قصيرة لم تكن كاملة فى صحتها ، هذا هو مقياس الحقيقة فى نظر "جيمس" وربما قال شخص سيان عند جيمس أن تقول "أن الشئ" نافع لأنه حق وأنه حق لأنه نافع" هذا صحيح فهناك فكرة تحققت وأمكن اثباتها" (١)

ويقول فى موضع آخر :

" يرى التفعميون أن العقائد التى تجلب النفع يجب اعتناقها ، وهذا فى منتهى الخطورة من الناحية الأخلاقية ، فان اعتناق العقائد لمجرد نفعها العاجل قد يؤدى الى نتائج خطيرة من أهونها الانحلال الخلقى ، ونحن لا نرضى بذلك .

" وما دام النفعيون لا ينكرون أن للقيم وجودا ذاتيا سابقا ، فانهم لا يستطيعون أن يتقدموا بهدف تربوى واضح ولكن عندما يتحدثون عن التربية باعتبارها القوة الخالقة لحضارة ومدنية أفضل من حضارتنا ومدنيتنا الحالية ، وعندما يفعلون ذلك يحق لنا أن نتساءل عن المقياس الذى يقيسون به مقدار نجاح جهودهم لأنه لا بد من مثل هذا المقياس ، ولا بد من وجود مستويات معينة للقياس ، هنا يتردد أصحاب هذا المذهب ويقولون أننا لا نستطيع أن نتكهن بالمستقبل ولا نستطيع أن نتحكم ونستفيد فى الأجيال المقبلة بوضع أهداف خاصة للحياة ، ولكن ليس معنى هذا أن القيم والأهداف مهما كانت غامضة ، ليست ضرورية لتوجيه الجهود .

ولا شك أن مثل هذه القيم والأهداف يجب أن تكون موضوعة من قبل حتى تنير الطريق . وهذا ما لم يستطع رجال التربية الآخذون بالفلسفة التفعمية انكاره ، فهناك على رأى "كاندل" " قيم وأهداف يتحرك نحوها العالم " (٢)

فاذا كانت هذه هى آراء مفكرى البراجماتية فكيف يصح لمسلم أن يعتنق هذا المذهب .

---

(١) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٤٦٣

(٢) الأسس العامة لنظريات التربية : ٦٤ ، ٦٥ .

أما بالنسبة للمذهب الوضعي المنطقي* فقد تأثر به بعض التربويين في العالم العربي ومنهم من قدم أطروحة علمية لتوضيح هذا المذهب والدفاع عن مكوناته الفكرية ومحاولة تطبيقها تربويا . ولعل من المفيد أن أذكر محتوى هذه الفلسفة حتى يمكن أن نحكم على مدى صحة هذا الاتجاه من عدمه ومن ثم لنحكم على مدى صحة أو خطأ وانحراف الاتجاه الى مثل هذه الفلسفة من أحد من المسلمين .

ان من محتويات هذه الفلسفة أن الميتافيزيقا في كل صورها لغو لا معنى له ، وأن الأخلاق المستندة اليها ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية "(١)

يقول لطفي أحمد بركات في بيان موقف الفلسفة المنطقية الوضعية من الأخلاق :

"... وأخيرا نعود فنجمل ما فصلناه من موقف الوضعية المنطقية من الأخلاق وذلك على النحو الآتي :

١- رفضت الوضعية المنطقية الأخلاق المطلقة باعتبارها لغوا باطلا غير قابل للتحليل أو التحقيق .

٢- أبانت أن النظرية الميتافيزيقية في الأخلاق أن هي الا تعبير عن انفعال صاحبها ومن ثم خرجت عن حدود الصدق أو حتى الكذب .

٣- ....

٤- ردت الأخلاق للمجتمع وحاجاته ولذاته ، وليس لقوة أخرى خارجة عن حدود المجتمع الذي يعيش فيه الناس ."(٢)

---

(١) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٤١ ، ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ١١١ - ١١٣ .

(*) أسس هذه الحركة الفلسفية "موريس شليك" سنة ١٩٢٩م وضمت فيما ضمت من الفلاسفة "رودولف كارنب" و"لودفج بولتزمان" و"بيير دوهم" و"برنست ماخ" و"فيجل" و"جودل" و"فيتجنشتين" انظر ص ٦٢ ٢ من كتاب "فلسفة الوضعية المنطقية"

والآن أستعرض آراء ثلاثة من رجال التربية فى العالم العربى من مؤيدى هذه الفلسفة ومستنقيها !

يقول د . ابو الفتوح رضوان فى تقديمه لبحث كتبه " لطفى احمد بركات" من هذه الفلسفة ونال به الماجستير"

" . . . وهذا الكتاب الذى أقدمه الآن ، بحث فى فلسفة الوضعيـــــة المنطقية وتطبيقاتها التربوية ،قام به احد طلاب الكلية هو الأستاذ لطفـــى بركات احمد ونال به درجة الماجستير فى فلسفة التربية ، علا بما تسقدم مـن اتجاه .

ولا أحب أن أخوض فى هذه الفلسفة ، فقد وفاها المؤلف حقها مـــن الحديث ، أى بالمعنى العلمى البعيد كل البعد عن الغيبيات والميتافيزيقيات ونحن نعيش بفضل ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ فى عصر علمى ، والعلم يتســـم بالمعرفة والنقد ، وفى هذا الحد عالج المؤلف هذه الفلسفة مستفيدا بهـــا بكل ما هو جدير منها بالافادة ." (١)

وهكذا ينتصر د . ابو الفتوح لهذه الفلسفة التى لا تؤمن بالغيبيـــات ويحمد للطالب أنه وفاها حقها من البحث العلمى البعيد عن الغيبيات ونسى الدكتور أو تجاهل أن الغيبيات احدى حقائق الوجود الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ، وأن من علامات الايمان ، الايمان بالغيب الذى حجبه الله عـــن نطاق تفكيرنا أو احساسنا ." (٢)

ويقول الدكتور نبيه يسن . مبينا انتمائه لهذه الفلسفة ما يلى :
" هناك اعتبارات تفرض علينا ضرورة القيام بتحليل مصطلح أمرا جديدا مستحدثا ، فالفيلسوف اليونانى سقراط قام بمجهودات لتحديد دلالات العديد من المفاهيم مثل العدالة والشجاعة وسواها .

---

(١) نفس المصدر من المقدمة .

(٢) انظر الآية الثالثة من سورة البقـــرة وغيرها من آيات القرآن التى تؤكـــد على الايمان بالغيب .

لكن الواقع أن اتباع مثل هذا الاسلوب في الربع الاخير من القرن العشرين سيلقي لنا أضواء على المواقف المحيطة بنواحي الجدل الرئيسية الدائرة في نطاق الثورة الحديثة في مجال الفكر الفلسفي الذي ينتمي اليه هذا الكتاب من ثنايا بعض مكوناته .

أوضح فتجنستين وهو أحد قادة هذه الثورة بكيفية ما ان الفلاسفة من عهد سقراط حتى سورقد أخطئوا في اعتقادهم بامكانية تحديد صفة أو عبارة معينة يمكن أن تفسر بصورة مطلقة مفاهيم مثل " العدالة " و " المعرفة " .. تلك المفاهيم التي شغلت حيزا كبيرا في اهتماماتهم الفكرية "(١)

وأما لطفي بركات فانه يتحصل على درجة علمية هي درجة الماجستير في فلسفة التربية هذه الفلسفة وتطبيقاتها التربوية واكتفي هنا بايراد اثنين من الدوافع التي دفعته الى اختيار هذه الحركة الفلسفة للدراسة وهما :

" ٣- ايمان الوضعية المنطقية بالطريقة التحليلية المنطقية في حل مواقف ومشكلات الحياة المختلفة - تلك الطريقة التي تقوم على اساس التحليل والتحقيق"

ثم يعقب على ذلك بقوله :

" والمغزى التربوي لهذا المبدأ يبدو واضحا جلياً - فما أحوج مجتمعنا اليوم الى تحليل أحكامه المختلفة والتحقق من معايير وموجهات سلوكه تحقيقا تجريبيا واقعيا بدلا من الامعان في اصدار فرمانات اخلاقية واجتماعية تطير الى أجواء السماء على جناحي خيال طامح ولكنه جامح "(٢)

٧ - محاولة الباحث - ازالة بعض الغموض عن التشكك في موقف الوضعية المنطقية من القيم الاخلاقية .

---

(١) ابعاد متطورة للفكر التربوي : ١٦ .

(٢) فلسفة الوضعية المنطقية والتربية : ٦ ، ٧ .

ثم يعقب على ذلك بقوله :

" لهذا أراد الباحث عرض موقف الوضعية المنطقية من المشكلة الاخلاقية ومدى صلاحيتها للتطبيق فى التربية المصرية - وليس الهدف من هذه المحاولة الوصول الى حلول حاسمة للمشكلة الاخلاقية - وانما هى محاولة أريد بهـا القاء الضوء على موقف أخلاقى متطور تعتنقه حركة فلسفية لها صداها فى العالم .

وأن الباحث - يقرر فى بداية بحثه - أنه أحد تلامذة هذا الاتجاه - ولكن ليس معنى هذا أنه سيبحثه ببحثه نحو الهوى والذاتية وانما سيعرض الموقف بروح الوضعية المنطقية - روح التحليل والتحقيق النزيه "(١)

وانظر فى هذا الكتاب الفصل الاول : " حول المنهج وعلاقته بالنظرية الاخلاقية ، خاصة فقرة (المنهج التحليلى المنطقى والمنهج التحليلى الميتافيزيقى " حيث قارن بين " المنهج التحليلى عند الوضعية المنطقية بالمنهج التأملى الميتافيزيقى " فذكر سبع فروق .

ثم قال : " ومن هذه المقارنة بين المنهج التحليلى عند الوضعية المنطقية والمنهج الميتافيزيقى يتضح لنا أن هذه الحركة الفلسفية قد منحتنا منهجا متحررا من المطلقيات والغائيات العلوية - منهجا للأشياء بنظرة طبيعية تحليلية " فارتبط ارتباطا وثيقا بالعلم والواقعية وقد انعكس هذا كله على النظرية الاخلاقية عندهم فيما سيتضح بعد ".

وانظر فى بيان مصادر الفلسفة الوضعية المنطقية الفصل الثانى من الباب الاول اذ ذكر من مصادر هذه الفلسفة " المدرسة الكانتيه "

---

(١) نفس المصدر السابق : ٨

(٣) نفس المصدر : ٢١

والمدرسة الوضعية " التي أسسها " أوجست كونت " والمدرسة النفعيـــة " جون ستيوارت مل ، والمدرسة البراجماتيه التي أسسها " شارل سندر بـيرس ووليم جيمس ، وجون ديوى .

وانظر أيضا الفصل الثالث " نظرية المعرفة وصلاتها بالأخلاق " وفيــــه أوضح الباحث أن هذه الفلسفة تعتبر أن الحس هو مصدر المعرفة ، وأنهــــا تنقد الاتجاه الحدسي في المعرفة .

وانظر الباب الرابع " التطبيق التربوى للنظرية في مجتمعنا الاشتراكي " خاصة فقره " كيف تستخدم المدرسة منهج التحليل المنطقي في العملية التربوية" وفقرة " تقويم العملية التربوية في مجتمعنا الاشتراكي في ضوء هذه النظرية"

والكتاب الثلاثة يعلنون انتمائهم لهذه الحركة الفلسفية رغم معرفتهـــم بأنها فلسفة متحررة من الايمان بالغيبيات وانها جمعت أفكار عدة فلسفـــات لادينية كما أوضح ذلك لطفى بركات في مصادر هذه الحركة الفلسفية ، وأنها تعتبر الحس هو مصدر المعرفة ، وأنها ترد الأخلاق الى المجتمع ورغباتـــه ولذائذه وليس لها ضوابط من الدين .

لا ريب عندى أن السبب الذى جعل هؤلاء - وغيرهم من التربويــــين في العالم الاسلامي - يعتنقون مثل هذه المذاهب الفلسفية اللادينية هـــو الجهل بالاسلام ، أو تصور ان الدين الاسلامي ما هو الا طقوس تؤدى كيفما اتفق ثم لا حرج على الانسان ان يعتنق ما شاء من المذاهب في الفكر والفلسفة والاقتصاد والتربية وغيرها ، وهذا هو الهدف الذى سعى اليه الاستعمـــار الثقافى واستطاع الوصول اليه وأصبحت مهمة تدمير خصائص هذه الأمـــة العقائدية والفكرية بأيدى أشخاص من أبناء المسلمين .

الفصل الاول

أثر العلمانية في التربية عامة

المبحث الثاني : نماذج من أفكار التربويين من خلال كتبهم

—•—

المبحث الثاني :
نماذج من افكار التربويين من خلال كتبهم .
من الامور التي سوف اعرض لها في الفكر التربوي عند التربويين ، الموضوعات الآتية :

- بناء الشخصية وم يكون .
- الثقافة وجوانبها .
- نظرية فرويد في الغرائز وتأثيرها .
- اتجاهات الثقافة "الاتجاه الديني" في مصر .
- تصور معنى الدين .
- الدعوة الى محو الطبقات .
- الدعوة الى الاشتراكية .
- الدعوة الى الديمقراطية .
- الدعوة الى التاميم [illegible] وبيان اثر الثقافة والتربية فيما سبق (نحو الطبقات ، التاميم ، الديمقراطية ، الاشتراكية) .
- رفض الغيبيات .
- الادعاء بان القيم الروحية لا تثبت الا بالاختيار .
- الادعاء بان الحملة الفرنسية كانت من مبشرات النهضة .
- الفهم السيء المنحرف لعقيدة القضاء والقدر .
- اطلاق كلمة رجال الدين على علماء المسلمين .
- تعدد الزوجات ، واثر التعليم في [illegible] .
- المحرفة وحدودها .
- الادعاء بأن التربية الجنسية تخفف من نسبة جرائم الشباب .
- وصف الالتزام بالدين بالنقص الديني .
- التحذير من ربط الدين بالسياسة .
- وصف رسالات الله بانها ثورات انسانية .

- وصف المجتمع الاسلامى بانه مجتمع زراعى متواكل .
- اهداف التعلم بهوالخبرة وتحبيذ عدم ثبات الاهداف.
- مصادر الاهداف.
- جوانب اهداف تدريس العلوم الاجتماعية .
- الدعوة الى القومية العربية .
- الدعوة الى الوطنية وتربية المواطن المتكيف مع المجتمع .
- الدعوة الانسانية وغير ذلك من الافكار .

والان أبدأ مستعينا بالله فى عرض هذه الافكار اما بنصوصها او بمعانيها مع نقدها . يقول " الدكتور أبوالفتوح رضوان " :

" . . وفى هذا يجب أن تعمل التربية العربية على خلق خصائص جديدة فى الشخصية العربية الناشئة بحيث تستأصل منها رواسب العصر التركى والاستغلال الاستعمارى وتضع بدلا منها خصائص مضادة ، تتحقق بهـــا القومية العربية الشاملة فى المستقبل القريب .

فالمواطن العربى يجب ان يكون شخصا تقدميا يؤمن بفلسفة التغيير والتطور يجب ان يعتبر نفسه مسئولا عن المستقبل لا عن الماضى ومسئولا امام الاجيـــال القادمة لا امام رفات الموتى . . . . "(١) .

ثم يقول :

" . . . لهذا كانت الوسيلة الاولى لتحقيق الوحدة العربية هى وضـــع اولادنا فى ايدى معلمين عرب مخلصين ولذا فالامر يبدأ من معاهد اعـــداد المعلمين وحلقات تدريب المعلمين حتى لا يدخل مدارسنا الا كل معلم عربـــى

---

(١) أسس التربية فى الوطن العربى ص ٧٣ .

تتقد جذوة العروبة فى عروقه فتنتقل الى تلاميذه المدوى الى جانب طـــــرق الصنعة .

فاذا ضمنا عاطفة المعلم واخلاصه وجب أن نصف الطريقة المجديت الشى عليه ان يتبعها فى خلق مواطنين يؤ منون بالوحدة العربية . . . "(١)

أما بناء الشخصية عند النجيمى فانه يكون ببناء شخصية الطالــــــب الاشتراكى الديمقراطى فهو يقول بعد أن يوضح أن بناء الشخصية يختلــــف من مجتمع الى مجتمع ، يقول :

" . . . . واذا كان لنا فى مجتمعنا العربى فى الوقت الحاضر أن نعمل على بناء شخصية فى اطار المبدأ الاشتراكى والديمقراطى فيجب على التربيـــــة أن تعمل مافى وسعها لكى يعيش التلاميذ هذه الاشتراكية الديمقراطيــــــة أن يعيشوها فى المدرسة قيما وسلوكا وعادات واتجاهات ، حتى يصبح جـــزءاً لا يتجزأ من شخصياتهم بل وان تعمل بصفة عامة بان يعيش افراد المجتمع فـــى مجموعهم هذه الاشتراكية الديمقراطية فى جميع نواحى حياتهم فى الاسرة والمصنع والعمل والمزرعة .

وهكذا نستطيع ان نضمن لهذه الاشتراكية الديمقراطية بقاءاً واستمـــراراً فى شخصيات افراد المجتمع عميقا وقويا بحيث يستطيع ان يظهر فى سلوكهـــم وان يؤثر فى اتجاهاتهم وان يطبعهم جميعا بهذا الطابع الاشتراكـــــــــى الديمقراطى تفكيراً واسلوباً". (٢) .

وأما مؤلفوا كتاب التربية ومشكلات المجتمع فانهم يرون ان بناء الشخصية يكون ببناء الانسان المصرى المؤمن بالله ووطنه". (٣)

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ٢٧٧ .

(٢) فلسفة التربية : ١٩٩ .

(٣) التربية ومشكلات المجتمع : ١٥٥ .

أما الدعوة الى بناء شخصية الطلاب على العروبة والقومية فان ذلك من آثار الفكر العلماني على أبناء المسلمين ، ذلك أن العلمانية هي "عزل الدين عن شئون الحياة خاصة التربية والتعليم" (*) والدعوة الى بناء شخصية التلاميذ على العروبة او الاشتراكية اوالديمقراطية بحيث يكون هؤلاء الطلاب قوميون ، او اشتراكيون او ديمقراطيون اثر من اثار الفكر العلماني على من يدعوا الى ذلك والعلمانية كما سيمر علينا مذهب ومنهج في الحياة مخالف للاسلام سواء كانت من النوع الذى يعزل الدين عن شئون الحياة الا في المعبد ، او من النوع الذى يرفض الدين ويحاربه ولا يدع له مجالا اطلاقا حتى في المعابد ، والنوع الاول هو ما تعيشه اوربا الغربية والنوع الثاني هو ما تعيشه اوربا الشرقية .

والدعوة الى القومية دعوة انتقلت الينا مع ما انتقل الينا من مظاهر الفكر العلماني الغربي ، وبالاضافة الى ذلك فان اول من دعا اليها هم الاقليات المسيحية في العالم الاسلامي .

يقول ساطع الحصري وهو احد أساطين القومية العربية :

" ان فكرة القومية العربية نشأت عند المفكرين المسيحيين قبل ان تنشأ عند المسلمين "(١)

ويقول فيليب حتي ، وهو مسيحي لبناني تأمرك :

" .. ولقد كان ظهور مبادىء القومية العربية في العقد السابع من القرن الفائت على يد رجال الفكر السوريين ، وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تثقفوا في المدارس الامريكية في بلادهم . (٢)

---

(١) الفكر العربي في مائة سنة /٢٠٧ .

(٢) الشعوب الجديدة : ٤١

(*) انظر تعريف العلمانية في المدخل للدراسة .

ثم يقول : " ومما لا ريب فيه أن القومية انما هي بضاعة غربية استورد هذا العالم بما فيه الشرق العربي من أوربا "(١)

ويقول آرنولد توينبي : " هنالك طبعا افكار ومؤسسات غربية نشك في أنها نقمة ، وأهم هذه الافكار القومية ... فلقد اصيب الاتراك وغيرهم من الشعوب الاسلامية بعدواها الشديد كما اصيبوا بغيرها من المفاهيم الغربية سواء النافعة منها او الضارة المهلكة "(٢) .

ويقول " هاملتون جب " :

" والاسلوب الذى استطاعت به طبقة المتغربين تامين قبضتها الثابتة على السلطة فى الدولة كان القومية ، فالقومية هى فكرة غربية أيضا "(٣) .

هذا من الناحية التاريخية اما من الناحية الواقعية فان نسبة الاقليات الدينية فى العالم العربى اقل من نسبة الاقليات العرقية .

يقول د . محمد منير مرسى فى ذلك :

" وكذلك نجد ان العالم العربى فى تطوره قد ضم اقليات عنصرية غير عربية كالاكراد فى العراق وسكان جنوب السودان الا انه يمكن القول بوجه عام " ان نسبة الاسلام فى العالم العربى اعلى من نسبة العروبة فبينما لاتزيد الاقليات الدينية عن (٣٫٥ - ٤ ") ملايين تقريبا تصل الاقليات اللغوية الى نحو (٥٫٨ - ٩) ملايين (. وهذه الارقام لاتشمل جنوب السودان) . كذلك فاذا كانت الاقليات الدينية ابرز وجودا ووزنا فى الشرق العربى من الاقليات اللغوية فان العكس صحيح فى المغرب العربى حيث الاسلام عالمى تقريبا بينما تتحدد الاقليات فى الناحية اللغوية ". (٤)

---

(١) الشعوب الجديدة ٤٦ ، ٤٣ وقد كان دعاة القومية العلمانية ايضا من النصارى . انظر الغرب والشرق الاوسط (١٢٧) .

(٢) فصل الدين عن الدولة : ١١

(٣) نفس المصدر : ٩

(٤) التعليم العام فى البلاد العربية : ١٣ .

فاذا كانت الدعوة الى القومية دعوة غربية صدأ بالدعوة اليها نصـــارى العرب واذا كانت الاقليات الدينية ـ مع انها بتطبيق الاسلام كاملاً تضمـــن لها حقوقها وتطالب بما يجب عليها ـ اقل من الاقليات اللغوية العربية ، فان الدعوة الى القومية العربية او غير عربية دعوة باطلة ولا يدعو اليها الا كل متاثـر بالفكر العلمانى أو منطبع فكره عليه .

وأما الوطنية والدعوة الى بناء شخصية الطالب عليها فهى الاخـــرى دعوة انتقلت الينا من الغرب ، فلم يكن المسلمون يعرفون تقسيم الناس حسب أوطانهم او عناصرهم العرقية .

يقول عبد العزيز جاويش :

" ان الشعور بالوطنية اصطلاح افرنكى انتقلت بذوره الى الشرق مـــن مطاوى العلوم العصرية واصول المدنية الحديثة التى اهتدى اليها اهل الغرب" (1)

ويقول برنارد لويس :

" واول تحرك فى الشرق نحو الولاء الجديد كان تحرك الوطنية وليست القومية فلقد استلهموها من اوربا الغربية ، خصوصا فرنسا وانكلترا حيث كانـت كلمة قوم وكلمة دولة مترادفين وحيث كانت الوطنية هى ولاء المواطن لبلاده ، وهذا الولاء يقدم للدولة عند ما ترى نفسها بحاجة اليه . ." (2) .

فاذا كان الامر كذلك ، فان الواجب ان لا [illegible] وراء شعارات الغـرب وافكار [illegible] ا فى واقع حياتنا وتدعوا اليها فى تعليمنا ان كنا نعادى الاستعمار حقا اما ان كنا نعاديه بالالفاظ دون الواقع فان ذلك دليل على تاثرنا بالفكـــر العلمانى .

---

(1) الاتجاهات الوطنية : 1/69 .

(2) الغرب والشرق الاوسط / 113 ، وانظر بداية الفصل فقد وصف عد الوطنية والقومية اصنافا جديدة بدلا عن اللات والعزى . وفى هذا الفصل توضيـــح لمسار الحركات القومية والوطنية ص 105 - 146 .

أما فيما يتعلق بالدعوة الى تربية الشباب على الاشتراكية والديمقراطية فان هذه الدعوة تدل على مدى تأثر من دعوا اليها بالفكر العلماني ، اذ أن الاشتراكية والديمقراطية مذهبان مخالفان ومناقضان للاسلام.

أما عن جوانب الثقافة فيحددها الدكتور محمد الهادى عفيفى بمايلى :

"(١) العوامل الاقتصادية التى يعيش فيها الانسان .

(٢) الظروف التاريخية ونتاجها الاجتماعى .

(٣) القيم الروحية .

ثم يذكر ان هذه الجوانب قد التحمت واثرت على مفهوم الثقافة فى مصر فيقول :

" ويبدو هذا الالتحام بين جوانب الثقافتين تحليل واقعنا كما ورد فى الميثاق الوطنى .

١- فالاساس الاقتصادى يحدد مسار التطور الاجتماعى والسياسى وما يرتبط به من قيم واتجاهات فى مجتمعنا ، فمن الحقائق البديهية التى لاتقبل الجدل ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية . .

واما عن جانب القيم الروحية فيقول :

" ان التراث الثقافى القومى - فى جوهره الصافى - من اهم عناصر الثقافة القومية فيؤكد الميثاق انه يتعين علينا ان نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية او من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات ". (١)

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ١٠ ، ١١ .

والادعاء بأن النظام السياسي - وهو الذي يسن قوانين التربية والتعليم وغيرها - ليس الا انعكاسات للاوضاع الاقتصادية ، ادعاء باطل وهو اثر من آثار الفكر العلماني على المؤلف ، وهذا التفكير العلماني من النوع الثاني الـذي لا يرى للدين اي مجال في هذه الحياة بل يحاربه ، ان هذه الفكرة فكـرة "الماركسيين" ولم يعرف عن المسلمين في العصور السابقة هذا القول .

وأما فيما يتعلق بحديثه عن القيم الروحية فاكتفي بما فند به الدكتور بشير التوم هذا الادعاء اذ يقول :

" ان الرجل الغربي المسيحي يفهم الدين على انه امر باطني فردي وعلى انه قيم روحية يحتاج اليها الفرد . ولكنه يستمد هذه القيم من مسيحيته كما يفهمها وسعد الهادي عفيفي متاثر بهذا المفهوم الضيق للدين ولكنه يبيح للشعوب العربية ان تستمد هذه القيم الروحية من اديانها السماوية او من تراثها الحضاري ! كأن التراث الحضاري عنده بمثابة الدين "(١) .

ويقرر د . التيجاني الماحي نظرية فرويد الجنسية فيقول :

" ويقرر فرويد ان عقدة اوديبوس هي نواة السلوك الانساني وعليها يقوم مستقبل النضوج العاطفي الذي يتقرر على ضوئه طابع السلوك الاجتماعي وطابع الصحة العقلية وان اضطراب عقدة اوديبوس لا يؤدي الى انحراف في السلوك فحسب بل الى اضطراب في صحة العقل . ومضمون هذه النظرية ان الذكور من الاطفال يميلون بفطرتهم ميلا ايجابيا الى امهاتهم وان هذه العاطفة قد تحمل على الكراهية . كما ان الاناث من الاطفال تدفعهن طبيعة فطرتهن لتقديس الاب (كل فتاة بابيها معجبة) وبالتالي الى موقف يتسم بالغيرة تجاه الأم . وهذه ما يسمونها بعقدة اليكترا ! وخلاصة القول يرى فرويد ان هـذه

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ١١٠ .

العاطفة فى صورتها المحدودة قد تكون ظاهرة انسانية اساسية لا تقبل الجدل فى موضوعها ونفاذها . بل انه يضعها فى شمولها موضعا اشبه بموضع الغرائز من الانسان رغم انه لا يقول بذلك صراحة .

على اننا نرى ان عقدة اوديبوس دون تشكك فى اعتباريتها من ناحية الوجود لا تخلو أن تكون حدثا من الاحداث الازلية فى تجارب الخليقة ، نشأت ومازالت تنشأ نتيجة لاختلاف طبيعة الصلات البيولوجية والعاطفية بين الطفل وامه من جهة وبينه وبين ابيه من جهة اخرى دون ان يكون لها هذا الاثر المزعوم فى مستقبل حياة الطفل من الصحة والسلوك . "(١)

فإدعاء الكاتب ان عقدة اوديبوس لا شك فى اعتباريتها من حيث الوجود وانها حدث من الاحداث الازلية نشأت ومازال ادعاء غير صحيح لامور منها :

١ - أن فرويد متأثر بدارون فى نظريته فقد اخذ عنه القول بحيوانية الانسان وقد استمد هذا التصور من ملاحظات دارون الذى " لاحظ انه فى عالم البقر تتجه الثيران الفتية للحصول على البقرة الام فتجد اباها عائقا فى الطريق ، فتتجه كلها نحوه لتقتله . فاذا فرغت من ذلك عادت فاصطرعت فيما بينها حتى يتغلب احدها - وهو اقواها - فيفوز وحده بالام ويصبح هو السيد الجديد "(٢) .

٢ - ان نظرية فرويد لها جذور تاريخية فى التراث اليهودى فلم يسلم من تدنيسهم واتهامهم انبياء الله ، بل الله سبحانه وتعالى ، فقد امتلأ تراثهم باتهام انبياء الله بالولوغ فى الجنس "(٣) .

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) التطور والثبات فى حياة البشر : ٤٥ ، ٤٩ ، وانظر دراسات فى النفس الانسانية : ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) جذور البلاء : ٣٨ - ٤٤ .

٣ - ان هناك اتجاها مضادا لنظرية فرويد في فهم الشخصية الانسانية وهو اتجاه يزداد قوة ودعاماً على الايام ويتلخص في ان الانسان اكثر من مجرد حيوان سادت الغريزة حياته . . . "(١)

ويتحدث د . محمود السيد سلطان عن اتجاهات الثقافة المصرية ويقسمها الى عدة اتجاهات منها ما اسماه "الاتجاه الديني" فيقول عن هذا الاتجاه مايلي :

" . . . اما الاتجاه الثاني في الثقافة المصرية الذي يحتدم حوله وبسببه الصراع فهو الاتجاه الديني وهو عدة اتجاهات في داخله : اتجاه تعصبي ، واتجاه رجعي متحجر واتجاه عقلاني واتجاه شكلي .

الاتجاه التعصبي : وهو اتجاه يمزق اوصال المجتمع والوحدة الوطنية والتماسك القومي لانه يجعل هناك تكتلات تتقوقع على نفسها على حساب التماسك الاجتماعي ووحدة المجتمع الداخلية كلها . كما انه اتجاه يفهم الدين - اى دين فهما خاطئا لانه لم ينزل دين سماوي يدعو لمثل هذا التعصب ، وانما دعت هذه الاديان السماوية الى السلام والتسامح والمحبة وهو يجعل هذا الدين بشكل ما لانه يجلب عداء الفئات الاخرى كرد فعل لمثل هذا الاتجاه .

الاتجاه الرجعي المنغلق والمتحجر : وظهر هذا عند بعض رجال الدين حيث فهموا فهما خاطئا واغلقوا باب الاجتهاد العقلي واعتمدوا على النص بفهم خاطئ دون العقل .

الاتجاه العقلاني : وهو اتجاه يدعو باستمرار الى تنقية الدين من كل الشوائب العالقة به والتي دخلت عليه بسبب الطمس العقلي وهو في هذه التنقية يدعو الى استخدام الذكاء الانساني في الفهم والشرح والاجتهاد .

---

(١) التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي : ٢٥١ .

الاتجاه الشكلى : وهو اتجاه اخذ من الدين شكله وترك مضمونه وجوهره وحرص على بعض الطقوس الدينية دون فهم كاف واستيعاب كامل لمغزاه ومضامينه"[1]

ان تقسيم المؤلف هذا يعطى الدليل الواضح على تاثره بالفكر العلمانى الوافد الينا من اوروبا ففى تاريخ المسلمين لا يوجد الفصل بين الدين والحياة ولا يوجد هذا التقسيم اذ ان هناك "متخصصون فى الشريعة ومتخصصون فى التاريخ ..الخ" وهؤلاء المتخصصون فى فروع العلم يخدمون شيئا واحدا (الاسلام والمسلمين) وكل يسير فى تخصصه وفق مبادئ الاسلام ولا يحيد عنها فليس لمتخصص فى التربية او فى اللغة او فى الطب او غيرها ان يحيد عن ماشرعه الله ورسوله فى كافة امور حياته ومنها تعلمه وطرق المعرفة التى يسلكها هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن هذه الاوصاف "الرجعى المغلق المتحجر" لم يعرفها المسلمون الا بعد ان نعق بها اليساريون فى البلاد الاسلامية تقليدا لليساريين الاسياد ، والشيوعيون اشد العلمانيين على الدين واهله خاصة الاسلام والملتزمين به ، كما ان وصف رجال الدين من الاوصاف التى انتقلت الينا من [illegible] انتقلت الينا من الغرب تقليدا لهم فى اطلاقهم هذا الوصف على علماء الدين ، وهو وصف يوحى للناس ان هؤلاء الناس اعداء للدنيا ويحرمون الناس من زينة هذه الحياة ويستبدون بامر الناس ويطغون عليهم ، وهو امر قد وقع فى الغرب ، لكنه لم يقع فى العالم الاسلامى وصفحات التاريخ الاسلامى شاهدة بهذا ، اما ثناؤه على الاتجاه العقلانى فدليل اخر على هذا التاثر بالفكر الغربى فإن اصحاب الاتجاه العقلانى وعلى راسهم "محمد عبده" قد تاثروا بفلسفة اوجست [illegible] ت - الفيلسوف الفرنسى - ، واثنى عليهم المستشرقون ، ومنهم

(١) دراسات فى التربية والمجتمع : ١/٢٧٩ .

"هاملتون جيب" . ومن المعلوم ان المستشرقين لا يثنون الا على احد شخصين اما على زعيم سياسي ساعد على نقل التغريب والعلمانية للعالم الاسلامي ، وعلى مفكري كان متساوقا مع التفكير الغربي من حيث يشعر او لا يشعر.

نعم .. لقد حض الله سبحانه وتعالى على اعمال الفكر وحض رسوله الكريم على ذلك ، وما الاجتهاد في فهم النصوص الا من هذا القبيل ، ولكن اذا ورد نص غير صريح واضح لا يحتمل الا قولا واحدا فلا مجال للتفكير ثم ان المجتهد قد يصيب وقد يخطئ" .

أما قوله - عن ما اسماه بالاتجاه التعصبي - بانه يمزق اوصال المجتمع والوحدة الوطنية فهذه دعوى مج الناس سماعها من بعض الزعماء السياسيين الذين يجاملون الاقليات على حساب الاكثرية ، وواقع التاريخ وشواهده تكذب هذه الدعوى فلم يكن المسلمون في يوم من الايام هم البادؤون بالاعتداء على غيرهم من النصارى او اليهود ، بل كان موقفهم - خاصة في هذا العصر - هو الدفاع عن انفسهم من اعتداء هذه الاقليات ، مع ان هذه الاقليات لا تقوم بفرضه عليها الاسلام من الجزية وغيرها وانما ياخذون ولا يعطون ويعتدون ولا يعتدى عليهم وما احداث الزاوية الحمراء عنا ببعيد .

واما تصور المؤلف نفسه لمعنى الدين [illegible] وره في المجتمع فتوضحه النصوص الاتية . يقول في النص الاول :

" .. واذا كان الدين موجودا في كل المجتمعات القديمة والمعاصرة وله بنية مثل جميع النظم الاجتماعية الاخرى فإن له ، وفيه جميع خصائص النظم الاجتماعية الاخرى فهويتشابك ويتداخل مع جميع النظم الاجتماعية الاخرى ويؤثر فيها ويتأثر بها وياخذ منها ويعطيها وهو يتخصص في وظيفة ويحقق هدفا بالنسبة

للمجتمع ككل .

والنظام الديني جزء من نظام كلي هو المجتمع وهو يتكون بدوره من عدة نظم منها الفكر الديني والكتاب ، والكتب التي تحوي هذا الفكر واهدافه ومناهجه ونظامه وتنظيمه". (١)

ثم يقول :

" نحن التربويين نحاول ان نستكشف ايضا بعض العلاقات بين الدين والتربية - على اعتبار الدين كثيرا ما يشكل ويصبغ عناصر ثقافة المجتمع ". (٢)

ويقول في موضع آخر :

" . . . ان المحلل للمجتمعات يلاحظ ان الدين - اى دين - يلعب دورا ما في المجتمع فغالبا ما يستطيع المجتمع ان يجد اجابات للكثير من قضاياه في واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاسرية والترفيهية والحربية والقانونية والتربوية في ضوء الدين على اعتبار ان الدين مجموعة من الافكار والقيم والعادات والسلوك والمهارات والطقوس التي توجه الحياة ". (٣)

وهذه النصوص ايضا تعطى دليلا ساطعا على تاثر الدكتور بالفكر العلماني ويمكن تفصيل ذلك في النقاط الاتية :

١ - ان الدين عنده نظام من ضمن انظمة المجتمع السياسية والاقتصادية والقانونية والتربوية . . الخ .

٢ - ان الدين عنده فيه خصائص النظام الاخرى - والنظم الاخرى كما يسميها - نظم بشرية - ومعنى هذا ان الدين يدخله ما يدخل انظمة البشر من القصور والنقص لنقص البشر في علومهم وفكرهم .

---

(١) بحوث في التربية الاسلامية : ٦٧ .
(٢) المصدر السابق ، ٦٩ .
(٣) نفس المصدر السابق .

٣ - ان الدين يؤثر في النظم ويتأثر بها ـ اى انه يمكن ان تتغير احكامـــه حسب تاثير انظمة المجتمع الاخرى فيه ـ .

٤ - ان الدين يأخذ من انظمة المجتمع ـ وهو كما قلت من صنع البشر ـ ويعطيها وهذا يعني أنه تتغير احكامه حسب ما يأخذون من أنظمة البشر .

٥ - ان الدين عنده متخصص في وظيفة ـ هي الطقوس ـ .

٦ - ان الدين عنده يشارك في صياغة ثقافة المجتمع ليس هو المهيمن عليهـــا والموجه لها الوجهة الصحيحة .

٧ - ان الدين عنده ـ اى دين والاسلام منه ـ يلعب دورا ما في المجتمع ، ومن المعلوم ان التعبير "بدورما" فيه معنى التقليل من هذا الدور اى انه "يؤدي" اى دور سواء كان مناسبا اوغير مناسب صحيحا او غير صحيـــح مفيد او غير مفيد .

ومن المعلوم ان القول بان الدين نظام من انظمة المجتمع او انه ظاهرة ، اجتماعية هو من آراء رجال الاجتماع الغربيين .

يقول د . بشير حاج التوم في نقد النصوص السابقة :

"... يتضح من النصوص السابقة ان المؤلف متأثر بآراء علماء الاجتمـــاع الغربيين من امثال : دركهايم " الذين يجعلون الدين ظاهرة اجتماعية ونظامـــا من نظم المجتمع يؤثر فيها ويتأثر بها . وهو يتخصص في وظيفة واحدة ويحقـــق هدفا واحدا فقط . كان الاجدر بالمؤلف الا ينبهر بما يجد في الكتب الغربيـة والكتب المتاثرة بها ، فيأخذ ما فيها دون تمحيص ويقع في الخطأ الذى وقع فيه حين جعل الاسلام ، كأى دين اخر ، يلعب دورا ما في حياة المجتمع .. وله بنية شمل جميع النظم الاجتماعية الاخرى .. وهو جزء من نظام كلي ..."(١)

---

(١) تاصيل تربية المعلم : ٢١ .

ويتحدث الدكتور/ محمد لبيب النجيحى عن دور التربية فى اذابة الفروق الدرجة بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية فيقول :

"... ومجتمعنا العربى فى جمهورية مصر العربية بحق الوعى وقوة الثورة يمر بفترة حاسمة من تاريخه ، استطاع فيها ان يغير فى كثير من اوضاعه من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففى الناحية الاقتصادية استطاع العامل ان ينال حقوقه وان يرتفع الى مستوى معيشى يليق بمجهوده وكرامته ودوره فى خدمة الاقتصاد القومى واتجهت الدولة الى التأميم لحماية راس المال وحقوق العمال والحد من سيطرة راس المال الفردى والنزعات التسلطية الفردية ... اما من الناحية الاجتماعية فان الفروق بين الطبقات اخذت تذوب واخذت الفكرة الاشتراكية والمساواة بين الافراد تسود المجتمع .. وفى الناحية السياسية اخذت الاشتراكية الديمقراطية ترسى اسسها وتنظم نفسها حتى يستطيع جميع الافراد ان يعبروا عن آرائهم وان يختاروا اختياراً سليماً من يمثلهم .

على ان هذه الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى تحدد خبرتنا الانسانية وتقيم المقومات الاساسية لها ، لابد لكى تكتمل عناصرها ولكى تتعمق جذورها ولكى تقوم المقومات على اساس سليم لابد لها من ثورة ثقافية تعمق هذه المحددات وترسى هذه الخبرة الانسانية ارساءً عميقاً قوياً . فاذا كان اهتمامنا بالخبرة الانسانية واقامة فلسفة سليمة لهذه الخبرة ، فإن إطارنا الثقافى العام الذى سنعمل فى حدودها هو هذه المحددات مع نظرة الى المستقبل حتى تستطيع هذه المحددات ان تنتقل من السطح الى الاعماق ومن السلوك الظاهرى الى الدوافع الداخلية الحقيقية ". (١)

---

(١) فلسفة التربية : ٥٩ ، ٦٠ .

فهذه المحددات التي يدعو الى اساءها وتعميق جذورها وهى "التأميم" ومحو الطبقية او اذابة الفروق بين الطبقات والاشتراكية والديمقراطية ، شعارات غريبة علينا فى المجتمع الاسلامى، فان التاميم من قواعد "الاشتراكية" ، والاشتراكية مذهب عقائدى واقتصادى واجتماعى أوربى المنشأ نشأ لظروف وملابسات ليس هذا موضع بيانها . اما محو الطبقية فهو كذلك مبدأ اشتراكى واما الديمقراطية فأسلوب غربى فى الحكم . ومن العجب ان كثيرا من الكتاب سواء من التربويين او من غيرهم يخلطون فى دعواتهم بين مبادئ غربية ومبادئ شرقية فان المجتمعات التى [illegible]بق فيها الاشتراكية الماركسية وهى ام جميع الاشتراكيات لا مجال فيها للديمقراطية [illegible] بل ان مكونات ودعائم حكمهم الديكتاتورية (ديكتاتورية البروليتاريا) المزعومة فكيف يجمع كاتبنا بين الدعوة الى الاشتراكية والديمقراطية . الاشتراكية ترتكز على : (١) التاميم (٢) الغاء الملكية الخاصة (٣) محو الطبقية .

وكل هذه لا يمكن تحقيقها الا بسلب الناس حريتهم . والديمقراطية تقوم على الحرية الفردية المطلقة . "فالفرد حر مالم يضر الغير" ليس لهذا من تفسير الا انه التاثر بالفكر العلمانى الذى يرى ان لا دخل للدين فى حياة الناس فلهم ان يختاروا ما يريدون لانفسهم وفقد الهوية العقائدية ، والا فاننا لم نسمع بان اوربا الغربية قد طبقت الاشتراكية الماركسية ولم نسمع بان روسيا واوربا الشرقية قد طبقت الديمقراطية الغربية بل الدكتاتورية هى الحاكمة . وهكذا اصبحت بلاد المسلمين بسبب تاثير بعض ابناءها بالفكر العلمانى ميدانا فسيحا للدعوة للافكار المتناقضة .

ويدعو د . عبد اللطيف فؤاد ابراهيم المعلم الناشئ الى دعم روح الاشتراكية فى نفوس تلاميذه [1] ثم يواصل المؤلف نصائحه للمدرس فيقول :

---

(١) مرشد تكوين المدرس : ١٢ . . .

" ان يحرص على ان يمارس التلاميذ ألوانا من القيادة الجماعية ؛ في اوجه النشاط التي يتطلبها التدريس بحيث يؤمن هؤلاء التلاميذ عن الطريق العلمي بسلطان جماعية القيادة تعصمهم من جموح الفرد وتؤكد الديمقراطية السليمة على أعلى مستوياتها " (١)

وهكذا يتناقض هذا الكاتب ايضا حين يدعو الى تنمية مبدأين متناقضين في نفوس التلاميذ " الاشتراكية " ، " الديمقراطية ".

ويصل الامر بأحد التربويين الى الادعاء بان المجتمع العربي كان له في الماضي فلسفة واضحة هي الفلسفة الديمقراطية في الحكم والاشتراكية في الاقتصاد وانه بعد ذلك تأثر بالامم الفاتحة لمصر " كالرومان ، والاتراك ، والاستعمار الغربي فشاهت فلسفته واختفت نظمه المستوحاة من هذه الفلسفة . (٢)

وواضح من حديث الكاتب انه يقصد بالمجتمع العربي مصر ، في عهد الفراعنة لان فتح الرومان لمصر كان بعد الفراعنة ، ومن المعلوم ان الفراعنة لم يكونوا يعرفون الديمقراطية بل كان حكمهم قائما على الدكتاتورية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الديمقراطية كاسلوب من اساليب الحكم لم يعرف الا منذ فترة وجيزة .

وأما الاشتراكية في الاقتصاد فلم تعرف الا منذ مدة وجيزة فلم تكن معروفة في العصور الفرعونية التي يقصدها .

ومن العجيب ان يفتخر المؤلف بعصور الفراعنة والله سبحانه وتعالى قد وصمها بالجاهلية .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤ .

(٢) ابوالفتوح رضوان : بحث في اسس التربية في الوطن العربي : ٤٨ .

ويجعل د . محمد الهادى عفيفى من الاهداف التربوية العامة تدعيم مبادىء واساليب المجتمع الديمقراطى الاشتراكى لانها فى زعمه هى الاطار الذى تعمل فيه التربية والذى يحدد اتجاهات الافراد . " فالحياة الديمقراطية والنظام الاشتراكى يعتبران طريق حياة متكاملة . فالحرية السياسية هى تعبير عن الحرية الاجتماعية وكلاهما لا يتحققان الا بتحقيق الفرص المتكافئة امام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية اى بالاشتراكية ". (١)

ويرى الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه ان هناك عوامل تؤثر فى المجتمع المصرى وقد عددها المؤلفون واذكرها بايجاز وهى :

(١) الايمان بالثورة سبيل للتقدم .

(٢) الايمان بالاشتراكية كهدف وكاسلوب حياة .

(٣) الايمان بالديمقراطية السليمة .

(٤) الايمان بالقومية العربية . (٢)

ويرى د . وهيب سمعان ورفاقه ان الاهداف التى يجب السعى لتحقيقها فى المجال الداخلى اقامة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى . وفى المجال الخارجى الايمان بالقومية العربية وغرس مبدأ التعايش السلمى والحياد الايجابى ثم يقولون :

" ومن ثم فالمدرسة ينبغى ان تسعى الى اعداد مواطنين ديمقراطيين اشتراكيين ذوى قدرة على الانتاج وعلى العمل الجماعى والتعاون مع الغير ذوى رغبة اكيدة فى خدمة المجتمع والنهوض به ، ومؤمنين بقوميتهم العربية واعين بسبل تحقيق الوحدة العربية داعين لمبادىء التعايش السلمى والحياد الايجابى" (٣)

---

(١) فى اصول التربية (الاصول الفلسفية) ١٢٢ وانظر كذلك ص ١٠١ .
(٢) التربية ومشكلات المجتمع : ١٠ - ١٢ واقرا ماكتب عن هذه العوامل المذكورة تجده من سخف القول .
(٣) دراسات فى المناهج .

ويرى د . عبدالله عبد الدايم أن أهداف التربية القومية تتلخص فـــي التحرر من التكامل والتقدم العلمي وتنشئة المواطن الصالح وخدمة القومية العربية وتامين العدالة الاجتماعية واحياء التراث العربي . (١)

واما عناصرها فهي انسانية ، روحية ، ديمقراطية ، اشتراكية ثوريـــة (٢)

ومن الجدير بالذكر ان د . عبدالله عبد الدايم يمثل وجهة نظر حزب البعـــث العربي . يقول الاستاذ نعيم عطيه عن ذلك مايلي :

" ولعل عبدالله عبد الدائم يمثل افضل ما يمثل الاتجاه الثوري في التربية التراثية القومية . وهي وجهة نظر حزب البعث العربي الاشتراكي او وجهة احد اجنحته على الاقل ." (٣)

ومن العجيب أن يدعوا مندوب البحرين في مؤتمر " الحلقة الدراسيـــة الاول للتربية وعلم النفس " الى الاخذ بالديمقراطية والاشتراكية . اذ يقول فـــي بحثه " المدرسة والمجتمع " :

" ونحن مدعوون الى الاخذ بالديمقراطية الصحيحة في مجتمعنا واعـــداد الافراد لها في كل مناسبة . في المدرسة . في العمل . في العلاقات بين مستويـات المجتمع . . . .

وان خير ما يأخذ بيدنا في سبيل الحياة بجهد اقل وطاقة ادنى هو التعاون المثمر البناء . فالحاجة الى تشجيع العمل التعاوني لاتقل عن حاجتنا الـــى الديمقراطية والاشتراكية " (٤) .

---

(١) الفكر العربي في مائة سنة : ٥٣٤ .
(٢) نفس المصدر : ٥٣٥ . وانظر تفصيلها حتى ص ٥٣٦ .
(٣) نفس المصدر : ٥٣٤ .
(٤) اسس التربية في الوطن العربي : ٢٢٦ .

ومكمن العجب ان دول الخليج لا تطبق الاشتراكية ، ولا تطبق اساليب الحكم الديمقراطي الغربي ، حتى يمكن القول بأن هذا المندوب يمثل وجهة نظر حكومة البحرين .. او يصانعها ، يجاملها كما يفعل بعض الكتاب اذ يلبس لكل وقت لبوسه . فاذا عاش في عهد يسير على المبادئ الاشتراكية ويولي وجهه شطر موسكو نعق بهذه المبادئ ودعا اليها . فإذا تغير هذا العهد وجاء عهد يسير على المبادئ الراسمالية ويولي وجهه شطر واشنطن نعق بهذه المبادئ ودعا اليها .

فعلى هذا اما ان يكون هذا المندوب يردد كلمات لا يعلم لها معنى اوانه يعتنق هذه المبادئ التي تتضمنها هذه الشعارات .

أما د . القوصي فانه يقسم غاية التربية الى الاهداف التالية :

١- .....

٢- .....

٣- تحقيق الديمقراطية لغرس الحرية والاستقلال في الرأي والتفكير .

٤- بث الايمان بالله والوطن والذات وينطوي تحت هذا المبدأ الايمان بالعروبة .»(١)

ويقول د . عبد اللطيف فؤاد ابراهيم مخاطبا المعلم الناشئ :

« ... أن تنتهز كل فرصة في مادة تدريسك وما يتصل بها من ارشادات ، وتوجيهات لتؤكد السمات العربية الصالحة وتدعمها وان تدرب التلاميذ على ممارستها وادخال التحسين المناسب عليها ان لزم التحسين ، ولتجعل التلاميذ يفهمون مقومات العروبة والقومية العربية ودعائمها وقيمها الدينية »(٢)

(١) الفكر العربي في مائة سنة : ٥٠٩ ، ٥١٠ .
(٢) مرشد تمرين المدرس : ١٠ .

وقد سبق أن نقلت عنه نصين [illegible] يدعوا فيهما الى الديمقراطية والاشتراكية . وهنا يدعوا الى القومية . ويدعي ان لها قيما دينية ، وليس لها ذلك فانها دعوة جاهلية ، والدعاوى الجاهلية ليس لها قيم دينية .

وفي كتاب " فلسفة الوضعية المنطقية والتربية - تطبيقات تربوية في المجتمع الاشتراكي العربي " فصل بعنوان " معالم المجتمع " العربي في ضوء الميثاق الوطني " يسرد فيه المؤلف عدة معالم ويتحدث عنها وهي :

(١) المجتمع العربي مجتمع علمي .

(٢) المجتمع العربي متجه الى التصنيع .

(٣) المجتمع العربي يقوم على القوة المادية .

(٤) المجتمع العربي يعتمد على القيم الروحية .

(٥) المجتمع العربي تقدمي متحرر .

(٦) المجتمع العربي هو القيم على نفسه .

(٧) المجتمع العربي له أهداف ." (١)

يقول في بيان المعلم السابع مايلي :

" . . . ولذلك فان اهداف المجتمع العربي التي لابد وان توجه شخصيته الواقعية هي :

١- تأكيد الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية .

٢- الايمان بحتمية القومية العربية والوحدة العربية ." (٢) .

ولابد لمعرفة خطورة مايدعو اليه الكاتب من ان نعرف ماهي الفلسفة الوضعية المنطقية التي يريد ان يصوغ منها تطبيقات تربوية للمجتمع العربي

---

(١) و (٢) فلسفة الوضعية المنطقية : ١١٤←١٢١ ، ١٢٢ .

ـ والمقصود هنا المصرى ـ لان الميثاق الوطنى الذى حدد على ضوئه معالم المجتمع العربى هو ميثاق جمال عبد الناصر ، ونأخذ من المؤلف ذاته مصادر منهج الوضعية المنطقية فهو يقول فى نفس الكتاب عند الحديث عن مصادر هذه الفلسفة ، والفروق بينها وبين المذهب البراجماتي : مايلي

٣- ١ . . . . . . ٢- ٢- الميتافيزيقا عند الوضعيه في كل صورها ومجالاتها لقولا معنى له . . . . .

. . . . وتفوهات لا طائل وراءها فى حين ان من البرجمانية من يرى أن الميتافيزيقا لها قيمتها وفاعليتها وفى ذلك يقول وليم جيمس :

" ان الميتافيزيقا تهب الحياة والنور للكون والطبيعة ، وانها يجب ان تبقى ويحسها كل فرد طالما تحقق نفعا وفائدة " .

٣- والقيم الاخلاقية عند الوضعية ـ بمعناها الميتافيزيقى ـ ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات ومن ثم خرجت من نطاق القضية المنطقية ـ بينما القيم الاخلاقية عند البرجماتية لها صورها المنطقية لانها تعبر عن راى او موقف لم يستقر بعد ". (١)

والميتافيزيقا كما هو معروف اصطلاح يعنى الايمان بما وراء الطبيعة وهو الايمان بالمغيبات فإذا كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تعد الايمان بالمغيبات لغو لا معنى له ، فهل يتفق المؤلف معها فى ذلك . . ان مقتضى استرشاده بالفلسفة الوضعية المنطقية لعمل تطبيقات تربوية يعنى قناعته بافكار هذه الفلسفة .

ويدعو أحد التربويين الى رفض الاعتقاد بالغيبيات فيقول تحت عنوان :

" توعية الراى العام على اساس الموضوعية مايلى :

---

(١) الفلسفة الوضعية المنطقية : ٤١ ، ٤٢ .

"... غير أن الطريقة العلمية قد تكون السبيل الى تقليل التعصب في مناقشة الامور الانسانية بإزالة الجمود والنزعات القسرية، إذ تهدف الى تنمية السلوك العاقل الموجهة بالحقيقة والقائم على الايمان بالتجريب والاختبار، فهي طريقة تحقق التعاون بين الناس للوصول الى الحقائق ومناقشة التناقض بين القيم الثقافية وبين المصالح المختلفة. وبمعنى آخر فإنها تهدف الى تحقيق الموضوعية وإتاحة الفرصة لجميع القادرين على البحث للتعرف على الحقيقة والوصول الى مصادرها .. ومن ثم فإنها تختلف عن الطرق الذاتية والاعتقاد في الغيبيات والبديهيات. اذ تؤكد الملاحظة والتجريب والحكم على الاشياء والآراء بنتائجها ومن هنا فإن تدريب الناشئين والشباب على التفكير العلمي يعني تحقيق الاساس العلمي السليم الذي يقوم عليه الرأي العام المستنير ويخلص التعليم من ناحية اخرى من الأساليب الذاتية .."(١)

ومن المعلوم ان من الغيبيات الايمان بوجود الملائكة، ووجود الجن ومنها الايمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء في يوم القيامة .. ومن المعلوم ايضا ان الرافضين للايمان بالغيبيات هم الذين لا يؤمنون الا بما يقع تحت حواسهم او في محيط تجاربهم. وهذا الاعتقاد هو رد فعل ضد رجال الكنيسة الذين حاربوا العلوم التجريبية ورجالها وآذوهم، هذا في الغرب .. فما بالنا نحن المسلمين ننقل افكارهم ونحن لم يحدث ولن يحدث عندنا ما حدث عندهم اذا استمسكنا بشرع الله. أفلا يكون هذا النوع من التفكير اثراً من آثار العلمانية على التربويين المسلمين في هذا العصر ..؟!

ويدعو نفس المؤلف د. محمد الهادي عفيفي ان القيم الروحية تستمد سلطتها في المجتمع من قدرتها على تحمل الاختبار في الخبرات الانسانية المتتالية ويمن

---

(١) فواصول التربية - الاصول الفلسفية ؛ ٢٧٥.

جماعات مختلفة . (١)

ويدعى د . محمود السيد سلطان وزميله بأن الحملة الفرنسية على مصر كانت من مثيرات النهضة فى العالم الاسلامى فيقول :

" . . . اذا كان العصر المملوكى التركى قد سلب الوطن العربى الاسلامى فى قلبه مصر كل مقومات العلم الطبيعى وتطبيقاته فى مجالات الحياة المختلفة كما سلبه رائق التفكير الحر والابداع والابتكار فى مجالات هذه الحياة كما سلبه وسائل الاسهام فى حكم نفسه او ممارسة اى نوع من الديمقراطية . . فان الحملة الفرنسية بما حملته من مثيرات حديثة من علم ومن تكنولوجيا وطالوحت به لاسهام المصريين فى حكم بلادهم وما بثته فى ثقة فى انفسهم قد كانت بمثابة المؤثر القوى والمثير النشط لبدايات اليقظة العربية الاسلامية فى مصر والشام . ولقد كان هذا الغزو الفرنسى فى بداية القرن التاسع عشر غزوا ثقافيا وحضاريا للبلدان المحرمة لثقافة العصر الحديث تغزو ثقافة تخلفت وحضارة الغزو الحديث تغزو حضارة متخلفة ، وبما كان هذا الغزو لم يكن يدرك ان العناصر القوية فى ثقافته الحديثة الغازية من علوم وديمقراطية كانتا من اهم العناصر المطموسة لهذه الثقافة المقهورة ، وانهما يمثشان فى الوجدان والعقل اللاشعورى ان صح هذا التعبير لابناء هذه المنطقة يفسر هذا تلك الاستجابة المبهرة السريعة للتغير الثقافى . ولقد كان من اهم المؤثرات التى استثارت تلك الاستجابة التلقائية السريعة ما اتسمت به تلك الثقافة الغازية من انماط حديثة اهمها ما قلنا العلم الحديث بمناهجه العلمية وتطبيقاته فى مجالات الحياة المختلفة واهمها ايضا تلك المبادىء التى رفعتها الثورة الفرنسية من حرية واخاء ومساواة ومن عقلانية ومن اسهام الشعب فى ادارة حكم البلاد ومن مساواة المواطنين امام القانون". (٢)

; مسار الفكر التربوى : ١٤٧ .

(١) المصدر السابق : ٣١٢

(٢) مسار الفكر التربوى : ١٤٧

لا ريب أنه قد كان للحكام فى الخلافة العثمانية أخطاء ، ولكنها كأخطاء الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس، والواجب فى النقد ان يكون موضوعيا خاصة لمن يدعون الى الموضوعية فى البحث فان الموضوعية والتجرد من الهوى فى مثل هذا الحديث عن العثمانيين لاسيما اذا قورن بما تضمنه النص من ثناء عاطر على الثورة الفرنسية وحملتها على مصر والادعاء بان هذه الحملة كانت بمثابة المؤثر القوى والمثير النشيط لبداية اليقظة فى العالم الاسلامى ، والثناء على شعارات الثورة الفرنسية ووصف حضارة المسلمين بالحضارة المتعفنة . .

ان المنطق السليم يقتضى من الكاتب ان يتصف فى حكمه ، فلا مانع من القول بأن المسلمين كانوا قد انحطوا من الناحية العلمية والفكرية ، والعقائدية بدخول البدع فى الدين ، ولا مانع من بيان حقيقة مخالفة بعض الحكام لما شرعه الله ، أما ان يكون النقد بهذه الصورة مع تمجيد الثورة الفرنسية -التى يعلم القاصى والدانى -انها من صنع اليهود وأنهم رانعوا شعار "الحرية والاخاء والمساواة" لمصلحة اليهود-.

ان الحملة الفرنسية التى يمجدها الدكتورأن كانت حملة استعمارية تخريبية باعتراف مؤرخى الغرب انفسهم :

يقول "برنارد لويس" عن هذه الحملة واثرها مايلى :

" . . . . وعندما احتلت حملة فرنسيةعسكرية بقيادة "بونابرت" مصر سنة ١٧٩٨، بدأ عهد جديد فى تاريخ تأثير الغرب فى الشرق الاوسط ، ولقد نظر المؤرخون الشرقيون والغربيون الى هذه الحادثةالتاريخية على انها "شلال جارف" فهى أول قوة مسلحة عبدت طريق للغرب الحديث فى الشرق الاوسط ، وكانت اول صدمة للساحة الاسلامية واول شرارة كهربائية فى طريق "التغريب" والاصلاح !! فى الشرق الاوسط "(١) .

---

(١) الغرب والشرق الاوسط : ٤٤ ، ...

ثم يقول :

" . . . ورفعت حملة بونابرت ازمة التأثير الغربي الى أوجها الحساد في العالم العربي ، ثم انفتحت عهداً دام قرناً ونصف من التدخل المباشر الانكلو فرنسي في أمور الشرق "(١) .

ويفهم الكاتبان السابقان عقيدة القضاء والقدر فهما خاطئا فهما يقولان في بيان اسباب رفض المسلمين لتقبل ما جاء في الحملة الفرنسية من افكار واتجاهات مايلي :

" ويحلل ذلك الرفض الثقافي بوجه عام وتلك المقاومة بأن المصريين كانوا يخضعون الى حد كبير لعقيدة القضاء والقدر مما دعى البعض الى ان ينظروا الى التغيير في سبيل الاصلاح على انه معارضة ومهاجمة لتلك العقائد الدينية التي تحتل مكانة مرموقة في عقول الناس في ذلك الزمان ومع ذلك فلم يكن المصريون كلهم على هذا النحو من الجمود ومن مقاومة التغيير والا لما حدثت تلك الاستجابة الرائعة للتعليم الحديث . . "(٢)

ان الايمان بالقضاء والقدر أحد اركان الايمان الستة فلا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بالقدر خيره وشره وليس الايمان بالقدر كما زعم المؤلفان يؤدى الى الجمود بل هو صمام الامان بالنسبة للمسلم . وقد أوضحت معنى الايمان بالقدر وانه لا ينافي ، بل يستلزم السعي في الارض لكسب الرزق ولعمارتها بطاعة الله ووفق شرع الله .

واقرأ معي هذا العرض السيء والنقد غير السليم لمعنى القضاء والقدر ، بقلم الدكتور احمد يوسف التل تحت عنوان " الظروف الاجتماعية " مايلي :

---

(١) الغرب والشرق الاوسط : ٤٠٤-٤٠٥ .
(٢) مسار الفكر التربوي : ١٥٣ .

" . . ٦- الجهل بالقضاء والقدر : عندما يكون البؤس هو الصفة الماسة لحياة معظم المواطنين فمن السهل على اولئك المواطنين الايمان بالقضاء والقدر . والا بماذا يفسر القروي وجوده في هذا الكون ويبرر تحمله وتقبله لهذه الحياة التعيسة ؟ فعندما يأخذ الموت عدداً كبيراً من مواليد القرية وأطفالها فان الوسيلة الوحيدة لتخفيف حزن المصا بهو اعتقاده بأنها إرادة للمشيئة . . مع أن الطب الحديث كان يمكن أن ينقذ حياة الاطفال من الموت ولو كان ذلك العلاج الطبي متوفراً في القرية متجاهلين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " تداووا عباد الله فإن الله ما جعل داء الا وله دواء"

. . . . ان ايمانا قويا وأعمى يسيطر على سكان القرى والبادية وهذا الايمان والجهل بأمور دينهم هو الذى يساعد السكان على مواجهة ظروف الحياة القاسية والعيش فيها . وقد كانت هذه الظاهرة تميز سلوك المواطنين في المجتمع الاردني قبل عام ١٩٥٠م وكان المسئوليون في المراكز الحكومية الاقتصادية والسياسية والدينية يشجعون مثل هذا السلوك ويشجعون استمرار الوضع الراهن للتعليم . وكانوا يعتبرون أية تغييرات في تصرفات الناس الاجتماعية لن تكون في صالح اولئك المسئولين " . (١)

وننتقل الى نص آخر للدكتور محمود السيد سلطان ورفيقه يصفان فيه علماء الاسلام وصفا سيئا اذ يقولان :

" ولقد لعب رجال الدين من المفلسين فكرياً والمغلقين عقلياً دوراً رجعياً تعصبياً قاتلاً للفكر وللخلق والابداع والعزائم وسموماً للتحرر الاجتماعي والفكري بوجه عام حين أساءوا فهم هذا الدين "(٢) .

(١) تطور نظام التعليم في الاردن (١٩٢١ - ١٩٧٧) : ٦٠
(٢) مسار الفكر التربوي : ١٦٣ .

أليس هذا النوع من التفكير أثر من آثار الفكر العلماني ؟ .. وللـــرد على هذا الكاتب أقول : ليس عند المسلمين رجال دين وانما عند المسلمين علماء الشريعة ، وعلم الشريعة أشرف العلوم ولكن ذلك لا يعطى عالم الشريعـــة امتيازات ترفعه فوق مستوى البشر بحيث يشرع ويطغى كما فعل رجال الديـــن النصرانى . . وانما له حق الاحترام لحمله العلم الشرعى اذا كان يلتزم بما حمل من علم الشريعة والا كان كأحبار اليهود ورهبان النصارى .

ويقول د . التيجانى الماحى عن تعدد الزوجات وأثر التعليم فى تقليصه مايلى :

" . . . وربما كان من الضرورى بحث تعدد الزوجات فى هذا الصدد ، فقد قام تعدد الزوجات قديماً فى الشريعة الاسلامية على أساس ضـــرورات بيولوجية نافعة لها قيمة فى بقاء المجتمعات وحياتها ، وليس كما يقول الجهلاء بأنه قام اصلاً على اسباب تمت الى المتعة واللذة . وكان الحافز اليه قديما كثـــرة الوفيات بين الأطفال وقصر أعمار البالغين عموما نتيجة لانعدام الرعاية الصحية وانتشار الفوضى والغارات والحروب ساهد المجتمع بالانقراض . وما زلنا نجـــد هذا واضحاً بين جماعات البدو العرب الرحل . . وقد كان إيمان المرأة فى هـذه المجتمعات بحكمة هذا التشريع له أثر فى تقليل الأخطار الناجمة عنه مما يتولد بالضرورة من عوامل الغيرة والشقاق والكراهية والتنافر بين افراد الأسرة الواحدة كذلك كان لتعدد الزوجات صفة اقتصادية لان المرأة فى النظام القبلى وكذلـك الاطفال كانوا يمثلون الايدى العاملة التى تدعم اقتصاد المنزل . وكلما كبر حجـم الاسرة اتسعت مرافقها وامكانياتها المعيشية . وفى عالم اليوم نجد ان تبـــدل النظم الاجتماعية والاقتصادية وما يتبعها من عوامل الاستقرار والاستيطان ومن نشوء المرافق الصحية وارتفاع مستوى المعيشة كل هذه قد أسهمت فى تحسيـــن

صحة الطفل وفي رفع مستوى العمر الطبيعي للسكان ما جعل تعدد الزوجات يفقد وظيفته البيولوجية الأولى . ومن الملاحظ انه بين قبائل الرحل التي تسم استيطانها واستقرارها وفق تخطيط اقتصادي وطيد قد أصبح تعدد الزوجات من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام ، وبالتالي للطفل بل للاسرة جميعها لانه كنظام اجتماعي قد فقد وظيفته الطبيعية ، واصبح مصدراً للخطر وتشبهه اليوم بالزائدة الدودية التي فقدت وظيفتها في الانسان الأول فأصبحت مصدر قلق تتحين الفرص لاستئصاله ، ورغم ان محاربة تعدد الزوجات قد لا تتحقق دون قيام تشريعات فعالة فقد وجد في بعض المجتمعات التي تفشو فيها هذه الظاهرة أن قيام المنشآت الوقائية والعلاجية التي تسهم في وقاية الطفل وتحسين صحته والتي تهدف الى معالجة العقم بين النساء والى رفع مستوى المعيشة وتوفير الخدمات العلاجية والوقائية للمجتمع قد تكون هذه في ذاتها من أهم العوامل لمكافحة تعدد الزوجات . ويجب ألا ننسى ان تعليم المرأة هو اهم عامل في هذا الصدد على الاطلاق لانه يبني شخصية المرأة ويخلق فيها الوعي والاحساس بدورها كامرأة وأم ". (١)

إن من يدقق النظر في هذا النص يجد ان المؤلف يرى مايلي :

١ - ان تعدد الزوجات شرع على أساس ضرورات بيولوجية نافعة لها قيمتها في بقاء الجماعات وحياتها . وانه قد فقد الان وظيفته البيولوجية ، أي أن الله شرع تعدد الزوجات لفترة معينة من تاريخ المسلمين هي فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذا بلا ريب راي لا دليل عليه فإن ما شرعه الله في القرآن فهو شرع الله للناس كافة الى قيام الساعة الا مانسخ بآية قرآنية او حديث نبوي وليس تعدد الزوجات منها .

(١) أسس التربية في الوطن العربي : ١٨٣ ، ١٨٤ .

٢- انتعدد الزوجات كان له صفة اقتصادية لان المرأة والاطفال في النظام القبلي يمثلون الايدى العاملة الداعمة لاقتصاد المنزل . واما الآن فإن النظام القبلي معدوم أو نادر فإذا لا معنى لتعدد الزوجات في هذا العصر ، وهذا ايضاً لا دليل عليه ذلك اذ لا يوجد في القرآن ولا في السنة [illegible] . مايدعم هذا الرأى وكل مايوجد في القرآن والسنة هو امران اثنان :

(١) العدالة في البيتوتة والطعام والكساء والمسكن والعشرة دون الميل القلبي وما يتبعه .

(٢) ان يكون ذا استطاعة مادية وجسدية ونفسية . وهذا اشترط في الزواج بواحدة أيضا . .

ثم ان تقسيم المجتمعات حسب مراحل زمنية متعينة الى :

(١) مجتمعات قبلية او رعوية (٢) زراعية

(٣) صناعية . . . الخ

هو من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين اما عند المسلمين فانه يوجد فيه : الرعاة ، والمزارعون ، والصناع في مجتمع واحد وليست هناك فروق بينهم الا فيما يتعلق باعمالهم .

٣ - انتعدد الزوجات أصبح من العوامل الضارة بالصحة العقلية للام والتالي للطفل والأسرة لانه نقد وظيفته الطبيعية وأصبح مصدر خطر وهو شبيه بالزائدة الدودية . وهذا أمر ايضاً لا دليل عليه وإذا وجد من يعدد الزوجات وهو غير قادر على اعالتهم فالخطأ ينسب اليه اما ان يؤخذ نموذج ممن يعدد الزوجات وينقل الحكم الى نفس التشريع فهذا أمر غير منطقي ، ثم انظر هذا التعبير " وهو يشبه الزائدة الدودية " اى انه اصبح لا فائدة منه فيجب التخلص منه ومكافحته كما يدعوا وقوله . " من العوامل الضارة

بالصحة العقلية للاسرة " دعوى لا دليل عليها ، وان أوجد في افراد ممن عددوا وهم غير قادرين على ذلك فحصل لهم ذلك فلا يتعدى الحكم هؤلاء الا من يحمل كحملهم ، اما ان نزعم ان تعدد الزوجات ضار بالاسرة عقليا فهـذا بهتان واضح ، لان رب العالمين العالم بما يصلحهم لا يمكن ان يشرع لعباده مافيه ضررهم .

٤ ـ ان تعليم المرأة أهم عامل في مكافحة تعدد الزوجات لانه ينمي شخصية المرأة ويخلق فيها الوعي والاحساس بدورها كامرأة وأم ، وهذا غير صحيح ، فان تعليم المرأة الذي يسير على هدى الاسلام لا ينتج هذه النتيجة وانما الذي ينتج هذه النتيجة هو التعليم العلماني .

ويقول الدكتور محمد لبيب النجيحي عن المعرفة مايلي :

" ولقد تغيرت هذه النظرية ـ اي النظرية التي تفصل بين العالم الـذي يعيش فيه الانسان بجسمه وخبراته وعالم الحق وعالم الحق والخير الثابت الـذي لا يصيبه التحول او التغيير وتتحقق فيه المثل ـ الآن واصبحت المعرفة متصلة بالخبرة العملية لاتنبع منها ترتد اليها أهدافا وموجهات ومرشدات وأصبحت المعرفة بذلك قوة حقيقية . بعد أن كانت زائفة كلها ادعاء لا يعتمد على اساس واقعي ولا يتصل بأي ناحية عملية . ولقد كان هذا نتيجة للقوى التاريخية والاجتماعية التي أثرت في دفع عجلات التطور حتى وصلت به الى العصر الحاضر وهو عصر العلم والتحرر الفكري والانطلاقات الخلاقة " . (١)

فالقول بان المعرفة لا تنبع الا من الخبرة العملية حصر للمعرفة في نطاق واحد وهو الخبرات الناتجة عن التجربة والحس وهذا هو مفهوم الغرب للمعرفة

---

(١) فلسفة التربية : ٢٢٧ .

ـ بعد عزل الكنيسة عن الحياة ـ فالغربيون لا يعرفون الا ان هناك المعرفة الحسية ، والمعرفة التجريبية ، اما ماعداها من المصادر التى تكتسب فيها المعرفة ومنها وأهمها الوحى فلا قيمة له ولا يعد مصدراً من مصادر المعرفة عندهم .

فاذا جاء أحد ابناء المسلمين ليقرر ذلك فمعنى ذلك انه متأثر بنظرتهم الضيقة فى حصر مصادر المعرفة فى الحس والتجربة ، وهذا يخالف النظرة الاسلامية فى مصادر المعرفة فمصادر المعرفة بالاضافة الى المصدرين السابقين " الوحى " و " الالهام " .

ويدعى الدكتور سعيد اسماعيل على ورفاقه أن التربية الجنسية كفيلة باصلاح الشباب الذين اعوج سلوكهم فهم يقولون مايلى :

" . . . لو رجعنا الى مجموعة الجرائم الأخيرة التى قام بها أو شارك فيها مجموعة من الشباب المتعلم ـ وأغلبهم فى الثانوية العامة ـ لوجدنا أن المال أو الحصول على المال كان هو دافع هؤلاء الشبان للقيام بهذه الجرائم بهدف تحقيق بعض الرغبات الطائشة ومن بينها رغبتهم فى التعرف على الجنس الآخر وخوض هذا العالم الضبابى الملئ بالاحلام . . . وفى يقيننا أنه لو توفرت لهؤلاء الشبان الدراسات الجنسية العلمية القويمة لكانوا اكثر صلاحا ولعرفوا بطريقة سليمة أن لكل سن مجالاً . ولا يقتصر الامر على ذلك بل إن غياب المعانى العلمية الصحيحة والمفاهيم الدقيقة عن الامور الجنسية كثيراً ما يؤدى الى انحرافات متعددة تهدد كيان بعض الأسر ، وليس بخاف ايضاً أن بعض صور الانهيار الاسرى والشقاق العائلى تكمن العوامل الجنسية وراءها .

ومن هنا فإننا نرى وجوب العناية بالتربية الجنسية فى مدارسنا . إن الجنس مظهر من مظاهر النمو فى الفرد شأنه فى ذلك شأن النمو الإنفعالى والعقلى

والبدني وغير ذلك فإذا جاز لنا أن نربى أبناءنا تربية عقلية وانفعالية وجسمية صحيحة حتى يستطيعوا مسايرة الحياة المصرية بنجاح ، كان علينا أيضاً أن نعنى بتربيتهم جنسياً ، وكان من الضرورى أن تقوم المدرسة بدور هام كما يقوم المنزل والمجتمع بدورهما فى تلك التربية .

ومن المؤسف أن التربية الجنسية قد أحيطت بصيغة إنفعالية غير موضوعية خاصة فى المجتمعات الشرقية ، وارتبط الجنس بالخطيئة ، وأصبح أى موضوع يتصل بالجنس محرماً سماعه ومناقشته مع الآباء ، ولقد كان من نتائج ذلك أن حرم الأبناء من إشباع إستطلاعهم الطبيعى لهذه الناحية بطريقة سوية موجهة تحميهم من الإنحراف وتحول بينهم وبين الإحساس بالذنب المرتبط بالجنس والذى كثيراً ما يسئ إلى الصحة النفسية للشباب فضلا عن أن موقف الآباء من هذا الموضوع كثيراً ما يدفع الشباب إلى التحدى والإقبال على الجنس ، فكل ممنوع مرغوب فيه . وهكذا كان خوف الآباء والمجتمع من أخطاء الجنس والإنحرافات الجنسية هو الذى خذل الهدف الذى نسعى اليه ". (١)

إن المؤلفين يجعلون من أسباب الجرائم التى قام بها الشباب فى مصر رغبتهم فى التصرف على الجنس الآخر .

وفى ردى لهذا الفكر المتهافت أقول :

إن المجتمع الذى يتحدثون عنه هو كما نعرف مجتمع مختلط فى العمل والتعليم والشارع وفيه المثيرات للجنسين ومن العلاقات العاطفية ما الله به عليم وهذا أقوى أثراً من التثقيف الجنسى المطلوب ومع ذلك فلم يساعد ذلك على صلاح الشباب وبعدهم عن الجرائم .

---

(١) التربية ومشكلات المجتمع : ٩٠ ، ٩١ .

وأود أن أسأل حضرات الدكاترة ماذا يقال للطلاب والطالبات في الثقافة الجنسية المراد والمطلوب تدريسها ،هل يشرح لهم كيف تكون العلاقات بين المرأة وزوجها كيف ينازلها وتغازله ؟ ماهي أعضاؤه التناسلية؟ وماهي أعضاؤها التناسلية ؟ وماهي وظيفة الاعضاء التناسلية في عند كلا الزوجين ؟ اماذا يريدون ان يقال للطلاب والطالبات في هذه الثقافة الجنسية؟

ان دعوة هؤلاء الى تدريس الثقافة الجنسية قد جربتها اوربا وامريكا وعانت منها المعاناة الشديدة واصبح العقلاء والعاقلات في دول الغرب كلها يدعون لايقاف هذا النوع من التثقيف ويذكرون مخاطرة على المجتمع .

لقد نشرت صحيفة الاخبار المصرية عام ١٣٧٥ هـ اعترافا لطبيبة امريكية تعمل في بعض الدول العربية بمخاطر التثقيف الجنسي للشباب والشابات اقتطف منه هذا المقطع :

" . . . . . ان عواطفكم في هذا الامر خير من عواطفنا وحكم لأولادنا اكثر منا لأولادنا . . ولئن كانت نساؤكم في الشرق لا يعرفن من أسرار الحياة الجنسية بعض ما تعرفه فتيات امريكا ،فإني أقول بضمير مرتاح إنه خير لكم أن تنعموا تحت وطأة الجهل من ان تنعموا بهذه المعرفة .

اننا نلقي على فتياتنا الامريكيات الدروس لتعريفهن دقائق الحياة الجنسية فلاتلبث الواحدة منهن ان تخرج من قاعة المحاضرات ،باحثة عن اول صديق واقرب زميل لتمارس معه النظريات الجنسية التي تعلمتها في غير مبالاة كأنها تشترك معه في رواية تمثيلية او تتفرج على لعبة (فوتبول) وتكون النتيجة الطبيعية لذلك مزيدا من العبث ومزيدا من الانحلال "(1) .

---

(١) احمد محمد جمال : مكانك تحمدي : ١٠٥ ، وانظر د. محمد طبي البار : عمل المرأة في الميزان : ١٢٨،١٢٧ عن قصة المدرسة التي كانت تدرس الطلاب المراهقين الجنس وتخلع امامهم ملابسها حتى تقف امامهم عاريه في عام : ١٩٧٠م .

فهل يريد هؤلاء الكتاب ان يكون المجتمع منحلا او ان يزيد في انحلاله الا يكفيهم ان يكون المجتمع الذى يعيشون فيه ويدعون للتربية الجنسية فيه به من الانحلال الخلقى انواع عدة .

ان هؤلاء الكتاب لا ريب انهم يودون تقليد الغرب في كل ما يعمل خاصة فيما فيه مضرة مبدأ الغرب يضجر منه ـ ولذا فهم يدعون الى تدريس الثقافة الجنسية في المدارس كما هو الحال في اوربا وامريكا .

ويحدد/ التيجانى الماحى الالتزام بالدين تعصبا فيقول :

" ... ويجب لفت النظر الى ان المربى يحتل في وظيفته التربوية مركزا لا يقل اهمية عن الاسرة لانه يعمل لتأهيل الطفل لصلاحية اجتماعية اوسع مدى . كذلك يجب ان ننوه بأهمية المدرس الاولى في اثره الاجتماعى على الطفل لان عمله يبدأ في مرحلة حاسمة بالنسبة للطفل . وهناك ما يبرر الاهمية القصوى لهذا التطور من التربية الاجتماعية بما يهيء مركزا خاصا لمعلم المرحلة الاولى الذى يجب الاهتمام بشانه وتحسين مركزه الاجتماعى بين طبقات المربين . والحقيقة التى لا تقبل الشك ان الوضع المهنى لهذه الطبقة الهامة في كثير من بلاد الاقليم ـ أى السودان ـ قد لا يحسدون عليه ، فقد كان لاحساسهم بعدم الرضى بحالهم انعكاس قد اتخذ مظهرا يتسم بالتبرم والشدة والتعصب في بعضهم مما قد يهدد مستقبل السلوك في النشء وفي تجاربنا الخاصة ان اخطر ما تتعرض له سيكولوجية الاطفال في هذا الصدد هو التعصب الدينى ". (١)

---

(١) أسس التربية في الوطن العربى : ١٨٥

وهو متأثر بنظرية فصل الدين عن الدولة او السياسة فيقول :

" . . . والدين أداة للفكر يسند المجتمع عن طريق القدوة والتعليم والارشاد والترغيب والترهيب ، والطاقة القوية التي تنطلق منه لها اكبر الاثر في الشعور بالمشاركة الاجتماعية . والتربية الدينية الخاطئة قد تحمل في تزييف الاهداف وفي جملها اداة لنشر الغريزي ، وكثيراً ما يستغل الدين لاغراض السياسة الحزبية وربما نتج عن هذا الارتباط بين الدين والسياسة اخطر مايهدد العلاقات والروابط القومية ". (١)

فوصف الالتزام بالدين بالتعصب ،والاعتقاد بأن الارتباط بين الدين والسياسة اخطر مايهدد العلاقات أثر من آثار الفكر العلماني بلا ريب ، لان الاوربيين كان رجال الكنيسة عندهم هم المسيطرون بطغيان على امور الناس ، كما مر بيان ذلك فتخلصوا منهم فأعتقدوا ان كل التزام بدين كدينهم المحرف يساوي التعصب ثم انتقل هذا المعنى الى أبناء المسلمين نتيجة للاحتكاك بالغربيين .

وهكذا الامر بالنسبة للفصل بين الدين والسياسة والدين والحياة عموما فقد كان رجال الكنيسة هم المسيطرون وكانوا طاغين في سيطرتهم فلما تخلص الاوربيون من سيطرتهم اصبح في حسهم ان كل دين يجب ان لا يكون له دخل في شئون الحياة وانما مكانه الكنيسة ثم انتقل هذا المفهوم المنحرف الى ابناء المسلمين بطريق العدوى .

ويرى د . احمد حسن اللقاني ورفيقه ان على مدرس المواد الاجتماعية ان يؤمن بفلسفة المجتمع واثراء مفاهيم هذه الفلسفة ثم يقول :

---

(١) اسس التربية في الوطن العربي ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

" ... وعلى ذلك فإن إيمانه الحى بالمفاهيم والقيم الديمقراطية والاشتراكية - باعتبارها هى فلسفة المجتمع فى الحياة - لابد أن يتضح داخل حجرة الدراسة وخارجها حيث تجرى عمليات التبسيط والتكييف والتحليل وإعمال الفكر مما يساعد على استنتاج وجهات نظر جديدة وأفكار جديدة وأساليب حياة جديدة وطرق تفكير جديدة ". (١)

ثم يوجه النقد إلى مدرسي المواد الاجتماعية لأنهم لا يتناولون فلسفة المجتمع الا على مستوى الالفاظ فيقول :

" ... ولعلنا نلاحظ أن نسبة كبيرة من المدرسين لا يتناولون المفاهيم التى تتضمنها الفلسفة الديمقراطية الاشتراكية إلا على مستوى الالفاظ والشعارات اللامعة ، كما أن التدريس إذا ما تعرض لها فإنه يقتصر على الجانب المعرفى منها بمعنى أن يعرف التلاميذ مثلا ماهية الاشتراكية أو الديمقراطية وأن يعرفوا أهداف الاتحاد الإشتراكى وتنظيماته ومستوياته وهكذا ".(٢)

إن المجتمع الذى يتحدث عنه المؤلف هو المجتمع المصرى ، ونحن لا نعرف عنه الا أنه بلد من بلاد المسلمين فلا يجوز أن يكون فيه لغير الاسلام من العقائد والافكار مكان . ونحن نسأل المؤلف بعد ان صُفّيَ الاتحاد الاشتراكى العربى ويمّم الحكم القائم وجه[illegible] واشنطن بعد أن كان الحكم السابق ميمماً وجهه شطر موسكو هل سيغير رأيه فى الموضوع ويدعو فى كتاب جديد يصدره الى ما يسمى بالانفتاح الاقتصادى أم أنه سيظل على رأيه السابق أكبر الظن أنه سيغير رأيه حتى يكون له يد فى دعم الحاكم القائم .

---

(١) و (٢) تدريس المواد الاجتماعية : ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

وهكذا يفصل فقدان الهوية الفكرية بالانسان فيقول اليوم عكس ماكـــان يقوله بالامس ، إنّ الدعوة الى الديمقراطية والاشتراكية أثر من اثار سيطــــرة الفكر العلماني على الداعين الى هذين المبدأين ، لان الداعي الى هذيـــــن المبدأين لا ريب انه يعزل الدين عن الحياة ويرى ان الدين للكنيسة أو للمسجد ثم بعد ذلك لك ان تدعوا الى ماتريد خارج هذين المكانين .

ويرى د . فتحي الديب ورفيقه ان رسالات السماء كلها في جوهرهـــا كانت ثورات انسانية . (١)

وهذا هو رأى المستشرقين الذين يزعمون أن الرسول صلى الله عليـــه وسلم تأثر بالبيئة التي كان يعيش فيها ، ولا شك أن هذا القول من آثار الفكـــر العلماني ، فالعلمانيون هم الذين يرون هذا الرأى .

ويقول د . فتحي الدين ورفيقه :

" . . . . ومن هنا فإننا نرى أن تقدم مجتمعنا العربي مرتبط بمدى تمسكنا بالقيم الاساسية للعلم واتجاهاته . فليس خافياً على أحد أنّ مجتمعنا الى وقـــت غير بعيد كان يوصف بأنه مجتمع زراعي متواكـــل . . "(٢)

وقد سبق أن اوضحت أن تقسيم مراحل تاريخ المجتمعات على النســـق الاتي : (١) مجتمع رعوى (٢) مجتمع زراعي (٣) مجتمع صناعـــــي أنه من تقسيمات علماء الاجتماع الغربيين " العلمانيين " الذين تأثروا بالثورة على الكنيسة فأنتجوا هذا التقسيم ثم نقله ابناء المسلمين الى العالم الاسلامي .

ويرى الدكتور محمد لبيب النجيحي ان الاهداف الثابتة خطر على المجتمع اذ يقول :

---

(١) تدريس العلوم والتربية العلمية : ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) نفس المصدر : ١٦١

" . . . . فالاهداف الثابتة الدائمة المستمرة لاتكون على هذا الاساس غيـــر مناسبة ولكنها تشكل فى رأينا خطراً عظيماً بالنسبة للمجتمع والافراد ". (١)

فالدعوة الى عدم ثبات أهداف التربية والتعليم هو الخطر على المجتمـــع فإنه لابد أن يكون لكل مجتمع اهداف ثابتة للتربية والتعليم لان التربيـــــة والتعليم المقصود منها هو انشاء مجتمع يؤمن بمبادىء معينة ويحققها فــــى واقع الحياة وفى المجتمعات الاسلامية لابد ان تكون اهداف التربية والتعليم ثابتة وساعية لانشاء مجتمع يطبق مبادىء الاسلام وشرائعه فى كل شئـــــون حياته .

كما يرى النجيحى أن العلم هو ما يقع فى حدود الحواس فيقول :

" . . . على أن اهتمامنا بالخبرة الانسانية وبالعلم الذى يقع فى حدود حواسنا لا يعنى أننا ننغمس فى الحاضر فننسى المستقبل . . " (٢)

والقول بأن العلم هو ما يقع تحت حواسنا هو أحد اتجاهات الفكر الغربـــى وهم يسمون " بالحسيين ".

ويرى د . احمد حسن اللقانى وزميله أن أهداف تدريس المواد الاجتماعية تتحدد حسب فلسفة الدولة وهى فى مصر الفلسفة الاشتراكية الديمقراطيــــــة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولذا فهى تحت اطار الفلسفــــــة التربوية تحدد مواصفات المواطن المرغوب فيه ، وتحدد على اساسها أهـــداف كل مرحلة تعليمية ، ثم أهداف كل منهج ، ومن ثم يصبح على المدرس تنـــاول هذه الاهداف على مستوى المنهج ليجعلها اكثر تحديداً .

---

(١) فلسفة التربية : ٦٩ / ٦٠
(٢) نفس المصدر السابق .

ويعتقد د . اللقانى وزميله مايعتقد علماء الاجتماع الغربيون من أن الانسان الاول عاش على الصيد ، ثم انتقل الى مرحلة الرعى ثم انتقل الى مرحلة الزراعة وفى هذه المرحلة بدأ بتعمير الارض والاستقرار وتكوين الاسرة والتملك البسيط ثم تكون المجتمع واستخدم الدين لتدعيم اركانه". (١)

ويرى ساطع الحصرى ، وهو احد فلاسفة القومية العربية ، ان القومية العربية تبنى على الاشتراك فى اللغة والتاريخ المشترك أما الدين فلا يدخل فى ذلك الا من حيث هو جزء من التاريخ المشترك ، وأن اتخاذ اللغة أساساً فى القومية يسهل عملية تذويب النزعات الاقليمية والدينية ، وتنمية الطموح لمؤالفة قومية كبرى عمادها وحدة اللسان العربى الحاضر. ولهذا فان التربية لابد ان تضع نفسها فى خدمة هذا المجتمع القومى الكبير . (٢)

قلت: إن العرب فى العصر الحاضر تجمعوا على وحدة اللسان العربى ولكن ذلك لم ينفعهم فتيلا فهم فى مطاحنات وخلافات كما كانوا فى الجاهلية الاولى وما حرب لبنان الاهلية الا أقوى شاهد على ذلك .

ويقول الدكتور/ عبد اللطيف فؤاد ابراهيم عن العروبة والقومية العربية مايلى :

" لا يتسع مجال هذا الكتاب لمناقشة جوانب العروبة ، والقومية العربية ودعائمها ويكفى هنا (من اجل اهداف الكتاب) ان نقول ان من ابرز مظاهر مجتمعنا فى الوقت الحاضر ازدياد ايمان المواطنين [illegible] بعروبتهم واعتزازهم بها .

وقد ساعد هذا الايمان بالعروبة على ازدياد المواطنين ادراكا بما يربط اجزاء الوطن العربى من لغة عربية وجوار وسهولة اتصال ووجود تشابه فى

(١) تدريس المواد الاجتماعية : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) المناهج اسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها : ٦٩ .

كثير جداً من العادات والتقاليد والآمال العامة نتيجة التشابه فى كثير من الظروف والاحداث التاريخية الهامة .

ويساعد الايمان القوى بالعروبة ايضاً على زيادة اقبال المواطنين على كل مايرفع من شأن وطنهم العربى وما يساعد على استعادة امجاده والمحافظة عليها". (١)

ويرى الدكتور الهادى عفيفى ان من اهداف التربية العامة "غرس القومية العربية فى نفوس الناشئة" اذ يقول تحت عنوان اهدافنا التربوية العامة مايلى :

"... (٥)- تدعيم مقومات الوجود العربى واهدافه : ذلك ان مجتمعنا بحكم وجوده فى قلب الوطن العربى ، وبحكم ماضيه وتطوره ينبغى ان يتحمل مسئولية صنع التقدم وحمايته ليمتد حتى يشمل الامة العربية كلها ،فهو جزء لا يتجزأ منها ، والتربية العربية ينبغى ان تستمد اصولها واهدافها من حقيقة هذا الوجود ومن اهداف الامة العربية فى الوقت الحاضر والماضى . ولهذا فانها ينبغى ان تهدف الى تدعيم الاتجاهات القومية التى تنشد التماسك الاجتماعى والقوة الاقتصادية والتحرر ، فهدف التربية ينبغى ان يكون بناء جيل عربى واع مستنير يؤمن بالوطن العربى ويثق بنفسه وامته اى الايمان بالوطن وبالذات ولا يتأتى ذلك الا بالمعرفة الصحيحة عن الوطن العربى من حيث مواطن القوة فى موقعه السياسى والجغرافى ومن حيث امكانياته الاقتصادية وطاقاته البشرية وقيمه الروحية ومقوماته الثقافية والتاريخية والتناقضات المختلفة التى تعوق تقدمه وكيفية مواجهتها بالبحث والدراسة والحل والاهداف المشتركة

---

(١) المناهج اسسها وتنظيماتها وتقويم اثرها : ٦٩.

التى تجمع جماهير العرب فى سبيل تحقيق الهدف النهائى والصالح العام ومن ذلك أن وحدة الهدف عند الجماهير هى التى ستتكفل بسد الفجوات الناشئة عن اختلاف مراحل التطور . ومواجهة انواع التحديات والضغوط التى تعرقل تقدم هذا المجتمع العربى ، ووسائل التغلب عليها ."(١)

ولعل من أكثر المغالطات التاريخية والشرعية الادعاء بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون هم قادة المسلمين كانوا دعاة للقومية العربية ، والادعاء بأن العلماء من المسيحيين واليهود قد اجلسهم علماء المسلمين معهم فى المساجد . هذا مايقوله الدكتور ابوالفتوح رضوان فى بحث قدمه " للحلقة الاولى للتربية وعلم النفس " واليك نص قوليه :

" . . . ثم كيف ننسى القادة والزعماء الذين اكتشفوا القومية العربية ، ونادوا بالقومية العربية وانا موا سياسة العرب على اساس وحدة العرب وحاربوا فى سبيل هذه الوحدة . كل هذا دون ان يتعلموا ذلك فى المدرسة لانهم كانوا اسبق من اساتذتهم الى هذا الكشف وهذه الفتوح . كيف ننسى ابابكر وعمر بن الخطاب ونورالدين وصلاح الدين ، وجمال عبدالناصر بل كيف ننسى النبى صلى الله عليه وسلم وقد ارسل الكتب وبعث بالرسل ولم يمت الا بعد ان كان قد بدأ فى تسيير الجيش لتحقيق وحدة العرب . "

وقد كان النبى أميا لم يدخل مدرسة وكان معهد أستاذ أساتذة العروبة .

ثم يقول :

" ونحن عندما نريد ان نقرر اتجاها قوميا عاما ، او اصطلاحا اجتماعيا لانستطيع ان نكتفى بالعباقرة الذين ذكرت امثلتهم وهؤلاء لاتجود بهم الطبيعة الا واحداً فى كل عصر ، أو على رأس كل قرن من الزمان . وحتى هؤلاء عندما

---

(١) فى اصول التربية الاسلامية (الاصول الفلسفية) : ٢٦، ٢٧، ١٢٧.

عند ما يوجد ون لا يمكن ان يقترن بهم اتجاه او يتحقق بهم اصلاح الا اذا استطاعوا ان يعلموا امتهم ويقنعوها بفلسفتهم فيستمر فيها الاصلاح حتى يحذروا الى هؤلاء المعلمين الافذاذ وهكذا يرتد الامر الى المواطن والى التربية "(١) .

واما النص الثاني فيقول فيه :

" ... والعربي الصحيح يضع الثقافة وراء حدود الجنس واللغة والدين إنه يطلب العلم ولو في الصين وينقل المعرفة ولو من الزنادقة ، ويأخذ الحكمة ولو من أفواه المجانين ، وقديما اجلس العرب المسلمون العلماء من المسيحيين واليهود والصابئة في المساجد وجلسوا أمامهم يتلقون عنهم الحكمة والطب والعلوم "(٢) .

ويرى الدكتور النجيحي ان التربية هي اعداد المواطن المتكيف مع المجتمع فيقول :

" التربية هي عملية إعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشأ فيه ولذلك فهي تعمل على تشكيل الشخصية الانسانية في أدوار الطفولة الاولى تشكيلاً يقوم على اساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية وهنا كان لابد للاطار الثقافي الذي يقوم عليه المجتمع من أن يحدد أبعاد العملية التربوية واتجاهاتها بحيث لا تخرج التربية عن هذا الاطار الا تطويراً له وتقدماً به في عملية زيادة آخذة بيد المجتمع نحو مستوى أفضل وعلى هذا الاساس تحتل القيم مركزاً اساسياً في توجيه العملية التربوية ونقله من جيل الى جيل بما في ذلك القيم الاخلاقية . فحسب وانما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافي مقتربة بذلك بقدر ما تستطيع مما وضعته امامها من تصور لما يجب ان يكون "(٣) .

---

(١) اسس التربية في الوطن العربي : ٦٤ .
(٢) نفس المصدر : ٦٩ .
(٣) فلسفة التربية : ٢٩٧ .

ان الكاتب يرى ان التربية هى العملية التى تعد المواطن الذى يتكيف مع المجتمع الذى يعيش فيه ، ان التربية فى الاسلام هى عملية اعداد الانسان الصالح الذى يطبق شرع الله فى خاصة نفسه وفى اسرته وفى مجتمعه . ومن المؤسف حقا ان ياتى ابناء المسلمين ليدعوا الى تربية تخضع الانسان لاى وضع فـــاذا طبقت المبادىء الرأسمالية والعلمانية الغربية فى بلد ما من البلاد الاسلاميـــة فترة من الزمن فعلى هذا الانسان المسلم ان يرضخ لذلك فإن تغيرت الأحـــوال وحكم هذا البلد نفسه بالمبادىء الاشتراكية فإن على هذا الانسان أن يرضـــخ لهذه المبادىء وهكذا يكون الانسان مشتتا لوجهه كما يريد الكاتب .

لقد كان حقاً على الكاتب ان يدعو الى تربية الانسان الصالح الـــذى يسير وفق هدى الله الذى شرعه لنا فى كتابه وسنة رسوله لا الى تربية علمانيـــة تجعل الانسان يسير مع اى اتجاه .

ويدعو الدكتور ابوالفتوح رضوان الى الانسانية ويرى انها لا تتعارض مـــع الوطنية او القومية فيقول :

" ..... وهناك مشكلة معنى العروبة نفسها فليست العروبة هى الاتجـــاه الوحيد الذى تريد انطبع عليه المواطن العربى . بل هناك وطنه الاصلـــى الصغير الذى هو مسقط رأسه من الوطن العربى الكبير فلهذا الصغير حقوق ، وهناك الانسانية عامة ولها فى نفس كل انسان حق . وليس الجمع بين هذه كلها فـــرد واحد بالامر السهل . ومع ان العروبة لا تتعارض مع ولاء الانسان لاقليمه ، ولا مع ولائه للانسانية عامة ، ولكن ليس من السهل ان تضمن الا تنقلب الاقليمية الـــى تعصب او الانسانية الى لاوطنية " (١)

---

(١) اسس التربية فى الوطن العربى : ٦٦ .

ان الدعوة الى الانسانية شعار يرفع بين المسلمين لمآرب أهمها التسوية بين المسلم والكافر والله سبحانه وتعالى فرق بينهم فى محكم آياته ، وحرم على المسلمين ان يتولوا الكافرين ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الدعوة الى القومية ، والوطنية ، والانسانية دعوة الى امور يستحيل التوفيق بينها وواقع المسلمين اليوم ليشهد بذلك فان المسلمين حين أراد الاستعمار تفريق كلمتهم وعدم اجتماعهم بذر فيهم بذور الوطنية والقومية ، وربى اجيالا على الوطنية والقومية ثم ربت هذه الاجيال أجيالا اخرى على ذلك فاصبحت تجد كل مسلم يقدس الوطن الذى ولد فيه حتى ولو كانوا ممن يتكلمون بلسان واحد وهذا ما هو حاصل فى البلاد العربية .

ان الدعوة الى تربية الانسان فى العالم الاسلامى على الاسلام هو الواجب وحين ذاك لا يكون هناك مجال لتقديس الوطن والقوم وانما الرابطة الوحيدة التى تجمع المسلمين هى " الاسلام " كما كان الوضع فى العصور الزاهية للاسلام.

ويرى الدكتور احمد منير صالح ان تعليم القرآن وحفظه لا جدوى منه فيقول تحت عنوان " لمحة تاريخية عن تطور التعليم فى المملكة العربية السعودية والوطن العربي " مايلى :

" .. وكان من الطبيعى ان تصاب الحركة التعليمية فى هذا البلد الامين بالركود والخمول والجمود فان ثرت فيها مراكز العلم والتعليم التى كانت قبلة الانظار فى جميع العالم الاسلامى ، ولم يبق من ذلك كله سوى عدد قليل من الكتاتيب التى كانت تقدم تعليما لا جدوى منه فى القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم ". (١)

(١) نظام التعليم فى المملكة والوطن العربى : ١١ .

فاذا كان تحفيظ القرآن الكريم لا جدوى منه فما هو التعلم الذى لـه جدوى فى نظر الكاتب ؟ !! ان هذا بلا شك اثر من اثار الفكر العلمانـى على ابناء المسلمين . ومن المحزن ان يصدر مثل هذا القول عن استاذ فـى جامعة من جامعات المسلمين . ان هذا القول لو صدر من احد دعاة النصرانية من المبشرين والمستشرقين لما كان فى ذلك مايثير الدهشة والاستغـراب لان ذلك هو المتوقع منهم ، اما ان يصدر هذا القول من احد ابنـاء المسلمين فان ذلك هو الرزية العظمى . .

ومن الأمور التى يكثر الكتاب من ذكرها وصف الحكم العثمانى بالاستعمار فهذه الدكتوره نازلى احمد صالح تصف حكم العثمانيين بالاستعمار العثمانـى التركى وهذا الدكتور ابوالفتوح رضوان يصف حكمهم بالاستعمار المسلم . (١)

وهذا التفكير هو ايضا اثر من آثار العلمانية على العالم الاسلامى ذلـك ان القومية والوطنية لما صدرت للعالم الاسلامى وبدأت تنخر فى كيان الامـة الاسلامية خرجت مثل هذه الاوصاف وبدأ دعاة القومية يطلقونها على الحكـم العثمانى خاصة حكم عبدالحميد الذى ظلم شر الظلم بسبب تخطيط اليهـود الدعائى ضده الناتج عن حنقهم عليه لطرده لهم وهم الذين طلبوا السماح لهم بإقامة وطن قومى فى فلسطين ، وقد اتاموه بعد ان فرقوا المسلميـن بالقوميات واحتلوا فلسطين من بين ايادى القوميين .

وفى بحث للدكتور فاروق سيد عبد السلام بعنوان القيم وعلاقتها بالامـن النفسى اجراه على طلبة كلية التربية بجامعة الازهر وكانت العينة تضم ٩٤ طالبا من خريجى التعليم العام و ٦٨ طالبا من خريجى المعاهد الازهرية ، وكـان المقصود " معرفة هل هناك علاقة بين مايلتزم به الافراد من القيم بينا منهـم

(١) حولية التعليم الابتدائى : ١٢٦ وأسس التربية فى الوطن العربى : ٦٠

النفس ؛ قال :

" ان القيم والامن النفسي نتاج لعملية اساسية واحدة هي عملية التنشئـــــة الاجتماعية فالقيم اكتساب لمحتويات معرفية حددتها الهيئة الاجتماعية وقامت بنقلها الى أبنائها "(١)

ثم يقول في بيان أسباب قيامه بهذا البحث مايلي :

" ... وهذا مادعانا الى دراسة طبيعة العلاقة بين المحتوى القيمي وبين حظ الفرد من الامن النفسي .

نحن إذن امام قضية نظرية بحته من ناحية وهي علاقة الجانب المعرفي للشخصية " ممثلا في البنيان القيمي " بالجانب الانفعالي في الشخصيــــــة " ممثلا في الأمن النفسي " .

ومن ناحية اخرى فنحن امام مسألة تطبيقية تربوية هامة وهي " اذا كنا نريد ان نحقق لمجتمعاتنا افرادا يتمتعون باكبر قدر ممكن من الصحة النفسية ، فعلى اي شئ نركز اهتمامنا ؟ أعلى المحتوى المعرفي فقط اى على صنوف معينة مــن القيم والاتجاهات والمعتقدات تتناسب مع العصر الذى نعيش فيه وتستمد قوامها من تاريخنا ودیننا وتقاليدنا الاجتماعية العربية ؟ ام نركز اهتمامنا على اسلـــوب تقديم هذه المحتويات المعرفية دون اهتمام بالتكوين المعرفي نفسه ؟ أم بالاثنين معا .. ؟ .. (٢)

ثم في تساؤلات البحث يتساءل الباحث عن :

" هل هناك فروق بين الذين يتمتعون بقدر اكبر من القيم النظريــــة والاقتصادية والجمالية ، والسياسية والاجتماعية والدينية وبين من يتمتعون بقدر قليل منها في درجة الطمأنينة النفسية " . (٣)

---

(١) و (٢) و (٣) مجلة كلية التربية ، مكة المكرمة ، العدد الرابع ، السنــة الرابعة رجب ١٣٩٩ هـ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

ثم يقول في التعليق على نتائج الجدول رقم (٨) قيمة كا٢ ودلالتهـــا الاحصائية للقيم المختلفة يقول :

" ويتبين من الجدول رقم (٨) ان جميع قيم كا٢ غير دالة احصائيـــا وهذا يعني انه لا توجد علاقة بين درجة امتلاك الفرد لقيم معينة وبين حظـــه من الطمأنينة الانفعالية اى ان اصحاب الدرجة الواحدة في القيم المعينـــــة (اصحاب الدرجات العليا مثلا) قد ينتمون الى العديد من مستويات الطمأنينة الانفعالية . وتستطيع القول ان محتوى القيمة (نظرية - دينية - جمالية . الخ) لا يحدد درجة الامن النفسي الذى يمتلكه الفرد . اى ان العلاقة بين المحتوى المعرفي الذى يمتلكه الفرد وبين الجانب الانفعالي له علاقة صفرية ". (١)

وفي مناقشة النتائج يعترف ان هناك ثلاث مسائل على جانب كبير مـــن الاهمية في هذه القضية ولها تأثير في تفسير النتائج هي :

(١) المحتوى المعرفي للقيم التي يقدمها المجتمع.

(٢) طريقة تقديم هذا المحتوى القيمي للافراد .

(٣) رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفي ولطريقة تقديمه . (٢)

ثم يقول مكررا نفس النتيجة السابقة :

" .. ان نتائج الدراسة الحالية قد اثبتت عدم وجود علاقة بين امتـــلاك الفرد لقيمة معينة او عدم امتلاكه لها وبين حظه من الامن النفسي "(٣) .

ثم يكرر هذه النتيجة في الفقرة الاخيرة وجهة نظر فيقول :

" لقد بينت نتيجة هذه الدراسة عدم وجود علاقة بين اكتساب الفـــــرد لقيمة ما من القيم وبين امنه النفسي ". (٤)

---

(١) و(٢) } نفس المرجع السابق صفحات ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .
و(٣)و(٤) }

ويختم مناقشة النتائج بالتقرير ان المعتقدات لا تهمه بقدر ماتهمه كيفية تقديمها اذ يقول :

" ... لقد قال " اروكيش " ان المعتقدات لا تهمنا من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ماتهمنا طريقة تعلقه بهذه المعتقدات.

ونحن نرى ان هذه المقولة ليست كافية تماماً من وجهة نظر الصحة النفسية ونرى ان المعتقدات لا تهمنا من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ماتهمنا كيفية تقديم هذه المعتقدات من قبل الهيئات الاجتماعية المختلفة وكيفية رؤية الفرد لتلك الاساليب". (١)

ولا بد من ابداء ملاحظات على هذا البحث " نتائجه واسسه وخطواته" وهذه الملاحظات تتلخص في الآتي :

١ - ان هذا البحث اجري على طلاب مسلمين في بلد مسلم - في جامعة اسلامية - ومن المعلوم ان المحتوى المعرفي للقيم ان صح تقسيمها الى هذه الاقسام التي قسمها الباحث - وهي من الله تعالى - وهو منزه عن الخطأ ، واذن فالباحث قد اخطأ خطأً جذريا في اجراء هذا البحث على هذه الصورة اذ المفروض ان يجري البحث على طريقة تقديم هذا المحتوى المعرفي وهل يؤدي الى تمثل الطلاب بالمحتوى المعرفي لهذه القيم الاسلامية أم انه لا يؤدي الى ذلك.

٢ - ان الباحث - وقد حصر بحثه لمعرفة العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم والامن النفسي - قد وقع في خطأ في خطوات البحث واسسه التي اتبعها وهي تتلخص في الآتي :

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠.

(أ) ان الباحث حين عدد القيم ذكر القيمة النظرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية . وهذا الصنيع ينم عن مفهوم خاطئ للدين اذ في هذا التقسيم يفصل الباحث بين الدين والحياة ويجعل القيمة الدينية تسير في خط مخالف للخط الذى تسير فيه القيم الاخرى لاعلاقة له بالدين .

ومن المعلوم ان الدين في مفهوم الرسالات السماوية كلها هو المهيمن على كل القيم ويجب ان تنطلق منه .

" قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ".

(ب) ان الباحث جعل القيم وليدة للبيئة الاجتماعية - ومادام انه يطبق هذا البحث في بلد اسلامى وعلى طلاب يمثلون جامعة اسلامية - فإن من المفترض أن تكون جميع القيم التى ذكرها - إن صح تقسيمها - اسلامية ، اذ القيم الاسلامية ليست وليدة البيئة الاجتماعية بل هى - وحى من الله بلفظه ومعناه " القرآن " او بمعناه " السنة ".

ان القيم التى تحددها البيئة الاجتماعية ، قيم لمجتمع لا يعرف الله سبحانه وتعالى وهى قيم تحددها ظروف الناس ورغباتهم وشهواتهم وشبهاتهم ، وهى تختلف من مجتمع لمجتمع ، وتناقض بعضها البعض لان المعرفة التى توجهها معرفة بشرية والمعرفة البشرية ناقصة وقاصرة عن الاحاطة بكل شئ .

هذا ومن ناحية اخرى فإن هذا التصور للقيم ، ومنها القيمة الدينية أو الدين من أنها نتاج لعملية التنشئة الاجتماعية وانها إكتساب لمحتويات معرفية محددة من قبل البيئة الاجتماعية - ان هذا التصور وهذا الفهم هو تصور علماء الاجتماع والفلاسفة الغربيين ، ومنهم فلاسفة الفلسفة الوضعية المنطقية ، فهو تصور غريب على المجتمع الاسلامى تاثر به الدكتور وهيمن على بحثه .

(جـ) ان الباحث انطلق في بحثه من تساؤلات معينة هي هـل يركز على المحتوى المعرفي للقيم والاتجاهات والمعتقدات التي تناسب العصر؟ ام على طريقة تقديم المحتوى؟ ام عليهما معا؟ وحين يكون أحد منطلقات الباحث ان يركز على المعتقدات التي تتناسب مع العصر دون ان ينطلق من محاولة معرفة اثر الدين الاسلامي على الافراد الذين اجري البحث عليهم، فان النتيجة ستكون ان العلاقة بين المحتوى المعرفي والامن النفسي صفرية ٤ وهذا أمر شاهد في الغرب الذي يزخر بآخر صرعات المعتقدات ـ ان الافراد غير مطمئنين انفعاليا وغير آمنين نفسيا .

(د) ان الباحث مع اعترافه باثر اسلوب نقل المحتوى المعرفي ، وبأثر رؤية الافراد لكل من المحتوى المعرفي ولطريقة تقديمه الا انه ركز بحثه على " العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم ومنها الدينية " وخرج بهـذه النتيجة وهي ان العلاقة بين المحتوى المعرفي للقيم ، ومنها الدينية والأمن النفسي علاقة صفرية .

(هـ) ان الباحث انطلق من منطلق انه لا تهمه المعتقدات من اجل التعرف على شخصية الفرد بقدر ما يهمه كيفية تقديم هذه المعتقدات وهذا المنطلق خطر ، اذ هو يجري هذا البحث في بلد مسلم وفي جامعة اسلامية فعدم الاهتمام بالمعتقد يعني انه لا يبالي ان كان الذي يجرى عليهم البحث مسلمين ملتزمين او يحملون اتجاهات يسارية او يحملون اتجاهات علمانية غربية ، وانما هو يركز همه على طريقة تقديم هـذه المعتقدات ، فإذا كانت سليمة فان النتيجة هي الأمن النفسي للفـرد ، وان لم تكن الطريقة التي تقدم بها المعتقدات سليمة فان النتيجة هـي عدم الامن النفسي ؟ . .

ولا ينكر احد فالطريقة مرعالقيم والمعتقدات من اثرعلى الاشخاص ولكن لعرلها من الأهمية او الاثر ما يساوى اهمية صحة المعتقدات والقيم او عدمه .

ان الامن النفسى لا يتوافر الا مع وجود المعتقدات والقيم الصحيحـــة فاذا كانت كذلك كان الامن النفسى متوافرا فى الافراد .

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهمبذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب "(١) ومن المعلوم ان ذكر الله يكون باللسان وبالقلب " استشعار عظمة اللـــه " او ذكر نعمه وآلائه العظيمة .

ولقد وصف الله النفس المؤمنة بالله بانها نفس مطمئنة . فقال تعالى : " يا ايتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فـــى عبادى وادخلى جنتى " الفجر : ٢٧ - ٣٠

ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن فى اطمئنانه النفسى وامنـــه بقوله " عجبا لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذاك لاحد الا للمؤ ـــــن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له "(٢)

ان المؤمن امره كله خير له فهو ان اصابته سراء وشكر الله زاده اللـــه فاطمئن وان اصابته ضراء وصبر انزل الله عليه السكينة فاطمئن .

اما غير المؤمن فإن اصابته سراء ولم يشكر الله وانما يقول : انما اوتيتـــه على علم عندى [illegible] على الله وضالا . وان اصابته الضـــراء [illegible] فى حيرة واضطراب وقلق نفسى !

...

---

(١) سورة الرعد الاية ٢٨ .
(٢) اخرجه احمد ومسلم عن صهيب وهذا لفظ مسلم . انظر ج٤ ص ٢٢٩٥ . وانظر مسند الامام احمد : ٣٣٢/٤ ، ١٥/٦٠ الاولى من رواية [illegible] وحجاج عن سليمان بن المغيرة والثانية من رواية عبد الرحمن بن المهدى عن سليمان مع اختلاف يسير فى الالفاظ بين الروايتين وبينهما وبين رواية مسلم .

ويؤلف الدكتور نبيه ياسين كتابا بعنوان " ابعاد متطورة في للفكر التربوي " فيأتي في اهدائه هذه العبارة :
" الى كل من يؤمن بوحدانية العلم كمعبر نحو مستقبل افضل "(1) .

ان المسلم لا يعلم ان هناك وحدانية الا لله سبحانه وتعالى . أما العلم فان له ثنائيا مقابلا هو الجهل ، واقبحه الجهل بالله سبحانه وتعالى وبما يجب له من العبادة والجهل بما يجب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم من الاتباع والصبر ثنائيه عدم الصبر والصدق ثنائيه الكذب .

ولذا فان استخدام هذا الاسلوب ينبيء عن ان الكاتب يقصد العلم بما يحمل من صواب وخطأ .

ان الايمان بالعلم وحده دون ان يكون ملازما له الايمان بالله ضلال وانحراف عن الطريق المستقيم لان الله سبحانه وتعالى قرن العلم باسمه الكريم فقال تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق .. " (العلق : ١) فلابد ان يكون سائرا على المنهج الاسلامي حتى يعطي الثمار السليمة التي لا تدمر البشر .

ومن يؤمن بالعلم وحده ولا يهتدى بنور الله في هذا المجال يضِلُّ ويُضِلُّ غيره لان فكره لا يقوم حينئذ على خلق يحده بالاخلاص والتجرد والامانة ونكران الذات وهي خلال تدعو من يلتزم بها الى توجيه علمه لمصلحة البشر جميعا مبتغيا بذلك مرضاة الله وغفرانه .

---

(1) ابعاد متطورة للفكر التربوي : ٥ . وانظر ماسبق من البحث عند الحديث عن الافكار والنظريات التي اعتنقها التربويون المسلمون .

الفصل الثاني

أثر العلمانية في التعليم الرسمي

المبحث الاول : الجهود الفكرية والعملية التي بذلت لعلمنة التعليم منذ أوائل عهد الاستعمار الى اوائل عهد الاستقلال .

...

البحث الاول :ـ

- الجهود الفكريه والعمليه التى بذلت لعلمنة التعلم منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال .

كان المسلمون فى القرون الاخيرة وخاصة القرن الميلادى الماضى يعيشون فى حالة ركود علمى وفكرى ، ولم يبق لهم غير القوة العسكرية التى حافظ بها العثمانيون على العالم الاسلامى مما جعل المسلمين فى معزل عن التأثير بالغربيين وهم فى هذه الحالة من الركود . غير أن الامر تغير بعد أن هزمت الدولة العثمانية امام النمسا عام ١٦٩٩ م ووقعت مع النمسا اتفاقية "كرلوينتز" كدولة مهزومة ففكر الحكام فى حل لهذه المعضلة فكان أن طبقوا أسلوب التسلح والتدريب الاوروبى وذلك يحتاج الى استقدام المدربين الاوروبيين ليدربوا الجيش العثمانى على السلاح الاوروبى . واستمرت الحكومة العثمانية طيلة القرن الثامن عشر فى استقدام المدربين والخبراء ، وكان هذا أول اتصال بين الاوروبيين وطائفة من المسلمين هم العسكريون ، ثم جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ومع الحملة مائة وعشرون عالماً فى مختلف التخصصات فكان هذا الاتصال الثانى بين المسلمين والاوروبيين ولكنه أوسع من الاول وكان له تأثير واسع فى الافكار والاخلاق ـ وان كان قد لقى مقاومة فن عامة المجتمع المصرى المسلم ـ ثم جاء دور محمد على باشا الذى بعث البعثات الدراسية الى ايطاليا ثم فرنسا وانجلترا والنمسا وأنشأ المدارس الحديثة فى مصر وحارب الازهر وضيق عليه وفعل مثله محمود الثانى الذى بعث طلابا من تركيا الى فرنسا أيضا ؟ ثم احتلت الدول الغربية أجزاء كثيرة من الوطن الاسلامى وكان أثر الاحتلال البريطانى على مصر والهند واضحا فى المخططات التى نفذت فى البلدين ، والتى تضمنت محاربة التعليم الاسلامى بالمعنى الواسع لهذا التعليم . وكان للازهر النصيب الاكبر فى المحاربة والتضييق باسم التطوير ، وساعد الانجليز فى ذلك قبل رحيلهم محمد عبده ، وبعد رحيلهم طه حسين .

سوف أوضح في الصفحات التالية ذلك :

ففي مصر حين تولى محمد على باشا حكمها مستقلا عن الدولـــــة العثمانية عام ١٨٠٥م بعث أول بعثة دراسية عام ١٨٠٩م ، وأنشأ المدارس الحديثة على النمط الأوربي وجعل من مهامها تخريج الأطباء والمهندسين ورجال القضاء !! وحارب الأزهر بتجديده لاعتقاده أنه سوف يصطدم برجالـه ان هو حاول تجديده .

يقول المستشرق هاملتون جب عن المدارس التي أنشأها محمد علــــي باشا ما يلي :

"... ولا بد لنا من البحث عن جذور هذه الحركات بشيء مـــــن التفصيل ففي القرن التاسع عشر الذي أتى على العالم العربي وهو ما يـــزال يلتمس خطاه للنهوض من كبوته التي عقبت فترة تألقه في القرون الوسطـــى مع تمسكه الشديد بتراثه القديم وفي هذا القرن كانت الأفكار الغربيـــــة آخذة في التغلغل الى العالم العربي يوما بعد يوم ، وبينما كانت الآثــــار الأدبية التي ظهرت في أوائل ذلك القرن مجرد استمرار للعصور التي سبقت كان تيار من الفكر الغربي والفرنسي منه بوجه خاص يتسرب الى عقول فئتـــين من تلك الجماعة في مركزين متباعدين هما مصر وسوريا ومن مصدرين مختلفـين أشد الاختلاف في غاياتهما وطرائقهما .

أما في مصر فقد كانت المصادر الأولى التي أخذ الفكر الأوربي يشـــع منها هي المدارس المهنية التي أنشأها محمد علي والبعثات العلمية الـــتي أرسلها الى أوربا .

كانت الغاية الأولى لتلك المدارس التي أنشأت على غرار النمـــــاذج الأوربية وكانت في أكثر الأحيان تحت اشراف الأوربيين هي تخريج الأطبـــاء والموظفين ورجال القضاء والخبراء المهنيين من كل نوع وذلك كي ينهضـــوا بالمشروعات العظيمة التي كان يرسمها الباشا وكان من المحتوم أن يتطــــلع الخريجون الى نواحي من الثقافة الغربية غير تلك التي كانوا يدرسونهــــا

وخاصة الأدب الفرنسي كانت هذه هي الحال بوجه خاص في مدرسة الألسن التي كان يشرف عليها العالم الفذ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) (١)

والأمر العجيب هو أن تكون هذه المدارس تخرج رجال القضاء وتحت اشراف الأوروبيين !! فإما أن يكون المشرفون على تخريج القضاة من المستشرقين ومعلوم مدى محاربة المستشرقين للاسلام عن طريق الدراسات الاسلامية المحرفة وفي هذا ضرر كبير على هؤلاء الخريجين ، وإما أن يكون المشرفون من رجال القانون العلمانيين فهؤلاء سيدرسون الطلاب حسب ما يعرفونه من القوانين العلمانية في الأحوال الشخصية أو القانون المدني ، أو القانون الدولي وفي هذا من الشر على المجتمع الاسلامي ما بقي أثره حتى يومنا هذا في البلاد الاسلامية التي تطبق القوانين الوضعية .

وساعد هذه المدارس والمدرسين الأوروبيين على افساد أفكار الخريجين ما يطلع عليه الخريجون من ثقافة الغرب التي أشار اليها " جب " بلغتها الأصلية أو عن طريق الترجمة ، ومن المعلوم أن المقصود بثقافة الغرب اذا أطلقت هي أفكار الغربيين وأدبهم الذي يحمل خصائص أفكارهم .

وسوف أتتبع هذا الجزء من البحث والجهود الرئيسية التي بذلت من قبل الاستعمار ومن عاون المستعمرين لعلمنة التعليم في العالم الاسلامي منذ أوائل عهد الاستعمار الى أوائل عهد الاستقلال خاصة الجهود التي بذلت لما سمي بتطوير الأزهر . فأقول ومن الله أستمد العون :

كانت المدارس في العالم الاسلامي ومنها الأزهر تتضمن دراسة علوم شتى من العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية والعلوم الطبيعية " التطبيقية "

يقول د . سعيد مرسي احمد وزميله عن المدرسة الفاضلية ما يلي :

" المدرسة الفاضلية : نسبة الى القاضي الفاضل ،بناها سنة ٥٨٠ ، ولهذه المدرسة شهرة في التاريخ ، ومرجع ذلك الى المكتبة العظيمة التي

---

(١) دراسات في حضارة الاسلام : ٣٢٠ ، ٣٢١ .

الحقها القاضي الفاضل بهذه المدرسة رجع فيها من كتب العصر الفاطمي وحده مائة الف مجلد !

وإذا كان المفروض في المدرسة في ذلك الوقت أن تكون مركزا للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها ، الا أن الأمر تغير بعد ذلك حيث دخلتها علوم أخرى ، كالنحو والفلسفة والعلوم الطبيعية "(١)

وأما الأزهر فقد كانت تدرس فيه العلوم الطبيعية ـ التي كانت سببا للتقدم المادي للغربيين ـ منذ تأسيسه في عهد الدولة الفاطمية " العبيدية " ، ثم في عهد الأيوبيين ، ثم في عهد المماليك قل المشتغلون بها .

يقول د . احمد شلبي ورفيقه عن الأزهر في عهد العبيديين :

" ... وتستطيع أن نتبين من تاريخ علماء الأزهر ومن مؤلفاتهم علوما أخرى كانت تدرس به مثل المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك والميقات لأن الفاطميين كانوا مشغوفين بالعلوم ، وهم الذين أنشأوا في القاهرة مرصدا ودارا للحكمة ، ومكتبة حافلة يقال أنها تضم مائة الف كتاب في صنوف المعرفة ، منها ستة آلاف كتاب في الطب ، وكسرتان سماويتان احداهما من الفضة يقال أنها من صنع بطليموس ، ومنها خريطة جغرافية على الحرير فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ... "(٢)

ويذكر د . سعد مرسي احمد ورفيقه أن الأزهر في عهد الأيوبيين : قد بدأ بدراسة الفقه على المذاهب الأربعة وبعض العلوم الحديثة كالحساب ، والهندسة والفلك مما أكسب الأزهر أهمية كبرى وشهرة في العالم الاسلامي أجمع . (٣)

ويحدثنا د . احمد شلبي ورفيقه عن الأزهر في عهد المماليك فيقول :

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ١٦١ .
(٢) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .
(٣) تاريخ التربية والتعليم : ١٨٢ .

" وكان أول ما درس فى عهد المماليك من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الشافعى ثم أدخلت المذاهب الأخرى .

يضاف الى ذلك تدريس العلوم الدينية كلها ، وتدريس العلوم بالوسائل التى تساعد على تفهمها واتقانها مثل النحو والصرف والبلاغة ، وتفوق فيهما كثير من العلماء مثل عزالدين بن عبد السلام ، والسبكى ، والعراقى ، وابن هشام والسيوطى والزيلعى وابن حجر .

على أن العلوم الرياضية وغيرها من العلوم كانت تدرس مع العلوم الدينية والعلوم الوسائل ، وان كان المشتغلون بها قلة "(١)

ومن الدلائل التى تدل على أن الازهر كان يشتمل على تدريس كافة العلوم غير ما ذكرته اللائحة التى رفعها الشيخ مصطفى محمد العروسى الى الخديوى اسماعيل عام ١٢٨٢-١٨٦٤م . وكان مما تضمنته قوله :

" . . . اذا كان الأزهر قد كسب شهرة عالمية بأنه مشحون بالعلماء المختصين والفضلاء الراسخين فى كل علم من العلوم الشرعية والعقلية والرياضية " والحال الآن بخلاف ذلك فعلا . . فقد وجب العمل على اعادة ما كان للأزهر من فضل فى مثل هذه المجالات العلمية . . . "(٢)

ومن الدلائل أيضا على اهتمام الأزهر بتدريس العلوم الطبيعية "التطبيقية" ضمن ما يدرسه لتلاميذه أن الجبرتى أورد فى كتابه عجائب الآثار اسماء أشخاص كثيرين نبغوا فى هذه العلوم بالنسبة لعصرهم .

" فمنهم العلامة " رضوان أفندى الفلكى " المتوفى عام ١١٢٢هـ(١٧١٠م) ومنهم العلامة " رمضان ابن صالح بن عمر السفطى الخوانكى الفلكى المتوفى عام ١١٥٨هـ(١٧٤٥م) .

ومنهم العلامة " جمال الدين بن يوسف الذى قال عنه الجبرتى بأنه توجهت همته للعلوم الرياضية كالهيئة والهندسة والحساب والرسم . "(٣)

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره : ٢٧٥ .
(٢) تاريخ التربية والتعليم : ٢٨٥ ، ٢٨٦
(٣) عجائب الآثار : ١/ ١٣٠، ١٣١ ، ٢٤١-٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
لترجمة كل من رضوان ، ورمضان وجمال الدين على التوالى .

ومنهم العلامة عبد السلام أفندى المتوفى عام ١١٩٢هـ(١٧٧٨) الذى قال عنه الجبرتى بأنه كان له تعلق بالرياضيات وقرأ على والد الجبرتى أشياء فى ذلك واقتنى آلات فلكية نفيسه بيعت فى تركته . (١)

ومنهم العلامة عبد الله بن خزام الفيومى الذى توفى عام ١١٩٤(١٢٨٠م) وذكر الجبرتى أن له معرفة تامة بالفنون الغريبة كالفلك ، والهيئة ، والميقات وعنده آلات فى ذلك . (٢)

ومنهم والد الجبرتى الذى قال عنه " درس أشكال التأسيس فى الهندسة وتحرير أقليدس ، والمتوسطات والمبادىء والغايات والأكر وعلم الارتماطيقى والجغرافيا وعلم المساحة "(٣)

فلما تولى أمر مصر محمد على باشا أراد أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر لكنه خشى معارضة الأزهريين فصرف النظر عن ذلك وأنشأ نظامه التعليمى الحديث ،وهكذا انقسم التعليم فى مصر الى نظام دينى ونظام مدنى حديث "(٤)

ولذا أهمل الأزهر والكتاتيب لأنهما لا يستطيعان مده بالقوى البشرية المطلوبة كما تصور بل أنه لم يقف عند هذا الحد اذا كان يتحين الفرص للنيل من الأزهر ورجاله فصادر الأراضى الموقوفة على الأزهر .

يقول " فولرز " :

" لم يتردد محمد على فى أن يصادر الأراضى الموقوفه على الأزهر وهى واسعة الرقعة بالرغم من أنها موقوفه عليه . وبذلك أوقع اضرارا بليغة بالأساتذة والطلاب. (٥)

---

(١) عجائب الآثار: ٥٢٨/١، ٥٢٩.
(٢) نفس المصدر : ٥٦٣/١، ٥٦٤.
(٣) نفس المصدر : ٤٥٣/١.
(٤) تاريخ ونظام التعليم فى مصر : ٧٩.
(٥) تاريخ التربية والتعليم : ٢٤٨.

وقد كان لمصادرة الأراضي الموقوفة هذه أثر سيء على الأزهر فقد قسل عدد الطلاب الذين كانوا يؤمون الأزهر خاصة الذين ينتمون الى الأروقـــة وهذا بالتالي ينعكس أثره على المجتمع قلة في المتخصصين في العلـــوم الاسلامية .

يوضح ذلك ما قاله "لسين" الذى وفد الى القاهرة بعد مصادرة الأراضي اذ يقول :

"... انه بعد أن نزعت ملكية الأراضي التي كانت مملوكة للأزهـــــر ، قل عدد الطلبة الذين ينتمون الى الأروقة قلة ظاهرة ." (١)

وجاء عهد اسماعيل باشا الذى كان مستغربا فرأى أن يحارب الأزهـــر عن طريق عزله عن المجتمع بقصر الدراسات فيه على الد اسات الشرعيـــة واللغوية اذ أصدر قانونا بتنظيم الأزهر عام ١٨٧٢ م ونصت الفقرة "ب" منه على ما يلي :

" تحديد الدراسات التي تعطى بالأزهر باحدى عشرة مادة هي : الفقه والأصول والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق " (٢)

واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ م في عهد الخديوي اسماعيل باشا ، آنف الذكر وحاربوا الأزهر بطريقة ماكرة غير مباشرة وذلك بانشاء المدارس الحكومية التي يتخرج منها الطلاب فتعينهم الدولة في وظائفها العامة دون طلاب الأزهر وهذا يقل عدد الطلاب الذين يتجهون الى الأزهر

---

(١) تاريخ التربية والتعليم : ٤٩٠ .
(٢) تاريخ ونظام التعليم في مصر : ١٠٥ والأزهر تاريخه وتطوره : ٢٤٦ وفيه أن الشيخ المهدى هو الذى استصدر القانون من الخديوى .

يقول الاستاذ محمد قطب :

" وكان هدم الازهر بطريقة مباشرة أمراً لا يفكر فيه الاستعمار البريطاني بطريقته الملتوية البطيئة الماكرة ، فقد رأى كيف كانت حماقة الفرنسيين من قبل أيام الحملة الفرنسية ، حين استباحوا الازهر لخيولهم ، سببا مباشرا من أسباب ثورة الشعب ، ورأو كذلك كيف كانت حملات التبشير التي تهاجم العقيدة الاسلامية مهاجمة مباشرة تؤدي الى عكس المطلوب منها اذ تنبه المسلمين للخطر ، وتزيدهم استمساكا بالاسلام ." (١)

ثم يقول :

" لم يكن الأمر في حاجة الى مزيد من الاغراء . فمن ذا الذي يبعث بابنه بعد اليوم الى الازهر - الا الفقراء العاجزون عن دفع المصروفات - وهو يرى له المستقبل المضمون في وظيفة الحكومة ، حيث يرطن بلغة السادة المستعمرين ؟

وانصرف الناس - القادرون - من ذوات أنفسهم عن الازهر واتجهوا الى مدارس الحكومة بعد الثورة الأولى التي ثارها الحس الباطني المسلم على هذه المدارس " الكافرة " التي لا تعلم القرآن ولا تعلم الدين .. وأصبح هؤلاء المتعلمون طبقة جديدة ، تستمد طبقيتها من أنها من أبناء الاشراف أولا ، ومن مركزها الاجتماعي في وظيفة الحكومة ثانيا .. ومن التشجيع الظاهر والخفي الذي تلقاه من سلطات الاستعمار بعد هذا وذاك ." (٢)

ولعل أعظم من تجرأ في القرن الماضي على الازهر وتعاون مع الانجليز على ما سمي بتطويره وتجديده هو (الشيخ) محمد عبده ، شعورا منه بالنقص ، وقد حقق أهداف المستعمرين من فتح المجال أمام كل داع لاصلاح الازهر على الطريقة التي يراها ولذا نجد أن المستشرقين يثنون عليه في عمله هذا .

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) نفس المصدر : ١٣٦ ، ١٣٧ .

ويكفى أن نعرف مقدار اعزاز محمد عبده للأزهر اذا علمنا أنه كان يطلق عليه "الاسطبل ، المارستان ، المخروب" ، وأنه اعترف أنه مكث عشر سنوات يزيل من دماغه ما علق به من وساخة الازهر . كذا !!!

يقول الشيخ رشيد رضا :

" ولقد كان على شدة عنايته بالازهر وأهله والدفاع عنهم والمغالاة في تكريمهم ، شديد الاحتقار لهم في نفسه ، الأفراد منهم - وكان للأزهر عنده ثلاثة ألقاب يطلقها عليه المرة بعد المرة أمام بعض الخواص ، عند شدة تألمه من فساد حالهم ، وهى : الاسطبل ، والمارستان ، والمخروب (بهذا اللفظ العامى)"(١)

" وقد أجاب محمد عبده الشيخ محمد البحيرى على جملة أنت قد تعلمت في الأزهر بقوله ان كان لى حظ من العلم الصحيح الذى تذكر فانني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الازهر وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة "(٢)

وليت الشيخ محمد عبده سلك الطريق السليم للاصلاح المنشود للأزهر لكان لدعوته أثر جيد لاصلاح الأزهر الاصلاح السليم ، ولكن أن ينتهج الشيخ محمد عبده هذا الأسلوب فلا ريب أن الشيخ محمد عبده كان يتملكه شعور بالنقص لتخرجه من هذا المعهد الاسلامي العتيد .

وقد سر المستعمرون من رجال الادارة الانجليزية في مصر والمستشرقون لهذا الطريق الذى انتهجه الشيخ محمد عبده وشجعوه حتى أصبح له تلاميذ سلكوا نفس الطريق .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : ١ /٤٩٥ .

(٢) الفكر الاسلامي المعاصر : ٣٤ ، ٣٥ .

وأكتفي هنا بذكر ما قاله " جب " عن محمد عبده وتلاميذه وطريقهم في الاصلاح :

" ان تلاميذه الحقيقيين يمتزجون بالصفوف التي أنشئت انشاءاً أوربياً وينضمون للحلقات العلمانية . . . ومن ناحية أخرى نجد الشيخ محمد عبده قد صنع جسراً فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي عن التعليم المصري الخاضع لمذهب المقلدين الذي عزا الشرق من الغرب "(١)

وانتهى الاستعمار وجلى عن مصر بجيوشه العسكرية ولكن بقى من يخلفه وللاسف في الدعوة الى علمنة التعليم وما سمى بتطوير الازهر واصلاحه ، فقد دعا طه حسين في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " الذي ألفه عام ١٩٣٦ الى ما يلي :

١- تطوير تدريس الازهر للغة العربية لأن تدريسه لها غير مجدي .
٢- اشراف وزارة المعارف على التعليم الاولي والثانوي الازهري .
٣- ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم الوطنية والقومية الاوربية .
٤- صياغة طلاب الازهر صياغة أوربية .

ومن الافضل أن أنقل آرائه والتي سطرها بنصوصها لانها ذات دلالة واضحة لاتحتاج الى جهد في فهم مغازيها . ومن الامور الملفتة للنظر في أفكار هذا الرجل أن الصراع ومشتقات الصراع بين القديم والحديث هي نقطة الارتكاز لأفكاره فهو يناصر الحديث باطلاق ضد القديم باطلاق .

يقول :

" . . . وقد استبقينا الازهر الشريف نفسه . ولكن أزمة الازهر الشريف متصلة منذ عهد اسماعيل أو قبله ، ولم تنته بعد ، حتى تنتهي الى مستقر لها في يوم من الايام "(٢)

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام : ٨٤ .
(٢) مستقبل الثقافة في مصر : ٣٣ .

ويقول في دعوته الى اصلاح تعليم اللغة في الأزهر ما يلي :

" ... وأغرب من ذلك وأشد منه خطرا أن المشرفين على الأمور في مصر والمشرفين على التعليم خاصة يؤمنون فيما بينهم وبين خاصتهم اذا خلوا اليهم بأن احتكار الأزهر للاشراف على اللغة والقيام دونها يضر أكثر مما ينفع ويفسد اكثر مما يصلح ، لأن الأزهر لم يتهيأ بعد للنهوض بهذه المهمة الخطيرة حسب ما تقتضيه الحياة الحديثة . فلا هو الأزهر - كسب من حرية الرأى ، ولا هو حصل من العلم الحديث ، ولا هو عرف من اللغات السامية ، ولا هو أتقن من علوم اللغة اشرافه - على اللغة العربية - نافعا مفيدا " (١)

ويقول :

" يجب اذا أن : نعرض عن هذه الأسطورة التى بعد عليها العهد وأخنى عليها الذى أخنى على البد ، وأن ننظر الى اللغة العربية نظرة مدنية صريحة * وأن تعالج أمورها كلها على هذا النحو ، في غير تردد ولا اضطراب وفي غير خوف ولا اشفاق !!

اننا انتهينا الى عصر يجب أن تكسد فيه سوق التجارة باتهام الناس بالخروج على الدين !! " (٢)

ويقول أيضا :

" ... فقد أحس المشرفون على شئون التعليم منذ أكثر من نصف قرن أن تعلم اللغة العربية يحتاج الى كثير من العناية ، ليصبح ملائما للتقدم الذى ظفرنا به في التعليم المدني ! وأحسوا أن الأزهر لا يستطيع أن ينهض بهذه المهمة لمكانة حينئذ من المحافظة ، والامتناع على التجديد ، والعجز عن أن يسيغ العلم الحديث ، عن أن يقبل التفكير فيه " (٣)

---

* أى نظرة علمانية لا ترتبط بالدين ، أى لا ترتبط بالقول أن اللغة العربية اداة للفكر الاسلامى وجزء رئيسى من أجزاء الاسلام.

(١ ، ٢) مستقبل الثقافة في مصر : ٣٣٢ ، ٣٤٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢٧٨ .

ويقول فى الدعوة الى اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولـــــى والثانوى الأزهرى ما يلى :

" ولا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر الى الملاءمـــة بين تفكيره وبين التفكير الحديث . والنتيجة الطبيعية لهذا أننا اذا تركنـا الصبية والأحداث للتعليم الأزهرى الخالص ، ولم نشملهم بعناية الدولـــة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة ، عرضناهم لأن يصاغوا صيغة قديمــة ، ويكونوا تكوينا قديما ، وباعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التى لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التى تقوم فى سبيلهم حين يرشدون وحين ينهضون بأعباء الحياة العملية . فالمصلحـة الوطنية العامة من جهة ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقضيان اشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى والثانوى فى الأزهر "(١)

وهو بهذه الدعوة يقصد الى أن لا يكون للأزهر اشراف على شىء مـــن التعليم العام ولكن لماذا ؟ لأن العقلية الأزهرية قديمة ـ أى محافظـة ـ وسوف يصاغ التلاميذ صياغة فكرية قديمة أن بقى الأزهر بمعزل عن اشراف وزارة المعارف .

أما دعوته الى ادخال الثقافة الحديثة لتدخل معها مفاهيم التوجيه والوطنية فيمثلها قوله :

" . . . شىء آخر لا بد من التفكير فيه والطلب له ، وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر اساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوروبى الحديث .

وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث الى المسلمين من طريق الراديو فى موسم من المواسم الدينية فيعلن اليهم أن محور القضية يجب أن يكون القبلة المطهرة . وهذا صحيح حين يتحدث شيخ مـن شيوخ الأزهر المسلمين الى المسلمين ، ولكن الشباب الأزهريين يجب أن

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٧٥ ، ٧٦ .

يتعلموا فى خلوتهم وشبابهم أن هناك محور الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية الضيقة لأرض الوطن* ولست أرى بأسا على الشيخ الأكبر ولا على زملائه من أن يتصوروا القومية الاسلامية كما تصورها المسلمون منذ أقدم العصور الى هذه الأيام . ولكن هناك صورة جديدة للقومية الوطنية قد نشأت فى هذا العصر الحديث ، وقامت عليها حياة الأمم وعلاقاتها ، وقد نقلت الى مصر ما نقل اليها من نتائج الحضارة الحديثة . فلا بد أن تدخل هذه الصورة الحديثة فى الأزهر وهى انما تدخل فيه من طريق التعليم الأولى والثانوى على النحو الذى رسمناه وبالطريقة التى رسمناها باشراف السلطان العام "(١)

وأما دعوته الى صياغة طلاب الأزهر صياغة أوروبية فيمثله قوله ـ معرضا بمن ساهم رجال الدين الأزهريين المتأثرين بعقلية القرون الوسطى ـ ما يلى :

"... والشر كل الشر أن يتحدث رجل الدين الى الناس فلا يفهمون عنه لأنه " قديم " وهم " محدثون ". وان يتحدث الى سائر " رجل الدين " فلا يفهم عنهم لأنهم " محدثون " وهو " قديم " . ولا ينبغى أن يغتر الأزهر لأن الناس يسمعون له الآن ويفهمون عنه بعض الشئ" فكثرة المصريين لا تزال متأثرة بعقلية القرون الوسطى . ولكن طبيعة الحياة ستخرجها غدا أو بعد غد عن هذا الطور وستصوغ الأجيال الناشئة والأجيال المقبلة صيغة أوروبية فلا بد أن يجارى الأزهر هذا التطور ليكون اتصاله بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجدى وأقوى من اتصاله بالأجيال الماضية والأجيال الحاضرة"(٢)

وهو بهذه الدعوات يحقق ما تمناه المستعمرون الانجليز ـ رغم أنه ليس من خريجى الأزهر ـ الذين كان يتمنى كرومر أن يتم على يديهم تحقيق ما أسماه بتطوير الأزهر "(٣)

---

* انظر كيف انحسر مفهوم الوطن عند المستغربين بعد أن كانت كل أرض المسلمين وطنا للمسلم .

(١) المصدر السابق : ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٣٥٢ .

(٣) أساليب الغزو الفكرى : ٦٢ ، ٦٣ لمعرفة ما قاله كرومر .

وفي عام ١٩٦١ صدر قانون تنظيم واصلاح الأزهر الذي بموجبه أدخلت في كلية الشريعة دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والشرائع السابقة وبين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وزادت العناية بالدراسات القانونية.[1]

والمقارنة بين الشريعة الاسلامية التي نزلت بالوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رب الناس العالم بما يصلحهم ،وبين القوانين الوضعية التي وضعها البشر الناقصون تنبئ عن تساوي الشريعة والقوانين الوضعية عند من يقربمبدأ المقارنة ، ولا ريب أن الناقص لا يساوي الكامل ، وما يصدر عن الناقص من قوانين وتشريعات ، لا يساوي ولا يوازي في كماله وشموله ما أنزله الله سبحانه وتعالى من تشريع على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
وهكذا استطاع المفسدون الوصول الى أهم معقل من معاقل الاسلام وهو كلية الشريعة ليدخلوا معها ما يزاحمها من قوانين البشر الناقصة لتدرس للطلاب كما يدرس لهم تشريع الله سبحانه وتعالى .

هذا ما كان بالنسبة للأزهر وهو أحد المعاقل الاسلامية المتيدة وأشهرها ، فماذا كان بالنسبة للمدارس الأخرى في البلاد الاسلامية ؛
في مصر كان للاستعمار البريطاني مخطط رهيب وضعه " دنلوب " وتابع تنفيذه حتى أدى أغراضه فخرج البريطانيون وقد اطمأنوا الى أنهم ربوا جماعة تقوم بتنفيذ التغريب كاملا بعد رحيلهم .

وهذه أهم معالم مخطط دنلوب التي وضعها ونفذها في المدارس الحكومية :
١- تخريج أعداد من العبيد الذين يؤمرون فيطيعون دون مناقشة أو على الأقل تخريج موظفين .
٢- قتل روح الابتكار في نفوس التلاميذ ليستمر المجتمع الاسلامي في مصر وغيرها عالة على الغرب فيما يحتاج الى ابتكار .

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره : ٤٧٠ .

٣- قتل روح الانتماء الى الأمة الاسلامية وربط التلاميذ بأوربا عامة وبريطانيا خاصة .

٤- اهمال تعليم القرآن وعلوم الدين عموما عن طريق وضع حصص القرآن والدين فى نهاية اليوم الدراسى ، وايكال تدريسها الى أحد مدرس .

٥- تدريس التاريخ الاسلامى بصورة مشوهة تؤدى الى قناعة التلاميذ بأنه قد انتهى دور الاسلام .

٦- محاربة اللغة العربية عن طريق خفض مرتبات مدرسيها .

٧- ابطال الكتب القديمة التى كانت تربى فى الشباب المصرى الذاتية .

٨- محاربة التعليم العالى .

هذه هى أهم المعالم فى سياسة دنلوب التعليمية .

يقول الأستاذ محب الدين الخطيب فى توضيح الفقرة الأولى من هذه المعالم :

" ... كان الغرض الدنلوبى تخريج طبقة من الشبان تصلح لأن تكون فى دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رؤوس انجليزية وتسير بها فى خطط لم يكن معروفا الى أين تؤدى ،والواقع أنها تؤدى الى جعل مصر بلدا دوليا (انترناشيونال) "(١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن هذه الفقرة :

" ... وما كان الانجليز فى ذلك الحين يجهلون أصول التربية الصحيحة ولا وسائل التعليم الحقة . ولا كانت مدارسهم فى انجلترا تدار بأساليب العبودية التى كانوا يديرون بها مدارس الحكومة فى مصر . ولكن السياسة التى رسمها دنلوب لم تكن تهدف الى تخريج متعلمين ، وانما تهدف الى تخريج عدد من العبيد يؤمرون فيطيعون ،ويشار اليهم فينفذون "(٢)

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ٨٢ .
(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٧

" وفي تلك المدارس كان الناظر الانجليزي يحيط نفسه بجو من القداسة والرهبة كأنه اله يعبد ، ويسرى في النفوس منه الرعب ، وتتوجه اليه القلوب بالتوقير والتقديس ، وكانت تلك خير وسيلة - لا للتربية - وانما لزرع العبودية في النفوس ". (١)

ويقول الأستاذ محمد قطب عن قتل روح الابتكار في نفوس التلاميذ :

" . . . وفي تلك المدارس كان يدرس المقرر في سوقواحدة ، من كتاب واحد مقرر وما كان الانجليز يجهلون ان الصورة الواحدة المحددة تحدد تفكير الدارس في صور متعددة ومن زوايا مختلفة ، فيقود الذهن على التحوير والتبديل ، وينشأ من ذلك الابتكار والتطوير . وقد كانت مدارسهم في انجلترا - في ذلك الوقت ذاته - تربى تلاميذها على أن يطلعوا على الموضوع الواحد في مصار مختلفة فيتربى فيهم حب الاطلاع ، من ناحية ، والقدرة على الابتكار والاختراع من ناحية - ثم يمتحنون فيما استفادوه عن دراستهم لا فيما حفظوه عن ظهر قلب ولكنهم - في مصر - كانوا يحددون الأفهام والعقول خوفا من أن تنشأ فيها القدرة على التفكير ! . . . "(٢)

ويتحدث الأستاذ أنور الجندي عن قتل روح الانتماء الى مصر والأمة الاسلامية التي تعد مصر جزءا منها فيقول :

" . . . كما أنشأ جيشا ضخما من الانجليز حلة الشهادات الأهلية للعمل بالمدارس المصرية . وفق خطة ماكرة لخلق شعور عام بكراهية تاريخ المسلمين ولغتهم واثارة الشكوك حولهما ولطعن روح الوطنية في الشباب المصرى والقضاء على حماستهم ، وقد داسوا على كل عاطفة وطنية واضطهدوا كل شاب أظهر ميلا أو عاطفة نحو دين أو وطن ، وأنشأوا نظاما للتجسس في المدارس يطاردون به الشباب الوطني ، وحرموا على كل مدرس مصرى أن يتحدث عن تاريخ مصر أو تاريخ العرب أو تاريخ الاسلام بما يبرز عظمة أمتنا .

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٨ .

(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٧ ، ١٣٨ .

وكان أهم ما يقال أن مصر بلد زراعي ، وأنها ظلت محتلة طوال تاريخها بالفرس والرومان والأتراك وأنها لن تحكم نفسها أبدا ...»(١)

ومعنى هذا أن تاريخ الاسلام في مصر كان تاريخ احتلال والمسلمون الذين استوطنوا مصر كانوا محتلين بالفرس والرومان .

ويقول الأستاذ محمد قطب عن ذلك :

«... وفي تلك المدارس كان يلقن التلاميذ أن مصر بلد متأخر لأنه زراعي لا يمكن أن تنشأ فيه الصناعة - عنوان التقدم - لأنه ليس فيه فحم ولا حديد . وأن أوروبا على وجه العموم وانجلترا بصفة خاصة بلاد متقدمة لأنها بلاد صناعية لأن فيها الفحم والحديد ...»(٢)

وعن تدريس القرآن وعلوم الدين عموما ، ونصيبهما من الجدول الدراسي والوسائل التي اتبعت في محاربة تدريسها يقول الأستاذ محمد قطب :

«... وفي تلك المدارس لم يكن يدرس القرآن ولا الدين - الا نتفا متناثرة تضر أكثر مما تنفع . فبينما كانت المدارس التبشيرية التي يحميها الاستعمار ويمكن لها في الأرض تبدأ نشاطها اليومي بالصلاة في كنيسة المدرسة والتوجه الى الله بالدعاء المسيحي - بما في ذلك التلاميذ المسلمون قسرا عنهم - فيرتبط الدين في وجدان التلاميذ بالنشاط والتطلع ، والحياة الباكرة القوية المستشرقة ، كانت حصص القرآن والدين في مدارس الحكومة توضع في نهاية اليوم المدرسي ، وقد كل التلاميذ وملوا وحنوا الى الانفلات من سجن المدرسة البغيض الى فسحة الشارع أو رحب البيت ، وكانت هذه الحصص توكل الى أسن مدرس في المدرسة يسمل ويتخفل ، ويمثل أمام التلاميذ ضعف الحياة الفانية المنهارة .. فيرتبط الدين في وجدانهم بالعجز والفناء والشيخوخة كما يرتبط بالملل والضجر والنفور.»(٣)

(١) التربية وبناء الأجيال : ٦٦، ٦٧ .
(٢) هل نحن مسلمون : ١٣٨ .
(٣) نفس المصدر : ١٣٨ ، ١٣٩ .

هذا يحقق دنلوب هدفه اذ ينطبع فى أذهان التلاميذ المسلمين الذين يدرسون فى مدارس الحكومة أن الدين الاسلامى دين العجزة والخاملين فى حين يرتبط فى أذهان التلاميذ الذين يدرسون فى المدارس الأجنبية ان الدين النصرانى دين النشاط والحيوية .

أما عن أسلوب هذه المدارس " الدنلوبية " المسماة " وطنية " - فى تدريس التاريخ الاسلامى فيوضحه الأستاذ محمد قطب أيضا اذ يقول :

" . . . وتوسعت سياسة دنلوب ، فأنشأ بضع مدارس ثانوية تخصص المواجهة الطليعية خطوة الى الامام .

مدارس تسير على النهج ذاته فى كل شئ . . ولا تدرس شيئا عن حقيقة الاسلام !.

فما التاريخ الاسلامى الذى يدرسه التلاميذ ؟

نزل الاسلام : ١- فى قوم وثنيين يعبدون الأصنام فدعاهم الى عبادة الله الواحد . ٢- وكانوا يئدون البنات فنهاهم عن ذلك . ٣- ثم دعاهم لنشر الدعوة فكانت الغزوات والفتوح التى انتهت بانتشار الاسلام فى البقاع التى يوجد فيها اليوم !.

ومن ثم يكون الاسلام منتهيا قد فرغت مهمته ولم يعد له مهمة يؤديها فى واقع الحياة !.

فأولاً : لم يعد هناك أولئك الوثنيون عباد الأصنام الذين يدعوهم الاسلام الى عبادة الله الواحد (وقد حجب الاستعمار افريقيا وبقاعا شاسعة من آسيا) .

وثانيا لم يعد أحد يئد البنات حتى يحتاج الى دعوة الاسلام للقضاء على هذه الفعلة الشنيعة .

وثالثا : نشر الدعوة - أو الجهاد - قد توقف بحكم الظروف الدولية الحديثة ولم يعد له محل فى العالم الحديث "(١)

أما بالنسبة لخطة دنلوب فى محاربة اللغة العربية فقد تمثلت فى الحط من قيمة مدرسى اللغة العربية عن طريق جعل مرتباتهم أقل من غيرهم وليؤدى هذا الى قلة الاقبال على التخصص فى اللغة العربية فيقل عدد مدرسيها ومن ثم يوكل تدريسها الى من ليس متخصصا فيها فتكون النتيجة ضعف المستوى اللغوى للطلاب ومن ثم المثقفين عامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتكون نظرة المجتمع لمدرسى اللغة العربية نظرة فيها شىء من عدم الاحترام لأنهم ليسوا مساوين لغيرهم فى المرتب ومنهم مدرسو اللغة الانجليزية - وهذا يرمز الى عدم أهميتهم ومن ثم أهمية ما يدرسون يقول الأستاذ محمد قطب فى توضيح ذلك :

"ولم يكن ذلك كل شىء فى سياسة دنلوب القسيس . لقد كانت اللغة العربية - وما تزال - مرتبطة بالاسلام فى نفوس المسلمين العرب منهم وغير العرب سواء .

فلا بد اذن من تحقيرها والزراية بها ، حتى تنتقل الزراية والتحقير - بالطبيعة - الى ما يرتبط بها من معانى الدين .

وليكن شخص معلم اللغة العربية هو موضع الزراية والتحقير . . فبينما يقبض مدرس اللغة الانجليزية أو الجغرافيا والتاريخ أو الرياضة اثنى عشر جنيها كاملة فى الشهر تساوى فى ذلك الزمان الحياة الرغيدة والرمز الذى تتكون منه ثروات وأراضى وبيوت . . يقبض زميله مدرس اللغة العربية الذى يقوم بالعمل معه فى نفس المدرسة ، ويأخذ جدولا مماثلا من الحصص أو أكثر . . أربعة جنيهات ! "(٢)

---

(١) هل نحن مسلمون : ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٢) هل نحن مسلمون : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ويقول الاستاذ أنور الجندى عن ذلك :

" ... وفى مصر صور هذا الموقف الاستاذ محمود أبو العيون تصويرا دقيقا ، فأشار الى الدور الذى قام به القس دوجلاس دنلوب المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف وكيف اضطهد مدرسى اللغة العربية ورجالها وهاجم لابسى العمائم وحرص على الغاء كل المقررات والكتب التى كانت تدرس قبل الاحتلال واستبدلها بأخرى تختلف من حيث القضاء على روح الوطنية والرابطة العربية والاسلامية واستهدف من ذلك اضعاف اللغة العربية توطئة للقضاء على القرآن "

وأشار لورد دوفلين فى تقريره عام ١٨٨٢ الى هذا الاتجاه فقال ان أمل التقدم ضعيف فى مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحة العربية - لغة القرآن - كما فى الوقت الحاضر ."(١) وتعاون مع المستعمرين أناس من أبناء جلدتنا ويتكلمون لغتنا من أبناء المسلمين ، فقد عارض سعد زغلول حين كان ناظرا للمعارف تدريس العلوم باللغة العربية حين نوقشت هذه القضية فى الجمعية التشريعية وكانت حجته فى هذا أنه لا يوجد معلمون يقومون بهذه المهمة ولا كتب تشتمل على هذه العلوم وليس بالامكان ايجاد ذلك سريعا"(٢)

وكان من مكملات المخطط الدنلوبى ومقتضيات نجاحه الغاء كافة الكتب التى كانت تدرس فى المدارس وتربى فى الشباب روح الذاتية والاستقلالية الاسلامية .

" وقد كشفت جريدة المؤيد (٢٥ يوليو ١٨٩٩) عن نماذج من هذا العمل وقالت ان هذه الكتب كانت معارضة لهدفه من الوجهتين الدينية والسياسية وذلك بايرادها قواعد الاسلام واركانه مصحوبة بالحكم والآيات والقرآن والاحاديث التى تحث على حب الوطن* والتعاون واصلاح ذات البين وفى سبيل اعدام هذه الكتب أطن دنلوب أن مثل هذه الكتب غير وافية بحاجات التعلم

---

(١) الفصحى لغة القرآن : ١١١ .

* لا يوجد فى القرآن ولا فى السنة الحث على حب الوطن وانما الوارد فى القرآن والسنة ان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

(٢) المصدر السابق : ١٦٢ ، ١١٢ .

وأوعز الى بعض المدرسين الموالين له بأن يضعوا كتبا بديلة لها تضم خرافات لا فونتين وقصص مترجمة لا تمثل الروح العربي وتتعارض مع الذوق الاسلامي ، وقد تقدمت هذه الكتب في أسلوب نازل وعبارة سقيمة ، وأشارت المؤيد الى أن الشيخ حمزه فتح الله ناضل في سبيل اخماد رأي دنلوب فأعلن الاخير أن كل كتب المطالعة يجب أن تخلو تماما من كل ما له صلة بالدين "(١)

وقد عرض كرومر ودنلوب على عدم نشر التعليم العالي وقاوما ذلك وقد سجل ذلك كرومر في تقريره حين قال عام ١٩٠٧ :

" .. ان انجلترا لا تريد نشر التعليم العالي في مصر وأنها لا تريد الا اعداد جمهور من طبقة الافندية ليشغلوا الوظائف الثانوية في الحكومة وأن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية ، وأن زيادة التعليم تصرف عن فلاحة الارض وتعود على مصر بالافلاس "(٢)

لقد كان ومازال لمخطط دنلوب في التعليم في مصر آثار سيئة تمثلت في الأجيال المنحرفة التي تخرجت من المدارس التي أشرف دنلوب عليها ووضع خططها . وكان أسوأ الآثار أنها جعلت الشباب الذي تخرج في هذه المدارس يشعرون بأن الاسلام شيء أجنبي عنهم .

يقول الشيخ محب الدين الخطيب :

" هذه الطريقة الدنلوبية كانت لا تعني بتخريج أبناء مصر العربية المسلمة تخريجا عربيا سلما ، ان الطريقة الدنلوبية طمت شباب مصرا أن العروبة والاسلام شيء أجنبي طرأ على مصر واحتلها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز ، مع أن العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر بل هما مصر منذ نحو أربعة عشر قرنا الى الآن .

ان التعليم الدنلوبي في المدارس الثانوية أهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام وامجاد الاسلام ، فخرج لنا أبناء مجردين من سلاح الفضائل الاسلامية "(٣)

---

(١) التربية وبناء الأجيال : ٦٩ .
(٢) نفس المصدر : ٦٧ .
(٣) نفس المصدر : ٨٢ ، ٨٣ .

ويقول أحد الباحثين عن آثار سياسة دنلوب :

" ان المستر دنلوب سلك طريقا أطول فأراد أن يكتسب أولا قلوب الأطفال وانتظر ثلاثين عاما يضع في رؤوس التلاميذ ما يريده ويمنع عنها ما يريده الى أن تخرج من وزارة المعارف الجيل الأول والجيل الثاني ، فلما صارت مقاعد الوزارات وكراسي النيابة والحكم مشغلة بالذين رباهم مستر دنلوب انقلب السير وطنه واطمأن قلبه على أنه صار لا وربما كل بيت مصري من يكمل برنامج دنلوب "(١)

وهكذا أصبحت مقاليد التعليم بيد من تخرجوا من مدارس دنلوب التغريبية ، ومن هنا فقد عورضت هذه السياسة من قبل المفكرين المسلمين

ونعم ما قاله هؤلاء فقد يتهمون بالتحيز أو سوء الظن بالانجليز لنقرأ ما قاله " فالنتاين شيرول " في كتابه " المشكلة المصرية " الذي كتبه سنة ١٩٢٠ م اثر قيام ثورة ١٩١٩ .

اذ يقول :

" انه مهما اختلف المعيار الذي يمكن أن يستخدم في الحكم على النظام التعليمي الذي أقامه الاحتلال الانجليزي للشباب المصري فاننا نجد أنه لم يهدف الى خلاص بلادهم ، انه أسوأ نواحي فشلنا "(٢)

بل قال كرومر المعتمد البريطاني في مصر في تقرير له عام ١٩٠٣ م :

" ... في مصر اليوم جيل جديد يختلف عن أجداده في أمور كثيرة ، فيمكن أن تحدثه نفسه يوما أن يمد الى تلك الأركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فتكون أشد عليها من يد حكومة تحدها اليوم طبعا لارشاد قوم لا شأن لهم في الأمر (يعني الانجليز) لأنهم لا يدينون بالدين الاسلامي فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجدر بما بناء اليوم ان يشرعوا في الاصلاح ويتلافوا الأمر قبل حلوله "(٣)

وقد حدث ذلك بالفعل فتحقق ما هدف اليه دنلوب وكرومر ممثلا الاستعمار الغربي ، من ازاحة هيمنة الاسلام على مناهج التعليم ، وكان

(١) التربية وبناء الأجيال : ٨٣ .
(٢) تاريخ ونظام التعليم في جمهورية مصر العربية : ١١٨ .
(٣) التربية وبناء الأجيال : ٨١ .

بعض هؤلاء المنقذين من أبناء المسلمين ممن تخرج فى المدارس الأجنبية وبعضهم ممن تخرج فى مدارس التعليم الوطنى الذى وضع مناهجه دنلوب .

وكان لطه حسين رأى فى التعليم العام والتعليم الجامعى بعد أن خرج الاستعمار البريطانى من مصر بجيوشه ولكنه خلف أمثال طه حسين ممن يتمون عملية التقريب والعلمنه ، أما ما كان يراه فى التعليم العام فاكتفى هنا بذكر رأيه فى تعليم الدين فى مدارس الحكومة .

يقول :

" ... الواقع أن آراء الناس ومذاهبهم تختلف بالقياس الى هذه المسألة فمن الناس من يريد التعليم مدنيا خالصا ، وأن لا يكون الدين جزءا من أجزاء المنهج المقومة له ، على أن يترك للأسر النهوض بالتعليم الدينى ، وأن لا تقيم من يرى أن التعليم الدينى واجب كتعليم اللغة وكتعليم التاريخ القومى ، لأنه جزء مؤسس للشخصية الوطنية ، فلا ينبغى اهماله ولا التقصير فى ذاته . وواضح جدا أن هذا الرأى الأخير هو رأى المصريين وأن من غير المعقول أن نطلب الى المصريين الآن أن يقيموا التعليم العام فى بلادهم على أساس مدنى خالص ، وأن يترك تعليم الدين للأسر "(١)

وواضح من الجملة الأخيرة " وان من غير المعقول ..الخ " أن الدكتور طه حسين كان يعتقد أن الوقت لم يحن بعد للطلب من المصريين اقامة تعليمهم على أساس مدنى خالص .

ويتابع فى بيان رأيه حول تعليم الدين فى المرحلة الابتدائية هل يجب أم لا ؟

فيقول :

" وواضح جدا أن أمر الدين هنا كأمره فى الفصل الماضى ، يختلف باختلاف النظرة التى تنظرها اليه الدولة ، فان رأت اقامة التعليم على الفكرة

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٦٩ .

المدنية الخالصة تركت أمر الدين الى الاسرة ، ولم تقم فى سبيله المصاعب والعقبات ، وان رأت اقامته على الفكرة المدنية الدينية قسمت للتعليم الديني مكانه فى البرنامج "(١)

وهكذا فى هذه الفقرة تطور الامر الى أن يقول ان أمر تعليم الدين أو عدم تعليمه موكل الى الدولة ، وعلى هذا فالدولة ان رأت اقامة التعليم على أسس مدنى "علمانى" فلها ذلك وان رأت الدولة اقامة التعليم على أساس أن يكون للدين نصيب جعلت له نصيباً وما على الدولة الا اصدار القوانين بذلك بما أنها دولة وطنية.ثم يقول بعد ذلك :

" وما ينبغى ان نكلف المعلم الاولى تعليم الصبية تاريخ وطنهم وهو يجهل هذا التاريخ " ولا يعرفه الا مشوها منقوصا . وما ينبغى أن نكلفه تعليم الصبية جغرافيا وطنهم ، وهو يجهل هذه الكغرافيا ، ولا يعرف حدود الوطن ولا أقطاره .

وقل مثل ذلك فى اللغة ، وقيل مثل ذلك فى النظام ، وقل مثل ذلك فى الدين إن أردت أن يكون الدين جزءاً من التعليم الاولى "(٢)

وهكذا " ان أردت أن يكون الدين جزءاً من التعليم الاولى " وكأن تعليم الدين لابناء المسلمين فيه مجال للخيار فضلا عن أن تكون المناهج والمقررات تسير حسب المنهج الاسلامى الصحيح .

وطه حسين فى عرضه لآرائه يعرضها عرضاً محايداً ولا يشعر القارىء بأن له رأيا صريحاً فى الموضوع ولكن القارىء الواعى الذى يعرف مغازى الحديث ومراميه والذى يعرف أسلوب طه حسين فى عرض أفكاره لا يشك لحظة واحدة فى أنه من الداعين الى علمنة التعليم .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٨٣ . (٢) نفس المصدر : ٨٧ .

أما بالنسبة للتعليم الجامعي في مصر فقد أنشئت أول جامعة عام ١٩٠٨ كجامعة أهلية ثم أصبحت حكومية عام ١٩٢٥م فما ذا عن رسالتها في المجتمع المصري ، لندع أحمد لطفي السيد أول مديرلها يحدثنا عن ذلك . يقول :

" .. ومن رسالة الجامعة مساعدة التطور الاجتماعي بكل ما في وسعها من ضروب التجديد في اللغة ، التجديد في النثر والشعر ، التجديد في نظرة الناس الى الفنون الجميلة والبحث في وجوه ترقيتها وشيوعها ، ولا يفوتني أن أنبه الى أن هذه الرسالة تتناول أيضاً الموسيقى والغناء ، كما لهما من الأثر الطيب في الأخلاق بل لأنهما كذلك لهو جميل لا بد منه على كل أمة ترقى أسباب لهوها المرح كما عليها أن ترقى أسباب جدها العابس ... "(١)

ولا أحتاج الى توضيح المقصود بالتطور الاجتماعي ، والتجديد في اللغة والأدب وإنما أتساءل ناين التجديد في العلوم التطبيقية بفروعها المختلفة ؟

ومع تخرج الفوج الأول من الجامعة عام ١٩٢٩م قبل أول فوج من الفتيات في الجامعة وأحيط هذا بالتكتم الشديد فلم تنشر عنه الصحف ولم يتحدث عنه أحد حتى لا يثير ذلك يزعم أحمد لطفي السيد ثائرة الجامدين من دعاة الحجاب مما يدل على فساد النية لدى القائمين على الجامعة الذين عزموا على تطبيق الاختلاط في التعليم منذ البداية وهذا لا شك يثير غيرة الملتزمين بالاسلام الذين أطلق عليهم الجامدين .

يقول د . حسين فوزي النجار في بيان ذلك :

"... وتخرج أول فوج في الجامعة الجديدة عام ١٩٢٩م ، وفي ذلك العام تقدمت بعض الفتيات للالتحاق بالجامعة ورأى لطفي السيد قبولهن كغيرهم من الطلبة ما دمن حائزات على " البكالوريا" على أن يتم ذلك في هدوء فلا ينشر عنه في الصحف أو يذكره متحدث في خطاب عام حتى لا يثير التحاقهن

---

(١) أحمد لطفي السيد : ٢٧٤ .

بالجامعة ثائرة الجامدين من دعاة الحجاب والفصل بين الجنسين ، مما قد يؤدى الى حرمانهن من التعليم الجامعى لفترة تطول أو تقصر تبعاً للتطور الفكرى عند هؤلاء الجامدين وقبولهم الفكرة الاختلاط ومن عادة الحكومات أن تقف الى جانب المحافظة دون التجديد حتى لا تصدم رأى الأغلبية المحافظة »(١)

ثم يقول :

« يقول لطفى السيد أنهم أن يضعوا « الرأى العام والحكومة معا أمام الامر الواقع ، ونجحنا فى ذلك » وتخرج أول فوج من الفتيات عام ١٩٣٣م ، ثلاث فى كلية الآداب وواحدة فى كلية الحقوق » وبعد أن سرنا فى هذا النهج عشر سنوات حدث ما كنا نتوقعه فقد قامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط فلم نأبه لها ، لاننا على يقين من أن التطور الاجتماعى معنا ، وأن التطور لا غالب له ، ومعنا العدل الذى يسوى بين الاخ واخته فى أن يحصل كلاهما على أسباب كماله الخاص على السواء ، ومعنا فوق ذلك منفعة الامة من تمهيد الاسباب لتكوين العائلة المصرية على وجه يأتلف مع اطماعنا فى الارتقاء القوى ، كل أولئك جعلنا لا نحفل بهذه الضجة التى ما لبثت أن ذهب بها الزمان »(٢)

وان من يقدم على عمل ما فهو اما أن يكون محقاً أو مبطلاً فالمحق يقدم على ما يريد عمله بوضوح ودون خوف ولا وجل ، أما المبطل فانه يحاول أن يعمل عمله على حين غفلة من الاعين أن تراه أو الآذان أن تسمعه ، ودعاة التقريب والعلمنة فى أول عهد المسلمين بهم كانوا يسلكون الطريق الثانى ، وهذا ما سلكه المسئولون فى الجامعة المصرية حين قبلوا دفعة من الفتيات وكانوا يبيتون النية السيئة فى جعل التعليم مختلطاً فى هذه الجامعة فحاولوا التكتم على هذا الامر بعدم الاعلان عنه فى الصحف ، فكانوا كالسراق الذين يتحينون الغفلة فينفذون ما خططوا لسرقته ، فهم قد سرقوا من الفتاة حياءها

---

(١) ، (٢) أحمد لطفى السيد : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

حين ألبسوها جنبا لجنب مع الفتى ، وبالتالي سرقوا عفافها وصونها وسترها . ولذا فقد ثار ضدهم من أسماهم أحمد لطفي السيد الجامدين أو المطتزمين في الواقع "(١)

وهكذا بدأ التعليم الجامعي في مصر مختلطا واستمر ، وتبعه التعليم في العالم الاسلامي كله ما عدا المملكة العربية السعودية أسأل الله أن يحفظها ويحفظ أبناءها وبناتها ومجتمعها من شرور الاختلاط والدعوات المريبة الأخرى .

وقد تابع مسيرة الدعوة الى علمنة التعليم بالكتابة عن التعليم الجامعي بعض المستغربين اكتفي هنا بذكر آراء طه حسين فقد قدم أفكارا حول ما يجب أن يكون عليه التعليم الجامعي فهو يقول :

"... فهي - أي مصر - إنما أنشأت تلك الجامعة لترتفع بالشباب المصري عن ذلك التعليم الآلي الذي فرضته عليهم الظروف ، ولترقى بهم الى تعليم حر مستقل يهيئهم أو يهيء بعضهم على الأقل ليكونوا علماء أحراراً مستقلين ! والظاهر أن مصر لا تريد أن تعبث ولا أن تهزل حين تقرر أنها تريد أن تكون من شبابها علماء أحراراً مستقلين ، يشبهون أمثالهم في الأمم الأخرى ، ويثبتون لهم ويشاركونهم في الانتاج العلمي الحر المستقل الذي لا تقوم الحضارة بدونه ، ولا تستطيع أن تثبت ولا تنمو الا اذا اتخذته لها أساسا "(٢)

ومعلوم ما هو المقصود بحرية الفكر هنا في دعوته فهي الحرية الفكرية التي تسود في الغرب والتي أدت الى عزل الدين النصراني المحرف عن الحياة .

ويقول أيضا :

"٣- والوسيلة الى انشاء هذا الجيل بينة ، فيجب أن تنهض الجامعة بتهيئة معلم اللغة العربية كما تنهض بتهيئة معلم الجغرافيا والتاريخ والطبيعة

---

(١) كان أول هؤلاء المطتزمين بالاسلام- الجامدين- في نظر احمد لطفي السيد جماعة من طلاب الجامعة ثم أيدهم كتاب من خارج الجامعة كان على رأسهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ،وسوف تجد مقتطفات من مقالين للرافعي بهذا الشأن في نهاية هذا البحث .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث : ١٧٧ ، ١٧٨ .

والكيميا" . وعلى النحو الذى تهىء به هذين المعلمين ، أى على النحو الحديث الذى يهيأ الشباب لدرس العلوم الحية المعاصرة .

والجامعة وحدها فيما أعتقد قادرة على النهوض بهذه المهمة الخطيرة لأنها :

أولا : تمثل العقل العلمى ، ومناهج البحث الحديثة وتتصل اتصالا مستمرا بالحياة العلمية الأوربية ، وتسعى الى اقرار مناهج التفكير الحديث شيئا فشيئا فى هذا البلد "(١)

وحيث أن طه حسين كان يتوقع أن لا تؤخذ آراءه فى اصلاح الأزهر ويعمل بها ، ذلك لأنه سيجد من يعارض هذا الاصلاح التغريبى ، فإنه سلك طريقاً آخر للدعوة الى العلمنة ، حتى إذا فشل وعوّق فى اصلاح الأزهر على النمط الذى يريد، أجدى السبيل الآخر الذى سلكه . ذلك هو دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية على النمط الأوروبى أيضا . قال :

" ... وليس من شك أن طبيعة الحياة العصرية تقتضى أن تعنى كلية الآداب عناية خاصة بالدراسات الاسلامية على نحو علمى صحيح لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية ، وهى تعرف جهود المستشرقين فى الدراسات الاسلامية . ومن الحق عليها أن تأخذ بنصيبها من هذه الدراسات لتلائم بين جهود مصر التى ترى لنفسها زعامة البلاد الاسلامية وبين جهود الأمم الأوروبية الأخرى "(٢)

وبهذا يتضح أن ما قصده طه حسين من دعوته الى انشاء قسم للدراسات الاسلامية بالجامعة المصرية - التى يجب أن تكون مشتملة على كلية متكاملة للشريعة - إنما قصد به أن يكون منبراً لعرض آراء المستشرقين فى الاسلام ، لأن هذه الكلية تعرف جهود المستشرقين ولذا فواجب عليها أن تعرض جهودهم على طلابها .

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر : ٢٩١ .
(٢) مستقبل الثقافة فى مصر : ٣٤٥ .

هذا ما كان عليه التعليم العام والجامعي في عهد الاستعمار وأوائل عهد الاستقلال في مصر .*

أما في البلاد الاسلامية الاخرى فلم يكن الحال بأفضل مما هو عليه في مصر فالوضع السائد كان واحداً اذ الهدف الاستعماري في التعليم كان تخريج ناشئة لا تعرف من الدين الا اسمه .

يقول الدكتور محمد منير مرسي عن ذلك ما يلي :

" ... ومن الاشارات ذات المغزى عن دور الاستعمار في مناهج التربية في العالم الاسلامي اشارة تقول " ان السياسة الاستعمارية لما قضت على برامج التعليم في المدارس الابتدائية حذفت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام . وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية . ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ، ولا تعرف حقا ، فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة ." (١)

ويقول المستشرق جب في ايضاح الصورة التي كان عليها التعليم وما عمله المستعمرون ما يلي :

" ... وفي أثناء الجزء الاخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لابعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت اشراف الانجليز في مصر والهند " (٢)

ففي السودان مثلا كانت نظرة كرومر - المعتمد البريطاني في مصر والسودان - لنصيب التعليم الديني في المدارس أن تقتصر على المعلومات الأولية ، وأنه لا لزوم لأي زيادة على ذلك ، لأن الزيادة على ذلك تشكل خطورة لا مبرر لها . (٣)

---

* وانظر في مجال مدارس التعليم الحقوقي - أي التي تخرج القضاة - ماكتبه د . عبد الستار فتح الله سعيد عن أول مدرسة حقوقية انشئت بمصر في عهد اسماعيل في كتابه: الغزو الفكري و التيارات المعادية للاسلام : ١٣٠ ، ١٣١ . وانظر تقرير اللورد كرومر عن نفس القضية في كتاب الاتجاهات الوطنية : ١/٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(١) تاريخ التربية في الشرق والغرب : ٤١٠ . (٢) وجهة الاسلام : ٣٨ .

(٣) تطور التعليم في السودان : ٦٦ .

وفى شبه القارة الهندية يحدثنا د/ أ. ك . م أيوب على عن التعليم فى البنغال قبل الاستعمار فيقول " تحت عنوان : خصائص النظام التربوى الاسلامى :

" جـ- المنهج المتناسق ما يلى :

" .. كانت مناهج الدراسة شاملة ومتناسقة بحيث أن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان ترابطا بهيجا يعنى بحاجات المجتمع فى كل نواحى الحياة الدينية والثقافية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ ، فكل فروع المعرفة المألوفة فى ذلك العصر كانت مدرجة على قائدة عريضة موحدة من خطة تعليمية،كان الدين الاسلامى يمثل فيها مركز الصدارة . ومع أن الاسلام كان محور كل الخطة التربوية وأساسها فإن الترابط بين الدراسات الدينية والدنيوية كان موجوداً الى درجة معقولة ، أى بين المنقولات والمعقولات.

وبسبب هذا الترابط فقد كانت المدرسة دائما على صلة وثيقة بالمجتمع وكانت الدراسة التى تجرى فيها تخدم المجتمع وتقدمه من كل الوجوه . وان التاريخ الاجتماعى والثقافى للبنغال فى العصور الوسطى يحط الدليل الأكبر على ذلك ، فالعلماء المثقفون الذين تخرجوا من هذه المدارس كانوا يخدمون القطر كقادة دينيين ومرشدين روحيين وكذلك مصلحين اجتماعيين وأطباء وقضاة ومحامين وأدباء ومهندسين ومعماريين وفنيين . وكانوا حماة للعقيدة وحماة للوطن .

وكان هذا النظام التربوى التقليدى يعتبر هو النظام التربوى القومى فى البنغال وفى غيرها من الأقطار الاسلامية حتى أخضعت القوى الأجنبية المعادية للاسلام هذه الأقطار لسلطانها ". (١)

وبعد أن احتلت بريطانيا شبه القارة الهندية - ومنها البنغال - عام ١٧٥٧م عن طريق شركة الهند الغربية ، بدأت فى محاولة تغريب التعليم

---

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الاسلامى الأول : ٢٣/٨ .

وطنته بدأ ذلك منذ عام ١٨٣٨ حين أدخل نظام التعليم البريطاني في البنغال . جاء في تقرير لجنة التربية المدرسية لعام ١٩٣٨ ص ٧ ما يلي :

"وبقي الجدل قائما بين الانجليز والمواطنين حول لغة التعليم وطبيعته سنوات عديدة ، فالانجليز كانوا يصرون على أن تكون لغة التعليم العالي هي اللغة الانجليزية وأن يتألف محتواه من الأفكار الحديثة ، بينما كان المواطنون يرغبون بالمحافظة على دراسة المواضيع الكلاسيكية الشرقية وفقا للطرق المحلية للقطر .

" وبعد سنوات من الكفاح بين الفريقين المذكورين أعلنت محكمة المديرين في منشورها المؤرخ في سبتمبر (أيلول) ١٨٣٠ عن آرائها المحبذة للتعليم الانجليزي تحت رعاية اللورد وليام بينتيك الذي بعد أن اطلع على المحضر الذي كتبه ما كولي صادق على القرار التربوي لحكومة الهند بتاريخ ١٨٣٥/٣/٧ لصالح التعليم الانجليزي . وكان رأي الحاكم العام المستشار هو " أن الهدف العظيم للحكومة البريطانية هو اشاعة الآداب والعلوم الأوروبية بين مواطني الهند وأن الموارد المخصصة للتعليم يجب أن تستخدم للتعليم الانجليزي فقط "(١)

وفي الباكستان يصف الكولونيل عثماني الوضع التعليمي في عهد الاستعمار البريطاني فيقول :

" وعندما احتل الانجليز شبه القارة الهندية . الغيت اللغة الفارسية كلغة للبلاط وأدخلت اللغة الانجليزية لغة رسمية للادارة البريطانية وأصبحت اللغة الانجليزية هي لغة التعليم في المراحل العليا من النظام التعليمي الذي أسسه البريطانيون في شبه القارة وصار التعليم في كل مراحل معاهد التعليم الحكومية الحادا في طبيعته . ومع استيراد الكتب والمراجع لكل المواضيع الهامة من انجلترا ،كما أنشئت جامعات في كل أنحاء القطر مع السيطرة القضائية الاقليمية التامة على البرامج وعلى مستويات الامتحانات لهذه المعاهد الفرعية المرتبطة بالمعاهد الانجليزية .

(١) تقارير بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي : ٨/ ٣٦من بحث تاريخ التربية الاسلامية التقليدية في بنجلاديش.

وكان مسلموا شبه القارة الهندية لا يستطيعون أن يتصوروا تعليما لا دين فيه . ولذلك نفرت جماهير المسلمين من نظام التعليم البريطاني وقاطعته ولما كان هذا التعليم البريطاني هو الوسيلة الوحيدة للحصول على عمل أووظيفة مثمرة في الحكم البريطاني فقد بقى معظم المسلمين غير مؤهلين للتقدم الاجتماعي مما أدى الى حرمانهم ماليا واقتصاديا "(١)

وفي ماليزيا في عهد الاستقلال نرى أن التعليم الاسلامي مهمل ولهذا فان بروفيسور عبد الجليل حسن " رئيس قسم الفلسفة والعقيدة بالكلية الاسلامية يقول في اجابة على سؤال وجه اليه عن أهمية التعليم الاسلامي ما نصه :

" ٢- نوافق على ذلك لأننا نرى المشكلة الكبيرة في التعليم الاسلامي هو عدم اعتراف الحكومة بأهمية التعليم الاسلامي في البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامي ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحقة ولأن الروح الاسلامي أمر خاص بالافراد وهذا هو سر ما وصلنا اليه في الوقت الحاضر فاننا لا بد لنا من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الغرض الهام "(٢)

وفي تركيا التي لم تحتل احتلالا مباشراً بلغ التأثير الغربي العلماني مداه في الردة العقدية والفكرية العنيفة التي تسلكها مصطفى كمال لانتزاع الاسلام من قلوب الناس عن طريق التعليم .

يقول لويس توماس في بحثه - ضمن مؤتمر الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته الذى عقد في جامعة برنستون عام ١٩٤٧ - " العلاقات الداخلية والخارجية في تركيا - ما يلي :-

" ان مصطفى كمال فشل في ريف الأناضول . ولكنه نجح في (تحويل القطاع المثقف من الشعب الى حياة جديدة . . وقد مكن التعليم لهذا التحول الجديد ص ٢٧٢ "(٣)

---

(١) نفس المصدر : ٢/٤ من بحث التعليم الحديث في الباكستان .
(٢) نفس المصدر ٣/٨ .
(٣) حصوننا مهددة من داخلها في أوكار الهدامين : ٣٦٦ .

ويتضح ما كتبه الكاتب نفسه - في مؤتمر " الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة " الذى عقد بأمريكا صيف عام ١٩٥٣ - تحت عنوان الاسلام عند الاتراك - أن المقصود بالحياة الجديدة التحرر من الاسلام فهو يقول :

" ... ومع أن السلاطين الميالين الى تقليد الغرب قد عملوا الكثير منذ سنة ١٨٠٠ ليضعفوا الأنظمة الشكلية الاسلامية العثمانية ، وأن المؤثرات الغربية الخفية قد وجدت طريقها فى هذا الى أفراد الطبقة العليا بشكل أكبر ، فقد استمرت تلك الأنظمة وبقيت لها أهميتها فى التربية والقانون وغيرهما من نواحى الحياة ، غير أنه تحت زعامة " أتاتورك " القوية أخذت تلك الأنظمة الشكلية العثمانية الاسلامية تفقد سيطرتها العامة بسرعة ، وأصبح هذا المظهر من الاسلام فى الفلسفة الرسمية للدولة - سلاسل من الماضى التى كان الترك قد قيدوا أنفسهم بها طويلاً ، فجرد العلماء من مظاهر القوة والنفوذ والمال ، ولم تتخذ وسائل لتربية العلماء فى المستقبل ونتيجة لهذا لم يعد لدى تركيا أى جماعة يمتد بها من الطبقة الأولى من العلماء الدينيين المثقفين "(١)

وفى مجال التعليم العالى فتح " مصطفى كمال " الباب على مصراعيه لعلماء اليهود لتنظيم الجامعة التركية .. يقول " ليفى أبو عسل " :

" ولقد قام - أى مصطفى كمال - بفتح باب تركيا على مصراعية ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما أوتى من حسن الكياسة ونبل الغرائز ... وأستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية العصرية ، واستدعى ما يزيد على أربعين استاذاً منهم لتوضيع أقسام تلك الجامعة "(٢)

وقد سلك الذين خلفوه مسلكا آخر فقتحوا ما أسموه بكلية اللاهوت فماذاكان

---

(١) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٤٢٣ .

(٢) فصل الدين عن الدولة : ١٩٦ .

الهدف من انشائها يجيبنا على هذا التساؤل " لويس .ف توماس " الأستاذ بجامعة برنستون اذ يقول :

" ... لقد انشئت فى جامعة أنقرة كلية جديدة للاهوت ، قصد بهـــا أن تخرج رجال دين مسلمين ، أتراكاً من الطبقة العليا ، مثقفين ، مطبوعـين بالطابع الغربى ، لهم معرفة بالعلم والدين المقارن وباللغات الأوربيــــة وفيهم ولاء لفكرة الدولة الديمقراطية العلمانية وبعد و من غير المحتمل اطلاقــاً أن تنجح هذه الكلية فى تخريج علماء يقبلهم الأتراك الذين لا يزالون تحـت سلطان التقاليد الدينية . وسيكشف المستقبل عما اذا كان خريجو هــــذه الكلية ستكون لهم رسالة يقبلها التركى الميال للحضارة الغربية ، والذى يحاول أن يحتفظ بالاسلام دينا شخصيا فى دولة دنيوية .. "(١)

هذا هو الوضع الغالب فى العالم الاسلامى فى عهد الاستعمار ، وبدايات عهد الاستقلال غيرأن العالم الاسلامى لم يخل من المدارس الاسلامية التى كانت تسبب مضايقة لدول الاستعمار ومفكريها من المستشرقين وغيره . كما لم يخل من مفكرين مسلمين وقفوا فى وجه حركة التغريب والعلمنة ، ونقـــدوا نظام التعليم العلمانى الغربى وحذروا المسلمين منه ، واكتفى هنا بذكر مـــا قاله المستشرق " جيب " الذى يتضح به مدى ضيقه بالمدارس الاسلامية والتعليم الاسلامى .

يقول " جب " :

" ... هذا ولم تفقد كل الأنظمة القديمة التى غذت الوحدة قوتهـــــا فى العصر الحديث ورغم فقدان الشريعة ما كان من استئثار بالتشريع ، ورغـم أن الثقافات المحلية بدأت تزحزح الثقافة المشتركة ، ورغم أن الفوارق فــــى العادات الاجتماعية أصبحت أكثر ظهورا . وأن التعليم الدينى القديم أصبح قاصراً على طائفة متضائلة من الشعب فلا تزال المظاهر الدينية والعبادات باقية . أما الذى يزعم أن القرآن قد قل حظه من الدراسة الآن أو أن نظمه

(١) الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٤٢٤ .

الذى يظل صداه يتردد فى النفوس قد غلبته على عقول الرجال فلـــن يجد ما يؤيد زعمه الكاذب ،ولا تزال العبادات الاسلامية منبعاً للرضـــــا والاطمئنان حتى عند من يهبطون فى أدائها . . . .

. . ومن أكبر مميزات الاسلام الحديث شعور الولاء لذات محمد " عليه الصلاة والسلام " والحماسة التى يبعثها بين كل الطبقات . . . "(١)

وواضح أن المقصود بالثقافات المحلية التى بدأت تزحزح الثقافـــــة المشتركة ـ هى الثقافات الوطنية الخاصة بكل قطر من أقطار المسلمين ، وأن المقصود بالثقافة المشتركة هى الثقافة الاسلامية التى لا تفصلها الحـــدود الجغرافية .

وأما المفكرون الذين تصدوا لنقد التعليم العلمانى الغربى ـ بفضــح أساليبه ـ وحذروا منه فأكتفى هنا بنقل بعض النصوص لبعضهم :

يقول السيد اكبر حسين بن تفضل حسين فى بيان أسلوب الغرب فى نشر العلمنة :

" . . . يا لبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره الى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك اسهل طريق لقتل الاولاد ،ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الاحدوثة فى التاريخ "(٢)

وهو يقصد بذلك أن الغربيين فى هذا العصر سلكوا فى نشر العلمنة أسلوب التعليم الذى يسهل به قتل الاولاد عقديا وفكريا . بينما كان فرعون فى مقابل هؤلاء يستعمل أسلوب التصفية الجسدية لمعارضيه من المؤمنيـــن وأولادهم حتى لا ينشأ جيل مؤمن . فالاوروبيون أزكى من فرعون فهـــم قتلوا الاولاد معنويا ولم يلحقهم سوء الاحدوثة ممن تعلموا على أيديهم وربـوا على أعينهم .

---

(١) وجهة الاسلام : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٠ .

يوضح ذلك ما قاله فى نص آخر :

" ... ان اهل الشرق يقضون على المد وبشرخ رأسه ، ولكن الغربى يغير طبيعته وقلبه "(١)

ويقول الدكتور الشاعر محمد اقبال وهو ممن درس فى الغرب وحصل على الدكتوراه من جامعة ميونخ بالمانيا ، ودرس فى كمبردج ـ فى نقد التعليم العلمانى ما يلى :

" ... اياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها "(٢)

ويقول أيضا :

" ان نظام التعليم الغربى ، انما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة "(٣)

ويقول أيضا :

" أشكو اليك يا رب ! من ولاة التعليم الحديث ، انهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور ، وأشبال الأسود تربية الخروف "(٤)

أى أنهم يربون فى الانسان الخنوع والذلة بحيث يكون هؤلاء الشباب المتعلمون على منهاج الغرب كالخراف التى تساق الى حتفها دون مقاومة .

ويقول فى وصف الشباب المثقف بالثقافة الغربية " المتفرنج " :

" لا أستغرب أيها الشباب المتعلم ! أنك صبى غر ، جبان ، فان قلبك بارد لا لوعة فيه ولا حرارة ونظرك غير عفيف ان الشباب المثقف الذى استنارت عينه بنور الافرنج قد يكون لبقا فى الحديث متشدقا فى الكلام ولكن عينية لا تعرف الدموع ، وقلبه لا يعرف الخشوع "(٥)

---

(١) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٠ .
(٢) نفس المصدر : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) نفس المصدر : ٣٦ .   (٤) نفس المصدر : ٤٦ .
(٥) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٤٥ ، ٤٦ .

هذا فى شبه القارة الهندية،أما فى العالم العربى فقد تحدث الشيخ محمد سعيد العرفى عن المدارس الاجنبية ونقدها وأوضح اضرارها علــــى الطلاب المسلمين الذين يدرسون بها وعلى المجتمع الاسلامى، وتحدث الاستاذ مصطفى صادق الرافعى عن الاختلاط ـ وهو مظاهر التعليم العلمانى ـ وبين مفاسده على الطلاب والمجتمع ، وناصر طلاب جامعة القاهرة الذين طالبـــوا بالفصل بين الجنسين ، كما تحدث عن تعليم الدين فى الجامعة ـ الـــتى أهملته ـ وناصر الطلاب المطالبين به .

يقول الشيخ العرفى ـ رحمه الله ـ عن المدارس الأجنبية :

" يظن الناس أن المدرسة المسيحية و المدرسة العلمانية متناقضتان نظرا لاختلاف الصورة والاسماء وفى الحقيقة أنهما فرعان لأصل واحد رأوا أن الاولى لا تروج أمورها بسهولة فلم يسعهم الا احداث الثانية يتخذونهـــا رابطة يقربون فيها وجهة ما تبغيه النصارى من دعوة المسلمين وساير الديانات الشرقية الى الديانة المسيحية على يد مبشريها الظاهرين فى المدارس المسيحية والمتعصبين [illegible] فى المدارس العلمانية التى ظاهرها هدم الديانات وهذا ما قاله [illegible] فى كتابه المؤرخ فى ٢ آب سنة ١٩١١ خطابا الى الموسيو شاتليه[1] :

ثم يقــول :

" ... وفى الحقيقة أن المدارس الاجنبية قضت على كل آمال المسلمين لأنها موضوعة لنشر التربية الاوروبية النصرانية التى يقصد منها اضمحلال الاسلام باعتراف القس ويلس فى تقريره بمؤتمر لكنو الذى ترجمته جريدة المؤيد المصرية بعددها ٦٧٠٦ وفيه ـ

لا يشك فى أن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الاسلامية ا هـ.

---

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ١٦١ .

وأنه الحق والواقع ولكن المسلمين غافلون عن ذلك فيسرعون الى تقليد أعدائهم ويسعون جهدهم للاندماج فيهم ليقال عنهم مفكرون متنورون.

تبين لنا أن وظائف المدرسة الأجنبية : هي وضع النير الأوروبي في أعناق المسلمين أولا وانحلال الرابطة الاسلامية ثانيا ، والتبشير بالنصرانية ثالثا ،وهو الذى يظهر ويختفى على حسب الفرصة "(١)

وقال عن تعليم المرأة على النمط الأوروبي ما يلي :

"... لا جدال بين ذوى النهى أن تعلم الرجل وتعلم المرأة صنوان لا ينفكان عن بعضهما غير أن المرأة هي أول ملقن للطفل دروس الحياة وهي المعلم الأول فيجب أن يعنى بتعليمها وتمرينها على حب الأمة والاعتقاد الحسن في الدين والعمل بأحكامه والا كانت عاملا قويا من عوامل الانحلال .

مسكينة الأمة العربية الاسلامية خدعها أعداؤها أولا بأن العلم يضر بالمرأة ويفسدها فأصبحت عقيدة راسخة بنفر البسطاء منها ثم جاؤوا المنابذ حه والثناء عليه بشرط أن تتعلم المرأة في مدارسهم وأسرعوا الى تأسيس مدارس الاناث العديدة زاعمين أنهم يريدون الخير وهم يقصدون الفساد والافساد فأبهم في كل عمل يتعلق بالشرق أو الاسلام فيجعلون الوسائل الشريفة ذريعة للوصول الى المطامع الدنيئة كي تعمى الأعين عن مشاهدة عملهم القبيح ولا تتوجه الأذهان الى التفكر في الخطط الاستعمادية في حين أن مؤسساتهم التي يسمونها علمية يقصرون التحصيل فيها على معرفة تاريخهم ونشر لغتهم واشراك بقية اللغات الأوروبية والثناء على أعمالهم ومدح أزيائهم وبث التعليم المسيحي بالطرق التدريجية وتعميم الألعاب والموسيقى ولزوم اتباع الطرز الغربي المتلون والذى لا يتغير الا لجمع ما بيد الشرق من المال ليصبح الشعب فقيرا من الثروة كما أصبح فقيرا من الأخلاق "(٢)

---

(١) سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين : ٢٦٣ ، ٢٦٤.

(٢) نفس المصدر : ٢٢٦ ، ٢٢٧.

أما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - فقد كتب مقالا بعنوان " قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر " كتبه تأييدا لما رفعه طلبة الكليات في الجامعة المصرية آنذاك (*) الى مديرها وعمدائها وأساتذتها - من المطالبة بادخال التعليم الديني في الجامعة والفصل بين الشبان والشابات والذي قالوا فيه " لا إصلاح الا بعد إصلاح روح الشباب الناهض ، حتى يكون له من قوة روحه وسمو اخلاقه سلاح يحارب به الرذيلة وينصر به الفضيلة " وقالوا : "ولا شك أن الأمة بأسرها قد أحست بنقص الناحية الدينية في المجتمع المصري ونقص أخلاق الفرد ووطنيته تباعا "

قال الأستاذ الرافعي في مقاله هذا ما يلي :

" حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية ، لقد كتبتم الكلمات التي يصرخ منها الشياطين . .

كلمات لو انتسبن لانتسبت كل واحدة منهن الى آية مما نزل به الوحي في كتاب الله . فطلب ... بتعليم الدين لشباب الجامعة ينتهي الى هذه الآية : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ".

وطلب الفصل بين الشبان والفتيات يرجع الى هذه الآية " ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن .

وطلب إيجاد المثل الأخلاقي لهذه الأمة من شبابها المتعلم هو معنى الآية : " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة . . . ".

قوة الأخلاق يا شباب ، قوة الأخلاق ، ان الخطوة الأولى المتقدمة تبدأ من هنا . . . . "(1)

ثم قال :

" يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، فإن العلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة .

(*) كان ذلك في شهر مارس عام ١٩٣٧م.

(1) وحي القلم : ١٨٤ ، ١٨٥ .

يريدون قوة النفس مع قوة العقل ، فإن القانون الأدبى فى الشعب لا يضعه العقل وحده ولا ينفذه وحده .

يريدون قوة العقيدة ، حتى اذا لم يتفهمهم فى بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه " . (١)

ثم قال :

" وأحس الشباب معنى كثرة الفتيات فى الجامعة ، وأدركوا معنى هذه الرقة التى خلقتها الحكمة الخالقة .

والمرأة أداة إستمالة بالطبيعة ، تعمل بغير إرادة ما تعمله بالارادة ، لأن رؤيتها أول علمها .

نعم إن المغناطيس لا يتحرك حين يجذب ، ولكن الحديد يتحرك له حين ينجذب .

ومتى فهم أحد الجنسين الآخر ، فهمه بادراكين لا بادراك واحد !

وجمال المرأة إذا إنتهى الى قلب الرجل ، وجمال الرجل اذا استقر فى قلب المرأة . .

. . هما حينئذ معنيان . ولكنهما على رغم أنف العلم معنيان ، متزوجان[٢] "

ثم قال :

" لا ، لا ، يا رجال الجامعة إن كان هناك شئ اسمه حرية الفكر فليس هناك شئ اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوربا وتقليد أوربا ! ونحن نريد الشباب الذين يعطون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوربا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذى يجهل أنها بهذا صارت محلا لفوضى الأخلاق .

=====================

(١) نفس المصدر : ١٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٦ ، ١٨٧ .

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية فلا حاجة اليه في الجامعة!

أفترون الاسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ، أم تريدونه شجرة تغرسون هناك لتقطع عندكم . . .

لا ، لا يا رجال الجامعة ، ان قتيلة الشباب المجاهد مثلاً بالبارود لا بالماء المقطر " (١)

ثم كتب مقالا آخر بعنوان " شيطان وشيطانة " بعد تتبع لما تنشره الصحف من تأييد للاختلاط ومعارضة لادخال تعليم الدين في الجامعة ، أو معارضة للاختلاط وتأييد دعوة لادخال التعليم الديني في الجامعة وخاصة سلسلة مقالات " فلان وفلانة " التي تتضمن مناهضة دعوة الطلاب لمنع الاختلاط وادخال التعليم الديني ، وكان يعرض بهذا المقال بالدكتور طه حسين ، وأحد تلميذاته في الجامعة ، وقد جعل هذه المقالة على شكل رؤيا رآها"

قال في مقدمة المقال :

" شغلني ما شغل الناس من حديث الجامعة المصرية ، وما أراده طلبتها من ورع يحجزهم عن محارم الله ، ودين يخلص به الايمان الى قلوبهم ، فلا يكون لفظ المسلم على المسلم كأنه مكتوب على ورقة ، ثم ما ابتغوه من الفصل بين الشبان والفتيات ، تطهيراً للطباع ونوازع النفس ، واتقاءً لسوء المخالطة ، وبعداً عن مظنة الاثم ، وتوفيراً لأسباب الرجولة على الرجل والصفات الأنوثية على الأنثى .

وقرأت كل ما نشرته الصحف ، واتقصيت ما لفت ، ونظرت في الألفاظ ومعانيها ومعاني معانيها ، وكنت قبل ذلك أتتبع باب " فلان وفلانة " في المجلات الاسبوعية التي تكتب عن حوادث الاختلاط في الجامعة وتسمي الأسماء وتصف الأوصاف وتذكر النوادر ، فملأ كل ذلك صدري واجتمع الكلام يترجم نفسه الى رؤيا رأيتها وها أنذا أقصها " (٢)

---

(١) وحي القلم : ١٨٧ .

(٢) نفس المصدر: ١٨٩.

الفصل الثاني : أثر العلمانية في التعليم الرسمي

المبحث الثاني : الوضع التعليمي بعد الاستقلال .

المطلب الاول : المؤتمرات والقرارات الرسمية حول اهداف التعليم .

المطلب الثاني : الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين منها .

المطلب الثالث : الاختلاط في التعليم .

المطلب الرابع : نماذج من مقررات دراسية .

المطلب الخامس : آثار العلمانية في التربية والتعليم .

—•—

المطلب الاول:

- الموتمرات والقرارات حول أهداف التعليم ووسائله :

يلاحظ الباحث الدقيق أن موتمرات التربية والتعليم العربية - سواء كانت على مستوى العالم العربي أم على مستوى كل دولة - وأن قرارات وقوانين كل دولة تركز على معاني القومية العربية ، والوطنية أوالديمقراطية ، والاشتراكية - في الدول التي تتخذ الاشتراكية منهجا لها - ولذا فـإن الباحث يقع نظره دائما على عبارات من مثل :

* اعداد المواطن الصالح ،
* التربية الوطنية الصحيحة ،
* الايمان بالقومية العربية ،
* الايمان بالوطن العربي .
* خلق اجيال عربية قومية .
* خلق جيل قومي عربي متحرر تقدمي .
* ايجاد الفرد المناضل من اجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية
* اعداد المواطن الاشتراكي ، وغيرها .

وسوف أستعرض قرارات بعض الموتمرات على مستوى العالم الاسلامي ، وعلى مستوى الدول ، وسياسات بعض الاحزاب ، ثم استعرض قرارات وقوانين بعض الدول خاصة فيما يتعلق باهداف التعليم .

وأول ما أرى أنه جدير بالذكر هي التوصيات المتعلقة بالمعلم سواء من ناحية اعداده ، أو من ناحية تحديد خصائصه ، ذلك لأهمية المعلم ودوره الخطير في تربية الناشئة ، لنتعرف أي جيل يراد اخراجه من المعلمين ، ثـم لنعرف نتائج هولاء المعلمين .

جاء في ديباجة توصيات مؤتمر إعداد المعلم العربي ما يلي :

" لما كان تدعيم القومية العربية وتنمية الايمان بها ، والنهوض بالمجتمع العربي هدفاً أساسياً لكل بلد عربي ، ولما كان تحقيق هذا الهدف يتطلب أن يكون المعلم في كل بلد عربي مؤمناً بقومية العربية معتزاً بتراث العربي حتى يستطيع أن ينقل هذه الروح الى التلاميذ .

رأت الحلقة أن توصي بوجوب العناية - في اعداد المعلمين لمختلف مراحل التعليم - بما يلي :

١ - ....

٢ - ....

٣ - دراسة الدعائم والأسس التي تقوم عليها القومية العربية ، وابراز الاتصال التاريخي والجغرافي والثقافي بين اجزاء الوطن العربي ، وبيان أنه وحدة متكاملة يتأثر كل جزء منها بما يقع في الاجزاء الاخرى ويؤثر فيها ، مع دراسة الحركات القومية التي ادت الى توحيد بعض الامم في التاريخ الحديث " (١)

٤ - ....

٥ - ....

٦ - ....

٧ - تهيئة الجو العام في معاهد اعداد المعلمين بجميع الوسائل لتشبيع الطلاب بالقومية العربية ، وايقاظ الشعور العربي في نفوسهم واكسابهم روح الاعتزاز بالقومية العربية ، بحيث ينعكس ذلك على جميع مظاهر سلوكهم الفردي والاجتماعي والمهني " (٢)

---

(١) حلقة اعداد المعلم العربي : ٢٨١ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٤ .

وجاء في التوصية السادسة لنفس المؤتمر مايلي :

" ترى الحلقة أن التربية الوطنية والسياسية والقومية تهدف إلى غاية واحدة ، وأن المعلم لا يستطيع أن يعد المواطن الصالح الا اذا كان هو نفسه مواطناً صالحاً قادراً على تفهم المشكلات السياسية والاجتماعية. لذلك توصي الحلقة بأن يعطى المعلم حق إبداء آرائه السياسية ضمن الحدود التي تسمح بها قوانين البلاد ، على أن يحافظ في ذلك على صفات المربي فلا يتعصب لآرائه ولا تستغل وظيفته لنشرها والدعوة اليها ، بل يعرضها كما يعرض احدى القضايا العلمية ويفسح المجال لنقدها ومناقشتها " (١)

ففي هاتين التوصيتين تركيز على إبراز أهمية القومية العربية ودعوة الى دراسة الاسس التي تقوم عليها ، وتركيز آخر على اعداد المواطن الصالح . وبين المفهومين تناقض واضح فمفهوم القومية - المخالف للاسلام - أوسع من مفهوم إعداد المواطن الصالح - المخالف للاسلام - ففي الاسلام تركيز على اعداد الانسان الصالح . الذى يكون عدلاً ، وراشداً في تعامله مع قومه ، او مع بني وطنه الذى يعيش فيه ، أو مع أى جنس آخر ، فهو في تعامله ينظر للامر من نظرة إسلامية واسعة لا تفرق بين قوم وقوم أو وطن ووطن وإنما تفرق بين كل منهم بحسب علمهم الصالح الذى وضعت له في الاسلام معايير .

وجاء في توصيات المؤتمر الثقافي العربي الرابع الذى عقد في دمشق عام ١٩٥٩م مايلي :

" خصائص معلم التربية الوطنية ومؤهلاته : (٢) أن يؤمن بالوطن العربي وبالقومية العربية ، وأن يكون سلوكه الوطني بحيث لا يتعارض مع التربية الوطنية التي يوجه اليها تلاميذه .

---

١) نفس المصدر : ٣٨٣ .

٢) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

٢ - أن يكون على بصيرة بأهداف قومه ومكانة أمته بين الشعوب وبالعلاقات الدولية التي تربط بينها وبين بلاد العالم .

٣ - أن يكون إعتزازه بقوميته ووطنه قائماً على أساس من الفهم والادراك والمنطق لا على أساس الانفعال العاطفي ،

٤ - أن يكون متجرداً من الهوى الحزبي أو التأثر الاجنبي والتيمه لمذهب من المذاهب الوافدة أو الدخيلة .

٥ - أن يكون متصلاً بالحياة العامة في البلاد إتصالاً يساعده على الربط بين دروس التربية الوطنية وواقع الحياة الاجتماعية والسياسية فيما حوله ." [1]

وجاء في ميثاق المعلم العربي الذى وافق عليه المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب الذى عقد بالكويت (١٧ - ٢٢ فبراير ١٩٦٨م) وأقرته الجامعة العربية في مارس من نفس العام مايلي :

١ - التمسك بالمبادئ الديمقراطية الصحيحة والايمان بها .

٢ - تحريك الاجيال العربية علميا وخلقيا وثقافيا وقوميا ." [2]

والديمقراطية مبدأ غربي في الحكم لا حاجة للمسلمين به ففي نصوص القرآن والسنة فيما يتعلق بالحكم سواء كان على مستوى الدولة ، أو على مستوى الادارة المحلية ما يكفي والشورى والعدل ركيزتان اساسيتان للحكم في الاسلام ، وفيهما غناء عن الديمقراطية .

وبعد الحديث عن المعلم ننتقل الى الحديث عن أهداف التربية وغاياتها والوسائل الموصلة اليها كما يراها ميثاق الوحدة الثقافية العربية (١٩٦٤م) وكما يراها المؤتمرون في المؤتمر الثقافي الثالث .

جاء في ميثاق الوحدة الثقافية العربية مايلي في مادته الاولى :

---

١) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٨٩ ، ٩٠ .

" يكون هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله مخلص للوطن العربي ، يثق بنفسه وبأمته ويدرك رسالته القومية والانسانية ومتمسك بمبادىء الحق والخير والجمال ، ويستهدف المثل العليا الانسانية في السلوك الفردي والجماعي ، جيل يبني الأفراد أن ينموا شخصياتهم بجوانبها كافة ويملكوا ارادة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الايجابي متسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي والسير به قدماً في معارج التطور والرقي في تثبيت مكانة الامة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة " [1]

أما وسائل تحقيق ذلك فلعل توصيات المؤتمر الثقافي العربي الثالث وان كان سابقا على الميثاق في الانعقاد . يعطينا صورة لما يراه المؤتمرون - من وسائل تحقق الوطنية والقومية ، وقد كان من أبرز توصياته مايلي :

" أن توضح الكتب الدراسية في التاريخ والجغرافيا .. بحيث تؤدي الى التربية الوطنية الصحيحة ، وغرس فكرة القومية العربية ، وتحقيق الايمان بمهمة الامة العربية وبيان دورها في الحضارة الانسانية في الماضي والحاضر . " [2]

- أن تكوّن أهدافنا القومية والتربوية الاطار العام الذي تؤلف فيه الكتب المدرسية ، وهذا بالاضافة الى أهداف كل مادة والغرض من تدريسها .
- أن تعالج موضوعات الكتاب المدرسي معالجة تنمي في التلاميذ والطلاب اتجاهات روحية وعقلية واجتماعية مرغوباً فيها كالاسلوب العلمي في التفكير والرغبة في الاستزادة من القراءة والايمان بالمثل العليا وقيم الامة العربية " [3]

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٦٧

٢ - ٣) المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح : ١٠٤ ، ١٠٦ .

ولعل مؤلفي مقررات المطالعة والاناشيد وبعض مقررات التاريخ في مدارس المملكة العربية السعودية تقيدوا بهذه التوصيات إذ هم قد حشوا هذه المقررات بالتركيز على معاني الوطنية والعروبة ، رغم أن السياسة التعليمية التي وضعتها اللجنة الفرعية للتعليم ووافقت عليها اللجنة العليا لسياسة التعليم تركز على ان السياسة العليا للتعليم تعني باعداد الشباب المسلم ،والانسان الصالح وهي في نظر تعد أفضل مارأيت من خلال قراءاتي في سياسات التعليم .

أما المؤتمرات على مستوى كل دولة فسوف أعرض لقرارات مؤتمرات عقدت في الباكستان ، والسودان .

أما الباكستان فقد عقد مؤتمر في شهر نوفمبر عام ١٩٤٧م كان من ضمن قراراته القرار الآتي :

" يجب أن تكون العقيدة الاسلامية هي أساس التربية في باكستان ، ويجب أن تعد العدة للتعليم الابتدائي العام ، ويجب الا يغيب عن بالنا التدريب على المواطنة وضرورة الاستغناء عن اللغة الانجليزية كلغة للتعليم ، ويجب اعادة تنظيم التربية الفنية " "١"

وفي عام ١٩٥٩م شكلت لجنة للتعليم في باكستان وقد أصدرت عدة توصيات منها :

" يجب أن تكون الدراسات الاسلامية إجبارية على كل الطلاب المسلمين للسنوات الثمان الاولى ، اى في الصفوف الابتدائية والمتوسطة ، ويجب أن تكون اختيارية وفي المرحلة الجامعية تبقى هذه المواد اختيارية" "٢"

ويظهر أن المراد بأن تكون الدراسات الاسلامية اجبارية ،اختيارية أى أن الطالب مجبر على دراسة شيء من الدراسات الاسلامية والاختيار يكون بين نوع هذه الدراسات .

(١ - ٢) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم الاسلامي العالمي الاول : ٩/٦ ، ٨ .

وقد أكدت الخطة الخمسية الرابعة للسنوات (١٩٧٠ - ١٩٧٥) على مايلي :

" يجب أن يبقى التعليم الديني اجباريا الى حدود المرحلة الثانوية وبالاضافة الى ذلك فقد أكدت الخطة على الهدف البعيد المدى الآتي :

يجب أن يكون من الممكن التأكد من أن مواد الدراسة العامة في الكليات والجامعات تعكس روح الاسلام . "[1]

وزاد برنامج التعليم المكثف التأكيد على ذلك فقد أعلن مايلي :

" تكون الدراسات الاسلامية اجبارية حتى الصف العاشر لكل الطلبة المسلمين ، مع التأكيد من خلو الكتب المدرسية مما يتنافى مع القيم الاسلامية الاخلاقية والثقافية ، او يتنافى معها ، ويجب أن تضمن عدم بقاء هذه الدراسات الاسلامية كفقرات منعزلة في منهج المدرسة بل يجب ان تكون روح الاسلام سائدة في سدى ولحمة كل نسيجنا التربوى "[2]

ونحن اذا عقدنا مقارنة بين ما تضمنته قرارات المؤتمرات العربية وبين قرارات المؤتمرات المحلية الباكستانية فاننا نجد ان قرارات المؤتمرات المحلية الباكستانية كانت أفضل من مقررات المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، فإن التركيز في مقررات المؤتمرات الباكستانية - على أن تكون الدراسات الاسلامية اجبارية ، لا بل " أن تكون روح الاسلام سائدة في سدى ولحمة النسيج التربوى " ولم يكن هناك تركيز على المواطنة والقومية بل لم يرد لهما ذكر الا في اشارة عابرة في مؤتمر عام ١٩٤٧م وذلك لتخلصهم القريب من الاستعمار البريطاني ، أما مؤتمرات التربية العربية سواء على المستوى العالم العربي أم على المستوى المحلي فإن التركيز واضح على القومية والوطنية ولا ذكر للدراسات الاسلامية ولا اهتمام بها ، ذلك لان الدراسات الاسلامية تمثل في نظر كثير من " التربويين " في العالم العربي الفكر الرجعي ، وهم يريدون التقدم والتطور والتخلص من الرجعية والتأخر .

(١-٢) المرجع السابق : ٩/١٤١٣

ومع كل ماسبق بالنسبة لباكستان فإن " الكولونيل عثماني " ينقـــد الوضع القائم لأن الاهداف التي سبق أن ذكرناها لم تتحقق يقـــول فـــي ذلك :

" اذا أهملنا من التصريحات المتعلقة بالسياسة والخطط في التســـع والعشرين سنة الماضية فإننا قد نفترض أن باكستان يجب أن يكون قد تحـــول الى مجتمع مسلم مثالي ، غير أن باكستان اليوم بعيدة عن ذلك . ولذلـــك فالسؤال الواضح الآن لماذا انحرف الباكستانيون عن هدفهم المعلـــن واتخذوا طريقاً آخر مختلفاً جداً ، وعلى الاقل هناك شيء واحد أكيـد هـو أنه لم يتحقق أبداً أن تتخذ التربية وسيلة لتثبيت العقيدة الاسلامية بشـــكل يتوافق مع العصر الحديث وفي التطبيق العملي فإن الاهداف المنوه عنهـــا لم تتحقق .

ولقد استمر التأثير الغربي سائداً في حقل التربية وكذلك في كـــل مجال آخر في المجتمع وبقي الانقسام بين العلم الحديث والدين متزايـــداً وان أحد أسباب هذا الوضع هو قلة الاهتمام بالتربية في السنوات السابقة ، فالاولوية الكبرى كانت تعطى للنمو الاقتصادي بالقفزات التصنيعية والزراعيـــة السريعة باستخدام التكنولوجيا الغربية التي كانت تستلزم تعلم المعرفـــة العلمية الغربية وتمثلها " (١)

وبعد هذا لننظر فيما جاء في المؤتمر المحلي الذي عقد في السودان في نهاية ١٩٦٩م فسوف نجد أن المؤتمر حدد أهداف التربية والتعليـم في السودان بالعمل على تحقيق أمور منها :

١ - المواطنة الايجابية في نطاق قومي شامل يرتبط في نفس الوقت بالتراث العربي والاسلامي والافريقي والانسانية جميعها " (٢)

---

(١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ١٥/٩ .
(٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٢٥٧

فاذا انتقلنا الى مارسته بعض الاحزاب من أهداف للتربية والتعليم فاننا نجدها لاتخرج عن نطاق تأكيد القومية والوطنية ، ومحاربة الرجعيــة وغيرها من الشعارات .

فقد جاء في دستور حزب البعث في فصل " سياسة الحزب في التربيــة والتعليم مايلي " :

" ترمي سياسة الحزب التربوية الى خلق جيل عربي يؤمن بوحــدة أمته وخلود رسالتها ، آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافـات والتقاليد الرجعية مشبع بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه فـي سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الانسانية . ولذا فالحزب يقرر :

* طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرانيـة والفنية بطابع قومي عربي يعيد للأمة صلتها بتاريخها المجيــد ويحفزها الى ان تتطلع الى مستقبل أمجد وأمثل " "١"

وجاء في الميثاق الوطني للجبهة القومية في اليمن الجنوبي الـذي وافق عليه المؤتمر الاول للجبهة الذي إنعقد في الفترة بين (٢٢ - ٢٥ يونيـة ١٩٦٥م) مايلي :

" .. ان وضع خطة تعليمية شاملة يجب أن يكون متمشياً مع أهـداف الثورة لخلق اجيال عربية قومية واعداد الكفاءات الفنية والعلمية التي تتطلبها خطط التنمية الاقتصادية وتحتاجها كافة المجالات ومختلف مرافق الحياة" "٢"

---

١) حولية الثقافة العربية : ١٩٩/٢ .

٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٦١ .

وهكذا يتضح من المقارنة أنه ماقررته المؤتمرات المحلية الباكستانية افضل - وان لم يطبق - مما قررته المؤتمرات العربية على مستوى العالم العربي أو على مستوى كل دولة .

فاذا انتقلنا الى رصد ماقررته كل دولة من دول العالم العربي من أهداف ووسائل للتعليم عموما ، او لكل مرحلة من المراحل الثلاث على حدة فاننا نجد أن نفس الامور التي تركز عليها المؤتمرات العربية للتربية والتعليم ، وهي المواطنة ، والعروبة ، والديمقراطية ، والاشتراكية ، ومحاربة الرجعية ، هي التي تركز عليها قرارات وقوانين الدول كل على حدة .

فقد جاء في الفصل الثاني من قانون التربية والتعليم في الاردن الصادر عام ١٩٦٤ م بيان الاهداف العامة للتعليم وكان من ضمنها :

" .. اعداد المواطن الصالح المؤمن بالله والمثل العليا للأمة العربية المتمسك بجميع حقوق المواطنة والمتحمل للمسئوليات المترتبة عليها " "١"

وقد حدد الدستور العراقي في المادة ٢٨ منه أهداف التربية والتعليم في الآتي :

" يستهدف التعليم رفع وتطوير المستوى الثقافي العام وتنمية التفكير العلمي واذكاء روح البحث العلمي ، وتلبية متطلبات مناهج التطوير والانماء الاقتصادية والاجتماعية وخلق جيل قومي متحرر تقدمي قوي في بنيته واخلاقه يعتز بشعبه ووطنه وتراثه ، ويتحسس بحقوق قومياته كأمة ويناضل ضد الفلسفة الرأسمالية والاستغلال والرجعية والصهيونية والاستعمار من أجل تحقيق الوحدة العربية والحرية والاشتراكية " "٢"

وجاء في التوجيهات التي كانت تصدر بها المناهج في الخمسينات في القرن الميلادي الحالي مايلي في بيان أهداف التعليم الابتدائي :

---

١) ، ٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٩٧ ، ١٩٤ .

" ١ - ان هدف التعليم الابتدائي بث الثقافة العامة في الجيــل الناهض وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامــة ، وتفكير صحيح وجسم قوي ، وأخلاق متينة ، وروحيات سامية ، وذوق سليم ، ويد عاملة ، واخلاص وتضحية في سبيل الامة والوطن " "١"

أما أهداف التعليم في مصر فقد حددتها السياسة التعليمية فــي مصر التي صدرت بقرار من مجلس الوزراء عام ١٩٧٢م اذ جاء فيه مايلي :

" ١ - تكوين الطالب في مختلف مراحل التعليم وأنواعه تكوينا سليمــاً من النواحي العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والقومية والدينية بحيــث يصبح مواطناً اشتراكياً مدركاً لواجباته نحو ربه واسرته ووطنه " "٢"

وهذه الاهداف نفسها هي التي ركز عليها القانون رقم ٦٨ لعــام ١٩٦٨م باختلاف يسير في الالفاظ .

أما عن أهداف التعليم الابتدائي في مصر فقد نص القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦م على مايلي :

" أ - مساعدة الطفل على النمو المتكامل في النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والروحية - الى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته "

ب - .....

جـ - تنشئته على الاعتزاز بالوطن وبقوميته العربية .

د - تربيته للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي " "٣"

---

(١) حولية الثقافة العربية : ٢١٩/١ ، ونفس الهدف لم يتغير وان اختلفت الصياغة عام ١٩٦٨م حيث صدر قانون التعليم الابتدائــي برقم ٦٣ (انظر التعليم العام في البلاد العربية ١٩٦) .

(٢) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ٨٠ .

(٣) نفس المصدر : ٤٦ ، وانظر التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣١ .

أما قانون التعليم العام الصادر في عام ١٩٦٨ م فيحدد اهداف التعليم الابتدائي في الآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الابتدائي الى تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا وتزويدهم بالقدر الاساسي من المعارف البشرية والمهارات الفنية والعملية التي لاغنى عنها للمواطن الصالح المستنير لشق طريقه في الحياة بنجاح بعد تأهيله مهنياً أو لمواصلة الدراسة في المرحلة التعليمية التالية " (١)

أما أهداف المدرسة الاعدادية حسب قانون " ٥٥ " لسنة ١٩٥٧ م فقد حددت في مصر بامور منها :

" ٤ - اعداد التلاميذ للحياة في المجتمع الديمقراطي الاشتراكي .

٥ - تعريف التلاميذ بمفاهيم القومية العربية وتقوية اعتزازهم بالوطن العربي " (٢)

أما أهداف التعليم الثانوى بمصر فقد حددها القانون الحالي * بالآتي :

" تهدف مرحلة التعليم الثانوى فضلا عن الارتقاء بالاعداد العام للطلاب جسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا الى تزويدهم بما يحتاجون اليه من العلوم والآداب والفنون والمهارات العلمية بما يمكنهم من مواصلة الدراسة بمرحلة التعليم العالي والجامعي " (٣)

وهي أخف وطأة من الاهداف التي كانت موضوعة للتعليم الثانوى قبل القانون الحالي ، فقد كان من ضمن أهداف التعليم الثانوى سابقا مايلي :

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٥ .

٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣٩ .

٣) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٢٠ - ٣٢١

* القانون الحالي هو القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨م

" ٣ - اعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي .

٥ - تدعيم الثقافة القومية للطالب وايمانه بالقومية العربية " "١"

أما التعليم الفني فقد كان من اهدافه مايلي :

" ٢ - اعداد المواطن الاشتراكي الديمقراطي الذى يفكر ويتصرف في علمه ومجتمعه وفق المبادىء الاشتراكية الديمقراطية " "٢"

فاذا انتقلنا الى سوريا فاننا نرى أن المادة الاولى من قانون المعارف الصادر في ١٩٤٤/١٢/٢١ برقم ٤٠ ينص على مايلي :

" مهمة وزارة المعارف الاساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية - لينشأ كل فرد من أفراده قوى البدن، حسن الخلق وصحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته ، ومزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته . . " "٣"

أما الهدف من التعليم كما حدد بعد ثورة ٨ / مارس / ١٩٦٣م فانه مايلي :

" الهدف من نظام التعليم والثقافة انشاء جيل عربي قومي إشتراكي علمي التفكير مرتبط بتاريخه معتز بتراثه مشبع بروح النضال من أجل تحقيق أهداف أمته في الوحدة والحرية والاشتراكية وفي خدمة الانسانية وتقدمها .

" تشجيع الدولة الثقافة القومية الاشتراكية التي تهدف الى تحقيق المثل العليا للامة العربية وقضايا الانسانية وتعتبرها أساسا لبناء المجتمع"

---

١) التاريخ الاجتماعي للتعليم في مصر : ٢٤٣

٢) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٥٢

٣) حولية الثقافة العربية : ٨٩/١ ، ونفس الاهداف تضمنها القرار الصادر عام ١٩٥٩م برقم ١٥٣٢ باختلاف يسير في الالفاظ .

" تعتبر العلوم والابحاث وكل مايتم التوصل اليه من منجزات طبيعية أساسية لتقدم المجتمع العربي الاشتراكي ، وعلى الدولة أن تقدم الدعم الشامل " "١"

أما أهداف التعليم الابتدائي في سوريا فقد حددها في النظام الداخلي للمدارس الابتدائية، وهو المعمول به حالياً، وقد تضمن الاهداف الآتية :

" ١ - العمل على اكساب التلاميذ العادات الصالحة والصفات المثلى وتكوين الاتجاهات القويمة فيهم ، وتنمية مهاراتهم وقدراتهم واستعداداتهم الجسمية والفكرية والفنية " .

٤ - ترشيح روح الاعتزاز بالامة العربية والنضال من أجل اقامة دولة عربية واحدة في وطن عربي حر " "٢"

وتتضمن اهداف المرحلة الابتدائية في ليبيا الهدفين التاليين :

" ١- تنمية الاطفال عقليا وجسميا وخلقيا واجتماعيا وقوميا .

٢- تزويد الاطفال بالقدر المناسب والاساسي لمعرفة البشرية ، والمهارات الفنية والعملية التي لاغنى عنها للمواطن الصالح المستنير لكي يشق طريقه في الحياة بعد تدريب مناسب " "٣"

أما في اليمن الشمالي فقد حددت الخطة الخمسية الاولى (١٩٧٠ - ١٩٧٥) أهداف التعليم الابتدائي بأنها تعمل على :

- تربية جيل صالح متسامح يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . ويتمسك بالدين ويقدس المثل العليا ويتحلى بالفضيلة ويحترم التقاليد ويؤمن بوطنه ووحدة اراضيه .

---

(١) التعليم العام في البلاد العربية : ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) نظم التعليم : ٦٥

(٣) حول التعليم الابتدائي ونظمه : ١٠٧ ، ١٠٨ .

- تبصير التلاميذ بمشكلات امتهم العربية وتعميق الايمان في نفوسهم باهمية وحدة العرب وازالة الحواجز بينهم " "١"

أما الأسس القومية والاجتماعية للمناهج بعد توحيد المناهج والخطط* بين ليبيا ومصر فقد كان منها :

٣ - ان تجلو المناهج جوانب التراث العربي الاسلامي ، باعتباره مقوماً من ابرز مقومات القومية العربية وله دوره الواضح في بناء الحضارة الانسانية .

٦ - ان تعنى المناهج بدراسة التاريخ العربي والاسلامي بما يشتمل عليه من سير ونظم واتجاهات تبرز البطولة والفضائل العربية وأن تكشف الدراسة عن أمجاد العرب والمسلمين وحضارتهم ووقوفهم ضد الطغيان ومؤامرات الاستعمار عبر العصور ، كما تكشف عن ابطال العرب والمسلمين الناشئين وعلمائهم في شتى ميادين السلم والحرب " "٢"

أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية

لم يكن يوجد قبل إصدار السياسة العامة للتعليم بالمملكة العربية السعودية - التي أعدتها اللجنة الفرعية لسياسة التعليم - أهدافٌ عامة مكتوبة للتعليم عامة فيما أعلم ، وإنما كان يذكر - في التعاميم التي ترد فيها بيان المنهج لكل مرحلة - أهداف هذه المرحلة ، ويذكر مع بيان منهج كل مادة أهداف هذه المادة ، وبعد أن أعدت اللجنة الفرعية لسياسة التعليم " السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " فُصِّلَ في هذه السياسة ، الغاية من التعليم عامة ، وأهداف التعليم عامة ، وقد تضمنت ثلاثة وثلاثين هدفاً ، كما تضمنت أهداف دور الحضانة ورياض الاطفال ،وأهداف كل من المراحل " الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ، والعالية " .

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٥١/٣٥٠

*) قد اختلف النظامان كما يبدو ، وبذا فإن توحيد المناهج قد ألغي .

٢) حول تعليم الابتدائي ونظمه : ١١٠ ، ١١١

وسوف أقتصر هنا على ذكر الغاية من التعليم عامة ، ثم أذكر أهداف كل من المراحل " الابتدائية والمتوسطة والثانوية " وأهداف تعليم البنات خاصة ، وإعداد المعلم وإعداد المناهج والمفردات الدراسية وما يجب أن يسير عليه تعليم البنات ، وإعداد المعلمين ، والمناهج والمقررات ،

أما أهداف التعليم عامة فلعل ذكر الغاية من التعليم عامة وأهداف كل مرحلة من مراحل التعليم العام يغني عن ذكر هذه الاهداف سيما وهي طويلة نسبيا ، أما اهداف التعليم العالي فإني لا اذكرها لاني رأيت أن اقتصر على ذكر أهداف التعليم العام فقط والآن ، ماهي الغاية من التعليم كما حددته السياسة العامة للتعليم ؟ وماهي أهداف كل مرحلة من مراحل التعليم؟ هذا هو ما سأذكره في الفقرات الآتية :

الغاية من التعليم :

حددت السياسة العامة للتعليم ، الغاية من التعليم في الآتي :

" ٢٨ - غاية التعليم فهم الاسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الاسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الاسلامية والمثل العليا ، واكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضوا نافعاً في بناء مجتمعه " "١"

أهداف التعليم الابتدائي :

حددت السياسة العامة للتعليم اهداف التعليم الابتدائي في الآتي :

" ٧٣ - تعهد العقيدة الاسلامية الصحيحة في نفس الطفل ورعايته بتربية اسلامية متكاملة في خلقه وجسمه وعقله ولغته وانتمائه الى امة الاسلام "

---

(١) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٨ .

٧٤ - تدريبه على إقامة الصلاة وأخذه بآداب السلوك والفضائل .

٧٥ - تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغويـــة والمهارة العددية والمهارات الحركية .

٧٦ - تزويده بالقدر المناسب من المعلومات في مختلف الموضوعات

٧٧ - تعريفه بنعم الله عليه في نفسه وفي بيئته الاجتماعية والجغرافية ليحسن استخدام النعم وينفع نفسه وبيئته .

٧٨ - تربية ذوقه البديعي وتعهد نشاطه الابتكاري ، وتنميـــة تقدير العمل اليدوي لديه .

٧٩ - تنمية وعيه ليدرك ماعليه من الواجبات وماله من الحقوق ، فـي حدود سنه وخصائص المرحلة التي يمر بها وغرس حب وطنه والاخلاص لولاة امره .

٨٠ - توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع والعمـــل الصالح وتدريبه على الاستفادة من أوقات فراغه .

٨١ - اعداد الطالب لما يلي هذه المرحلة من مراحل حياته "(١)"

أهداف التعليم المتوسط :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف التعليم المتوسط في الآتي :

٨٣ - تمكين العقيدة الاسلامية في نفس الطالب وجعلها ضابطـــة لسلوكه وتصرفاته ، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلبه .

٨٤ - تزويده بالخبرات والمعارف الملائمة لسنه ، حتى يلم بالاصـول العامة والمبادىء الاساسية للثقافة والعلوم .

٨٥ - تشويقه الى البحث عن المعرفة وتعويده التأمل والتتبـــع العلمي .

---

١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية نقلا عن المصدر السابق : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

٨٦ - تنمية القدرات العقلية والمهارات المختلفة لدى الطالب وتعهدها بالتوجيه والتهذيب.

٨٧ - تربيته على الحياة الاجتماعية الاسلامية التي يسودها الاخاء والتعاون وتقدير التبعة وتحمل المسئولية .

٨٨ - تدريبه على خدمة مجتمعه ووطنه وتنمية روح النصح والاخلاص لولاة أمره .

٨٩ - حفزهمته لاستعادة أمجاد أمة المسلمة التي ينتمي اليها واستئناف السير في طريق العزة والمجد .

٩٠ - تعويده الانتفاع بوقته في القراءة المفيدة واستثمار فراغه في الأعمال النافعة وتصريف نشاطه بما يجعل شخصيته الاسلامية مزدهرة قوية .

٩١ - تقوية وعي الطالب ليعرف - بقدر سنه - كيف يواجه الاشاعات المضللة ، والمذاهب الهدامة والمبادىء الدخيلة .

٩٢ - إعداده لما يلي هذه المرحلة من مراحل الحياة "[1]"

أهداف التعليم الثانوي :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف المرحلة الثانوية بالآتي :

٩٤ - متابعة تحقيق الولاء لله وحده وجعل الاعمال خالصة لوجهه ومستقيمة - في كافة جوانبها - على شرعه .

٩٥ - دعم العقيدة الاسلامية التي تستقيم بها نظرة الطالب الى الكون والانسان والحياة الدنيا والاخرة ، وتزويده بالمفاهيم الاساسية والثقافة الاسلامية التي تجعله معتزاً بالاسلام قادراً على الدعوة اليه والدفاع عنه .

---

١) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، المصدر السابق : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

٩٦ - تمكين الانتماء الحي لامة الاسلام والحاملة لراية التوحيد .

٩٧ - تحقيق الوفاء للوطن الاسلامي العام وللوطن الخاص - (المملكة العربية السعودية) - بما يوافق هذه السن من تسام في الافق وتطلع الى العلياء وقوة في الجسم .

٩٨ - تعهد قدرات الطالب ، واستعداداته المختلفة التي تظهر في هذه الفترة وتوجيهها وفق مايناسبه وما يحقق أهداف التربية الاسلامية في مفهومها العام .

٩٩ - تنمية التفكير العلمي لدى الطالب وتعميق روح البحث والتجريب والتتبع المنهجي واستخدام المراجع والتعود على طرق الدراسة السليمة .

١٠٠ - اتاحة الفرصة أمام الطلاب القادرين واعدادهم لمواصلة الدراسة - بمستوياتها المختلفة - في المعاهد العليا والكليات الجامعية في مختلف التخصصات .

١٠١ - تهيئة سائر الطلاب للعمل في ميادين الحياة بمستوى لائق .

١٠٢ - تخريج عدد من المؤهلين مسلكيا وفنيا لسد حاجة البلاد في المرحلة الاولى من التعليم والقيام بالمهام الدينية والاعمال الفنية (من زراعية وتجارية وصناعية) وغيرها .

١٠٣ - تحقيق الوعي الاسرى لبناء اسرة اسلامية سليمة .

١٠٤ - إعداد الطلاب للجهاد في سبيل الله روحياً وبدنياً .

١٠٥ - رعاية الشباب على أساس الاسلام ، وعلاج مشكلاتهم الفكرية والانفعالية ومساعدتهم على اجتياز هذه الفترة الحرجة من حياتهم بنجاح وسلام .

١٠٦ - إكسابهم فضيلة المطالعة النافعة والرغبة في الازدياد من العلم النافع والعمل الصالح واستغلال أوقات الفراغ على وجه مفيد تزدهر به شخصية الفرد وأحوال المجتمع .

١٠٧ – تكوين الوعي الايجابي الذى يواجه به الطالب الافكار الهدامة والاتجاهات المضللة . "١"

تعليم البنات أهدافه ومايجب ان يسير عليه :

حددت السياسة العامة للتعليم ذلك في الآتي :

١٥٣ – يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية صحيحة إسلامية لتقوم بمهمتها في الحياة فتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأما صالحة ، ولاعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب.

١٥٤ – تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفر الامكانيات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن الى سن التعليم ، واتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة الوافية بحاجة البلاد .

١٥٥ – يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم الا في دور الحضانة ورياض الاطفال .

١٥٦ – يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة ويكون في كيفيته وأنواعه متفقاً مع احكام الاسلام . "٢"

اعداد المعلم :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المعلم بعشرة أهداف أذكر منها هنا هدفين ، لان بقية الاهداف اهداف اجرائية : .

---

١) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

٢) نفس المصدر : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

١٦٣ - تكون مناهج إعداد المعلمين في مختلف الجهات التعليمية وفي جميع المراحل وافية بالاهداف الأساسية التي تنشدها الأمة في تربية جيل مسلم يفهم الاسلام فهماً صحيحاً عقيدة وشريعة ويبذل جهده في النهوض بأمته .

١٦٤ - يعني بالتربية الاسلامية واللغة العربية في معاهد وكليات إعداد المعلمين حتى يتمكنوا من التدريس بروح اسلامية عالية ولغة عربية صحيحة "[١]

ومن هذا القبيل نصت السياسة للتعليم في أحد موادها على قضية إختيار القائمين على التربية والتعليم " فقد جاء في المادة ١٩٥ مايلي :

١٩٥ - يتم اختيار القائمين على التربية والتعليم من ذوى الكفاية العلمية والتربوية والفنية والخلق الاسلامي النبيل "[٢]

المناهج والكتب الدراسية :

حددت السياسة العامة للتعليم أهداف إعداد المناهج بهدفين أذكر أحدهما لان الهدف الآخر هدف اجرائي :

٢٠٧ - ينبغي أن تكون هذه المناهج :

أ - منبثقة من الاسلام ومن مقومات الامة وأسس نظامها .

ب - موافقة لحاجات الامة ترمي الى تحقيق أهدافها .

جـ - مناسبة لمستوى الطلبة .

د - محققة للمستوى المطلوب في الدارسين ولأهداف التعليم .

هـ - متوازنة ، ومرنة ، توافق مختلف البيئات والاحوال "[٣]

(١ - ٣) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : " ٣٣٧ ، ٣٤٢ .

أما أهداف إعداد الكتاب المدرسي فقد حددت بثلاثة أهـداف ، هدفان منها اجرائيان ، ولذا فلن أذكرهما بل أكتفي بالهدف الثالث :

" ٢٠٩ - يكون الكتاب المدرسي منسجما مع مقتضيات الاسلام ، سليم اللغة وافيا بأهداف المنهج ومقاصده العلمية والعمليـة والخلقية "(١)

ولدى المقارنة بين أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية عامة وأهداف كل مرحلة على حدة - بالاهداف التي وضعت في الدول التي ذكرت أهداف التعليم لديها - فإننا نجد أن أهداف التعليم في المملكة العربيـة السعودية أفضل من أهداف التعليم في الدول الاخرى كلها ، ففي أهـداف التعليم في المملكة لاتوجد أهداف من مثل " انشاء جيل عربي قومي اشتراكي " ولا هدفا مثل " اعداد الطالب للحياة في المجتمع الاشتراكي الديمقراطي " وانما هي تركز على تمكين العقيدة في نفوس الناشئة ، وتحقيق الولاء للـه وحده سبحانه ، وتمكين الانتماء الحي الى الامة الاسلامية في نفوس الناشئة ، بشتى الوسائل .

أما مافي هذه الاهداف من مايشعر بالوطن وحبه والوفاء له ، فإن المقصود بذلك الوفاء للوطن الكبير " العالم الاسلامي " والوطن الصغير - " المملكة " بدرجة متساوية لا من أجل الارض والتراب ، وانما لانها ديـار الاسلام والمسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، ولأن المملكة بخاصة تضم الحرمين الشريفين ، وحقها على كـل مسلم ومنهم الطلاب في هذه البلاد حق زائد على حقوق البلاد الاخرى ، هذا هو المقصود فيما اعتقد من ذكر الوطن وحبه والوفاء له ، لأن هذا هـو الذي ينسجم مع بقية الاهداف التي تتضمنها السياسة العامة للتعليم .

---

١) سياسة التعليم في المملكة : المصدر السابق : ٣٤٤

وهنا لابد من التأكيد على ان السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية " تعد في نظري أنموذجاً يجب أن نقتدى به ، وأن يعم بلاد المسلمين كلها لما تتضمنه من أهداف اذا نفذت في الواقع العملي ضمنًا إعداد وتربية جيل مؤمن صالح يعمل لاصلاح حال البشر ، واذا كان الأمر كذلك فلا بد من الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة في المملكة العربية السعودية لا سيما وأن ماتضمنته من أهداف يؤيدها الشرع والواقع ، وكمثال على ذلك الهدف الذى ينص على منع الاختلاط في التعليم في كافة مراحله هدف ورد به الشرع وأيده الواقع المعاشى في العالم كله كما سأوضح ذلك عند الحديث عن الاختلاط في التعليم .

المطلب الثاني

الخطط الدراسية ونصيب مواد الدين فيها :

فيما ذكرت في الفقرة السابقة من قرارات المؤتمرات وقوانين الحكومات ، وفيما ذكرت من آراء التربويين في الفصل السابق يتضح أن الدين لم يكن لـــه ذكر ، حتى ولا للتبرك ، ماعدا ماورد في قرارات مؤتمرات باكستان المحلية ، ورغم ذلك فهي لم تنفذ كما قال الكونوتيل عثماني - واذا كانت المؤتمـرات على مستوى العالم العربي ، وكتابات التربويين وهم الذين يشتركون في المؤتمرات التربوية التي يُوصي فيها بأمور غالبا ما تطبق. لا تهتم بالعلوم الشرعية ، بـــل إن بعض التربويين يصدر منهم كتابات تهاجم الدين وتصفه بالفوجعية وتصف المتمسكين فيه بالرجعيين - فإن قرارات الحكومات وقوانينها تبع لهذه الاصول لان هذه الاصول - اعني التربويين - هي التي تقرر ، ولذا فان الانســـان لا يتوقع من اكثر الحكومات أن تهتم بتدريس الدين - كما أو كيفا - وهـــذا هو الواقع بالفعل ، فإن نصيب مواد الشرعية في المراحل الثلاث من خطط الدراسة هو اقل الانصبة ، واحياناً في بعض الخطط قد تزيد حصص الموسيقى ، او التربية الرياضية ، او التربية الفنية ،عن حصص الدين ، واحيانا تساويها ، اما اللغة الاجنبية فإنها في أغلب الخطط تزيد على حصص المواد الشرعيـــة هذا من الناحية الكمية . وليست الناحية الكمية هي التي تعطي هذه المسألـة حجمها ووزنها الصحيح غير أنها تشكل مع الناحية الكيفية المتمثلة في تدريس هذه المواد ، وموضوعات هذه المواد ، من جهة ، ومدى هيمنة التصـــور الاسلامي الصحيح على كافة المقررات الدراسية ، من مواد الدين ، الى مـواد العلوم والاجتماعيات ، والانجليزي واللغة العربية من جهة أخرى إطـــاراً واحدا يمكن من خلاله الحكم على مدى قرب المنهج من التصور الاسلامـــي أو بعده عنه .

والواقع المؤسف أن نصيب المواد الشرعية من الخطط في أغلـــب البلاد الاسلامية نصيب ضئيل من الناحيتين الكمية والكيفية ، فعدد حصص

الدين قليل ، والموضوعات التي تدرس ، قليلة ، وتقتصر على مايمس بالجانب العبادي من الدين ، دون الجوانب الأخرى ، كالمعاملات والحدود والاحوال الشخصية ، ويدرس هذا الجانب بكيفية سيئة لا تفيد الدارسين ، ولا تنشؤهم تنشئة اسلامية صحيحة .

واليك نماذج من خطط بعض الدول العربية ، وسوف أستعرض لكل دولة ما أذكر مجموعة من الخطط لسنوات متعددة حتى نقيس مدى التحسن أو عكسه فيما خصص للمواد الشرعية من حصص في الخطط . وابدأ بالاردن :

يلاحظ أن نصيب القرآن والديانة في المرحلة الثانوية في الاردن حسب خطة عام ١٩٥١/٥٠م كانت على التوالي $\frac{٢}{٣٥}$ في السنوات الاربع أي أي مايعادل (٥،٧٢ ٪) من عدد ساعات الدراسة الـ ٣٥ .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو $\frac{٨}{٣٥}$ في السنتين الاولى والثانية اى مايعادل (٢٢،٨٦ ٪) من عدد ساعات الدراسة الـ ٣٥ وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة (أدبي) هو $\frac{٩}{٣٥}$ اى مايعادل (٢٥،٧٢ ٪) وكان نصيبها في السنتين الثالثة والرابعة (علمي) هو $\frac{٦}{٣٥}$ اى مايعادل (١٧،١٦ ٪) "١"

وبهذا يكون نصيب اللغة الانجليزية في السنوات الاربع يعادل ـ (٢١ر ٩١ ٪) من مجموع الساعات . بينما القرآن والديانة نصيبها يعادل (٥،٧٢ ٪)

أما آخر خطة كما يذكرها صاحب كتاب (التعليم العام في البلاد العربية)* فانها تنص على الآتي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ٦٨/٢ .

*) صدرت في عام ١٩٦٨/٦٧م .

* أن نصيب التربية الدينية هو $\frac{٣}{٣٩}$ من الصف الاول (بنين) أى أن نسبة حصصها الى مجموع الحصص هو (٧ر٧٠ ٪) اما نصيبها في مدارس البنات فهو ($\frac{٣}{٣٨}$) أى أن نسبة حصصها الى مجموع الحصص هو (٩٠ ر ٧ ٪) .

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني (أدبي) بنين هو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر ٨ ٪) . أما نصيبها في مدارس البنات (ادبي) فهو ($\frac{٣}{٣٦}$) اى ماتعادل نسبة (٣٣ر ٨ ٪)

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثالث (أدبي بنين) هو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر٨ ٪) أما نصيبها في الصف الثالث (ادبي بنات) فهو ($\frac{٣}{٢٦}$) إى ماتعادل نسبته (٥٤ر١١ ٪) .

* أن نصيب التربية الدينية في الصف الثاني ثانوى علمي بنين هو ($\frac{٣}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٧ر٩٠ ٪) . أما نصيبها في الصف اثاني علمي بنات فهو ($\frac{٣}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١١ر٨ ٪)

* ان نصيب التربية الدينية في الصف الثالث ثانوى علمي بنين هو ($\frac{٣}{٢٩}$) أى ماتعادل نسبته (٣٥ر١٠ ٪) أما نصيبها في الصف الثالث علمي بنات فهو ($\frac{٣}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٧ر٩٠ ٪) .

فإذا أردنا مقارنة نصيب التربية الدينية بنصيب اللغة الانجليزية فإننا نجد أن نصيب اللغة الانجليزية في الصف الاول الثانوى من مجموع الحصص هو ($\frac{٧}{٣٩}$) للبنين أى ماتعادل نسبته (١٧ر٩٥ ٪) من مجموع الحصص، أما نصيبها في الصف الاول بنات فكان ($\frac{٧}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (٤٢ ر ١٨ ٪) .

* أما نصيب اللغة في الصف الثاني ادبي (بنين) فكان ($\frac{٨}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (٦٣ر٢١ ٪) أما نصيبها في الصف الثاني أدبي بنات فكان ($\frac{٨}{٣٦}$) أى ماتعادل نسبته (٢٢ر٢٢ ٪)

* أما نصيبها في الصف الثالث ادبي بنين فكان ($\frac{٨}{٣٧}$) أى ماتعادل نسبته (٢١٫٠٥ ٪) وأما في البنات فكان نصيب اللغة من الخطة هو ($\frac{٨}{٢٦}$) اى ماتعادل نسبته (٣٠٫٧٦ ٪) .
* وكان نصيب اللغة في الصف الثاني علمي " بنين " هو ($\frac{٦}{٣٨}$) اى ماتعادل نسبته (١٥٫٧٨ ٪) وكان نصيبها في الصف الثاني علمي بنات هو ($\frac{٦}{٣٧}$) اى ماتعادل نسبته (١٦٫٢١ ٪) .
* أما نصيبها من الخطة في الصف الثالث علمي بنين فهو ($\frac{٦}{٢٩}$) أى ماتعادل نسبته (٢٠٫٦٩ ٪) وفي الصف الثالث علمي بنات ($\frac{٦}{٣٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٥٫٧٩ ٪) "١"
* أما نصيب الدين والقرآن من خطة الدراسة للمرحلة الابتدائية في الاردن لعام ١٩٤٩/٤٨م فهو على النحو التالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٦}$ ، $\frac{٥}{٢٨}$ ، $\frac{٤}{٣٧}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$

هذا في مدارس البنين .

أما نصيب الدين والقرآن في خطة الدراسة لنفس المرحلة للبنات فقد كان على النحو الآتي على التوالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٨}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$

هذا في المدن .

أما نصيب الدين في مدارس القرى ذات الصفوف الخمسة من الخطة العامة فكان كالآتي على التوالي :

$\frac{٤}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٦}$ ، $\frac{٥}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٥}{٣٤}$ "٣"

وبنظرة عابرة نجد أن أعلى نسبة لحصص الدين بالنسبة للخطة هي (١٩٫٢٣ ٪) في الصف الثاني من مدارس المدن والقرى ($\frac{٥}{٢٦}$) وأن أدنى

---

١) المتعليم العام في البلاد العربية : ١١٣ . والنسب من عمل الباحث .
٢) حولية الثقافة العربية : ١/٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ الجداول الخاصة بذلك . والنسب من عمل الباحث .

نسبة هي (٨٫٨٢ ٪) وهي للصف الخامس للبنين ، والخامس والسادس للبنات .

أما في خطة عام ١٩٥١/٥٠م فقد كان نصيب الدين من حصص الخطة مايلي :

$\frac{٢}{٢٤}$ ، $\frac{٥}{٢٨}$ ، $\frac{٥}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٤}{٣٣}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$

وفي مقابل ذلك كان نصيب اللغة الانجليزية من الصف الرابع مايلي على التوالي :

$\frac{٦}{٣٣}$ ، $\frac{٦}{٣٣}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$ "٢"

وبنظرة عابرة كذلك نجد أن نصيب الدين في خطة عام ١٩٥١/٥٠م أقل من نصيبه في خطة عام ١٩٤٩/٤٨م ماعدا الصف الرابع ففي خطة عام ١٩٥١/٥٠م كان أكثر من نصيبه في عام ١٩٤٩/٤٨م ، وفي الصف الخامس والسابع متساويان .

كما أنه واضح أن اللغة الانجليزية كان لها نصيب أكثر من الدين في الخطة ، إذ أن نصيبها يمثل النسب الآتية منذ السنة الرابعة :

(١٨٫١٨ ٪) من عدد الحصص (١٨٫١٨ ٪) من عدد الحصص و (٢٠٫٥٨ ٪) من عدد الحصص و (٢٠٫٥٨ ٪) من عدد الحصص . بينما نصيب الدين منذ السنة الرابعة يمثل النسب الآتية :

(١٢٫١٢ ٪) من عدد الحصص و (١٢٫١٢ ٪) من عدد الحصص و (٨٫٨٢ ٪) من عدد الحصص و (٨٫٨٢٪) من عدد الحصص .

أما نصيب القرآن والدين عموماً من خطة عام ١٩٥٦م فلم يكن بأفضل من نصيبه في الخطتين السابقتين بل هو أقل نصيباً من السابقتين يوضح ذلك نظرة الى الجدول المتضمن للخطة فمنه يتبين أن نصيب الدين كان كالاتي :

---

١) نفس المصدر : ٢/ ٧٦، الجدول الخاص بذلك والنسب من عمل الباحث

$\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٥}{٣٢}$ ، $\frac{٥}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٣}{٣٦}$ ،

أما اللغة الاجنبية فإن نصيبها من الخطة في كل من الصف الخامس والسادس مايلي : $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٧}{٣٦}$.

وكان نصيب التربية البدنية والنشاط الحر من الخطة هو الآتي :

$\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٥}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٣}{٣٦}$.

وكان نصيب الرسم والاشغال من الخطة هو الآتي :

$\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٣}{٣٦}$ "١"

فاذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من الدين ، واللغة الاجنبية ، والتربية البدنية ، والرسم والاشغال ، لوجدنا أن مواد الدين كان نصيبها من الخطة في جميع السنوات هو $\frac{٢٤}{٢٠٢}$ أربع وعشرون حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (١٢ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات

اما اللغة الاجنبيه وهي تدرس في سنتين فقط فان نصيبها $\frac{١٣}{٢٠٢}$ ثلاث عشرة حصة من مائتين واثنتين من الحصص ، وهي تشكل من حيث النسبه (٦ر٥٠ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات اى نصيب مواد الدين .

أما التربية البدنية فقد كان نصيبها من الخطة في جميع السنوات هو : ($\frac{٢٣}{٢٠٢}$) ثلاثة وعشرون حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (١١ر٥٠ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

أما الرسم والاشغال فقد كان نصيب هذه المادة من الخطة في جميع السنوات هو ($\frac{١٧}{٢٠٢}$) سبعة عشرة حصة من مائتين واثنتين من الحصص . وهي تشكل من حيث النسبة (٨ر٥٠ ٪) .

أما نصيب التربية الدينية من الخطة الاخيرة "*" كما يذكر ذلك مؤلف كتاب التعليم العام في البلاد العربية فهو كالاتي :

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٥٠

*) هي خطة عام ١٩٦٨/٦٧م .

٢/٢٨ ، ٣/٣٠ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٥ ، ٤/٣٥ .

بينما اللغة الانجليزية كان نصيبها من الخطة هو كالآتي في السنتين الاخيرتين : ٦/٣٥ ، ٦/٣٥ .

وأما التربية الرياضية فقد كان نصيبها كالآتي على التوالي :

٤/٢٨ ، ٥/٣٠ ، ٥/٣٢ ، ٥/٣٢ ، ٥/٣٥ ، ٥/٣٥ .

أما التربية الفنية فكان نصيبها من الخطة كالآتي على التوالي :

٣/٢٨ ، ٣/٣٠ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٥ ، ٣/٣٥ .

أما مادة التعرف على البيئة فكان نصيبها من الخطة في السنة الثالثة كالآتي على التوالي :

٢/٢٨ ، ٣/٣٠ ، ٤/٣٢ ، ٤/٣٢ .(١)

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد المنمثل بها وهي الدين ، واللغة الانجليزية والتربية الرياضية والتربية الفنية ، والتعرف على البيئة لوجدنا أن نصيب المواد الدينية هو (٢١/١٩٢) وهو يشكل من حيث النسبة (١١ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الرياضية هو (٢٩/١٩٢) وهو يشكل من حيث النسبة (١٥٠. ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

وأن نصيب التربية الفنية هو (١٨/١٩٢) وهو يشكل من حيث النسبة (٩٫٥٠ ٪) من مجموع الحصص في جميع السنوات .

فإذا أردنا المقارنة بين نصيب مواد الدين في كل من السنوات ٤٨/١٩٤٩م و ٥٠/١٩٥١ ، ١٩٥٦م والخطة الاخيرة فإننا نجد أن نصيب المواد الدينية قد انخفضت نسبتها أخيراً . فقد كان نصيب المواد الدينية

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١١٠ .

من الخطة في عام ١٩٤٩/٤٨م هو (٢٩ / ٢١٥) لمدارس البنين أى ماتعادل نسبته (١٣٫٧٠ ٪) و (٢١ / ٢٠٨) في مدارس البنات أى و[٢٣ / ١٥١] في مدارس القرى اى ما تعادل نسبته [١٥٫٢ ٪] ماتعادل نسبته (١٣٫١٠ ٪) . أى ان نسبة نصيب المواد الدينية في هذه المرحلة للانواع الثلاثة من المدارس هو (١٣٫٨٠) اذ ان عدد الحصص هو (٨١ / ٥٨٤) .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥١/٥٠م فقد كان (٢٦ / ٢١٨) أى ماتعادل نسبته ١٢ ٪ .

أما نصيب الدين في خطة عام ١٩٥٦م فقد كان (٢٤ / ٢٠٢) أى ماتعادل نسبته ١٢ ٪ أيضا .

أما نصيبه في الخطة الاخيرة فقد كان (٢١ / ١٩٢) أى ماتعادل نسبته ١١ ٪ .

وبذا يتضح أن نصيب العلوم الدينية من الخطط قد انخفض من ١٣٫٨٠ ٪ عام ١٩٤٩/٤٨ ، الى ١٢ ٪ عامي ٥٠ ، ٥١ و ١٩٥٦م الى ١١ ٪ في الخطة الاخيرة .

أما نصيب الدين في المرحلة الاعدادية بالاردن حسب آخر خطة * فقد كان كالاتي :

٣ / ٣٥ ، ٣ / ٣٥ ، ٣ / ٣٧ .

وكان نصيب اللغة الانجليزية هو كالاتي :

٦ / ٣٥ ، ٦ / ٣٥ ، ٦ / ٣٧ .

وكان نصيب التربية الرياضية هو كالاتي :

٥ / ٣٥ ، ٥ / ٣٥ ، ٦ / ٣٧ .

---

*) هي خطة عام ١٩٦٨/٦٧م

وكان نصيب التعليم المهني هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٥}$ ، $\frac{٣}{٣٧}$. [١]

فإذا أردنا أن نقارن بين نصيب كل من المواد الممثل بها هنا فإننا نجد أن نصيب الدين في الخطة في السنوات الثلاث هو ($\frac{٩}{١٠٧}$) أي ما تعادل نسبته (٨ر٥٠ ٪) وأن نصيب اللغة الانجليزية هو ($\frac{١٨}{١٠٧}$) أي ضعف نصيب المواد الدينية وتعادل نسبته (١٧ ٪) .

وأن نصيب التربية الرياضية من الخطة هو ($\frac{١٦}{١٠٧}$) أي ماتعادل نسبته (١٥ ٪) .

وأن نصيب التربية الفنية من الخطة هو ($\frac{٦}{١٠٧}$) اى ماتعادل نسبته (٦ ٪) .

وأن نصيب التعليم المهني هو ($\frac{٩}{١٠٧}$) أي ماتعادل نسبته (٨ر٥٠ ٪) أي أن نصيبه مساو لنصيب المواد الدينية .

وفي البحرين كان نصيب القرآن والدين عموماً في المرحلة الابتدائية حسب خطة عام ١٩٥٦م كالاتي :

$\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب الرسم كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

وكان نصيب الاشغال كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما التربية البدنية فكان نصيبها هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

---

١) التعليم العام في البلاد العربية : ١١٠ .

وأما نصيب الغناء فكان كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما النشاط الحر فكان له من الخطة مايلي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٠}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

أما اللغة الاضافية فكان لها من الخطة مايلي × :

$\frac{٦}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$ ، $\frac{٧}{٣٤}$. "١"

فإذا أردنا المقارنة بين انصبة المواد الممثل بها ونسبتها الى الخطة فإننا نجد أن نصيب القرآن والدين عموما كان ($\frac{١٦}{١٩٦}$) أى ماتعادل نسبته (٨ ٪) .

وأن نصيب الرسم والاشغال معاً هو ($\frac{١٨}{١٩٦}$) أى ماتعادل نسبته (٩ ٪) .

وأن نصيب التربية البدنية كان ($\frac{١٢}{١٩٦}$) أى ماتعادل نسبته (٦ ٪)

وان نصيب الغناء كان ($\frac{٧}{١٩٦}$) أى ماتعادل نسبته (٣ر٥٠ ٪)

وان نصيب النشاط الحر هو ($\frac{٨}{١٩٦}$) اى ماتعادل نسبة (٤ ٪)

أما اللغة الاضافية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هو :

($\frac{٢٠}{١٩٦}$) أى ماتعادل نسبته (١٠ ٪) .

وفي سوريا يلاحظ أن نصيب الدين والقرآن من الخطة الدراسية في المرحلة الابتدائية علم ٥٠/١٩٥١م هو كالاتي : *

$\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$.

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٥٣ .

*) هذه جزء من خطة الدراسة في المدارس الابتدائية الريفية .

أما الرسم والاشغال اليدوية فكان نصيبها كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

وأما النشيد والرياضة البدنية فكان نصيبها كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$. "١"

فاذا أردنا المقارنة بين نصيب كل من المواد المشار بهن فإننا نجد أن نصيب مادة الدين والقرآن الكريم في هذه المرحلة هو ($\frac{١٨}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (١٠ر٥٨ ٪) .

وأن نصيب الرسم والاشغال من الخطة كان ($\frac{٨}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (٤ر٧٠ ٪) .

أما نصيب النشيد والرياضة البدنية فكان ($\frac{٨}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبتة (٤ر٧٠ ٪) .

وفي الخطة التي جاءت بعدها لعام ١٩٥٦م بقي نصيب القرآن والدين على حاله بينما زاد نصيب كل من مواد الرسم والاشغال ، والتربية الرياضية . و وقد صار نصيب مادة الدين والقرآن كالاتي :

$\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$.

وصار نصيب الرسم والاشغال كالاتي :

$\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ - ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وصار نصيب التربية البدنية والغناء كالاتي :

$\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ "٢"

----

١) حولية الثقافة العربية : ٢/٩٥ .

٢) دراسات في نظم التعليم : ٥٢ .

فإذا أردنا المقارنة بين هذه الخطة والخطة السابقة فإننا نجد أن نصيب مادة الدين والقرآن في هذه المرحلة هو ($\frac{١٨}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (١٠٫٥٨ ٪) أى نفس عدد الحصص من الخطة السابقة ونفس النسبة السابقة .

أما نصيب مادة الرسم والاشغال فقد صار ($\frac{١١}{١٧٠}$) اى ماتعادل نسبته (٦٫٤٧ ٪) فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن عدد الحصص في الخطة السابقة بثلاث ، وزادت النسبة تبعا لذلك .

وكذلك أصبح نصيب التربية البدنية والغناء مثل نصيب الرسم والاشغال ($\frac{١١}{١٧٠}$) أى ماتعادل نسبته (٦٫٤٧ ٪) فقد زادت عدد الحصص في هذه الخطة عن الحصص في الخطة السابقة بثلاث حصص فزادت تبعا لذلك النسبة .

أما نصيب مادة الدين في المرحلة المتوسطة * من خطة عام ١٩٥٢/٥١م فكان كالاتي :

$\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$.

بينما اللغة الاجنبية كان نصيبها الاتي :

$\frac{٧}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$.

أما مادة الاخلاق والمعلومات الوطنية فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ في الصفوف الاخيرة .

أما مادة الرسم فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، في الصفوف الثلاثة الاولى .

اما الموسيقي فكان نصيبها هو : $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ في الصفوف الثلاثة الاولى

---

* كانت المرحلة المتوسطة أربع سنوات ، وهي تعد الحلقة المتوسطة من المدارس الثانوية وتبدأ من الصف السادس لان الابتدائي خمس صفوف.

أما الرياضة البدنية فكان نصيبها هو :

$\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{[illegible]}{٣٢}$.

فإذا أردنا عقد مقارنة بين نصيب الدين ، ونصيب غيره من المواد الممثل بها فإننا سنجد أن مادة الدين أقلهن نصيباً من الخطة ماعدا مادة الموسيقى . فقد كان نصيب الدين من الخطة هو ($\frac{٤}{١٢٨}$) أي ماتعادل نسبته (١٢ر٣ ٪) أما مادة اللغة الاجنبية فقد كان نصيبها هو ($\frac{٢٥}{١٢٨}$) أي ماتعادل نسبته (١٩٫٩٠٪) أما مادة الرسم فقد كان نصيبها من الخطة هو ($\frac{٥}{١٢٨}$) أي ماتعادل نسبته (٤ ٪) أما مادة الموسيقى فقد كان نصيبها هو ($\frac{٣}{١٢٨}$) اى ماتعادل نسبته (٢ ٪) . أما مادة التربية الرياضية فقد كان نصيبها هو ($\frac{٦}{١٢٨}$) أي ماتعادل نسبته (٥ ٪)

أما نصيب الدين في الحلقة الاعدادية[1] من المدارس الثانوية حسب خطة عام ١٩٥٢/٥١م فهو كالتالي :

$\frac{١}{٣٠}$ ، $\frac{١}{٣٠}$ ، $\frac{١}{٣٠}$ باقسامها العلمية والادبية .

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية هو كالاتي :

$\frac{٦}{٣٠}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ ، $\frac{٥}{٣٠}$ في كلا القسمين العلميين[2]

---

(١) التعليم الثانوي ينقسم الى مرحلتين : الاولى : المرحلة المتوسطة وهي أربع سنوات ، والثانية : الاعدادية ، وهي ثلاث سنوات .

(٢) القسمين هما : " العلوم الطبيعية والفيزيائية " والرياضية الفيزيائية وهذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاقتصادية باللغة الاجنبية .

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فكان نصيبها كالاتي :

$\frac{٢}{٣٠}$ ، في الصف الحادي عشر في كلا القسمين و $\frac{٤}{٣٠}$ في الصف الثاني عشر من كلا القسمين العلميين .

أما في الفرع الادبي فإن اللغة الاجنبية كان نصيبها من الخطة هو $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف العاشر و $\frac{٥}{٣٠}$ في الصف الحادي عشر - تخصص اجتماعيات و $\frac{٦}{٣٠}$ تخصص آداب ولغات ، و $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف الثاني عشر - آداب ولغات " . ✱

أما الفلسفة ودراسة المجتمع فإنها تحتل في الصف الحادي عشر $\frac{٢}{٣٠}$ في كلا الاختصاصين السابقين ، و $\frac{٤}{٣٠}$ في الصف الثاني عشر تخصص اجتماعيات و $\frac{٦}{٣٠}$ تخصص آداب ولغات . "٢"

فإذا أردنا عمل مقارنة بين ما خصص للدين وما خصص لغيره من المواد المثل بها فإننا نجد أن نصيب الدين هو أقل الانصبة إذ أن نصيب الدين في الخطة في السنوات الثلاث هو ثلاث حصص في كافة الاقسام ، ولا حاجة الى عمل النسبة فان ذلك واضح بمجرد النظرة العابرة .

أما دور المعلمين فإن نصيب الدين في صفوفه الثلاث من الخطة كالاتي *

$\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{٠}{٣٤}$.

✱ هذا بخلاف ساعة وضعت للنصوص الاختصاصية باللغة الاجنبية في الصف العاشر وساعتان في الحادي عشر والثاني عشر .

٢) حولية الثقافة العربية : ٣ / ١٢٦ .

*) حسب خطة عام " ١٩٥٠ " فقد صدر مرسوم برقم ١٣٥ في ١٩٥٠/١/١٨ م بنظام جديد لدور المعلمين والمعلمات.

بينما اللغة الاجنبية كان نصيبها في الصفين الاولين كالتالي :

$\frac{٥}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$.

وكان نصيب مادة الرسم هو كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب مادة الاشغال هو كالاتي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$.

وكان نصيب التربية البدنية هو كالاتي :

$\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.

أما الموسيقى فكان نصيبها هو :

$\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$.(١)

ولدى المقارنة نجد أن نصيب الدين من الخطة هو أقل الانصبة اذ أن نصيبه من الحصص هو ($\frac{٢}{١٠٢}$) وهي تعادل (١٫٩٦ ٪) .

وأما اللغة الاجنبية فكان نصيبها هو ($\frac{٨}{١٠٢}$) وهي تعادل نسبة (٧٫٨٤ ٪) .

وأما مادتي الرسم والاشغال فكان نصيبها من الخطة هو ($\frac{١٢}{١٠٢}$) أي مايعادل (١١٫٧٧ ٪) .

أما التربية البدنية فكان نصيبها من الخطة في السنوات الثلاث هو ($\frac{٤}{١٠٢}$) وهي تعادل نسبة (٣٫٩٢ ٪) .

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢/١١٥ .

وفي العراق نجد أن نصيب الدين والقرآن للمرحلة الابتدائية حسب خطة عام (١٩٤٩/٤٨م) كما يلي :

$\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$

وأن نصيب اللغة الانجليزية في الصفين الخامس والسادس هو مايلي :

$\frac{٦}{٣٢}$ ، $\frac{٦}{٣٢}$.

وأن نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية هو في السنوات الثلاث الاخيرة مايلي :

$\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$ ، $\frac{١}{٣٢}$.

أما الرسم والاعمال اليدوية فكان نصيبها مايلي :

$\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$ ، $\frac{٤}{٣٢}$.

وكان نصيب التربية البدنية والنشيد مايلي :

$\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٠}$ ، $\frac{٣}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$ ، $\frac{٢}{٣٢}$.(١)

واذا أردنا عمل مقارنة بين نصيب ماذكر من المواد فإننا نجد أن نصيب الدين والقرآن من الخطة في السنوات الست هو ($\frac{١٨}{١٨٨}$) أي ماتعادل نسبته (٩٫٥٠ ٪) .

أما اللغة الانجليزية وهي لا تقدم الا في سنتين فإن من الواضح أن نسبة حصصها أكثر من نسبة حصص الدين الى مجموع الخطة فإن عدد حصص اللغة الانجليزية هو ($\frac{١٢}{١٨٨}$) أي ماتعادل نسبته (٦٫٥٠ ٪) .

أما نصيب الواجبات الاخلاقية والوطنية فقد كان ($\frac{٣}{١٨٨}$) أي ماتعادل نسبته (١٫٥٠ ٪) .

----

١) حولية الثقافة العربية : ٢١٨/١ جدول (٣٧) .

أما نصيب الرسم والاعمال اليدوية فقد كان ($\frac{٢٢}{١٨٨}$) أى ماتعادل نسبته (١١٫٧٥ ٪) .

وكان نصيب التربية البدنية من الخطة للسنوات الست ($\frac{١٦}{١٨٨}$) أى أى ماتعادل نسبته (٨٫٥٠ ٪) .

وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاعمال اليدوية من نصيب الدين أعلى .

وقد بقيت هذه الخطة لم تتغير فقد كانت خطة عام ١٩٥٦ م هي نفس هذه الخطة . "١"

أما في المرحلة الثانوية في العراق فإن نصيب التربية الدينية من الخطة الدراسية حسب خطة عام ١٩٤٩/٤٨ مايلي :

$\frac{٢}{٣٢}$ في الصف الرابع ، $\frac{٢}{٣٢}$ في الصف الخامس (أدبي) ، $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف السادس (أدبي) و $\frac{٢}{٣٣}$ في الصف الخامس (علمي) و $\frac{٢}{٣١}$ في الصف السادس (علمي) .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية من الخطة هو مايلي :

$\frac{٥}{٣٢}$ في الصف الرابع و $\frac{٦}{٣٢}$ في الصف الخامس (أدبي و $\frac{٦}{٣٠}$ في الصف السادس (أدبي) و $\frac{٥}{٣٣}$ في الصف الخامس (علمي) و $\frac{٥}{٣١}$ في الصف السادس (علمي) .

ولا حاجة بنا للمقارنة بين نصيب كل من المادتين فالفرق واضح للنظرة العابرة .

أما عن نصيب الدين والقرآن في دور المعلمات الاولية (*) فهو مايلي :

$\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$.

---

١) دراسات في نظم التعليم ؛ ٨٤ .

(*) الدراسة فيها اربع سنوات بعد الابتدائية .

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين والقرآن فإن نصيبها من الخطة هو مايلي :

٥/٣٨ ، ٥/٣٨ ، ٥/٣٨ ، ٤/٣٨ . [١]

والفرق واضح لا يحتاج للمقارنة .

أما عن نصيب الدين في دور المعلمين الابتدائية * فهو مايلي :

١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ٠/٣٦ .

بينما نجد أن نصيب اللغة الانجليزية يفوق نصيب الدين فإن نصيبها هــو :

٥/٣٨ ، ٤/٣٨ ، ٣/٣٨ . [٢]

والفرق واضح لا يحتاج الى مقارنة .

----

١) حولية الثقافة العربية : ١/٢٥٦ .

*) الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد المتوسطة . انظر حولية الثقافــة العربية : ١/٢٥٣ .

٢) حولية الثقافة العربية : ١/ ... ٢٥٧ .

وفي الكويت كان نصيب التربية الدينية في معاهد إعداد المعلمين حسب خطة عام ١٩٦١ م هو مايلي :

٢/٣١ ، ٢/٣١ ، ٢/٣١ ، ٢/٣١ .

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

٥/٣١ ، ٤/٣١ ، ٤/٣١ ، ٤/٣١ .

وأما مايسمى بالتربية الموسيقية فكان نصيبها كما يلي :

٢/٣١ ، ٢/٣١ ، ١/٣١ ، ١/٣١ . (١)

والفرق واضح لا احتاج معه الى مقارنة بين انصبة هذه المواد الممثل بها .

أما في المرحلة الابتدائية * فاننا نجد أن نصيب القرآن الكريم والدين في احدى الخطط هو مايلي :

٤/٣٢ ، في الصف الاول الاعدادى و ٤/٣٤ و ٤/٣٤ في الصفين الثاني والثالث الاعدادى .

و ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ في الصفوف الاربعة الابتدائية .

بينما كان للغة الانجليزية من الحصص مايلي :

٧/٣٤ ، ٧/٣٤ في الصفين الاول والثاني الابتدائي .

---

(١) حول التعليم الابتدائي : ص٢٥

* . تنقسم المرحلة الابتدائية في الكويت الى قسمين :

١ - اعدادى ويشمل الصفوف الثلاثة الاولى .

٢ - ابتدائي ويشمل الصفوف الاربعة الاخيرة فتكون بذلك مرحلة التعليم الابتدائي سبع سنوات .

$\frac{٨}{٣٤}$ ، $\frac{٨}{٣٤}$ في الصفين الثالث والرابع الابتدائي .

أما الرسم والاشغال فإن نصيبها من الخطة مايلي :

$\frac{٣}{٣٢}$ في الصف الاول إعدادى و $\frac{٤}{٣٤}$ في الصف الثاني والثالث إعدادى و $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ في الصفوف الاربعة الابتدائية .

وتحتل التربية البدنية من الخطة مايلي :

$\frac{٣}{٣٢}$ في الصف الاول اعدادى $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ في الصفين الثاني والثالث اعدادى و $\frac{٢}{٣٤}$ في الصف الأول الابتدائي و $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ في الصفوف الثاني والثالث والرابع الابتدائي

أما مادة الغناء فإنها تحتل من الخطة مايلي :

$\frac{١}{٣٢}$ في الاول و $\frac{١}{٣٤}$ ، $\frac{١}{٣٤}$ في كل من الصفين الثاني والثالث .[1]

وواضح أن اللغة الانجليزية تفوق في عدد الحصص المخصصة لها مواد القرآن الكريم والدين فعدد حصص اللغة في السنوات الاربع ($\frac{٣٠}{٢٣٦}$) ثلاثون حصة من مائتين وست وثلاثين حصة هي مجموع الحصص للسنوات السبع وهي تمثل نسبته (١٢٫٧٠ ٪) بينما تصيب القرآن الكريم والدين في السنوات السبع هو ($\frac{٢٤}{٢٣٦}$) وهي تمثل مانسبته (١٠ ٪) .

---

(١) دراسات في نظم التعليم : ٥٣ .

وفي ليبيا كان نصيب الدين والقرآن في المرحلة الابتدائية في احدى الخطط كما يلي :

٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٤/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٣/٣٦ .

بينما كان نصيب التربية البدنية ضعف نصيب الدين فهو كما يلي :

٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ ، ٦/٣٦ .

وكان نصيب الرسم هو: ٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦

وكان نصيب الاشغال اليدوية هو كما يلي :

٣/٣٦ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٦ ، ١/٣٦ .

وكان نصيب الغناء في الصفوف الثالث والرابع والخامس والسادس كما يلي :

١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ١/٣٦ ، ١/٣٦ .

فاذا أجرينا مقارنة بين نصيب المواد الممثل بها وجدنا أن نصيب الدين منها هو (٢٠/٢١٦) اى ماتعادل نسبته (٩٫٢٥ ٪) وان التربية البدنية كان نصيبها في السنوات الست هو (٣٦/٢١٦) أى ماتعادل نسبته (١٦٫٥٠ ٪) وهو ضعف نصيب الدين تقريبا وان نصيب الرسم هو (١٤/٢١٦) أى ماتعادل نسبته (٦٫٤٨ ٪) .

وان نصيب الأشغال هو (١٣/٢١٦) وهي تعادل (٦ ٪) وان نصيب الغناء هو (٤/٢١٦) أى ما تعادل نسبته (٢ ٪) .

أما خطة عام (١٩٦٩) فقد كان نصيب الدين من الخطة الدراسية للمرحلة الابتدائية هو كما يلي :

٢/٣٤ ، ٢/٣٤ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٦ ، ٢/٣٥ .

بينما التربية البدنية كان نصيبها من الخطة هو :

٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ ، ٢/٣٦ ، ٢/٣٥ . "١"

---

١) حول التعليم الابتدائية : ١١٣

فاذا قارنا بين نصيب كل من المادتين وجدنا أن مادة التربية البدنية تحظى بنصيب أكبر من مادة الدين فان نصيبها من الخطة في السنوات الست هو ($\frac{١٦}{٢٠٣}$) أى ماتعادل نسبته (٨ ٪) وأما نصيب الدين من الخطة في السنوات الست فهو ($\frac{١٥}{٢٠٣}$) أى ماتعادل نسبته (٧٫٥٠ ٪)

واذا أردنا المقارنة بين نصيب الدين من الخطة السابقة وهذه الخطة فاننا نجد أن نصيب الدين في هذه الخطة أضعف من نصيبه في الخطة السابقة فقد كان للدين من الخطة السابقة في السنوات الست ($\frac{٢٠}{٢١٦}$) أى ماتعادل نسبته (٩٫٢٥ ٪) . أما في هذه الخطة فان نصيب الدين فيها هو ($\frac{١٥}{٢٠٣}$) اى ماتعادل نسبته (٧٫٥٠ ٪) .

* وفي مصر كان نصيب القرآن من خطة الدراسة بالمرحلة الابتدائية في حسب خطة عام ١٩٤٩م هو مايلي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$.

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية هو في السنتين الثالثة والرابعة كما يلي :

$\frac{٨}{٣٨}$ ، $\frac{٨}{٣٨}$. "١"

ومن الواضح أن نصيب اللغة الاجنبية رغم أنه يدرس في سنتين ضعف نصيب الدين وهو يدرس في أربع سنوات ، فان نسبة نصيب الدين الى مجموع ساعات الخطة هو (٥٫٠٠ ٪) بينما اللغة الاجنبية كان نسبة نصيبها الى مجموع ساعات الخطة هو : (١١ ٪) .

* أما في خطة عام ١٩٥٦م فقد كان نصيب الدين من الخطة في المرحلة الابتدائية كما يلي :

$\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٢}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٣}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٨}$ ، $\frac{٤}{٣٨}$.

---

١) حولية الثقافة العربية : ١/٤٢١ ، ٤٢٢ جدول (٦٦) .

بينما كان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٣/٣٤ ، ٢/٣٨ ، ٢/٣٨ .

وكان نصيب الرسم والاشغال في الخطة هو كما يلي :

٦/٣٤ ، ٦/٣٤ ، ٦/٣٤ ، ٦/٣٤ ، ١٠/٣٨ ، ١٠/٣٨ . [١]

ولدى اجراء المقارنة بين انصبة كل من المواد المشار اليها يتضح أن نصيب الدين من الخطة ادنى من نصيب الرسم والاشغال فان نصيب الرسم والاشغال هو (٤٤/٢١٢) أى ماتعادل نسبته (٢٠٫٧٥ ٪) بينما نصيب الدين من الخطة هو (١٨/٢١٢) اى ماتعادل نسبته (٨٫٥٠ ٪) وبذا يتضح أن نصيب الرسم والاشغال هو أكثر من ضعف نصيب الدين . وأما التربية البدنية فان نصيبها أقل من نصيب الدين بشيء بسيط . اذ أن نصيب التربية البدنية هو (١٦/٢١٢) أى ماتعادل نسبته (٧٫٥٠ ٪) فالفرق بينهما هو واحد بالمائة . واذا جمعنا نصيب التربية البدنية ، والرسم والاشغال أصبح نصيبها من الخطة هو (٦٠/٢١٢) اى ماتعادل نسبته (٢٨٫٥٠ ٪) أى أن نصيب المادتين أكثر من ثلاثة اضعاف نصيب الدين .

" وكان نصيب الدين في الخطة التي صدرت عام ١٩٧١م بموجب القرار الوزارى رقم ١٧٩ في ١٩٧١/٧/١م وطبقت من عام ١٩٧٢/٧١م هو مايلي :

٣/٢٨ ، ٣/٢٨ ، ٣/٣١ ، ٣/٣١ ، ٣/٣٢ ، ٣/٣٢ . "[٢]

أى ان مجموع الساعات المخصصة للدين هي (١٨/١٨٢) أى ماتعادل نسبته (١٠ ٪) .

---

١) دراسات في نظم التعليم : ٤٩ .

٢) حول التعليم الابتدائي : ٥٣ .

* أما في التعليم المتوسط فان نصيب الدين حسب خطة عام ١٩٥٧م الصادرة بقانون رقم - ٥٥ - فهو كما يلي :

$\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

بينما تحتل اللغة الاجنبية ضعف ماخصص للدين فان نصيبها هو مايلي :

$\frac{٥}{٣١}$ ، $\frac{٥}{٣١}$ ، $\frac{٥}{٣١}$.

وأما الرسم والاعمال اليدوية ، والتربية الرياضية فان نصيب كل منهما مساو لنصيب الدين فأنصبتها كالاتي :

الرسم : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

المواد العملية : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

التربية الرياضية : $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$ ، $\frac{٢}{٣١}$.

وأما الموسيقى والاناشيد فكان نصيبها من الخطة هو كما يلي :

$\frac{١}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$ ، $\frac{١}{٣١}$.(١)

فاذا أردنا المقارنة بين هذه المواد الممثل بها يتبين لنا ان :-

اللغة الانجليزية هي أعلى هذه المواد نصيبا من الخطة فان اللغة الانجليزية لها من الحصص ($\frac{١٥}{٩٣}$) من مجموع حصص المرحلة وهي ٩٣ وهي تعادل نسبة (١٦,١٣ ٪) .

وأما الدين فان نصيبه من الخطة هو ($\frac{٦}{٩٣}$) أى ماتعادل نسبته (٦,٤٥ ٪) .

وكذلك بقية المواد (الرسم) لها نفس النسبة ،والمواد العملية لها نفس النسبة والرياضية لها نفس النسبة .

---

١) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٣٩ .

أما في المرحلة الثانوية " * " فقد كان نصيب الدين من خطة عام ١٩٤٩ م كما يلي :

$\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ في سنتي القسم الاول (للبنين والبنات)

بينما كان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{٨}{٣٨}$ ، $\frac{٨}{٣٨}$ في سنتي القسم الاول .

وأما نصيب الدين في سنتي القسم الثاني من المرحلة الثانوية فكما يلي :

$\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية كما يلي :

$\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٦}{٣٧}$ من السنة الثانية في الشعبتين الادبية والعلمية و $\frac{٦}{٣٧}$ " ٢ "

فاذا قارنا بين نصيب كل من المادتين " الدين " واللغة الانجليزية فاننا نجد أن نصيب اللغة الانجليزية اضاف نصيب الدين فان نصيب اللغة الانجليزية من الحصص هو (٣٤) حصة من ١٩٠ حصة وهي تمثل مانسبته (٩٠ ر ١٧ ٪) بينما الدين كان نصيبه من الخطة في السنوات الخمس هو $\frac{٥}{١٩٠}$ أى ماتعادل نسبته (٢٫٦٣ ٪) فقط .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١ م فقد كان نصيب الدين في خطة المدارس الثانوية هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$.

بينما اللغة الاوربية كان لها من الخطة مايلي :

$\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٥}$ في السنة الخامسة (شعبة آداب) .

------ ---------------

(١) (*) المدارس الثانوية حسب القانون رقم (١٠) لسنة ١٩٤٩م في المادة العاشرة تنقسم الى قسمين الاول ومدته سنتان والثاني ومدته ثلاث سنوات.

(١) حولية الثقافة العربية : ١/ ٤٢٧-٤٢٩ جداول (٦٨، ٦٩، ٧٠)

وكان نصيب اللغة الاوربية الثانية هو كما يلي :

$\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٤}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٥}$ في السنة الخامسة

(شعبة آداب و $\frac{٣}{٣٥}$ شعبة علوم في السنة نفسها .

وكان نصيب الرسم هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{١}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$.

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٠}{٣٥}$ "١"

ولدى عمل مقارنة بين المواد الممثل بها في هذه الخطة يتضح أن نصيب الدين في الخطة أقل من نصيب اللغة الاوربية الاولى ، او الثانية ، فان نصيب اللغة الاوربية الاولى من الخطة هو ($\frac{٣٢}{١٧٩}$) اى ماتعادل نسبته (١٨ ٪) في شعبة الآداب ، وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو($\frac{٢٩}{١٧٩}$) أى ماتعادل نسبته (١٦ ٪) .

أما نصيب اللغة الاوربية الثانية في شعبة الآداب فكان ($\frac{٢٤}{١٧٩}$) أى ماتعادل نسبته (١٣ر٥٠ ٪) وفي شعبة العلوم كان نصيبها هو $\frac{١٩}{١٧٩}$ أى ماتعادل نسبته (١٠ر٥٠ ٪) .

فاذا جمعنا ماخصص للغة الاوربية الاولى والثانية فاننا نجد أن ماخصص لها في شعبة الآداب هو ($\frac{٥٦}{٣٥٨}$) اى ماتعادل نسبته (١٥ر٥٥ ٪)

وماخصص للغة الاولى والثانية شعبة العلوم هو ($\frac{٤٨}{٣٥٨}$) أى ماتعادل نسبته (١٣ر٥٠ ٪) .

وبذا يتضح ان نصيب اللغة الاوربية الاولى والثانية كان (١٠٤) حصة وهي تعادل نسبة (٢٩ ٪) .

---

١) نفس المصدر السابق ٣٥٦/٣ .

بينما الدين لم يخصص له في كافة السنوات الخمس بشعبها سوى ($\frac{٦}{١٧٩}$) اى ماتعادل نسبته (٣ر٥٠ ٪) ٠

وكان نصيب الرسم مساوية لنصيب الدين .

أما نصيب التربية البدنية فكان ($\frac{٨}{١٧٩}$) أى ماتعادل نسبته (٤ر٥٠ ٪)

* وفي خطة عام ١٩٥٣م التي سبق الحديث عنها قريبا كان نصيب الدين هوكما يلي :

$\frac{٢}{٣٦}$ ، $\frac{٢}{٣٥}$ في الصف الثاني أدبي ، $\frac{٢}{٣٦}$ في الثالث ادبي .

و $\frac{٢}{٣٦}$ في الصف الثاني علمي ، $\frac{٢}{٣٧}$ في الصف الثالث علمي .

بينما كان نصيب اللغة الاجنبية الاولى هوكما يلي :

$\frac{٦}{٣٦}$ ، $\frac{٧}{٣٥}$ في الصف الثاني أدبي ، $\frac{٧}{٣٦}$ في الصف الثالث أدبي .

و $\frac{٦}{٣٦}$ في الصف الثاني علمي ، $\frac{٥}{٣٧}$ في الصف الثالث علمي .

وكان نصيب اللغة الاجنبية الثانية هوكما يلي :

$\frac{٣}{٣٦}$ ، $\frac{٥}{٣٥}$ في الصف الثاني أدبي ، $\frac{٥}{٣٦}$ في الصف الثالث أدبي .

و $\frac{٣}{٣٦}$ في الصف الثاني علمي و $\frac{٣}{٣٧}$ في الصف الثالث علمي . (١)

فاذا قارنا نصيب الدين بأنصبة غيره من المواد المثل بها فاننا نجد أن نصيب الدين في القسم الادبي هو ($\frac{٦}{١٠٧}$) اى ماتعادل نسبته (٦٠ر٥ ٪) وان نصيب الدين في القسم العلمي هو ($\frac{٦}{١٠٩}$) اى ما تعادل نسبته (٥٠ر٥ ٪) .

---

(١) التاريخ الثقافي للتعليم في مصر : ٢٤٤ صدر القانون رقم ٢١١ لعام ١٩٥٣م بتنظيم التعليم الثانوى .

أما نصيب اللغة الاجنبية الاولى في القسم الأدبي فهو ($\frac{٢٠}{١٠٧}$)
أي ماتعادل نسبته (١٨٫٧٠ ٪) .

أما نصيبها في القسم العلمي فهو ($\frac{١٧}{١٠٩}$) أي ماتعادل نسبتــــه (١٥٫٦٠ ٪) .

وأما نصيب اللغة الاجنبية الثانية فكان في القسم الأدبي ($\frac{١٣}{١٠٧}$)
أي ماتعادل نسبته (١٢٫١٥ ٪) .

وكان نصيبها من القسم العلمي هو ($\frac{٩}{١٠٩}$) اى ماتعادل نسبتــــه
أي ماتعادل نسبته (٨٫٢٥ ٪) .

واذا أردنا جمع ماخصص لمادة الدين في القسمين ومعرفة نسبتــــه فاننا نجد أن ماخصص للدين في القسمين هو ($\frac{١٢}{٢١٦}$) أى ماتعادل نسبته (٥٫٥٥ ٪) .

ونجد أن ماخصص للغة الاجنبية الاولى هو ($\frac{٣٧}{٢١٦}$) اى ماتعادل نسبته (١٧٫١٥ ٪) ونجد أن ماخصص للغة الاجنبية الثانية في القسمين هو ($\frac{٢٢}{٢١٦}$) اى ماتعادل نسبته (١٠٫٢٠ ٪)

وبذا يتضح أن نصيب مادة الدين أقل بكثير من نصيب مادة اللغــــــة الأجنبية .

اما مدارس المعلمين فانني سوف أستعرض ثلاث خطط صدرت علــــى التوالي ، الاولى عام ١٩٤٧م ، وطبقت عام ١٩٤٨/١٩٤٩م ،والثانية عام ١٩٥٢/٥١م ، والثالثة وهي الاخيرة وقد صدرت عام : ١٩٦١م

• فأما الخطة الاولى فلم يكنللدين اى نصيب في الخطة بينما كـــان نصيب اللغة الانجليزية هو كما يلي :

$\frac{٦}{٣٤}$ في الصف الاول ، $\frac{٤}{٣٢}$ في الصف الثاني .

و $\frac{١}{٣٠}$ في الصف الثالث (آداب) و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث رياضة وعلوم

و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث اشغال ورسم .

وكان نصيب التربية البدنية هو $\frac{٢}{٣٢}$ في الصفين الاول والثاني ،

و $\frac{٢}{٣٠}$ في الصف الثالث باقسامه كلها .[١]

ولا تحتاج هذه الخطة الى تعليق فيكفي ان واضعي الخطة لـــم يخصصوا للدين أي نصيب في خطتهم .

أما في خطة عام ١٩٥٢/٥١م فقد كان نصيب الدين من مـــدارس المعلمين والمعلمات (القسم العام) هو كما يلي :

$\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.

وهناك مادة دراسات قرآنية (وهي اختيارية) وكان نصيبها هو كمـــا يلي :

$\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٣}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٢}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$. ولكن يجـــوز اعفاء بعض الطلاب والطالبات من هذه الدراسات ويتلقون عنها دراسات اضافية في اللغة الاجنبية .

أما نصيب اللغة الاجنبية فهو كما يلي :

$\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٦}{٣٨}$ ، $\frac{٥}{٣٨}$ ، $\frac{٥}{٣٨}$ ، ٠ .

ولكن نصيب التربية البدنيه : $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{١}{٣٨}$ ، $\frac{٠}{٣٨}$.(٢)

وباجراء مقارنة بين ماخصص لمادة الدين والمواد اللغة الاجنبية والتربية البدنية المثل بها يتضح أن نصيب مادة الدين ضئيل جدا . فقد كان نصيبها من الخطة في السنوات الخمس هو ($\frac{٢٢}{١٩٠}$) أي ماتعادل نسبته (١٥ر٨ ٪)[٣]

----

١) حولية الثقافة العربية : ٤٧٣/١ .

٢) المصدر نفسه : ٣٥١/٣ .

٣) لم أدخل مادة الدراسات القرآنية في المقارنة لانها مادة اختياريـــة لا يلزم الطلاب بدراستها .

وكان نصيب اللغة الاجنبية في كافة الصفوف الخمسة هو كما يلي (٢٢/١٩٠) أى ماتعادل نسبته (٥٨ر١١ ٪) .

وكان نصيب التربية البدنية هو كما يلي (٤/١٩٠) اى ماتعادل نسبته (١٠ر٢ ٪) وهكذا يتضح ضعف نصيب مادة الدين في الخطة .

أما في الخطة الاخيرة فقد كان نصيب التربية الدينية في معاهد اعداد المعلمين هو كما يلي :

٣/٣٨ ، ٣/٣٨ ، ٣/٣٨ ، ٢/٣٨ في الصف الرابع تخصص التربية الدينية والاجتماعيات و ٣/٣٨ في نفس التخصص في الصف الخامس و ٢/٣٨ في الصف الرابع و ٢/٣٨ في الصف الخامس للتخصصات الاتية :

١) الرياضيات والعلوم .

٢) الرياضة البدنية .

٣) التربية الفنية والموسيقية .

٤) التدبير المنزلي للبنات .

أما التربية الموسيقية فكان نصيبها هو :

٣/٣٨ ، ٣/٣٨ ، ٣/٣٨ و ٢/٣٨ في الصف الرابع و ٢/٣٨ في جميع التخصصات السابقة . ماعدا تخصص التربية الموسيقية فان نصيبها هو ١٠/٣٨ في الصف الرابع و ١٠/٣٨ في الصف الخامس "١"

ولا تحتاج هذه الخطة الى اجراء مقارنة فان نصيب المادتين المشار بهما متساوى فالتربية الريئه مساوية لما يسمى التربية الموسيقية ؟؟ وهو أمر يدعو للاسى والاستغراب .

---

١) حول التعليم الابتدائي : ٢٢٤ .

وفي اليمن نرى أن نصيب مادة التربية الدينية في المراحل الثلاث جيد ، وذلك حسب خطة عام ٧١ / ١٩٧٢م للمرحلتين الابتدائيـة والمتوسطة وحسب خطة عام ٦٩/١٩٧٠م للمرحلة الثانوية ، لذا لا حاجـة لاستعراضها وعقد مقارنات بين أنصبتها وأنصبة بقية المواد .

نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في مراحل التعليم بالمملكة العربيـة السعوديـة

بعد أن ذكرت نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في بعض البلاد الاسلامية ، وعرفنا من خلال ذلك ضآلة ماخصص لعلوم الدين في الخطط الدراسية من الحصص ، اذكر في هذه الفقرة نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في المملكة العربية السعودية في مراحل التعليم العام " بنين وبنات " كما وردت في الخطط التي أقرتها اللجنة العليا لسياسة التعليم بعد أن وضعتها اللجنة الفرعية ، ثم أذكر ماطرأ عليها من تعديل بعد القرار الصادر بجعـل ايام الدوام الرسمي خمسة ايام فأقول ومنه تعالى استمد العون :

أولا : المرحلة الابتدائية : " بنين " :

كان نصيب العلوم الدينية * من الخطة في المرحلة الابتدائية حسب خطة عام ١٣٨٨هـ هو كالاتي على التوالي :

١٢/٣٢ ، ١٢/٣٢ ، ١٢/٣٥ ، ١٢/٣٥ ، ٩/٣٥ ، ٩/٣٥ . "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة للسنوات الست فاننا نجد أنه ٦٦/٢٠٤ اى ماتعادل نسبته (٣٢٫٣٥ ٪) .

---

* تشمل العلوم الدينية في هذه المرحلة المواد الآتية : القرآن ،التوحيد ، الحديث ، الفقه ،التجويد .

(١) انظر تفصيل الخطة في " المجموعة الاولى منهج التعليم الابتدائي لمدارس البنين " ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م " .

وبعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي اعدت خطة جديدة أنقص فيها من نصيب جميع المواد ومنها المواد الدينية فأصبح نصيب العلوم الدينية من الخطة كالآتي :

$\frac{٩}{٢٨}$ ، $\frac{٩}{٢٨}$ ، $\frac{٩}{٢٨}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$ ، $\frac{٩}{٣٠}$. "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب المواد الدينية من الخطة في جميع السنوات فاننا نجد أنه ($\frac{٥٤}{١٧٤}$) أى ماتعادل نسبته (٣١٫٠٣ ٪)

أى أنه نقص نصيب المواد الدينية بالنسبة للخطة بـ أثنتي عشرة حصة أى ماتعادل نسبته (١٫٣٢ ٪) .

ثانيا : المرحلة المتوسطة : "بنين" :

كان نصيب العلوم الدينية في خطة عام ١٣٩١ هـ المقرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم كالاتي :

$\frac{٨}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٦}$ ، $\frac{٨}{٣٦}$. "٢"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في السنوات الثلاث ونسبة نصيبها الى المجموع الكلي للخطة فاننا نجد أن نصيب هذه المواد هو $\frac{٢٤}{١٠٨}$ أى ماتعادل نسبته (٢٢٫٢٢ ٪)

المرحلة الثانوية "بنين" :

كان نصيب العلوم الدينية حسب خطة عام ١٣٩٤ هـ والمقرة من قبل اللجنة العليا لسياسة التعليم برقم ٢٣٣/٩/١ كما يلي :

---

(١) انظر التعميم الوارد بذلك من وزارة المعارف برقم ١/٥٣٥/١/٤/٣٢ ح بتاريخ ١٣٩٧/٧/١٢ هـ المبني على قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم برقم ٢١ /خ /م في ٩٧/٦/٢٦ المبلغ للوزارة بخطاب سمو رئيس اللجنة العليا برقم ٢٣ /خ /م في ١٣٩٧/٦/٢٦ هـ .

(٢) انظر منهج المرحلة المتوسطة "بنين" : (١٣٩١ - ١٩٧١ م)

الأدبـــي : $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٠}$ ، $\frac{٤}{٢٩}$.

العلمـــي : $\frac{٤}{٣٤}$ ، $\frac{٤}{٣٤}$ ؛ $\frac{٣}{٣٢}$ ؛ "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فاننا نجـــد

انه $\frac{١١}{١٠٠}$ اى ١١ ٪ .

واذا أردنا معرفة نصيب القسم الادبي من العلوم الدينية فاننا نجـــد

انه $\frac{١١}{٩٣}$ اى ماتعادل نسبته (١١٫٨٣ ٪) ؛

أى أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو $\frac{٢٢}{١٩٣}$ أى ماتعادل نسبته (١١٫٤٠ ٪) .

تعليم البنات :

أما بالنسبة لتعليم البنات فقد كان الوضع كالاتي :

أولا : المرحلة الابتدائيـــة :

كان نصيب العلوم الدينية * في خطة عام ١٣٨٨ هـ التي أقرتهـــا اللجنة العليا لسياسة التعليم كما يلي :

$\frac{١٤}{٢٨}$ ، $\frac{١٤}{٣٢}$ ، $\frac{١٣}{٣٤}$ ، $\frac{١١}{٣٥}$ ، $\frac{١٠}{٣٥}$ ، $\frac{٩}{٣٥}$.

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية من الخطة في هذه المرحلة ، فاننا نجد أن نصيبها كان " $\frac{٧١}{١٩٩}$ " أى ماتعادل نسبته (٣٥٫٦٨ ٪)

أما نصيب العلوم الدينية بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمـــي فقد أصبح كالاتي :

---

(١) انظر " منهج المرحلة الثانوية ".

(*) تشمل العلوم الدينية للمواد الاتية " القرآن ، التجويد ، التوحيد ، الحديث ، الفقه ، التفسير ".

٩/٢٦ ، ٩/٢٦ ، ٩/٢٦ ، ٩/٣٠ ، ٩/٣٠ ، ٩/٣٠ "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الى المجموع العام للحصص لوجدنا مايلي : (٥٤/١٦٨) أى ماتعادل نسبتـــــه (١٤ر٣٢ ٪) .

المرحلة المتوسطـــة :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة المتوسطة حاليا هو كالاتي :

٨/٣٤ ، ٨/٣٣ ، ٨/٣٣ . "٢"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في الخطة ونسبتها الـــــى المجموع العام للحصص لوجدنا مايلي : " ٢٤/١٠٠ " أى ٢٤ ٪ من مجموع الحصص .

المرحلة الثانويـــة :

نصيب العلوم الدينية في المرحلة الثانوية حاليا هو كالاتي :

أدبـــي : ٤/٣٣ ، ٤/٣٩ ، ٣/٢٦ .

علمـــي : ٤/٣٣ ، ٤/٣٢ ، ٣/٢٨ . "٣"

فاذا أردنا معرفة نصيب القسم الادبي من العلوم الدينية فاننا نجــد انه ١١/٨٨ اى ماتعادل نسبته (١٢ر٥٠ ٪)

واذا أردنا معرفة نصيب القسم العلمي من العلوم الدينية فاننا نجــد انه ١١/٩٣ اى ماتعادل نسبته (١١ر٨٢ ٪) .

أى أن نصيب العلوم الدينية من الخطة هو ٢٢/١٨١ اى مايعادل نسبته (١٢ر١٥ ٪) .

---

١) انظر " خطة الدراسة التفصيلية لمدارس البنات لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ .

٢ ، ٣) انظر " نفس المصدر السابق " .

معاهد المعلمات :

نصيب العلوم الدينية في خطة الدراسة لمعهد المعلمات الثانوي

هو كالاتي :

$\frac{٤}{٣٧}$ ، $\frac{٧}{٣٧}$ ، $\frac{٣}{٣٧}$. "١"

فاذا أردنا معرفة نصيب العلوم الدينية في كل سنوات المرحلة فاننا

نجد انه " $\frac{١١}{١١١}$ " اى ماتعادل نسبته (٩٫٩١ ٪)

ولو ألقينا نظرة عابرة على ماضى فاننا نرى أن نصيب العلوم الدينية من خطط الدراسة في كافة مراحل التعليم - بنين وبنات - في المملكة العربية السعودية أكثر من نصيبها في الدول الاخرى التي ذكرت بعض خططها .

فاذا أردنا أخذ المرحلة الابتدائية كنموذج للمقارنة بين المملكة وهذه الدول فاننا نجد الآتي :

١) ان نصيب العلوم الدينية في المرحلة الابتدائية بالاردن حسب آخر خطة وهي التي صدرت عام ١٩٦٨/٦٧ " تمثل " ١١٪ من المجموع العام للحصص .

٢) كان نصيبها من الخطة في البحرين حسب خطة عام " ١٩٥٦م " يمثل " ٨ ٪ " من المجموع العام للحصص .

٣) كان نصيبها في سوريا من الخطة حسب خطة عام (١٩٥٦م) يمثل " ١٠٫٥٨ ٪ " .

٤) كان نصيبها في العراق حسب خطة عام " ١٩٥٦ " يمثل نسبة (٩٫٥٠ ٪) .

٥) كان نصيبها في الكويت حسب خطة عام " ١٩٦١م " يمثل نسبة (١٢٫٧٠ ٪) من مجموع الحصص .

---

١) انظر خطة الدراسة التفصيلية لمدارس البنات لعام ٩٧/١٣٩٨ هـ .

٦) كان نصيبها في ليبيا حسب خطة عام ١٩٦٩م يمثل نسبة (٧٫٥٠٪)

٧) كان نصيبها في مصر من الخطة حسب خطة عام " ١٩٧١م " يمثل نسبة " ١٠ ٪ " .

أما في المملكة العربية السعودية فان نصيبها في نفس المرحلة كمايلي :

بنين : ٣١٫٠٣ ٪

بنات : ٣٢٫١٤ ٪

وذلك حسب آخر خطة بعد أن جعل يوم الخميس يوم عطلة رسمي عام ١٣٩٨/٩٧ هـ .

واليك هذه المقارنة بين نصيب مادة الدين في بعض الدول العربية تقول " نازلي احمد صالح " :

" ١ - العلوم الدينية : الفروق واضحة جدا في هذه المادة فبينما بعض الدول بها ٤٦ ساعة وهي السعودية ، فاننا نجد أن وكالة الغوث لتعليم اللاجئين الفلسطينيين لا تعطي الا ثلاث ساعات للمواد الدينية ، وهذا مؤشر خطير خصوصا وأن الذى يشرف عليها هيئة أجنبية دولية ولكنها لا تضع من اعتبارها ان الفلسطينيين الذين يدرسون بهذه المدارس الغالبية العظمى منهم يعتنقون الاسلام ، وكذلك فان نسبة عدد الساعات في اليمن والسودان تتزايد ايضا عن المتوسط العام ، وهذا يشير الى الاهتمام بالتربية الدينية في التعليم الابتدائي بهما " "١"

---

١) حول التعليم الابتدائي : ص ١٣٥ .

المطلب الثالث:

الاختلاط في التعليم :

كما أن عدم الاهتمام بتدريس الدين - في المدارس بمراحلها الثلاث فضلاً عن الجامعة - كماً وكيفاً مظهر من مظاهر العلمنة في التعليم التي انتقلت الينا عدواها من الغرب ، وهو في الوقت ذاته أثر من آثار الفكر العلماني فان الدعوة الى الاختلاط بين الجنسين - الذكور والاناث - في العمل ، والتعليم - بكافة مراحله - وأصدار القوانين بذلك وتطبيقه في واقع الحياة ، مظهر من مظاهر العلمنة أيضاً ، وهو في ذات الوقت أثر من آثار الفكر العلماني الذي يرى أن الدين محله أمكنة العبادة - الكنيسة ، الدير ، المسجد - ومن المعلوم أنه لا يوجد لهذا الفكر مستند - في العالم الاسلامي - لا من نصوص الشريعة - القرآن والسنة - ولا من فقه علماء الأمة لهذه النصوص ولا من واقع التاريخ الاسلامي في عهود ، المجيدة المطبقة لشرع الله .

فهو اذن فكر غريب مستورد - من الغرب - ولا يصح أن يكون له مكان في العالم الاسلامي ، ولكن المؤسف حقاً أنه قد أصبح له مكان بيننا نحن المسلمين ، بدأ بالعلمنة في الحكم والتشريع ، وانتهاء بأدنى أمر من أمور حياتنا نحن المسلمين ، وما القوانين التي تشرع للمسلمين في بلاد المسلمين من اباحة الزنا ، والتساهل في عقابه ومصادمة نصوص الشريعة في ذلك بقصر العقاب على الاكراه ،فاذا لم يكن ثمة اكراه فلا عقاب ، وعقاب الاكراه حبس لمدة معينة وكفى ، او القوانين التي تبيح الربا وتقر واقعه في انشاء البنوك الربوية * الا مظهران من جملة مظاهر للعلمنة في الحكم والتشريع ، في جانبين من أهم جوانب الحياة الانسانية الجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادي ، وسوف استعرض في هذا الجزء من البحث بدايات الدعوة الى الاختلاط - المتمثلة في تقارير الخبراء الاجانب والقرارات التي دعت الى

(*) انتشرت ولله الحمد في الآونة الاخيرة عدة ممارسات لمصارف اسلامية منها - بنك دبي الاسلامي - ٢- بيت التمويل الكويتي ٣- بنك فيصل الاسلامي (مصر ، السودان) ٤- الشركة الاسلامية للاستثمار الخليجي واخيرا دار المال الاسلامي .

ذلك - ثم بيان ونقل بعض القوانين التي شرعت الاختلاط في بعض البلاد الاسلامية ، ثم بيان الواقع المطبق في التعليم في بعض البلاد الاسلامية منذ الخمسينيات من هذا القرن الميلادي الحالي ، وقبل ذلك لابد من معرفة ماهو المقصود بالتعليم المختلط أو المشترك كما يعرفه بعض رجال التربية .

ماهو التعليم المختلط أو المشترك :

يُعرِّف هذا التعليم أحد رجال التربية في العالم العربي فيقول :

" د - التعليم المشترك او المختلط : تعرف المدارس التي يتعلم فيها البنون جنبا الى جنب مع الفتيات باسم المدارس المختلطة في معظم البلاد العربية ، وتسمى أحيانا بالمدارس المشتركة كما في جمهورية مصر العربية " "١"

واذا قال أحد من الذين يلتزمون بالاسلام عقيدة ، وشريعة ، وسلوكا ، ان للمستعمرين دور كبير في افساد العالم الاسلامي فان ذلك من الحقائق المرة - حتى بعد رحيل الاستعمار - فقد كان المتوقع أن تتخلص البلاد الاسلامية التي استعمرت بعد رحيل الاستعمار من كل آثاره ومنها آثاره الفكرية والعقائدية ولكن الاستعمار لم يرحل الا بعد أن صنع على عينيه أفراداً اصبحوا هم رسل الاستعمار والتغريب في العالم الاسلامي ، اجسامهم في بلادهم وفكرهم واعتقادهم تبع للمستعمر ، وبذا اطمأن المستعمرون على حركة التغريب الفكرى والعقائدى ، وتسنم هؤلاء " المستغربون - الذين ذكرت طرفا من افكارهم في أحد فصول البحث التي مرت تحت عنوان (المنكرون المستغربون) - ذرى المناصب التوجيهية ، في التعليم وغيره . وكان من الوفاء للسيد المستعمر أن يستدعي بعض خبرائه في التربية والتعليم فاستدعى " مان " و " كلاباريد " " * للاستفادة من خبرتهم

-----

١) التعليم العام في البلاد العربية : ٧٦ .

*) مان هو مفتش المدارس وكليات المعلمين في انجلترا ، و " كلاباريد " استاذ علم النفس " السويسرى " .

في التعليم في مصر .

تقول " نازلي احمد صالح " :

" ولقد اتفق " مان " و " كلاباريد " على أن تقوم المرأة بالتدريس للاطفال بالسنوات الاولى ، بالمدارس الابتدائية ، ولقد كان هذا الاقتراح متفقا مع التطورات التربوية ، غير أن تحقيقه كان صعبا في فترة كان سلطـــان التقاليد فيها مازال مسيطرا وخاصة في الريف . فكان اقبال الفتيات علـــى التعليم قليلا . . ولا يتعدى المرحلة الابتدائية . " "١"

وفي عام ١٩٥٥/٥٤م عقد موتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في مكان ضمن توصياته التوظيتين الآتيتين :

" ينبغي العمل على الاكثار من تخريج معلمات المرحلة الاولى حتـــى يمكن بالتدريج قصر التعليم في السنوات الاولى من التعليم الابتدائي علـــى النساء" المادة : ١٧١ " "٢"

" عدم انفراد الرجال في المدارس المشتركة بالتدريس للبنات ، لان ذلك يفقدهن أثر العنصر النسوى اللازم لحسن تكوينهن " "٣"

فهل هي الصدفة أم التبعية للغرب ؟ هي التي كانت وراء متابعة موتمر التعليم الالزامي المجاني الاول في توصيته الاولى (م ١٧١) لما قرره " مان " ، و " كلاباريد " وأشارا به من قصر التدريس على السنوات الاولى للتعليم الابتدائي على النساء . لا ليس ذلك من قبيل الصدفة ، ولكنه من قبيل ضياع الهوية الفكرية ، فالذى لا يعرف له هوية فكرية معينة يتابع غيره ولا يكون خياره بيده . وهذا هو واقع التعليم وموتمراته للاسف ، وقد سبق ان استعرضت بعض قرارات هذه الموتمرات في بيان أهداف التعليم ووسائله .

---

١) حول التعليم الابتدائي ١٦٨ .

٢،٣) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

وللداعين للاختلاط حيل ومزاعم سوف أفندها إن شاء الله في نهاية هـــذا الجزء من الناحيتين الشرعية والواقعية .

ومن هذا القبيل وعلى نفس المنوال كانت الدعوة الى ذلك فـــي الباكستان : يقول " الكولونيل عثماني " :

" وفي عام ١٩٥٩م اقترحت اللجنة القومية للتربية مايلي : نظـــرا للتوسع المقبل في التعليم الابتدائي فان التسهيلات الممنوحة للبنات يجب أن تكون مساوية للتسهيلات الممنوحة للاولاد . ويجب أن تعهد بتدريس الصفوف الثلاثة الاولى من المرحلة الابتدائية للبنين والبنات الى معلمات كلما توفرت المعلمات المؤهلات " "١"

ان الأمر ليس من قبيل الصدفة فالصدفة لا تكون في أكثر من بـــلد ،استعمرت لبلد واحد هو " انجلترا " فالمستعمر الذى صنع اهاجا له فـــي مصر ،صنع مثلهم في الباكستان .

ونتابع مسيرة التعليم المختلط فنعثر على نص يوضح ان التعليم المختلط لم يشرع في مصر الا بعد الثورة (الناصرية) فكانت هذه من انجازاته .

يقول د . محمد منير مرسي " :

" ينص القانون على أن يكون التعليم الابتدائي تعليما مشتركا للبنـــين والبنات متمشيا بذلك مع قانون التعليم الابتدائي السابق " ٥٦ ١٩م) الذى شرع هذا المبدأ في التعليم الابتدائي لأول مرة . . . " "٢"

ولا تعارض بين هذا النص وبين الواقع الذى كان سائدا قبل تشريـــع الاختلاط فقد كان هناك مدارس مختلطة خاصة الكليات منذ عام (١٩٤٧م) ولكن لم يكن لها صفة الالزام فهناك مدارس غير مختلطة ومن لا يريد الاختـــلاط يذهب بابنه أو ابنته الى تلك المدارس اما بعد ١٩٥٦م فقد أصبح التعليم كله مختلطا .

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٩/ ٢٢ .
٢) التعليم العام في البلاد العربية : ٣٠٩ .

وفي ماليزيا في أقصى العالم الاسلامي يدرس الطلاب والطالبات جنبا الى جنب من مدارس واحدة في المرحلة الابتدائية ، ثم ينفصل الجنسان في المرحلة الثانية ثم يشتركون في الجامعات والمعاهد العليا . "١"

ويقول ساطع الحصري عن التعليم المختلط في أوائل "الخمسينيات"

" التعليم المختلط محدود في المدارس الابتدائية ،ونادر في المدارس الثانوية ومعتاد في المدارس العالية .

وفي العراق نوع من المدارس الابتدائية الرسمية ـ وتسمى مدارس الاحداث ـ تسير على نظام التعليم المختلط .

وفي مختلف الاقطار العربية ، يوجد بعض المدارس الابتدائيـــة الطائفية التي تسير على هذا النظام . .

. . . .

وأما المدارس العالية ، فان التعليم المختلط هو الغالب الشائع في جميع الدول العربية ان ابواب الجامعات المصرية ، والجامعة السورية مفتوحة للنساء والذكور على حد سواء ، وكذلك أبواب كليات الحقوق والطب والتجارة ودار المعلمين العالية في بغداد .

ويشاهد فعلا في معظم المدارس العالية في بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة والاسكندرية اجتماع الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، وفي معامل التجارب وفي قاعات البحث والمناقشة ، وحتى في الحقول الزراعية . . " "٢"

هذا في أوائل الخمسينات حيث كان التعليم المختلط في المرحلـــة الابتدائية محدودا أما الان فان الوضع يوضحه أحد رجال التربية حيث يقول :

" . . . ويمكن القول بصفة عامة بالنسبة للتعليم المختلط في المرحلـــة الابتدائية بأنه آخذ في الانتشار مع وجود تفاوت كبير بين الدول العربية ،

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٣/٨ .

٢) حولية الثقافة العربية : ٣٧/١ ، ٣٨ .

وتأتي جمهورية مصر العربية ولبنان في بداية الدول العربية التي تأخصـــذ بالتعليم المختلط ، تليها سوريا والعراق حيث نجد أن مايزيد قليلا على نصف المدارس الابتدائية من النوع المختلط ايضا وبليهما الاردن والســودان وليبيا حيث يقل فيها التعليم المختلط ولكن مع التطور الاجتماعي الذى تمسر به الدول العربية يزداد الاهتمام بتعليم الفتاة ويزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط "١"

وفي الاردن يقول " أحمد التل "عن الاختلاط في التعليم :

" ... الى جانب مشكلة ارتفاع نسبة التسرب بين الذكور ، هنـــاك مشكلة اساسية ايضا تعترض طريقة الكفاح ضد الامية وهي مشكلة تعلم الانـــاث التي مازالت قائمة حتى الآن ، ورغم الادراك المتزايد من قبل جميع الحكومـــات الاردنية لاهمية العلاقة بين تعليم الاناث وعلية التمدن . وقد بذلت الحكومات الاردنية في عام ١٩٥٠ - ١٩٧٦م محاولات هامة لمعالجة هذه المشكلة فقــد اهملت وزارة التربية والتعليم الفكرة التقليدية بتخصيص مدارس خاصة بالانـــاث ومدارس خاصة بالذكور ، وطبقت التعليم المختلط في الصفوف الابتدائيـــة الاربعة الاولى ، وحتى السادس الابتدائي في كثير من المدارس الاخـــرى والارياف ففي عام ١٩٧٦م - ١٩٧٧ كانت نسبة المدارس المختلطة الـــى مجموع مدارس المملكة " ٢٦٫٧ ٪) تضم (١١٫٨ ٪) من مجمــــــوع الصفوف "٢"

وفي السودان توجد مدارس مختلطة في المرحلة الابتدائية ، يقول احد الكتاب عن ذلك :

---

١) التعليم العام في البلاد العربية ٧٦ . والحق أن التطور الصحيح لا يزداد معه الاتجاه الى الاخذ بفكرة التعليم المختلط فلا تلازم بين التطـــور الصحيح والتعليم المختلط ، بل التلازم بين التطور - المستغرب - والتعليـــم المختلط لانه من اساسياته .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

* (أ) المرحلة الابتدائية : كانت مدتها أربع سنوات من ٧ - ١١ أصبحت حاليا من سن السادسة حتى الثانية عشرة والتعليم بها مجاني وبعض مدارس هذه المرحلة منفصل ، للبنين وللبنات ، وبعضها مختلط يصل الى حوالي $\frac{1}{6}$ عدد المدارس تقريبا "١"

الواقع المطبق في التعليم منذ الخمسينات * :

سوف أستعرض واقع التعليم في بعض البلاد الاسلامية التي استطعت أن أجمع عنها بيانات ، موضحا نسبة المدارس المختلطة الى المجموع العام في كل مرحلة على حدة ثم على مستوى المراحل كلها ، وموضحا أيضا نسبة المعلمين الى المعلمات في المدارس الخاصة بالبنات ، ونسبة المعلمات الى المعلمين في المدارس الخاصة بالبنين لان ذلك وجه آخر - لموضة الاختلاط - فالاختلاط بين المعلمين والمعلمات لا يقل سوءا عن اختلاط الطلاب والطالبات فالقضية واحدة ، وسوف أذكر المدارس الاهلية ، والاجنبية لبيان مدى تغلغل هذه الفكرة أو عدمه في اوساط المجتمعات .

في الاردن بلغت عدد المدارس الاهلية عام ٥٢/١٩٥٣م كما يلي :

----

(١) التعليم العام في البلاد العربية : ١٦١ .

(*) المقصود بالخمسينات : هي الاعوام مابين (١٩٤٠ - ١٩٥٠) لا كما هو شائع من أن الخمسينيات أو الستينيات اوغيرها تبدأ بعد الخمسين أو الستين ، والجمع الصحيح لخمسين أو ستين "خمسينيات" لا خمسينات كما هو الشائع خطأ .

المدارس الاهلية الاسلامية	الضفة الشرقية	الضفة الغربية	المجموع
المدارس الخاصة بالذكور	٧٩	٣٧	١١٦
المدارس الخاصة بالاناث	٠٥	١٤	١٩
المدارس المختلطة	٣٤	٢٢	٥٦
المجمـــوع	١١٨	٧٣	١٩١
نسبة المدارس المختلطة الى مجموع المدارس	٢٨٫٨١٪	٣٠٫١٤	٢٩٫٣٢٪
	١٧٫٨٠ ٪	١١٫٥٢	— *"١"

وفي عام ١٩٥٦/٥٥م بلغ عدد المدارس ١١٢٧ كان منها ٦٦٣ خاصة بالذكور ، و ٢٨٣ خاصة بالاناث و ١٨١ مختلطة والجـــدول يوضح ذلك :

عدد المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الابتدائية الرسمية	٣٢٥	١٥٧	٠٠٠	٤٨٢	
الاهلية	٠٣٩	٠٢٣	١٢٥	١٨٧	٦٦٫٨٤٪
الاجنبية	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٦	٠٠٦	١٠٠٫٠٠٪
المدارس التابعة لوكالة الغـــوث	٠٤٣	٠٤٧	٠٣٩	١٢٩	٣٠٫٢٣ ٪
المجموع	٤٠٧	٢٢٧	١٧٠	٨٠٤	٢١٫١٤ ٪

----

١) حولية الثقافة العربية : ٣٠/٤

*) الخط الاول لنسبة المدارس المختلطة في كل عامود الى المجموع الذى تحته ، والخط الثاني لنسبة المدارس المختلطة الى مجموع المدارس وهكذا سيكون في الجداول كلها .

نوع المدارس	الخاصة بالذكور	بالاناث	المختلطة	المجموع	النسبة
الثانوية الرسمية	١٨٦	٠٣٦	٠٠٠	٢٢٢	٠٠٠٠
الاهلية	٠٢١	٠٠٧	٥	٠٣٣	١٥٫١٥٪
الاجنبية	٠١٠	٠٦	٥	٢١	٢٣٫٨١٪
المدارس التابعة لوكالة الغوث	٣١	٦	١	٣٨	٠٢٫٦٣ ٪
المجموع	٢٤٨	٥٥	١١	٣١٤	٠٣٫٥٠٪
المدارس المهنية الرسمية	٤	٠٠	٠٠	٤	٠٠٠٠
غير الرسمية	١	٠٠	٠٠	١	
دور المعلمين الرسمية	٣	٠٠	٠٠	٣	٠٠٠٠٠
دور المعلمات الرسمية	٠٠	١	٠٠	١	٠٠٠٠
مجموع المدارس	٦٦٣	٢٨٣	١٨١	١١٢٧	١٦٫٠٦٪ "١"

وقد تطور الامر حتى أصبحت نسبة المدارس المختلطة عام ١٩٧٦ / ١٩٧٧م الى مجموع المدارس هي (٢٦٫٧ ٪) تضم فقط (١١٫٨ ٪) من مجموع الصفوف . "٢"

وننتقل الى سوريا لنتابع مسيرة الاختلاط منذ الخمسينيات من القرن الميلادي الحالي فماذا نجد ؟ نجد مايلي :

" كان عدد المدارس الرسمية الابتدائية للبنين عام ١٩٤٨/٤٧ م هو ٨٢٣ وللبنات ١٧٩ ،والمختلطة " ٣٨ " .

وكان عدد المدارس الاهلية للبنين في نفس العام ١١٤ ، وللبنات ٢٢ ، والمختلطة ١٦٣ .

----

١) حولية الثقافة العربية : ٥/٥٥ .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

أما المدارس الاجنبية فكانت في نفس العام ١٤ للبنين ، و ٨ للبنات و ١٠ مختلطة "[١]"

فنسبة المدارس الرسمية المختلطة الى مجموع المدارس وهو (١٠٤٠) هي " ٣ر٦٥ ٪) ونسبة المختلطة الاهلية الى مجموع المدارس هي (٥٤ر٥٢ ٪) ونسبة المختلطة الاجنبية الى مجموع المدارس هي (٥٤ر٤٤٪) ونسبة جميع المدارس المختلطة وهي (٢١٦) الى مجموع المدارس وهي (١٣٧٦) هي (١٥ر٧٠ ٪) .

وفي عام ١٩٥٠/٤٩م كان الوضع كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية (ذكور)	١٠٤٧	١١٥	١٤	١١٧٦
(اناث)	٠٢١٩	٠٣٦	١١	٠٢٦٦
(المختلطة)	٨	١٤٧	١٥	١٧٠
المجموع	١٢٧٤	٢٩٨	٤٠	١٥١٢
النسبة	٪٠ر٦٣	٪٤٩ر٣٣	٪٣٧ر٥٠	٪ ١٠ر٥٥
	٪ ٠ر٥٠	٪٠٩ر١٢	٪٠٠ر٩٣	—
الثانوية (ذكور)	٢٧	٣٧	٨	٧٢
(ن)	١٧	١٥	٨	٤٠
المختلطة	٢	٤	٢	٨
المجموع	٤٦	٥٦	١٨	١٢٠
النسب	٪٤ر٣٥	٪٧ر١٤	٪١١ر١١	٪ ٦ر٦٧
	٪١ر٦٧	٪ ٣ر٣٣	٪ ١ر٦٧	—
كليات الجامعة	٦	-	-	٦ كلها مختلطة[٢]

١) حولية الثقافة العربية : ١٠٢/١ .
٢) حولية الثقافة العربية ١٦٦/٢ جدول ٣٥

وفي عام (٥٠/١٩٥١م) كان الوضع بالنسبة لانتشار المدارس المختلطة كما يوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	رسميـــة	اهلية	اجنبية	المجمـوع
ابتدائية ذكور	١٢٠٥	١٠٦	١٣	١٣٢٤
اناث	٢٥٨	٤٢	١٠	٣٢٠
مختلطة	٩	١٣٦	١٥	١٦٠
المجموع	١٤٧٢	٢٨٤	٣٨	١٧٩٤
النسب	٪٠٠،٦١	٪٤٧،٨٩	٪٣٩،٤٧	٪٨،٩٢
	٪٠٠،٥٠	٪٧،٥٨	٪٠٢،١٢	
الثانوية ذكور	٢٧	٤٣	٧	٧٧
اناث	١٧	١٧	٩	٤٣
مختلطة	٣	١٠	٢	١٥
المجموع	٤٧	٧٠	١٨	١٣٥
النسب	٪٦٣،٨	٪١٤،٢٩	٪١١،١١	٪١١،١١
	٪٠٢،٢٢	٪٠٧،٤١	٪٠١،٤٨	
الكليات الجامعية	٦			كلها مختلطة

• أما في عام ١٩٥٢م فقد زادت المدارس المختلطة ، اذ بلـغ مجموع عدد المدارس هو ٢٣٧٦ ، منها ١٧٥٤ خاصة بالذكور ، ٤٢٢ خاصة بالاناث و ٢٠٠ مختلطة . ويوضح ذلك الجدول الآتي :

كما بلغ مجموع افراد الهيئات التعليمية : ١١٦٩٦ ، عدد المعلمين بينهم ٨٠٧١ وعدد المعلمات (٣٦٢٥) [1]

---

٢١ هو لية الثقافة : ٢/ ١٦٦ .

(١) حولية الثقافة العربية : ٣/ ١٢٤ ونسبة المعلمات الى المجموع الكلـــي للمدرسين هو (٪٣٠،٩٩) .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع
الابتدائية ذكور	١٥٢٤	٩٨	١٣	١٦٣٥
اناث	٣١٣	٤٦	١٠	٣٦٩
مختلطة	١٣	١٥٢	١٥	١٨٠
المجموع	١٨٥٠	٢٩٦	٣٨	٢١٨٤
النسب	٪٠ر٧٠	٪٥١ر٣٥	٪٣٩ر٤٧	٪ ٨ر٢٤
	٪٠ر٦٠	٪ ٦ر٩٦	٪ ٠٠ر٦٩	
الثانوية ذكور	٣٥	٦٥	٧	١٠٧
اناث	٢٠	١٩	٩	٤٨
مختلطة	٢	٥	٢	٩
المجموع	٥٧	٨٩	١٨	١٦٤
النسب	٪٣ر٥١	٪ ٥ر٦٢	٪١١ر١١	٪ ٥ر٤٩
	٪١ر٢٢	٪٣ر٠٥	٪ ١ر٢٢	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦
اناث	١	٠	٠	١
المختلطة	٠	١	٠	١
المجموع	٦	٢	٠	٨
النسب	-	٪٥٠	٠٠	٪١٢ر٥٠
	-	٪ ١٢ر٥٠	-	-

كليات الجامعة ١٠ — كلها مختلطة

دور المعلمين ٤

صفوف خاصة بالمعلمين ٢

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الأجنبية	المجموع
دور المعلمات	٢	-	-	٢
صفوف خاصة بالمعلمات .	٢	-	-	٢
المجموع	١٠	-	-	١٠
المجموع العام	١٩٣٣	٣٨٧	٥٦	٢٣٧٦
تفصيلها :				
خاصة بالذكور	١٥٧٠	١٦٤	٢٠	١٧٥٤
خاصة بالاناث	٣٣٨	٦٥	١٩	٤٢٢
مختلطة	٢٥	١٥٨	١٧	٢٠٠ [١]

وفي معهد المعلمين العالي في سوريا كان عدد طلابه عام ١٩٤٨/٤٧ مائتان وثمانية طيلاب منهم مائة وثلاثة وعشرون من الذكور وخمسة وثمانون من الاناث ، ونسبتهن الى المجموع العام (٢٠٨) هو (٤٠ر٨٧ ٪)

وكان مائة وعشرون طالبا منهم داخليين وثمانية وثمانون أحرار ، من الداخلين واحد وثلاثون طالبة وهن يشكلن نسبة (٢٥ر٨٣ ٪) [٢]

وفي عام ١٩٥٣/٥٢ كان الوضع بالنسبة .. للمدارس المختلطة يمثله الجدول الآتي :

----

١) حولية الثقافة العربية : ١٣٢/٣ .

٢) المرجع نفسه : ١٧٤/١ .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	ملاحظات
ابتدائية ذكور	١٠٠٣	٩٩	٨	١١١٠	
اناث	٣٤٣	٤٤	٧	٣٩٤	
مختلطة	٢١٨	١٦٥	١٢	٣٩٥	
المجموع	٢٠٦٤	٣٠٨	٢٧	٢٣٩٩	
النسب	٪١٠ر٥٦	٪ ٥٣ر٥٧	٪٤٤ر٤٤	٪ ١٦ر٤٧	
	٪ ٩ر٠٩	٪٠٦ر٨٨	٪ ٠ر٥٠		
الثانوية ذكور	٣٤	٥٩	٠٦	٩٩	
اناث	٢٠	٢٧	١٠	٥٧	
مختلطة	٣	٢٠	٢	٢٥	
المجموع	٥٧	١٠٦	١٨	١٨١	
النسب	٪٥ر٢٦	٪١٨ر٨٧	٪١١ر١١	٪١٢ر٨١	
	٪١ر٦٦	٪١١ر٠٥	٪٠١ر١٠	—	
المهنية ذكور	٥	١	٠	٦	
اناث	١	٠	٠	١	
مختلطة	٠	١	٠	١	
المجموع	٦	٢	-	٨	
النسب	-	٪٥٠ ٪١٢ر٥٠	-	٪ ١٢ر٥٠	
كليات الجامعة	٦	-	-	٦	كلها مختلطة
دور المعلمين	٦	-	-	٦	
دور المعلمات	٢	-	-	٢	
المجموع العام	٢١٤١	٤١٦	٤٥	٢٦٠٢	

تفصيلها :

ذكور	١٠٤٨	١٥٩	١٤	١٧٢١
اناث	٣٦٦	٧١	١٧	٤٥٤
مختلطة	٢٢٧	١٨٦	١٤	٤٢٧
النسب	%١٠ر٦٠	%٤٤ر٧١	%٠ر٦٥	%١٦ر٤١
	%٠٧ر٧٢	%١٥ر١٥	%٠ر٥٤	— [1]

وفي عام ١٩٥٦/٥٥م كان الوضع كما يوضح الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوى	مهني	المجموع	النسب	
ذكور	١٣٧٣	١٤٦	١٩	١٥٣٨		
اناث	٣٧٠	٧٢	-	٤٤٢		
مختلطة	٩٧٤	٤٩	-	١٠٢٣	٩٥ر٢١	%٤ر٧٩ [2]
المجموع	٢٧١٧	٢٦٧	١٩	٣٠٠٣		
النسب	%٣٥ر٨٥	%١٨ر٣٥	-	%٣٤ر٠٧	[3]	
	%٣٢ر٤٣	%٠١ر٦٣	-			

أما عدد المعلمين والمعلمات فكان كما يلي :

---

١) حولية الثقافة العربية : ٤٠/٤ .

٢) النسبة الاولى نسبة المدارس المختلطة الابتدائية لمجموع المدارس المختلطة ، والثانية نسبة المدارس الثانوية لمجموع المدارس المختلطة .

٣) نفس المصدر : ١٣٠/٥ .

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسب [١]	
ابتدائي	٦٥٤١	٢٨٢٣	٩٣٦٤	٣٠ر١٥٪	٢١ر٢٢٪
ثانوي	٣١٤٧	٧٩٤	٣٩٤١	٢٠ر١٥٪	٥ر٩٧ ٪
المجموع	٩٦٨٨	٣٦١٧	١٣٣٠٥		
النسب	٧٢ر٨١٪	٢٧ر١٩٪	-		. [٢]

فاذا انتقلنا الى العراق فاننا سوف نجد أن الاختلاط في التعليم تزداد نسبته كغيرها من الدول الاخرى .

يقول " ساطع الحصري " عن دور المعلمين والمعلمات.

" ... يوجد في العراق معهدان لتخريج المعلمين والمعلمات للمدارس الثانوية ، أحدهما دار المعلمين العالية ـ مختلط يدرس البنين والبنات معا ، وثانيهما : معهد الملكة عالية خاص بالبنات .

وكان عدد طلاب دار المعلمين العالية (خلال سنة ١٩٤٨/٤٧) ٥٣٢ منهم ١٧٨ من البنات ، وعدد طالبات معهد الملكة عالية ٢٣٢ " [٣]

أي ان نسبة البنات الى مجموع الدارسين هو (٣٣ر٤٦ ٪) .

ويقول عن معهد الملكة عاليه مايلي :

" أسس معهد الملكة عاليه سنة ١٩٤٥م لاتمام عمل دار المعلمين العاليه ، وبتعبير أدق ليكون بمثابة " دار المعلمات العالية " .

من المعلوم أن دار المعلمين العالية مؤسسة مختلطة يدرس فيها البنون والبنات معا وينا هز عدد البنات فيها ثلث مجموع الطلاب .

---

(١) النسبة الاولى هي نسبة الى مجموع المعلمين في المرحلة ، والثانية هي نسبة المعلمات الى المعلمين في المرحلتين .

(٢) حولية الثقافة العربية : ١٣٧/٥ .

(٣) المرجع نفسه : ٢٥٥/١ ، ٤ .

ومع هذا رأت وزارة المعارف ـ في السنة المذكورة ـ أن تؤسس " معهد الملكة عاليه " على أن يكون التعليم فيها خاصاً بالبنات ، وذلك بغية افساح مجال الدراسة لبنات (العائلات المحافظة " التي لا تحبذ اختلاط الجنسين على مقاعد الدرس .

ان أكثر من أربعة اخماس الهيئة التعليمية في معهد الملكة عاليه محاضرون ، ومعظم هؤلاء أساتذة في دار المعلمين العالية .

وكان عدد المدرسات فيه عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ م هو ٨ وعدد المحاضرين هو ٣٨ " [١]

فيكون مجموع المدرسات والمحاضرين هو (٤٦) تشكل المعلمات نسبة (١٧٫٣٩ ٪) ويشكل المحاضرون نسبة (٨٢٫٦١ ٪) .

والعجيب في أمر الكتاب هو انهم لا يعدون الاختلاط الا بين الطلاب والطالبات فالمدرسة التي تضم طلابا وطالبات تسمى مختلطة عندهم ، أما المدرسة التي تضم معلمين ومعلمات ولا تضم طلابا وطالبات فانها تسمى منفصلة عندهم ، مع أن الاضرار واحدة والجريمة واحدة (جريمة معصية الله بمخالفة أوامره) ولكن مفاهيم العلمانيين معكوسة ومغلوطة .

ويمثل الجدول الآتي عدد المدارس ومنها المختلطة في مراحل التعليم في عام ١٩٥٠/٤٩ م x

---

(١) - المصدر السابق : ١ / ٣٨١

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النســـب
الابتدائية ذكور	٨٠٥	٤٩	٥	٨٥٩	
اناث	١٥٥	٢٤	٠	١٧٩	
مختلطة	٨٠	٤٦	٠	١٢٦	٦٣ر٤٩ ٭ ٣٩ر٥١ (هامش)
المجموع	١٠٤٠	١١٩	٥	١١٦٤	
النسب	٪٧ر٩٠	٪٣٨ر٦٦		٪ ١٠ر٨٢	
	٪ ٦ر٨٧	٪٠٣ر٩٥		٪ :	
المهنية ذكور	٨	-	-	٨	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٪ ٩ر٠٩			٪ ٩ر٠٩	
المدارس العالية					
ذكور	١	=	=	١	
اناث	١	=	=	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	٩	-	-	٩	
النسب	٪٧٧ر٧٨			٪ ٧٧ر٧٨	
المجموع العام	١٠٦٠	١١٩	٥	١١٨٤ [١]	

وفي علم ١٩٥٠ / ١٩٥١م زادت نسبة المدارس المختلطة ويمثلــه الجدول الآتي :

----

١) حولية الثقافة العربية : ٢/٢٣٧ جدول رقم (٥٤) .

* العمود الأول يمثل نسبة المدارس الرسميه المختلطه الي المجموع العـــــام والثاني نسبة الاهليه .

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب
الابتدائية ذكور	٨١٩	٤٥	٥	٨٦٩	
اناث	١٩٠	٢٢	-	٢١٢	
مختلطة	٩٢	٥٦	-	١٤٨	٪٦٢ر١٦ ٣٧ر٨٤*
المجموع	١١٠١	١٢٣	٥	١٢٢٩	
النسب	٪٨ر٣٦	٪٤٥ر٥٣		٪١٢ر٠٤	
	٪٧ر٤٩	٪٠٤ر٥٦		٪١٦ر٠	
المهنية ذكور	٨	-	-	٨	
اناث	٢	-	-	٢	
مختلطة	١	-	-	١	
المجموع	١١	-	-	١١	
النسب	٪٩ر٠٩			٪٩ر٠٩	
المدارس العالية					
ذكور	٣	-	-	٣	
اناث	١	-	-	١	
مختلطة	٧	-	-	٧	
المجموع	٩٠	-	-	٩٠	
النسب	٪٧٠	٪٧٠		٪٧٠ [١]	

أما في عام ١٩٥٢/٥١ فيوضح الجدول التالي نسبة المدارس المختلطة وكيف زادت عدد المدارس المختلطة الرسمية :

---

*) العمود الاول يمثل نسبة المدارس الرسمية المختلطة الى المجموع العام والثانية نسبة الاهلية .

١) حولية الثقافة العربية : ٢٠٠/٣ جدول ٣٨

نوع المدارس	الرسمية	الاهلية	الاجنبية	المجموع	النسب	
الابتدائية ذكور	٩٠١	٣٢	٥	٩٣٨		
اناث	٢٠٤	١٨	-	٢٢٢		
مختلطة	١٠٣	٤٣	-	١٤٦	٧٠ر٥٥	٢٩ر٤٥٪
المجموع	١٢٠٨	٩٣	٥	١٣٠٦		
النسب	٨ر٥٣٪	٤٦ر٢٤٪	—	١١ر١٨٪		
	٧ر٨٩٪	٣ر٢٩٪	–	–		
المهنية ذكور	٦	-	-	٦		
اناث	٢	-	-	٢		
مختلطة	١	-	-	١		
المجموع	٩	-	-	٩		
النسب	١١ر١١٪			١١ر١١٪		
المدارس العالية						
ذكور	٣	-	-	٣		
اناث	١	-	-	١		
مختلطة	٧	-	-	٧		
المجموع	١١	-	-	١١		
النسب	٦٣ر٦٤٪	-	-	٦٣ر٦٤٪ "١"		

وفي عام ٥٢/٩٥٣م زادت المدارس المختلطة ، فقد بلغ مثلاً عدد المدارس المختلطة في التعليم الابتدائي ١٥٦ من مجموع المدارس وهي ١٤٢٠ وهي تشكل نسبة (١٠ر٩٩ ٪) .

وفي التعليم المهني كان عدد المدارس المختلطة هو مدرسة واحدة من مجموع المدارس وهو ١٠ وفي تشكل نسبة (١٠ ٪) . "٢"

---

١) حولية الثقافة العربية : ٢٠٠/٣ .

٢) نفس المصدر : ٨٥/٤ ، ٩٠ ، ٩١ .

وفي عام ٥٥/١٩٥٦م كان الوضع يمثله الجدول الآتي :

نوع المدارس	ابتدائي	ثانوي	المجموع
ذكور	١٠٩١	١٥٤	١٢٤٥
اناث	٢٦٩	٥١	٣٢٠
مختلطة	٤٦٦	-	٤٦٦
المجموع	١٨٢٦	٢٠٥	٢٠٣١
النسب	٢٥٫٥٢٪	-	٢٢٫٩٤٪
	٢٢٫٩٤٪	-	- "١"

أما عدد المعلمين والمعلمات فيوضحه الجدول الآتي :

نوع المدارس	المعلمين	المعلمات	المجموع	النسب
ابتدائي	٧٦١٠	٣٤٧٢	١١٠٨٢	٣١٫٣٣٪
ثانوي	٢١٦٢	٠٧٦٤	٢٩٢٦	٢٦٫١١٪
المجموع	٩٧٧٢	٤٢٣٦	١٤٠٠٨	٣٠٫٢٤٪ "٢"

ومعنى ذلك أن نسبة المعلمات الى مجموع المعلمين هو (٣٠٫٢٤٪) في المرحلتين اى ثلث المدرسين تقريبا .

أما في آخر احصائية وهي الاحصائية التي نشرت بصحيفة الرياض فـان المدارس المختلطة قد زادت كثيراً ويمثلها الجدول الاتي :

---

١) نفس المصدر : ٥/٢٤٦

٢) حولية الثقافة العربية : ٥/٢٤٦ .

المرحلة الدراسية :	المـــدارس بنون	بنات	مختلط	المجموع	النسبة
الابتدائية	١٧٣٤	١٠٧٨	٨٥٠٤	١١٣١٦	٧٥ر١٥ ٪
ثانوى اكاديمي	٧٧٧	٠٠٠	٤٩٧	١٧٧٤	٢٨ر٠٠ ٪
صناعي	٩	-	٤١	٥٠	٨٢ر٠٠ ٪
زراعي	١٠	-	١٨	٢٨	٦٥ر٠٠ ٪
تجارى	١٤	٢٧	٧	٤٨	١٥ر٠٠ ٪
معاهد الفنون الجميلة	-	-	٤	٤	١٠٠ر٠٠ ٪
دور المعلمين	١٦	١٩	-	٣٥	-
معاهد المعلمين	١	٢	١٢	١٥	٨٣ر٠٠ ٪
معاهد فنية	-	-	١٩	١٩	١٠٠ر٠٠ ٪
كليات	-	-	٤٦	٤٦	١٠٠ر٠٠ ٪
المجموع	٢٥٦١	١٦٢٦	٩١٤٨	١٣٣٣٥	٦٨ر٦٠ ٪

أما المعلمون فيمثلهم الجدول الآتي :

المرحلة الدراسية		المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبـــة
الابتدائية		٥٠٤٦٤	٤٢١٨٠	٩٢٦٤٤	٤٥ر٥٣ ٪
ثانوى اكاديمي		١٦٨١٨	١١١٨٤	٢٨٠٠٢	٣٩ر٩٤ ٪
المرحلة الثانوية اعداد مهني	صناعي	١٩٨٧	٠٠٢٤٤	٢٢٣١	١٠ر٩٤ ٪
	زراعي	٩٠٨	٩٨	١٠٠٦	٩ر٧٤ ٪
	تجارى	٢٢٢	٤٦٩	٦٩١	٦٧ر٨٧ ٪

المرحلة الدراسية		المعلمون	المعلمات	المجموع	النسبـــة
معاهد الفنون الجميلة		١٣١	١٧	١٤٨	٪ ١١٫٤٩
دور المعلمين		٢٥٨	٥١٤	٧٧٢	٪ ٦٦٫٥٨ *
معاهد المعلمين		١٥٢	٦٩	٢٢١	٪ ٣١٫٢٢
التعليم	معاهد فنية	١٢٦٩	٢٧٦	١٥٤٥	٪ ١٧٫٨٦
العالي	كليات	٣٥٢٦	٦٠٩	٤١٣٥	٪ ١٤٫٧٣
المجموع العام		٧٥٧٣٥	٥٥٦٦٠	١٣١٣٩٥	٪ ٤٢٫٣٦

أما التلاميذ فيمثلهم الجدول الآتي

المرحلة الدراسية		الطلاب	الطالبات	المجموع	النسبـــة
الابتدائية		١٤٣٤٠٦٧	١١٧٤٨٦٦	٢٦٠٨٩٣٣	٪ ٤٥٫٠٣
ثانوي اكاديمي		٦٢٦٥٨٨	٢٧١١١٢	٨٩٧٧٠٠	٪ ٣٠٫٢٠
اعداد مهني	صناعي	٢٨١٥٦	٢٨١٢	٣٠٩٦٨	٪ ٩٫٠٨
المرحلة	زراعي	٧٣٦١	١١٢٨	٨٤٨٩	٪ ١٣٫٢٩
الثانوية	تجاري	٣٣٩٨	١١١٧١	١٤٥٦٩	٪ ٧٦٫٦٨
معاهد الفنون الجميلة		١٠٣٦	٣٨٢	١٤١٨	٪ ٢٦٫٩٤
دور المعلمين		٥٨٢٣	١٣١٣٧	١٨٩٦٠	
معاهد المعلمين		١٩٤٤	١٨٥٧	٣٨٠١	٪ ٤٨٫٨٦
التعليم	[illegible]	١٠٧٤٨	٤٢٣٩	١٤٩٨٧	٪ ٢٨٫٢٨
العالي	كليات	٥٧٦٦٣	٢٥٧٦٢	٨٣٤٢٥	٪ ٣٠٫٨٨
المجموع		٢١٧٦٧٨٤	١٥٠٦٤٦٦	٣٦٨٣٢٥٠	٪ ٤٠٫٩٠ [1]

---

*) دور المعلمين يقبل بها خريجو الدراسة المتوسطة ومدة الدراسة بها ٣ سنوات والنية متجهة لجعلها خمس سنوات . وانظر كيف ان المدارس ليس فيها اختلاط بين التلاميذ ولكن نسبة المعلمات الى المعلمين كافة مرتفعة جـــدا (٦٦٫٥٨ ٪) وهو اختلاط والنتيجة واحدة .

١) انظر صحيفة الرياض العدد ٤٨٨٦ / السنة السابعة عشرة الخميس ١٥ رمضان ١٤٠١ هـ ص ١٥ مقابلة وزير التربية العراقي ، والجدول المرفق وقد وزعته على الجداول الثلاثة .

أما في مصر فقد كان الوضع كما يلي عام ١٩٥٥/١٩٥٦م .

١ - كان عدد المدارس الابتدائية هو ٥٣٩٩ منها " ٣٣١٥ " مختلطة وهي تشكل نسبة (٦١٫٤٠ ٪) من عدد المدارس .

٢) كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو " ١٥٤٧ " من عدد الهيئة التعليمية البالغة ٧٩٣٩ ، أي ان نسبتهم هي (١٩٫٤٩ ٪) من المجموع العام ؛

٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين هو (٦٦) مدرسة من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ١٠٧٢٦ " وهي تشكل نسبة (٦٢ و ٠ ٪)

٤) كان عدد المعلمات في المدارس المختلطة هو (٣٩٧٥) من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ١٨٤٥١ " وهي تشكل نسبة (٢١٫٥٤ ٪) ؛

٥) كان عدد المعلمات في المدارس كلها " البنين " و " البنات " (المختلطة) هو " ١٠٤٣٣ " من مجموع الهيئة التعليمية وهي " ٣٧١١٦ " وهي تشكل نسبة (٢٨٫١١ ٪) .

٦) كان عدد المعلمين في المدارس الابتدائية الراقية " نسوى " (٣١ " معلما من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي تشكل نسبة (١٨٫٧٩ ٪) "[١]

أما في المرحلة الاعدادية فكان الوضع كالآتي :

* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو (٩٤٠) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي (٣٠٥١) وهي تشكل نسبة (٣٠٫٨١ ٪) "[٢]

أما في المرحلة الثانوية فكان الوضع كالآتي :

* كان عدد المعلمين في مدارس البنات هو (٤٧٨) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي (١٤٥٩) وهي تمثل (٣٢٫٧٦ ٪)

١-٢) حولية الثقافة العربية : ٥/٨٤٢ جدول رقم (١٠٠) .

أما في المدارس المهنية (الفنية) فكان الوضع كالتالي :

١) كان عدد المعلمات هو (٤) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وهي (١٨) وهي تشكل نسبة (٢٢٫٢٢ ٪) .

٢) كان عدد المعلمين في الثانوي التجاري (للبنات) هو (٥٠) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٨٦) وهي تشكل نسبة (٥٨٫١٤ ٪) .

٣) كان عدد المعلمين في الثانوي الفني المهني (النسوي) هو (١٣٩) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٦٣٨) وهي تشكل نسبة (٢٠٫٢٢ ٪) "١"

هذا هو الوضع في المدارس الاميرية الحكومية .

أما في المدارس الاهلية (الحرة) فكان الوضع بالنسبة للاختلاط كالاتي :

١) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية " المعانة " هو (٧٠٤) من مجموع المدارس وعددها (١١٢٩) وهو يمثل نسبة (٦٢٫٣٦ ٪)

٢) كان عدد المدارس المشتركة في المدارس الابتدائية (غير المعانة) هو (٩١٢) من مجموع المدارس وعددها (١٨٣٨) وهو يشكل نسبة (٤٩٫٦٢ ٪) .

أما عن المعلمين والمعلمات فان الوضع كان كالاتي :

١) كان عدد المعلمين في مدارس البنات " المعانة " هو (٣٠٠) من مجموع الهيئة التعليمية في هذه المدارس وعددهم (١٣٢٩) وهي تشكل نسبة (٢٢٫٥٧ ٪) .

٢) كان عدد المعلمات في المدارس المشتركة هو (٢٤٧٧) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٤٣٤١) وهو يشكل نسبة (٥٧٫٠٦ ٪) وتكون نسبة المعلمين هي (٤٢٫٩٤ ٪) .

---

١) حولية الثقافة العربية : ٥/٨٤٥ جدول رقم "١٥٥".

٣) كان عدد المعلمات في مدارس البنين الابتدائية "غير المعانة" هو (٥٣) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٧٢١) وهو يشكل نسبة (٧٫٣٥ ٪) .

٤) كان عدد المعلمات في المدارس الابتدائية المشتركة "غير المعانة" هو (١١٩٥) معلمة من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٢٠٤٢) وهو يشكل نسبة (٥٨٫٥٢ ٪) وتكون نسبة المعلمين هي (٤١٫٤٨ ٪) .

٥) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية المعانة "بنون" هو (٥) معلمات من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٣٦١٨) وهو يشكل نسبة (٠٫١٤ ٪) .

٦) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية المعانة "بنات" هو (٥٠٥) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (١٠٢١) وهو يشكل نسبة (٤٩٫٤٦ ٪) وبذا تكون نسبة المعلمات هي (٥٠٫٥٤ ٪) .

٧) كان عدد المعلمات في المدارس الاعدادية "بنون" غير معانة هو (١٩) من مجموع الهيئة التعليمية وعددها (٤٤٤) وهو يمثل نسبة (٤٫٢٨ ٪) .

٨) كان عدد المعلمين في المدارس الاعدادية بنات غير معانة هو (٦٧) من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٦٦) وهو يشكل نسبة (٤٠٫٣٦ ٪)

٩) كان عدد المعلمين في الثانوي "بنات" هو (٩٠) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٧٦) وهو يشكل نسبة (٥١٫١٤ ٪) .

١٠) كان عدد المعلمين في الثانوي "بنات" غير معان هو (٤) معلما من مجموع الهيئة التعليمية وهي (١٣) وهو يشكل نسبة (٣٠٫٧٧ ٪) .[1]

---

١) حولية الثقافة العربية : ٥/٥٩٠ جدول رقم (١٠٥) .

بعد ذلك نأتي الى مناقشة مزاعم الداعين الى الاختلاط وحججهم فـــي الدعوة إلى ذلك .

من حججهم التي يطلقونها لتبرير الاختلاط في المرحلة الاولى (الابتدائية) مايلي :

أ - " ... ان الاطفال برآء ليس لديهم الا مشاعر فطرية بعيـــدة عن الجنس " "١"

والرد على هذا الزعم من ثلاثة أوجه :

الاول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتفريق بين الاخوة في المضاجـــع وهم ابناء عشر سنين .

" عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم ابنـــاء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع .. " رواه احمد ، وابو داود ، والحاكم في المستدرك "٢"

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتفريق بين الاولاد -وهـــو تعبير يشمل الذكور والاناث- وهم ابناء عشر سنين ،تمهيدا لهم على التمايـــز والانفصال فإن الدعوة الى اختلاطهم على مقاعد الدراسة وهم في المرحلة يولد فيهم الشعور بعدم التمايز ، وبالتالي لا يكون للزواج في مستقبل ايامهم أي معنى ، وبالزواج تتكون الاسر ، وتنشأ المجتمعات .

الثاني : أن الآيات القرآنية نصت على وجوب إحتجاب المرأة عن الرجـــل ، ونصت على بيان مايجب على الرجل والمرأة في هذا الخصوص من غـــض البصر ، وحفظ الفرج ، وعدم ابداء الزينة ، والضرب بالخمر على الجيوب

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ١٠/٦ ، بحث الاستاذ منير محمد الغضبان .

"٢" مسند الامام احمد : ٢/ ١٨٧، وسنن ابي داود ؛ والمستدرك على الصحيحين : ١/ ٦٩٧ .

قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يوءذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يوءذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن توءذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ذلكم كان عند الله عظيما " . ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ماملكت ايمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً " سورة الاحزاب : ٥٣ - ٥٥ .

وقال تعالى : " يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ، ونساء الموءمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يوءذين وكان الله غفورا رحيما " سورة الاحزاب : ٥٩ .

وقال تعالى : " قل للموءمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون . وقل للموءمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيها الموءمنون لعلكم تفلحون " سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

وقال تعالى في " العجائز " :

" والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم " النور : ٦٠

فالآية الأولى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان آداب الاستئذان وآداب الوليمة وآداب دخول البيوت ، فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ودعي الصحابة الى وليمة العرس ، فأكل قوم ثم خرجوا ثم أكل قوم آخرون وخرجوا ، لكن بقي بعض الصحابة فلم يخرجوا ، فنزلت هذه الآية ، فكان من ضمن الآداب والاحكام التي شرعت بهذه الآية :

١) وجوب الاستئذان عند إرادة الدخول الى بيوت الغير - وان كان الخطاب نص على بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فإن العبرة كما يقول علماء الشريعة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٢) وان يكون السؤال "للمتاع" اولاى أمر آخر من وراء حجاب .

٣) انه لا جناح على المرأة في عدم التحجب عمن ذكرتهم الآية .

والآية الثانية تضمنت أمر جميع النساء من أزواج النبي ، وبناته وكافة نساء المؤمنين . بأن يدنين عليهن من جلابيبهن . وقد قال ابن كثير في تفسيره مايلي :

" يقول الله تعالى آمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم تسليماً - أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الاماء . والجلباب هو : الرداء فوق الخمار : قاله ابن مسعود وعبيدة (وقتادة) والحسن البصري وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد ، وهو بمنزلة الازار اليوم " ثم قال :

" قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة " .

ثم قال : "وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب الي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن خيثم ، عن صفية بنت

شيبة ، عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية : (يدنين عليهن من جلابيبهن ، خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها "١"

وهكذا يتضح من تفسير ابن عباس وغيره من الصحابة أن المرأة مأمورة أمر وجوب بالحجاب ، ومن المعلوم أن تفسير الصحابي حجة ، بل قرر بعض علماء الاسلام أنه في حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

أما الآية الثالثة فإنها قد تضمنت أمر الرجال بأمور ، وأمر النساء بأمور فاما الرجال فقد أوجب الله عليهم في هذه الآية أمران :

١) غض البصر .

٢) حفظ الفروج (ويشمل ستر الفروج عن الرؤية ، وحفظها من الزنا) "٢"

٣) النهي عن ابداء الزينة ، وقد كرر الامر في الآية .

٤) الامر بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن . "٣"

قال ابن كثير في بيان معنى : " ضرب الخمر على الجيوب " :

" وقوله : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ، يعني : المقانع لها صنفات ضاربات على صدور النساء لتواري ماتحتها من صدرها وترائبها ، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك ، بل كانت المرأة تمر بين الرجال مفسحة بصدرها ، لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات ان يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ، كما قال الله تعالى : (يا ايها النبي ، قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين ، يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين) . وقال في

---

١) تفسير ابن كثير : ٦/٤٧٠ ، ٤٧١ .

٢) الجامع لاحكام القرآن : ١٢/٢٢٩ . فقد فسر حفظ الفرج بالامرين معاً .

٣) الجيوب : هي الصدور والنحور .

هذه الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ، والخمر : جمع خمار ، وهو مايخمر به ، اى يغطى به الرأس ، وهي التي تسميها الناس المقانع.)) "(١)"

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في هذه الآية :

" ... فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها إما لانه من لازم ذلك ، او بالقياس فإنه اذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه من باب اولى لانه موضع الجمال والفتنة فإن الناس الذين يتطلبون جمال الصورة لا يسئلون الا عن الوجه فإذا كان جميلاً لم ينظروا الى ماسواه نظراً ذا أهمية ولذلك إذا قالوا فلانة جميلة لم يفهم من هذا الكلام الا جمال الوجه فتبين أن الوجه هو موضع الجمال طلباً وخبراً فإذا كان كذلك فكيف يفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر ثم ترخص في كشف الوجه" "١"

وقال عن " ابداء الزينة " :

" ٣ - ان الله تعالى نهى عن ابداء الزينة مطلقاً الا ماظهر منها وهي التي لابد من أن تظهر كظاهر الثياب ولذلك قال الا ماظهر منها لم يقل الا ماأظهرن منها ثم نهى مرة أخرى عن إبداء الزينة الا لمن استثناهم فدل هذا على أن الزينة الثانية غير الزنية الاولى فالزينة الاولى هي الزينة الظاهرة التي تظهر لكل احد ولا يمكن اخفاؤها . والزينة الثانية هي الزينة الباطنة التي لا يجوز ابداؤها الا لاناس مخصوصين سواء كانت من صنع الله تعالى كالوجه أم من صنع الآدميين كثياب الجمال الباطنة التي يتزين بها ولو كانت هذه الزينة جائزة لكل أحد لم يكن للتعميم في الاولى والاستثناء في الثانية فائدة معلومة." "٢"

وبذا يتضح أن ستره المرأة لوجهها واجب ، وفي هذا حجب لها عن مخالطة الرجال .

وأما الآية الرابعة فقد تضمنت أن النساء العجائز اللاتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد كما قاله سعيد بن جبير وجماعة "٣" ولم يبق لهن تشوق الى

---

١) ، ٢) رسالة الحجاب : ٥ ، ٦ .

٣) تفسيرابن كثير : ٦/ ٩٠ ، ٩١ .

الزواج – ليس عليهن جناح في وضع ثيابهن " أي الجلباب والرداء كما قاله ابن مسعود وجماعة . "[١] بشرط أن لا يكن بذلك متبرجات بالزينة ، ومعنى ذلك أنه لشواب بقيت على أحكام الأساس .

يقول الشيخ ابن عثيمين :

" . . وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى نفى الجناح وهو الاثم عن القواعد وهن العجائز اللاتي لا يرجون نكاحاً لعدم رغبة الرجال بهن لكبر سنهن نفى الله الجناح عن هؤلاء العجائز في وضع ثيابهن بشرط أن لا يكون الغرض من ذلك التبرج بالزينة ومن المعلوم بالبداهة أنه ليس المراد بوضع الثياب أن يبقين عاريات وانما المراد وضع الثياب التي تكون فوق الدرع ونحوه مما لا يستر مايظهر غالبا كالوجه والكفين فالثياب المذكورة المرخص لهؤلاء العجائز في وضعها هي الثياب السابقة التي تستر جميع البدن وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل على أن الثواب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم ، ولو كان الحكم شاملا للجميع في جواز وضع الثياب ولبس درع ونحوه لم يكن لتخصيص القواعد فائدة . ومن قوله تعالى : " غير متبرجات بزينة " دليل آخر على وجوب الحجاب على الشابة التي ترجو النكاح لأن الغالب عليها اذا كشفت وجهها أنها تريد التبرج بالزينة واظهار جمالها وتطلع الرجال لها ومدحهم اياها ونحو ذلك ومن سوى هذه نادرة والنادر لا حكم له "[٢]

ومن الادلة على الحجاب من السنة مايلي :

١) " إذا خطب أحدكم إمرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها اذا كان إنما ينظر اليها لخطبته ، وإن كانت لا تعلم " أخرجه احمد "[٣] .

---

١) تفسير ابن كثير : ٦/١٠ ، ٩١ .
٢) رسالة الحجاب : ٨
٣) مسند الامام احمد : ٥/٤٢٤ .

فنفي الجناح عن الرجل الذى يزيد خطبة امرأة من أن ينظر اليهـــا مايدعوه الى نكاحها ـ وهو الوجه ـ دليل على أن الاصل وجوب الحجاب علـى المرأة .

٢) " عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الركبان يمرون بنا ونحن مـع الرسول صلى الله عليه وسلم محرمات فإذا جاوزنا أسدلت احدانا جلبابها على من رأسها على وجهها فاذا جاوزناه كشفناه " رواه أحمـــد وأبو داود وابن ماجه . "١"

وجه الدلالـة منه على وجوب الحجاب : " فاذا جاوزنا أسدلت احدانا جلبابها على وجهها من رأسها " ومن المعلوم ان المشروع للمرأة في الحج كشـف الوجه لان احرام المرأة في وجهها ، وهذا اذا لم يمر بها رجال اجانب عنها .

ومن النصوص النبوية الاخرى التي تحرم الاختلاط مايلي :

١) " عن ام حميد الساعدية رضي الله عنها قالت : " يارسول الله إني أحـب الصلاة معك ، قال : لقد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك فـي بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى فأمرت فبني لهـا مسجد في أقصى شيء من بيتها واظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت اللـه عز وجل . " رواه احمد والطبراني . "٢"

---

١) الفتح الرباني بترتيب مسند الامام احمد بن حنبل : ٢١٥/١١ ، وسنن أبي داود : ٤٢٥/١ ، وسنن ابن ماجه : ٩٧٩/٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مع اختلاف يسير في الالفاظ عن لفظ المسند والسنن لابي داود .

٢) الفتح الرباني : ١٩٩/٥ وهذا لفظ احمد .

٢ - عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم "خير مساجد النساء قعر بيوتهن" اخرجه احمد والحاكم.(١)

٣ - عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة المرأة في بيتها افضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها" اخرجه ابو داود والحاكم(٢) .

٤ - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو : الموت" اخرجه البخاري ومسلم(٣) .

ففي النصوص الثلاثة الاولى يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة المرأة في بيتها او مخدعها افضل من صلاتها في المسجد حتى ولو كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده ، ذلك لانها ستتعرض لرؤية الرجال الاجانب وهي وهذا في الصلاة فكيف بغير الصلاة ؟ كالعمل والتعليم ..اذا اقترن به اظهار المرأة لمفاتنها وتزينها بانواع الزينة التي تجعل الدميمة جميلة في انظار الرجال بل كيف يكون الحكم اذا اقترن به ظهور النحر والصدر وشيء من النهدين والساقين وشيء من الفخذين ..واصبحت تتجول وتتبختر امام الشباب في المدارس او في العمل .

وفي النص الرابع يحرم الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول على المرأة الاجنبية حتى ولو كان الداخل هو "الحمو" اي (اخ الزوج وما اشبهه من اقارب الزوج . ابن العم ونحوه "(٤) .

ان حرمة الاختلاط تتضح من قراءة وفهم النصوص السابقة فاذا كانت المرأة المسلمة مامورة بستر وجهها عن الرجال الاجانب واذا كانت صلاتها في بيتها او حجرتها افضل من صلاتها في مسجد الجماعة "اي الجامع" لانه يكثر

---

(١) مسند الامام احمد ٦/٢٩٧ والمستدرك على الصحيحين ١/٢٠٩ .
(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود : ٢/٢٧٧ . والمستدرك على الصحيحين ١/٢٠٩ .
(٣) صحيح البخاري : ٦/١٥٨ ، ١٥٩ ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم والدخول على المغيبة . وصحيح مسلم ٤/١٧١١ ، كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالاجنبية والدخول عليها ، وسنن البيهقي : ٣ / ١٣١ . وانظر ج ٣/١٣٢ حديث عائشة .
(٤) هذا تفسير الليث بن سعد ، انظر صحيح مسلم : ٤/١٧١١ .

فيه الرجال والصلاة من الواجبات الشرعية التي يعاقب تاركها باشد العقوبات إذا كان الامر كذلك في الصلاة فان الاختلاط بين الطلاب والطالبات على مقاعد الدرس ، والاختلاط بين المعلمين والمعلمات في مكاتب المدرسة أكبر الجرائم التي يخالف بها شرع الله مخالفة صريحة " .

ويقول : " منير محمد نجيب غضبان " بعد ذكره للحجة السابقة :

" . . . وموقف دعاة الاختلاط في هذا الموضوع شبيه بموقف المشركين الذين يتحدثون بمنافع الخمر وينسون اثمه الكبير " .

إن المضار التربوية التي تنشأ عن اختلاط الاطفال بالمرحلة الابتدائية التي تبدأ منذ سن التمييز السادسة - حيث يبدأ التلميذ يعي على ماحوله - تجمل الحياة الطبيعية عنده هي الاختلاط ويقيم صداقات كما يهوى مع صديقة او صديقه ويحيا معهما حياة مشتركة ، فهو يحس عند انتهاء الاختلاط أنه فقد صديقاً عزيزاً عليه - ويحن لهذه الصديقة حنيناً منبعثاً من كيانه ويود لو يلبي هذا الحنين ، ويتابع صلته وصداقته التي بناها من قبل دون قيد .

لقد صار الاختلاط جزءاً من كيانه حتى يبلغ سن المراهقة ، وتتفتح مشاعره الجنسية سوف يختلط هذا التهيج الجنسي بذلك الحنين الطفولي لدى الطرفين - يغدو هدفهما ان تنكسر الحواجز وتصبح النظرة الى عدم الاختلاط تتسم بالحقد ، ويعبر عنها بالكبت .

لقد ربينا الطفل منذ نعومة اظفاره على الاختلاط ، وزرعناه في كيانه ، ثم اردنا ان نمنعه عنه حين احس ان كيانه كله يريد الاختلاط .

انه سوف يحتبرنا اعداء له لاننا نحول بينه وبين مازرعناه في كيانه فأي فائدة تربوية ؟ بل أية ثمرة مرة فتجرعها يوم نربي اولادنا على الاختلاط " (١)

والواقع ان اكثر التربويين الذين يحتجون كما قال الكاتب آنف الذكر

---

١) تقارير وبحوث المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي : ٦/١٠ ، ١١

بأن الاطفال ليس لديهم مشاعر جنسية ـ يعتنقون مذهب فرويد في تفسير حياة الانسان ـ الطفل والرجل ، والمرأة ـ بالجنس فكيف يحتجون بهذه الحجة للدعوة الى الاختلاط . ولو كان دعاة الاختلاط صادقين في دعواهم لدعوا الى الاختلاط بين التلاميذ والتلميذات في المرحلة الابتدائية مع جعل المدرسين لهم اما نساء أو رجالا . ولكنهم لم يكونوا صادقين في دعواهم فقد دعا مؤتمر التعليم الالزامي الى امرين اثنين ذكرتهما وهما :

١) الاكثار من تخريج المعلمات للمرحلة الاولى حتى يمكن قصر التعليم في السنوات الاولى من التعليم الابتدائي على النساء . اما السنوات الاخيرة فيكون التعليم مشتركاً بين المعلمات والمعلمين .

٢) الدعوة الى عدم إنفراد الرجال في المدارس المختلطة بالتدريس للبنات لان ذلك يفقدهن اثر العنصر النسوى اللازم لحسن تكوينهم . . " [١]

ومن الحجج التي يطلقها دعاة الاختلاط ليبرروا دعوتهم الى الاختلاط في التعليم الزعم بأن التعليم المختلط يتيح للدولة توسيع الخدمات التعليمية للأناث والزعم بأن التعليم المختلط يترتب عليه توفير كبير في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد .

يقول أحمد التل في ذلك عن الاردن :

" . . . ورغم ان هذه السياسة ـ اى سياسة التعليم المختلط ـ تتعارض مع التقاليد الاسلامية التي تقضي بفصل الاناث عن الذكور ، ولا قت مقاومة من الفئات الدينية المحافظة ، فقد أدت هذه السياسة الى توسيع الخدمات التعليمية للاناث الى درجة كبيرة . . " [٢]

ثم يقول :

" . . ومن النتائج التي ترتبت على سياسة التعليم المختلط توفير كبير

---

١) مستقبل التربية في العالم العربي : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

٢) تطور نظام التعليم في الاردن : ٢١٩ .

في معدل تكلفة التعليم بالنسبة للطالب الواحد بعد أن توقفت ازدواجيـــة المدارس وأصبح من الممكن تركيز صرف المخصصات السنوية بشكل أفضل ، كما أنه من الافضل من الناحية الاقتصادية أن توءسس مدارس منفصلة للذكور وأخرى للاناث " "١"

ولا حاجة بي الى التعليق على هذا القول وتفنيده، فإن الكاتب قــد كفانا موءنة ذلك في الفقرة الاخيرة من قوله : " كما انه من الافضل من الناحيــة الاقتصادية أن توءسس مدارس منفصلة للذكور واخرى للاناث " .

بل هو الافضل دينياً فالناحية الاقتصادية يجب ان تكون في المقام الثاني بعد استمساكنا بديننا وسيرنا على منهاجه ، فليس لنا خيرة في ذلك ، بـــل الواجب علينا أن نفعل ماأمرنا به ديننا حتى ولو كلفنا ذلك اقواتنا .

ومن العجيب أن تردد هذه المقولة الفارغة أن تكلفة الطالب يحصل فيها توفير بالاختلاط . ذلك أن المبني المدرسي الذى يشيد ليتسع لالف طالب ، لا يمكن أن يتسع لالفين ،لمجرد اننا خلطنا البنين بالبنات ، والفصل الذى يقرر له أن يكون فيه ثلاثون طالبا لا يمكن ان يتسع لستين لمجرد الخلط ، واذا قررنا أن يكون نسبة المدرسين مثلا الى الطلاب كنسبة ١ : ٢٥ فانه لا يمكن أن تكون النسبة كما هي مع زيادة عدد الطلاب فلا بد اذاً من زيادة عدد المدرسين، والمعامل التي يستخدمها عشرون طالبا لا يمكن ان تحتمل استخدام اربعيــــن طالبا لمجرد الاختلاط فلا بد اذن من زيادة المعامل ، واذا اتسعت المدرسة وكثر عدد طلابها فإن الجهاز الادارى يجب أن يزيد . فاين التوفير الكبير فـــي معدل التكلفة .

وقد تأيدت احكام الشريعة الغراء في تحريم الاختلاط بآخر ماوصل اليه علماء " البيولوجيا " ولندع السيدة / اصلاح سهيل تحدثنا عن ذلك فهي تقول :

----

١) المصدر السابق : ٢١٩ .

" ... في الواقع أن دعاة الحضارة الحديثة الاباحيون والشيوعيـــون والصهيونيون والعلمـانيون قد فرضوا الاختلاط بين الجنسين واجبروا المرأة للتخلص عن دورها الحقيقي الفطري ، ذلك لتفكيك وحدة العائلة ، ثم نادوا بحرية المرأة والتمرد لاي نظام بأسم " الكبت والانغلاق والكتم " الغريب فـــي الامر ان الدراسات البيولوجية الحديثة والجوانب الجديدة في العلم النفسية تقول :

" ان النمو البيولوجي النفسي للمرأة يتطلب منها الالتزام بالحشمة وعدم الاختلاط والحياء ، لان التركيب الحيوي والنفسي والبيولوجي للمرأة لا يمكن ان يكتمل من الناحية الانثوية البحتة اذا لم تتبع المرأة سلوكا معينا ضد الاختلاط والكشف والتعري . سحر وجمال المرأة يزداد مع حفظ وحماية النمو الطبيعـــي واي نوع من الفنون والموسيقى والثقافة يسلب المرأة انوثتها - لا يعد فقط مأســــاة حيوية بيولوجية ، بل هذا قضاء وتمزيق لكيان المرأة على مسرح الاستعـــراض البشري " "١"

اذن أين هو الكبت والانغلاق والكتم ؟؟ وعلى النقيض من ذلـــك يقول الدكتور " ساروكين " العالم الشهير :

" ان الكبت يأتي نتيجة للحرية اللانهائية .. ان اي فعل أو فكـــر يتعارض مع طبيعة المرأة أو الرجل عضويا كان أو نفسيا يؤدي الى الكبت .. ان العلم اليوم يرى ان الطبيعة ليست فوضى او انغلاق .- الطبيعة البشرية ليس بمقدورها تحمل التمتع بالحياة دون معرفة ولا الحرية دون منهج ، ولا الانطلاق بدون هدف الا ختلاط بين الجنسين قد أدى الى كارثة الية للنمو الطبيعـــي للرجل والمرأة اليوم . الامراض المزمنة النفسية (phsychosis والعصبية (Neorosis) لم تبلغ فقط ٨٩ ٪ في مجتمعنــــا الغربي لكن ايضا الامراض المستعصية العضوية اصبحت شائعة بسبب الاختلاط .

---

١) حين يزف الافق : ٤٤

وقد باءت بالفشل كل محاولات الطب الحديث لايجاد دواء ناجح لهذه الأمراض الجديدة . واني مندهش .. هل يمكن للعلم أن يساهم حقيقة في انقاذ المجتمعات البشرية من هذا الانحطاط النفسي الاجتماعي "[1]

ويقول الاستاذ " ابو الاعلى المودودي " رحمه الله :

" ... وقد ذُكِرَت في مجلة امريكية هذه الاسباب التي لاتزال تؤدي الى رواج الفحشاء وقولها هناك بالكلمات الاتية :

" .. عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم ، وهي جميعها في تسعير سعير لاهل الارض ، اولها : الادب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة ، والثاني : الافلام السينمائية التي لاتذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب ، بل تلقنهم دروسا عملية في بابه . والثالث : انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء ، الذي يظهر في ملابسهن ، بل في عريهن ، وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام . هذه المفاسد الثلاثة فينا الى الزيادة والانتشار بتوالي الايام ، ولابد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصارنيين وفناءهما آخر الامر فان نحن لم نحد من طغيانها ، فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابها لتاريخ الرومان ومن تبعهم سائر الامم الذي قد اوردهم هذا الاتباع للاهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء مع ماكانوا فيه من خمور وفساد . ومشاغل رقص ولهو وغناء .. "[2]

---

١) نفس المصدر : ٤٤١

٢) الحجاب : ١٠٥

ولننظر ماتقوله كاتبة امريكية تدعى "ءيلسيان ستانسيرى" فقد كتبت مقالا فى صحيفة الجمهورية القاهرية تحت عنوان "امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة" جاء فيه : " أن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع ان يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول . وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوربى والامريكى فعندكم تاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الاب والام [illegible] اكثر من ذلك عدم "الاباحية الغربية" التى تهدد اليوم المجتمع والاسرة فى اوربا وامريكا .

انالقيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة صالحة ونافعة لهذا انصح بان تتمسكوا بتقاليدكم واخلاقكم . وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا الى عصر الحجاب فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون اوروبا وامريكا .

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه فى امريكا الكثير . لقد اصبح المجتمع الامريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة . وان ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والارصفة والبارات والبيوت السرية ، ان الحرية التى اعطيناها لفتياتنا وابنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات احداث وعصابات " جيمس دين " وعصابات للمخدرات والرقيق " .

ان الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوربى والامريكى هدد الاسر وزلزل القيم والاخلاق فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين - فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص وتشرب الخمر وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والاباحية والحرية . . . وهى تلهو (وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها بل) وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها . . تتحداهم باسم الحرية والاختلاط تتحداهم باسم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها اكثر من امضاء وعشرين قرشا وعريس ليلة "(1)

---

(١) روائع البيان فى تفسير ايات الاحكام : ٢ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ نقلا عن صحيفة الجمهورية القاهرة فى ١٩ يونيو ١٩٦٢م .

هذا ماتقوله كاتبة امريكية " نصرانية " وليست مسلمة متدينة ولكنه لا يـــزال معها سكة من عقل ولم تكن مأجورة لليهودية العالمية ، وصدق الله العظيـــم اذ يقول : " وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصـــلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيـــت ويطهركم تطهيرا " (الاحزاب : ٣٣) .

ونتيجة للدعوة الى الاختلاط ظهرت فكرة التعليم المختلط .

قالت السيدة اصلاح سهيل بعد ان اوضحت ان شعار الاختلاط بيـــن الجنسين رفعة فلاسفة اليهود - باسم اندلاع الثورة الصناعية والتكنولوجيــــة - وذكرت قول ابن جوريون رئيس وزراء اسرائيل سابقا الى المؤتمر اليهودي العالمي عن هذا الموضوع . قالت :

" انطلق من هذا الدمار للمرأة وكيانها الطبيعي والفطري فكرة التعليـــم المختلط " Co- Education " مع التطبيق والتنفيذ فى كل مجالات التعليم فى العالم المعاصر .

فى الواقع ان هدف هذه المقالة هو ايضاح من اين جاءت فكرة التعليـــم المختلط ومن اين فرضت علينا هذه الفكرة . ان المناقشة والبحث فى ان التعليـــم المختلط ضارا وليس ضارا هل لصالح المرأة ام لا . .

فى الواقع مثل هذا البحث ليس اكاديميا اطلاقا بل هو نوع من الاسلـــوب الدعائي السياسي الاعلامي البحت فقط .

نحن الآن عرفنا من أين انطلقت وظهرت هذه الفكرة للتعليم المختلط ، وماهي الصورة الخلفية التاريخية التي ابرزته ثم فرضته على مجتمع عالمنا المعاصر " ومن المعروف لدى الباحثين الان مايلي :

١) أن بحث فكرة التعليم المختلط انبثقت من مايسمى " حرية المرأة " وقد أسست بلغة المجابهة السياسية وبأسلوب الحرب على العلاقات الانسانية الشخصية بين المرأة والرجل .

٢) أن هناك فروقاً جوهرية بين التركيب النفسي البيولوجي والكيان العضوي بين المرأة والرجل .

٣) أن الاحصائيات والوقائع لنتائج التعليم المختلط في المدارس والجامعات في عالمنا المعاصر تدل على زيادة الجرائم بشكل رهيب وارتفاع نسبة الانتحار - نتيجة مباشرة لهذا الاختلاط .

٤) أن هناك استغلال صريح باسم التكنولوجيا والثورة الصناعية لتهديم دور المرأة في بناء العائلة واستعمالها كبضاعة في الاسواق والتجارة والسياسة والفن والانحراف .

اذن لماذا الاصرار على فكرة التعليم المختلط ؟ اعتقد كما اشارت الآنسة " أريانا بولس " في كتابها " المرأة وانوثتها " أنهم يريدون تدميرنفسيتهن وتخريب بيولوجيتهن وأن يغيروهن الى عالم المجهول لاستغلال الكيان الانثوي للمرأة للثورات الماركسية والماسونية والصهيونية والالحادية فقط لا أقل ولا اكثر .

هل هدف فكرة التعليم المختلط أن المرأة تعرف كيف تقرأ وتكتب وتتبنا وتنسق فقط ؟ أم هدف التعليم المختلط أن [illegible]مر وتحطم رقة أحاسيسها والجمال في معاملاتها وسلامة أنوثتها ، فضلاً لاعدادها لعدم الاستقرار في نفسيتها لتكون غير صالحة لتكوين الاسرة ، وبهذا تنهار وحدة العائلة عن نهاية المشوار " [١]

---

١) حين ينزف الافق : ٤٦ ، ٤٧ .

وهذا ما حدث بالفعل فقد شهدت وحدة العائلة في الغرب الرأسمالي والشيوعي . وماذا أيضا عن أضرار التعليم المختلط ؟

يقول القاضي الامريكي " لندسي " عن نتائج التعليم المختلط :

" إن خمساً وأربعين في المائة من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن ، قبل خروجهن منها ، وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية "

ويقول عن المدارس الثانوية بالذات :

" إن الطالبات في المدرسة الثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابا فالصبية هي التي تقدم أبداً وتأمر وما يفضل الصبي الا ان يتبع ويأتمر " "١"

ويقول أيضا :

" ٤٩٥ بنتاً في السن الباكرة من بنات المعاهد الثانوية ، إعترفن بأنهن كن جربن العلاقة الجنسية مع الصبيان . الا أنه لم تحمل منهن الا خمس وعشرون اما الباقيات فسلم بعضهن من الحمل بمحض الاتفاق بينما كانت لاكثرهن خبرة كافية بتدابير منع الحمل . وهذه الخبرة قد عمت فيهن الى حد لا يكاد الناس يصيبون في تقديره " . "٢"

وقد تنبه بعض المسئولين عن التعليم في أوربا وأمريكا لاضرار الاختلاط فبدؤا بانشاء مدارس وجامعات منفصلة .

يقول : " وهبي سليمان غاوجي الالباني " :

" ... وكأن الآخرين أخذوا يلاحظون تدني سوية التعليم في المدارس المختلطة فقد حدثني الاستاذ الكبير احمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة الى بلجيكا ، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك وهو يقوم بجولات في مدارسها - جميع طلابها بنات .. فسأل المديرة لماذا لا تخلطون البنين مع البنات في هذه المرحلة ؟ قالت : قد لمسنا اضراراً لاختلاط الاطفال في

---

(١) (٢) الحجاب : ١٠٤ ، ١١٣

سن المرحلة الابتدائية "[١]"

وقد نقلت مجلة المجتمع الكويتية في هذا الشأن قائمة كاملة بأسماء جامعات وكليات أمريكية غير مختلطة . وقد تضمنت هذه القائمة اسماء ٧٩ جامعة وكلية للبنات منها ٣٧ جامعة وكلية انشئت في هذا القرن منها ثلاث مابين عامي (١٩٦١ و ١٩٦٥) و ٢٧ جامعة وكلية للشبان منها ٦ انشئت في هذا القرن ، منها واحدة انشئت عام (١٩٧٠) "[٢]"

فاذا كان هذا في المجتمع الامريكي الكافر الذي يعتبر فيه الاختلاط هو الطبيعي وعدم الاختلاط هو الشاذ عن القاعدة - فأن دعوة الناس ممن يدعون الى الاختلاط دعوة باطلة لان الامة التي جربت الاختلاط بدأت تتراجع عنه فأولى بالامة التي تعقل وتتعظ ان لا تخوض غمار تجربة خاضتها أمـــــة أخرى وبدأت تتراجع عنها .

بعد كل ذلك هل يصح لعاقل فضلا عن مسلم يلتزم بالاسلام ان يدعو الى الاختلاط في العمل او التعليم بين الطلاب والطالبات او بين المعلمين والمعلمات) ان العاقل هو من اتعظ بغيره ولم يتبع نفسه هواها وقديما قال العرب : " السعيد من اتعظ بغيره " فليس سعيدا ولا عاقلا من يرى غيره يسقط في الهاوية ، فيقلده ويتابعه ليجرب نفس النتيجة ، ان مايعانيه الغرب من اضرار ونتائج الاختلاط السيئة بين الذكور والاناث ، لهو نتيجة طبيعية ومتوقعة من الاختلاط ، فان تقريب عود الثقاب واشعاله بجانب " النفط " ليس له نتيجة الا الاشتعال . انني لا ادعي بذلك ان حياة الانسان كلهـــا جنس كما يدعي الفرويديون ، ولكن غريزة الجنس ركبها الله في أفراد البشـر ليعمر الكون عن طريق اشباع هذه الرغبة في الطريق الصحيح ، الذي ينتـــج عنه الولد والعائلة وتتكون الاسر ، وفي الاختلاط تدمير للاسر والروابــــط العائلية .

---

١) المرأة المسلمة : ٢٤٣ .
٢) مجلة المجتمع الاسلامية العدد ١٧٠ في ٦ رمضان ١٣٩٣هـ الموافق ٣ / أكتوبر / ١٩٧٣م ص ١٨ ، ١٩ .

ومن البوادر السارة ماصرح به وزير التعليم الباكستاني حيث قال :

" ان الحكومة العسكرية الباكستانية مصممة على انهاء التعليم المختلط كجزء من مخططها لاعادة بناء المجتمع الباكستاني وفقا للشريعة الاسلامية .

وقال : ان اصلاح نظام التعلم مع الالغاء الكامل للتعليم المختلط يأتي في المرتبة الاولى لقائمة الاصلاحات .

وقال : ان الحكومة ستفتح جامعات منفصلة للفتيات في أربع مدن هي كراتشي ولاهور وبيشاور وكيتا " "١"

ونسأل الله ان يحقق ذلك وان لا يكون كالاهداف التي وضعت للتعليم في الباكستان وآخرها ماجاء في الخطة الخمسية الرابعة (٧٠ - ١٩٧٥م) ولم تنفذ كما اوضح ذلك الكولونيل عثماني " .

لقد سار الغرب وراء تعاليم اليهود ومخططاتهم افيريد بعض أبناء المسلمين أن يسيروا بلاد المسلمين في ركاب مخططات اليهود ؟

يقول البروفسور : " هارولد لاسكي " " اليهودي " في بيان ذلك مايلي :

" ان هدفنا من منح المرأة تعليمها عاليا اليوم ماهو الا لتغيير دورها وكيانها الطبيعي في الحياة والذى فرض عليها منذ قرون من الدين والتاريخ والتراث . .

ان التعليم العالي للمرأة اليوم لابد وان يغير سلوكها الاجتماعي الى الحرية وميولها الفكرى الى الانطلاق وتكوينها البيولوجي الى الانحراف . . . . يجب استقلال الكيان الانثوى للمرأة اليوم وتحطيمه عن طريق الجامعات والصحافة والموسيقى " "٢"

من كل ماسبق يظهر لنا جليا الآثار السيئة للعلمنة في التربية والتعليم .

---

١) صحيفة الجزيرة السنة الثامنة عشرة ، العدد ٣٣٢٦ في ٦/ذو الحجة لعام ١٤٠١ هـ .

٢) حين ينزف الافق : ٣٦

المطلب الرابع :

نماذج من مقررات دراسية : - سوف اقتصر في هذا الجزء من البحث على استعراض نماذج من مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية - الحالية فقط - وكان في النية استعراض مقررات مجموعة من البلاد الاسلامية الاخرى ، واستعراض المقررات التى كانت تطبق في المملكة قبل عام ١٣٨٨ هـ ، وذلك كيما اعقد مقارنة بين المقررات الحاليه والمقررات السابقه لمعرفة مدى التحسن في هذه المقررات عن سابقتها ، وحسب علمي - فإن المقررات الحاليه على ما اخذ عليها من مآخذ تعتبر عليها من مآخذ هي افضل من سابقتها .

كان ما ذكرت في نيتي ولكني لم استطع ذلك لأمور منها :

١- اني لم تتح لي السفر في رحلة علمية الى خارج المملكة ، للحصول على مقررات بعض البلاد الاسلاميه ، وذلك لاني ادرس على نظام التفرغ الجزئي واعمل موظفا فانا مرتبط بعمل لا اتمكن بسببه من السفر .

٢- اني جهدت وانا ابحث عن مقررات سابقة من مقررات التعليم العام بالمملكة ، فزرت بعض المدارس فلم احصل الا على نزر يسير من المقررات لا يفي بالغرض من المقارنة بينها وبين الحالية .

وقبل أن أبدأ باستعراض المقررات ونقدها أرى أنه يستحق النقد لابد من أن أوضح ان المنهج الذى كتبت هذه المقررات على منواله قد أعد من قبل اللجنة الفرعيه لسياسة التعليم التى شكلت بعد تشكيل اللجنة العليا لسياسة التعليم التى امر بتشكيلها الملك فيصل رحمه الله .

وقد اخبرني احد اعضاء اللجنة الفرعية لسياسة التعليم ان الملك فيصل أمر باعادة صياغة المناهج والمقررات على أسس اسلامية واضحة وسليمة ، ولم يكن هدفه من تشكيل اللجنة تعديل المناهج فقط .

وعلى هذا سوف اناقش المؤلفين مناقشة تعتمد ان شاء الله على نصوص الكتاب والسنه ، فما خالفها فيجب اعادة النظر فيه . ولا تعني مناقشتي لبعض الافكار

التى اوردها أنني اسيء الظن بهم فليس للمسلم ان يسيء الظن بأحد من المسلمين وهو لا يعلم عنهم شيئا ، فان حسن الظن بالمسلم هو الاصل ، وسوء الظن لا يكون الا بمن عرف عنه اعوجاج في السلوك أو الفكر والمعتقد ، عن اوامر الله ورسوله (ص) صلى الله عليه وسلم .

وأبدأ بمناقشة المقررات مستعينا بالله .

يلاحظ الباحث في مقررات التعليم العام في المملكة أن المؤلفين كان منهم اخطاء منهجيه في عرض الحقائق ، يمكن ذكر امثلة منها كرؤوس عناوين اسير على نسقه في تتبع ما انقده على هذه المقررات . وهي كما يلي :

١- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا عنصريا .

٢- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا ماديا .

٣- الدعوى بأن الجهاد انما شرع للدفاع .

٤- تفسير حياة الانسان تفسيرا ماديا .

٥- وصف الجاهليات بالحضارة .

٦- استخدام وصف رجال الدين واطلاقه على علماء الاسلام ، والكهان .

٧- نسبة الحضارة الاسلامية الى غير العرب .

٨- عدم التأدب مع بعض قادة المسلمين ووصف بعض المفسدين بالصالحين .

٩- نسبة الاشياء الى غير مسببها .

١٠- حسن الظن ببعض المنظمات .

١١- تمجيد العروبة والوطنيه والدعوة اليها .

١٢- التأثر بتقسيم الاوربيين للسلطات الى تشريعيه وتنفيذ يه .

١٣- تقرير حيوانية الانسان .

١٤- مايوجد فى مقررات اللغة الانجليزية من قصص تتحدث عن الشعوذة واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر كأمر طبيعي .

وأبدأ باستعراض نصوص تمثل ماسبق ومن ثم بيان اوجه الخطأ فيها :

١- تفسير حوادث التاريخ تفسيرا عنصريا : في مقرر القراءة العربية للسنة السادسة الابتدائية موضوع بعنوان " يوم ذي قار " قال فيه المؤلفون مايلي :

" من اشهر المعارك التى دارت رحاها في الجاهلية يوم ذي قار ، وقد

كان يوما مشهودا انتصر فيه العرب على الفرس ، واصبح الفرس من ذلك اليوم يحسبون للعرب اكبر حساب بعد ان كانوا يعدونهم من سقط المخلوقات . .

ومنذ تلك المعركة غرس بنو شيبان مهابة العرب في قلوب الفرس مما جعل ابابكر رضى الله عنه يولى أحد هم قيادة جيش المسلمين لقتال الفرس فيما بعد ، وهـــو المثنى بن حارثة الشيباني رضى الله عنه" . (١)

فتقريران ابا بكر رضى الله تعالى عنه قد اختار المثنى بن حارثة الشيبانـــي لقتال الفرس - لانه كما يفهم من المحاوره من القبيلة التى حاربت الفرس في يوم ذى قار وانتصرت عليه - خطأ محض لعدة امور .

الاول : أنه لاعلاقة للمسلم بما حدث قبل اسلامه بمعنى انه لا تربطه اى رابطـه بما كان منه او من قومه قبل الاسلام ، الا معرفة التاريخ ، وهو في ذكره لتاريخـه قبل الاسلام يذكره ذكر تحسر على ضلاله القديم ، وابو بكر التلميذ الاول في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصاحب الاول ، والصديق هو ابعد الناس عــن التعصب للعرب اولغيرهم حتى يكون هدفه من بعث الجيش الى فارس او غيرهـــا هو لابقاء مهابة العرب ، فقد انتهى هذا العهد بالنسبة الى بكر بمجرد نطقـــه بالشهادتين واصبح همه هو واصحابه الاول والاخير العمل على نشر دين الله فــي الارض .

الثاني : أن الجهاد شرع في الاسلام لقتال المشركين والكفار على اختـــلاف تنوعات كفرهم ولم يشرع ليقاتل العرب غيرهم من الامم واكتفي هنا بذكر آية واحـــدة، وحديث واحد والا فالآيات والاحاديث في بيان هذا المعنى كثيره .

قال تعالى : " . . . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيـل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون "التوبة/٤١

---

(١) القراءة العربية/الصف السادس/ ١٤٨-١٥٠ .

فهذا النص قد حدد الله به غاية الجهاد وهو ان يكون في سبيل الله لا في سبيل العرب او الفرس او الروم .

" وعن انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم " اخرجه ابو داود والنسائي .

وفي اخرى للنسائي : جاهدوا بأيديكم والسنتكم واموالكم " (١)

الثالث : ان واقع التاريخ الاسلامي لا يؤيد هذا الذى ذكره المؤلفون فالتاريخ يقول ان موقعة القادسيه كانت في زمن عمر بقيادة سعد بن ابي وقاص (٢)

وفي نفس المقرر حديث عن معركة القادسية فيه ما يلي :

" هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الاسلام كانت سببا في سقوط دولة الاكاسرة واحتلال العرب للعراق وبلاد فارس .

بعد ان احتل العرب الحيرة وهزموا جيش الفرس الرابط فيها جن جنون الفرس فهاجموا المسلمين في معركة الجسر ..." (٣)

فتفسير وتحليل معركة القادسيه بهذا الاسلوب خطأ واضح فلم يكن العرب لعروبتهم فتحوا بلاد فارس فقد كانوا مستذلين قبل الاسلام للفرس (*) والروم والحبشه فلما اعتنقوا الاسلام اعزهم الله . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية كيف يفسر للطلاب احتلال العرب لبلاد فارس والعراق ايفسر على انه للثأر من الفرس ، او على انه لنشر دعوة الاسلام عن طريق ازالة الحواجز التي تمنع الناس من الاستماع لدعوة الاسلام ، وهذه الحواجز هي السلطة السياسية التي كابرت وعاندت حتى قضى عليها . ومن ناحية ثالثة كيف يمكن ان توفق بين زرعنا في روع الطلاب بنفي الاحتلال الانجليزى والفرنسي ، ثم نقول لهم في نفس المقررات ان العرب احتلوا بلاد فارس دون بيان لمغذى هذا الاحتلال او بالتعبير السليم الصحيح " الفتح "

---

(١) انظر سنن ابي داود (رقم ٢٥٠٤) باب كراهية ترك الغزو وسنن النسائي : ٧/٦ في الجهاد (باب وجوب الجهاد)

(٢) انظر كتاب مختصر سيرة الرسول (ص) للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص(٢٣٠)

(٣) القراءة العربيه/الصف السادس : ١٦٢

(*) انظر الحديث الذى كان [illegible] بين يزدجر وبين اعضاء الوفد الذى ارسله سعد بن ابي وقاص للفرس [illegible] ففيه بيان لهذا الامر (الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/٣١٥ وانظر قول عمر لابي عبيده في البدايه والنهاية : ٦٠/٧٠

فان عبارة الاحتلال عبارة سيئة المعنى ، فلم تكن حروب المسلمين في واقع الحال كما يشهد بها التاريخ احتلالاً وانما كانت فتحاً للقلوب قبل البلاد . ويؤيد ذلك ماقاله احد جنود سعد بن ابي وقاص وهو " ربعي بن عامر " الذى بعثه سعد لمفاوضة الفرس قبل القتال على الاسلام او الجزيه او الحرب فلما دخل على رستم " قال لترجمان رستم ... ماجاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه (لندعوهم اليه) فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ، ومن ابى قاتلناه حتى نقضي الى الجنه والظفر ... " (١)

وبهذا النص يتضح ان هذا الجندى لم يعرف من دينه انه يقاتل لرفع راية العرب او العروبه او الوطن والوطنيه وانما عرف ان مهمتهم هي اخراج الناس من جور الاديان الى عدل الاسلام ، وليس اخراجهم من سلطان فارسي وثني " الى سلطان عربي غريب .

ومن هذا القبيل مايتردد في كتب التاريخ المعاصر عند الحديث عن الدولة الامويه او العباسيه ، فإنهم يذكرون لدولة الامويه رفعت شأن العرب ولما جاءت الدولة العباسيه (رفعت شأن الفرس في اول الامر ثم شأن ~~الأتراك~~ الديلم في آخر الامر ، واعتبار ارتفاع شأن الاتراك والفرس انه كان سبباً من اسباب زوال العباسيين لنقرأ مايقوله مؤلفوا التاريخ في الصف الثاني المتوسط .

" ... لقد وصل العباسيون الخلافة بمساعدة الفرس ، وقد قدر الخلفاء العباسيون لهم ذلك فقلدوهم المناصب العاليه المدنيه والعسكريه ، وقد استغل الفرس ذلك وحاولوا منازعة الخلفاء واعادة المركز القديم لبلاد فارس إلا أن الخلفاء وخاصة في الدور الاول كانوا لهم بالمرصاد ، حيث قتلوا بعضا منهم ونكبوا البعض الآخر .

ومع ذلك لم يكن العرب ليرضوا بتخلف مركزهم فكثيرا ماكانوا ينتهزون الفرص

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٢٠ .

لاعادة مجد هم الذى كان لهم ايام الامويين ولما جاء المعتصم ابعد العرب والفرس لماذا ؟ واستعان بالترك الذين استغلوا نفوذ هم أسوأ استغلال واشرفوا على شئون الدولة حتى اصبح بيد هم تولية الخليفة او عزله مما اضعف هيئة الخلافة واضـــــاع مكانتها . (٢)

فتحليل وتفسير هذه الحوادث بهذا التفسير تفسير عنصرى ، اذ أنــــه يركز على أن العرب كان لهم المجد أيام الامويين ، واما الفرس والترك فلايسمح توليهم لمناصب في الدولة العباسية مجدوا لما بعدهم مستقلين لمراكزهم ، والحق ان التفسير والتحليل الصحيح هو الذى يقول أن الخلفاء الذين اعتمدوا علـــى عنصر واحد من الشعوب التى انضوت تحت لواء الاسلام واهملوا العناصر الاخـــرى قد جانبوا الصواب ، وذلك أن دولة الاسلام للمسلمين كلهم لا لعنصر واحـــد من العناصر العرقيه ، فالاسلام انما جاء ليحارب التجمع حول اى شعارا وبعـــد أ غير الاسلام ، واما بالنسبة للعباسيين فقد كان من اسباب اعتماد هم على الفرس بسبب سا عدوهم على الوصول الى الحكم .

(٢) تفسير حوادث التاريخ تفسيراً مادياً واقتصادياً :- ومن هذا القبيل النصوص الاتيه :

* معركة اليرموك : كانت دولة الروم دوماً تهدد الدولة الاسلاميـــــة وتحرض القبائل العربيه الموالية لها على المسلمين

فلما تولى الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ،اراد ان يؤمن حـــدود الدولة الاسلامية فأرسل اربعة جيوش لقتال الروم " (٢)

فالقول بأن ابا بكر ارسل الجيوش للشا م ، لان دولة الروم كانت تهـــدد الدولة الاسلامية ، فأراد ابو بكر ان يؤمن حدود الدولة الاسلامية فأرسل أربعـة جيوش لقتال الروم توكجانب للصواب ، وتحليل وتفسير يحصر الجهاد بالماديـــات

(١) تاريخ العالم الاسلامي /٢/ متوسط/ ١١٦، ١١٧
(٢) القراءة العربية/ السادس ابتدائي / ١٢٥

والواقع ان ارسال الجيوش لقتال الروم او الفرس لم يكن لتأمين حدود الدولة الاسلامية كما ذكر المؤلفون بل لنشر الاسلام والادلة على ذلك مايلي :

١- ان القرآن والسنة مليئان بالنصوص التى تدعوا الى الجهاد في سبيل الله وتوجيه على المسلمين وهي عامة في الزمان والمكان ، فالجهاد ومازالت فريضته حتى الآن ، ويختص بمكان دون مكان فالمسلمون حين حرروا الجزيرة كلها من الحواجز المادية المتمثلة في الطواغيت الذين يمنعون الناس من الاستماع الى الدعوة وقبولها او رفضها عن طواعية لم ينته دورهم وقد فهم الرسول صلى الله عليه وسلم وفهم اصحابه وعلى رأسهم ابو بكر ان الجهاد لايحد بزمان ولا بمكان ولذا فقد ارسل ابو بكر أربعة جيوش الى الشام لنشر الاسلام بالقضاء على الحواجز المادية التي تمنع من استماع الناس للدعوة .

٢- ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد ارسل رسائل الى عدد من ملوك وعظماء العالم في ذلك الوقت فقد ارسل الى كسرى امبراطور الفرس ، والى قيصر عظيم الروم والى المقوقس عظيم مصر ، والى النجاشي ملك الحبشة ، والى ملك اليمامة ، والى والي البحرين وغيرهم يدعوهم فيها الى الاسلام . (١)

٣- ان المؤرخين المسلمين لم يذكروا ان سبب ارسال ابي بكر الصديق رضي الله عنه للجيوش الاربعة للشام او الجيوش العراق - هو كون الروم او الفرس هددوا الدولة الاسلامية .

٤- ان هذه الجيوش لو ارسلت لتأمين الحدود لبقيه على حدود الجزيرة المتاخمة للشام لحماية الحدود اما ان تدخل الجيوش في عمق الشام فإن ذلك ليس تأمينا للحدود وانما فتح للبلاد .

ومثل هذا المعنى نجده في كتاب تاريخ الدولة الاسلامية للصف الخامس الابتدائي اذ يقول المؤلفون .

" أولا : فتح العراق : العراق ارض خصبة يرويها نهرا دجلة والفرات وكان سكان العراق خاضعين للفرس " عزم ابو بكر أن يفتح بلاد العراق لينشر

---

(١) انظر خبر هذه الرسائل في الكامل في التاريخ : ٢/١٤٣-١٤٧ .

بين سكانه الدين الاسلامي ، واختار (خالد بن الوليد ، ليكون قائدا لهـــذا الجيش " (١)

المؤلفون

ثالث : وارض الشام كلها خصبة وترويها انهار فلماذا لم يحلل فتح بــلاد الشام بهذا التحليل ، وهم قد تكلموا بعد فتح العراق مباشرة ان تحليل الفتــح الاسلامي للبلاد التى فتحها المسلمون بهذا التحليل تفسير مادى اقتصادى للتاريخ ، وهو يتطابــق مع نظرية الشيوعيين التى تقول ان تاريخ الانسان هو تاريخ البحث عن الطعـــام . والمؤلفون حريًّ بهم ان يتأثروا بهذا الفكر ، ولكن قولهم هذا يفسد مفاهيــم الطلاب ويجعلهم يتصورون خلاف الواقع ان الجهاد الاسلامي هو من اجل المغنــم

وفي حديثهم عن فتح الشام مايرد على كلامهم الوارد في فتح العراق فهــــم يقولون :

" ثانيا : فتح بلاد الشام ومعركة اليرموك : عندما فكر ابو بكر في فتح العراق وارسل خالد بن الوليد ليفتحها ،فكر ابو بكر ايضا في فتح بلاد الشا م لنشـــــر الاسلام بين سكانها .

اعد ابو بكر أربعة جيوش لهذا الغرض ووضع علي كل جيش قائداً ....

.... وصلت اخبار الزحف العربي الى مسامع ملك الروم ، فأخذ يستعد لحربهم واعد جيشا كبيراً جداً ، وارسله الي سهل قرب نهر اليرموك حيث كانت جيــــوش المسلمين مجتمعة هناك " (٢)

نعم ارسل ابو بكر الجيوش الي الشا م والعراق لنشر الاسلام ، ولكني أســأل المؤلفين لماذا لم يكن هناك زحف عربي قبل الاسلام ؟ لم يكن للعرب شأن مـــن النواحي الدينيه او السياسيه او العسكريه ، كما كان لفارس والروم والحبشه شــأن في النواحي السياسية والعسكريه والمدنيه ومع ذلك فقد كانوا جميعا في ضلال . .

ومن قبيل التفسير الاقتصادى للتاريخ القول بأن السبب الرئيسي في الحروب الصليبيه هو طمع الاوربين في خيرات البلاد الاسلاميه ، وقد اطلق هذا التفسير علي المؤلفين لمقرر التاريخ في الصف الخامس الابتدائي اذ قالوا :

---

(١) تاريخ الدولة الاسلامية : الصف الخامس : ١٠ ، ١١

(٢) نفس المصدر : ١١ - ١٣

" اسباب الحروب الصليبيه : اطماع البابا في بسط نفوذه علي الكنائس الشرقيه ٢- طلب الامبراطور الروم البيزنطي من البابا النجده ضد المسلمين السلاجقه في تركيا . ٣- التعصب الديني عند الاوربيين .

٤- طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه : ان السبب الحقيقي الذى جعل هولاء الاوربيين يحتدون علي بلادنا هو طمعهم في خيرات البلاد الاسلاميه فقد كان تجار اوربا يأتون الي الاسكندريه والي الموانيء السوريه ويشترون البضائع . وكانوا يعرفون ان بلادنا غنيه ، فأحبوا ان يحسنوا احوالهم الاقتصاديه السيئه بوضع بلادنا تحت حكمهم وسلب خيراتها .

٥- طمع الحكام الاوربيين في تأسيس امارات وممالك في البلاد العربيه الاسلاميه " (١)

والواقع التاريخي يوكد ان السبب الرئيسي ليس هو ماذكر من طمع الاوربيين في خيرات البلاد الاسلاميه ، وانما هو الروح الصليبيه والحقد الصليبي والرغبة في الانتقام من المسلمين لحكمهم لبلاد الشام ومنها بيت المقدس ، ودليلي علي ذلك ان " البابا اربان الثاني هو أول من دعا الي الهجوم علي البلاد الاسلاميه في موتمر عقد في " كليرمونت " بجنوب فرنسا عام ١٠٩٥م اى عام ٤٨٨ - وقد خطب البابا في جمع من روساء الاساقفه والاساقفه وروساء الاديره ، وفيه خطب ودعا " لاستخلاص القبر المقدس وانقاذ مسيحي الشرق " وقد اثارت هذه الخطبة حماسة السامعين وتعالت صيحاتهم " هكذا أراد الله " ! (٢)

٦- الادعاء بان الجهاد انما شرع للدفاع : وقد انطلقت هذه الدعوى علي مؤلف كتاب التاريخ للصف الثالث المتوسط اذ يقول :

" ان اول جيش في الاسلام كان في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم وكانت مهمته الدفاع عن الاسلام والمسلمين من تحرشات الكافرين ومؤامراتهم وبخاصة مشركي قريش . وقد امر الله سبحانه المسلمين ان يكونوا دائما علي جانب من القوة ان يتسلحوا ليرهبوا اعداءهم ، لقوله تعالي" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة

---

(١) تاريخ الدوله الاسلاميه الصف الخامس: ١٠٠ ، ١٠١ .
(٢) محاضرات في الحروب الصليبيه السنه الثالثه كلية الاداب جامعة الملك عبدالعزيز قسم التاريخ / ٦ ، ٧ .

ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (١)

والحق ان الجهاد شرع لفتح البلاد وازالة الطواغيت التي تمنع الناس من استماع الحق ، ونحن نسأل المؤلف الفاضل واذا لم يتحرش الكافرون بالمسلمين فهل تبطل شرعية الجهاد وهو كما قال رسول الله (ص) " ذروة سنام الاسلام" ولو كان الامر كما ذكر المؤلف لما كان لقول الرسول (ص) الآنف الذكر اي معنى ، ومن الشواهد غير ماسبق ان ذكرت على وجوب الجهاد دخل ابتداءاً لا دفاعاً فقط . هذا الحديث :

" عن ابي هريرة : ان رجلا من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بشعب فيه عينة ماء عذب ، واعجبه طيبه ، فقال لو اقمت في هذا الشعب واعتزلت الناس ولا افعل حتى استأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " لا تفعل فإن مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاماً خالياً ، الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة " رواه الترمذي ، والحاكم والبيهقي واحمد " (٢)

٤ - تفسير حياة الانسان تفسيرا ماديا : في كتاب الجغرافيا للصف الاول الثانوي كتب المؤلفون تحت عنوان " التفاعل بين الانسان والبيئة " مايلي :

" كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعا شبه تام ، قد يموت اذا اشتد الحر أو قسا البرد وقد يفترسه حيوان . وقد لا يجد ما يأكل ، لكن الانسان بحكم طبيعته التي فطره الله عليها ظل يحاول دائما أن يقلل من التأثيرات الضارة التي يتعرض لها من العوامل الطبيعية ، فاهتدى بفكره الذي كرمه الله به الي الاحتماء من عناصر المناخ بالالتجاء الى المأوى وبتغطية جسمه بالملابس ، وتنقل من مكان الي مكان آخر هاربا من حيوان مفترس او قانصا لغذاء يأكله ، واخذت قدرة الانسان علي التقليل من تأثيرات العوامل الطبيعية

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية / الصف الثالث المتوسط / (١)

(٢) سنن الترمذي : ٣ / ٨٤ مستدرك ، الحاكم : ٢ / ٦٨ سنن البيهقي ٩ / ١٦٠ ومسند احمد ٢ / ٥٢٤ .

غير المرغوب فيها تزيد شيئاً فشيئاً كلما تقدم الانسان في ارتقاء الحضارة" (١)

فالقول بخضوع الانسان لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعا شبه تام ، والقول بأن الانسان اهتدى بفكره الى الاحتماء من عناصر المناخ بالالتجاء الى المأوى قانصا وبتغطيه جسمه بالملابس وان الانسان تنقل من مكان الى مكان هاربا من حيوان مفترس أو قانصا للغذاء . غير صحيح لان الله سبحانه وتعالى ذكر عن ابي البشر آدم عليه السلام وزوجه قبل ان يهبطهما الله من الجنه بعد ان تاب عليهما من خطيئه الاكل من الشجره انهما بدت لهما سوآتهما ، فغطياها بورق الجنه . قال تعالى :

" ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) الاعراف" (٢)

وقال تعالى"

" ... فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) طه (٣)

هذا عن قضية تغطية الجسم باللباس ، فالله سبحانه وتعالى ذكر لنا ان آدم وحواء لما اكلا من الشجرة التي نهيا عن الاكل منها بدت لهما " سوآتهما" ومعنى ذلك انهما كانا ساترين لها ، فالبدو لا يكون الا بعد الستر .

اما عن قنص الغذاء ، وانه بدأ الانسان الاول الصيد ، او مايسمي بمرحلة

---

(١) الجغرافيا الصف الاول الثانوي : ٦١ .
(٢) انظر تفسير هذه الآيات في تفسير ابن كثير : ٣/٣٩٣ - ٣٩٤
(٣) نفس المصدر لتفسير الايات ٥/٣١٥ - ٣١٨ .

الصيد ، فإن القرآن الكريم يوضح لنا عن ابني آدم انهما قد قدما قربانا وذكر المفسرون أن قربان هابيل "كان شاة" أي أنه كان يرعى وأن قربان قابيل كان" طعامـــا" أي أنه كان يزرع . قال تعالى .

" واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) المائده"(١)

فالقول بخضوع الانسان في الماضي لتأثيرات العوامل الطبيعية خضوعا شبه تام تفسير مادي لحياة الانسان ودعوى بأن الانسان خاضع لعوامل البيئه ، كما أن القول بأن الانسان في الماضي كان يعيش على القنص هو زعم يردده الماديون فهم يقولون إن حياة الانسان مرت بمراحل عده هي (١) مرحلة الصيد (٢) مرحلة الرعي (٣) مرحلة الزراعه (٤) مرحلة الصناعه .

وفي فقره أخرى يقول المؤلف نفسه تحت عنوان "الانسان والموقع"

"كان الانسان في الماضي يخضع لتأثيرات عامل الموقع خضوعاً كاملاً" ، وقد أدرك الانسان بفطرته التي زوده الله بها أنه يستطيع استخدام عضلاته لتغيير موقعه فمشى واصبح بالمشي قادرا على التقاط غذائه من هنا وهناك ، وجرى فأصبح بالجرى قادرا في بعض الاحيان على الهروب من الحيوانات المفترسه ، ثم اهتدى الانسان الى استخدام الحيوان في الانتقال من مكان الى مكان ، فعضلات الحيوان اقوى من عضلات الانسان ومن ثم يستطيع ان ينتقل لمسافات ابعد من المسافات التى يستطيع قطعها ان يقطعها الانسان ويستطيع ان يحمل على ظهره أشياء أثقل مما يستطيع ان يحمل الانسان ، واستفاد الانسان من الحيوان للتقليل من تأثيرات الموقع" (٣)

فهذا تفسير مادي واضح لحياة الانسان فالانسان ليس خاضعا خضوعا كاملا لتأثيرات عامله لموقع والا لما استطاع ان يزيل ويهدم ويشيد .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣/ ٧٥ - ٧٩ .
(٢) الجغرافيا للصف الاول الثانوى : ٦٢

٥ - وصف الجاهليات بالحضارة : ورد في كتاب التاريخ العربي والسيرة النبويــــة للصف الاول المتوسط مايلي :

" حضارة القساسنه : كانت حضارة القساسنه اعلى مستوى من حضارة المناذرة اذ ان حضارتهم امتزجت بالحضارتين اليونانيه والرومانيه .

وكان من ابرز مظاهر الحضارة عندهم فن البناء ...... " (١)

وفي نفس المقرر جاء مايلي :

" حضارة تدمر : كانت حضارة تدمر مزيجا من حضارات عدة اقوام كالفـــــرس واليونان والرومان والسوريين والتدمريين كانوا عربا بلاجدال الا ان لغتهم آراميــــة ... وأسماء الالهة عندهم هي نفس الاسماء البابليه التي كان يستعملها الانباط والسوريون ... واشهر الهتهم الشمس ولا تزال بقايا المعبد الشمسي ماثلـــــة للعيان في تدمر . كما كان التدمريون يعبدون القمر . اما اشهر الالهات الاناث فهي اللات .... " (٢)

فوصف هذه الجاهليات الوثنيه بالحضارة خطأ واضح ، ذلك أن الوصف بالحضــارة ثناء على من يوصف بها والوثنيون اشركوا مع الله غيره فهم ريستحقون هذا الوصــف لان من يستكف عن عبادة الله لا يستحق هذا الوصف " ذلك لان الحضاره هـــي مجموع المثل والقيم والمعتقدات والاعمال المدنيه كتشييد وبناء المصانع والزراعـــة . فعلي هذا لا يصح وصف هذه الجاهليات بالحضاره .

٦- استخدام وصف رجال الدين واطلاقهعلى علماء الاسلام والكهان هـــو مـــن الامور التي اصبحت معروفة لدى جمهرة المثقفين أن وصف رجال الدين " كـــان من الاوصاف التي تطلق على " رهبان " النصارى وقسا وستها ، وقد ارتبط بهــذا الوصف في العصور الوسطي في الغرب معاني الظلم والطغيان الفكرى ، والعلمي ، والسياسي ، والديني فاطلاق أى مسلم على علماء المسلمين لفظ " رجال الديـــن " يوحي لهؤلاء الجمهره بأن علماء المسلمين كهؤلاء الرهبان ، هذا من ناحيـــة ومن ناحية ثانيه فانه لا يوجد في الاسلام أشخاص مخصصون بالدين ، واشخـــاص

(١) ، (٢) التاريخ العربي والسيره النبويه : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٣٠ ، ١٣٥ .

مخصوصون للدنيا " فكل مسلم يجب عليه وجوباً عينياً أن يعلم من الدين الاسلامي الكليات التي لا يعذر المسلم بجهلها في كافة شئون هيأته أما تفصيلات علوم الشريعة فيتخصص فيها طائفة من الناس" وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون "التوبه : ١٢٢

ويوصف هؤلاء المتخصصون بعلوم الشريعة المجتهدون فيها بعلماء الاسلام، أو الدين والعجيب ان يوجد هذا الاستعمال في كتابين من مقررات التاريخ ففي احدهما يوصف الكهان برجال الدين . وفي الاخر يوصف علماء الاسلام برجال الدين .

يقول مؤلفوا كتاب" تاريخ سيرة الرسول (ص) مايلي عند الحديث عن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

" ... وكانت القرعة تقع علي عبدالله مراراً . وهنا أشار عليه -اي على عبدالمطلب - [illegible] أشار عليه احد رجال الدين - اي احد الكهان -أن يحصل القرعه بين عبدالله واعداد من الابل ... " (١)

ويقول مؤلفوا كتاب" تاريخ المملكة العربية السعودية" عند الحديث عن نظام الحكم العثماني تحت عنوان " ديوان الباشا"

" ديوان الباشا : ويتألف من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين ومن رجال الدين " (٢)

فالوصف هنا برجال الدين لعلماء المسلمين في الدولة العثمانية .

٧- نسبة الحضارة الاسلامية [illegible] : يكثر في المقررات المدرسية نسبة الحضارة الاسلامية التي شارك في بنائها العرب ،والبربر، والترك وغيرهم من الاجناس- او نسبة الابتكارات او غيرها من جزئيات الحضارة ، الي العرب فمثلا في كتاب المطالعة للصف الاول الثانوي موضوع تحت عنوان كيف ينبغ المبتكرون " وفيه الحديث عن نبوغ المسلمين في العلوم التطبيقية، وحضارة

---

(١) تاريخ سيرة الرسول الصف الرابع الابتدائي : ٣٢
(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية : الصف الثالث المتوسط : ٣٣

العرب في الاندلس ، وفيه الحديث عن حضارة المسلمين في الاندلس .

وفي نفس الكتاب موضوع بعنوان " صفحة مشرقة من تاريخ العرب العلمي " وفيه الحديث عن تاريخ المسلمين في العلوم .

وموضوع ثالث بعنوان " الطب عند العرب " وفيه الحديث عن تطور علم الطب عند المسلمين وشيئا من اسهاماتهم في الطب . ومعارك النصر العربيه وفيه الحديث عن غزوة بدر الكبرى بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

وفي كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوى موضوع بعنوان " اثر العرب في الحضارة الاوربيه " وفيه الحديث عن اثر المسلمين في العلوم والمدنيه الغربيه . (٢)

وفي كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي مايلي :

" تأثير العرب على اسبانيا واوروبا : جعل العرب أسبانيا على رأس الممالك الاوربيه . وكانت مدن الاندلس وجامعاتها العظيمه مقصد الطلبه في جميع انحاء اوروبا " (٣)

فنسبة الحضارة الاسلامية الى العرب خطأ واضح لامور هي :

١- انه ظلم للاجناس الاخرى التى شاركت في بناء هذه الحضارة ويكفي ان نذكر الامام البخاري (محمد بن اسماعيل) صاحب كتاب " الجامع الصحيح " فقد جمع فيه اصح ماثبت عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد العلماء المسلمون اصح كتاب بعد كتاب الله ، وهو ليس عربيا ، والظلم محرم في الشرع .

٢- انه خلاف للواقع التاريخي المسطور في الكتب ، وخلاف الواقع كذب والكذب محرم في شرع الله .

---

(١) المطالعة للصف الاول الثانوى : ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٠٤
(٢) المطالعه للصف الثالث الثانوى : ٢٣ - ٣١ والمقال لعباس محمود العقاد
(٣) تاريخ الدولة الاسلامية الصف الخامس ٧٤

٣- أنه إنسياق وراء ادعاءات المستشرقين وايحاءاتهم بأن الحضارة الاسلامية حضارة عربية وهم أول من أطلق هذه التسمية .

٤- أن الحضارة الاسلامية ليست حضارة جنس من الاجناس وانما هي حضارة تنطلق من منطلقات عقيدية وفكرية حضارة اسلامية لا عنصرية .

٨ـ عدم التأدب مع بعض قادة المسلمين ، ووصف بعض المفسدين بالصلحين . حدث خلاف بين الخليفة الراشد الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، بعد قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان سبب الخلاف أن معاوية طلب من علي القصاص من المعتدين على عثمان بأقصى سرعه ، ولكن عليا رضي الله عنه رأى ان يقتص منهم بعد ان تستقر الاوضاع ، وكان كلا هما مجتهداً ولكن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كما يعتقد اهل السنه والجماعه كان مصيباً ، وكان معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً ولكنه اخطأ ، وعلي رضي الله عنه من الصحابه السابقين الى الاسلام ومعاوية أسلم متأخراً عن علي ولكنه كان من كتاب الوحي فقد استأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابة وحي الله اليه القرآن فلا مجال لسوء الظن به . ولكن العجيب أن بعض المؤلفين في التاريخ تأثراً منهم بالشيعه الذين يبغضون معاويه وغيره من الصحابه شوهو سمعته فسرى ذلك الى المسلمين في العصور المتأخره ولعل مؤلفي كتاب " الادب نصوصه وتاريخه " قد تأثروا بشيء من ذلك . فهم يقولون .

" ابتدأ العصر الاموى باستيلاء معاويه رضي الله عنه على الخلافه سنة ٤٠ هـ وانتهى سنة ١٣٢ هـ بسقوط الدولة الاموية على يد بني العباس . وبهذا يكون العصر الاموى قد امتد قرابة تسعين سنه " (١)

وجاء في كتاب " تاريخ العالم الاسلامي " للصف الثاني المتوسط مايلي :

" رأيت فيما سبق كيف أن معاوية بن ابي سفيان استغل ولايته الطويلة على الشام في تكوين حزب يناصره ويتفانى في نصرته ، ثم رأيت معارضته لعلي بن ابي طالب وتغلبه عليه منذ موقعة صفين ، وما بعدها وبعد مقتل علي وتنازل ابنه الحسن سنة ٤١ هـ ٦٦١م تولى معاوية الخلافة وقد عرف هذا العام بأسم عام الجماعه ...... " (٢)

---

(١) الادب نصوصه وتاريخه : الصف الاول الثانوي / ١٩٧ .
(٢) تاريخ العالم الاسلامي للصف الثاني المتوسط : ٥٤ .

ومن جملة الاشخاص الذين أسيء اليهم ولم يتأدب معهم السلطان عبد الحميد وذلك بتأثير اليهودية العالمية التي حاولت اغراءه بالمال - ليسدد ديون الدولة العثمانية ، وليأخذ شيئا لحسابه الخاص على أن يمنحهم قطعة ارض في فلسطين ولكنه رفض وأبي وردهم ردا عنيفا احقدهم عليه فأخذوا يكيدون له لاسقاطه وعزله وتشويه سمعته . ورفعوا من قدر المفسدين رجال حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسهم الطاغوت الكبير مصطفى كمال ومن المدهش أن تنطلي هذه الدعايات على كثير من مثقفي المسلمين في هذا العصر ، وقد انطلت على مؤلفي كتاب " تاريخ المملكة العربية السعودية للصاف السادس هذه الدعايات الكاذبة فهم يقولون :

" وقد ثار احرار الاتراك على حكامهم الضعفاء بزعامة مصطفى كمال الذى اطلق عليه اسم " كمال اتاتورك " اى ابو الاتراك . وقد استطاع ان يحارب اليونان * ويسترد الاراضي التركية التي استولت عليها ، فكانت الحدود التركية المعروفة حاليا . ثم قضى على الخلافة العثمانية وغير نظام الحكم السلطاني واسس الجمهورية التركية الحديثة " (١)

ويقولون في نفس الكتاب ومن سموهم بالمصلحين - مصطفى كمال ورفاقه مايلي :

" قام بعض المصلحين من الاتراك في محاولة ناجحة لانقاذ الدولة العثمانية من هوة الضعف التي انحدرت اليها ، فثاروا ضد استبداد السلطان عبد الحميد وايدهم في هذه الثورة احرار العرب . وفازت الجمعيات التركية باعلان الدستور وخلع السلطان . وكان احرار العرب يهدفون من وراء تأييدهم هذا إصلاح بلادهم تبعاً لاصلاح الدولة العثمانية . الا أن الاتراك اهملوا صالح العرب واستمروا في سياسة تتريك الامة العربية لتقوية الامبراطورية الاسلامية على اساس العنصرية التركية . فأغضب ذلك العمل احرار العرب الذين تعصبوا لعروبتهم والفوا الجمعيات والاحزاب السرية لحفظ كيان الامة العربية ومناهضة الترك وايقظوا الشعور العربي بالخطب والمقالات . (٢)

---

(١) (٢) . تاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس الابتدائي ٤ : ٨٤ ، ٢٧ ، ٢٨ .

* لم يطلق عليه الأتراك " أتاتورك " وانما هو الذى اطلق على نفسه ذلك اللقب ، ولم يكن هو الذى استطاع هزيمة اليونان ، وانما صنعت الدعاية له . راجع في ذلك كله كتاب " الرجل الصنم "

ابن هؤلاء المؤلفين من قول " ليفي ابو عسل" عن مصطفي كمال" الموسوم بالمصلح " .... ولقد قام بفتح تركيا علي مصراعيها لمن دخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا واستقبلهم بكل ما اوتي من حسن الكياسة ونبل الخرائز .... واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركيه علي الاساليب العلميه المصريه ، واستدعي مايزيد عن أربعين أستاذا منهم لتوسيع اقسام تلك الجامعة " (١)

أليس في حديثهم هذا عن معاوية ، وحديثهم عن عبد الحميد ، وحديثهم عن مصطفي كمال ، سوء أدب مع الاولين ، وتمجيد لا يستحقه الاخير. بلى لقد اصبح أبو مصطفي كمال واضحاً بعد أن عمي علي المسلمين في أمره فترة من الزمن ، ولا زال في تركيا من يتعرض له ينقد يتعرض للحبس والمحاكمات الجائره ، واما من يتعرض لذات الله او رسوله (ص) أو الاسلام فهو حر طليق ، وما قصة محاكمات " نجم الدين اربكان " وغيره الا شاهد علي ذلك .

غير أن كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى قد أنصف عبد الحميد وأوضح اعماله وفساد مصطفي كمال . فجزى الله مؤلفيه خير الجزاء .

٩- نسبة الاشياء الى غير سببها : الاصل في الشيء ان ينسب الي سببه فحين يمر انسان من جانب مبنى جميل ويسأل من الذى صمم هذا المبنى ؟ فانه سيجاب بأنه المهندس فلان . فاذا اجيب بغير ذلك وقيل له بأنه العامل فلان فان ذلك يعد ظلما للمهندس الذى صمم هذا المبنى . هذا في الامور الصغيره التافهه اليسيره التى لا يترتب عليها ضرر في الاعتقاد فكيف بنافي المقررات الدراسيه التى نقررها علي طلابنا ننسب ما لا يستطيع فعله الا الله الي المخلوقات انه افتراء عظيم . ومن المؤسف ان يقع شيء من هذا في بعض المقررات . واليك امثلة متنوعه علي ذلك .

قال مؤلفوا علم الاحياء للصف الثاني الثانوى تحت عنوان " التوازن في الطبيعه " مايلي :

---

(١) فصل الدين عن الدولة : ١٩٦

" يحدث التوازن نتيجة عوامل طبيعيه مثل الماء والغذاء والشمس والغازات والمعادن ، ويسمي بالتوازن الطبيعي ، او يحدث نتيجة عوامل حيويه كالافتراس والتطفل . فإذا لم تتوفر الكميه اللازمة من الطاقة الشمسيه وغاز ثاني اكسيد الكربون فإن الكمية المنتجه من المواد الكربوهيدراتيه ستكون محدوده ، وبالتالي فإن ذلك سيؤثر علي المستهلكات الاوليه (آكله النبات) ومن الطبيعي ان ينعكس ذلك علي كائنات المترتبه التى تليها في السلسله الغذائيه (اى المستهلكات الثانويه او آكلة اللحوم) وهكذا حتى تصل الي قمة السلسلة الغذائيه " (١)

وجاء في [illegible] عن العوامل الطبيعيه اللاحيويه التى " تؤثر علي حياة الكائنات الحيه " ما يلي :

" ... وهي مجموعة العوامل غير الحيه التى تؤثر علي حياة الكائنات الحية أن مجموعة هذه العوامل تحدد نوعية الكائنات الحية التى تعيش في مناطق معينه كما تحدد كذلك نوعية العلاقات بين الحيوانات والنباتات في تلك المناطق" (٢)

وفي الحديث عن عامل الرطوبه في نفس الكتاب جاء ما يلي :

" ... فمثلا تختلف الكائنات التى تعيش في الصحراء عن تلك التى تعيش في مناطق عاليه الرطوبة في كونها تغطي نفسها بطبقة تمنع تبخر الماء (كما في النباتات الصحراويه) او تخزن الماء في داخلها كالجمال مثلا . وبسبب كون الماء (الرطوبه الجويه) ذا اهمية بالغة بالنسبة لحياة الكائنات الحيه فإن بعض الكائنات استطاعت التكيف ضد التغيرات التى تطرأ علي نسبة الرطوبة الجويه بحيث تحافظ علي النسبة اللازمة من الماء بداخلها .. " (٣)

وعن الضوء يقول المؤلفون ما يلي :

" اما بالنسبة للحيوانات فقد لعب الضوء دوراً هاماً في نمو أعضاء خاصة للرؤيا لها فمعظم الحيوانات لها اعضاء خاصة تستجيب للضوء ، وتتراوح هذه الاعضاء بين اجزاء بروتوبلازمية محدودة وبسيطة كما في اليوجلينا مثلا الى اعضاء

---

(١) علم الاحياء الصف الثاني الثانوى : ١٩٨
(٢) نفس المصدر : ١٦٣
(٣) كتاب الاحياء للصف الثانوى : ١٦٦، ١٦٧، ١٦٤، ١٨٧

معقدة التركيب كالمين .

وللضوء تاثير على تناسل بعض الحيوان فنضوج البويضات والحيوانات المنوية لبعض الحيوانات يحصل بسرعة أكثر اذا ما تعرضت هذه الحيوانات لفترة ضوئية طويلة ولذلك فانه من المعتاد إطالة فترة الاضاءة في الحاضنات الحديثة لاثارة عملية تكوين البويضات "(١) .

وجاء في نفس الكتاب عند الحديث عن حيوانات المناطق اليابسة مايلي :
" مواطن اليابسة : تتأثر الكائنات الحية التي تعيش على اليابسة بعاملين رئيسيين هما : ١- وفرة الامطار ٢ - التغيرات الحرارية
ولذا فان الاختلاف الكمي بين هذين العاملين ينعكس على اختلاف انواع الكائنات الحية . (٢)

وجاء في نفس الكتاب عند الحديث عن الثدييات - هذه العبارات :
" الثدييات هي ارقى الكائنات الحية وقد استطاعت بما تملك من مميزات وخصائص أن تسود على سطح الكرة الارضية . تمتاز الثدييات عن غيرها من الحيوانات السابقة برقي في جهازها العصبي . كما تمتاز بطريقة تكاثرها فهي حيوانات ولودة تلد صغارها كاملة النمو ترضعها الام من حليبها المتكون في الاثداء "(٣) .

وجاء في كتاب الاحياء للصف الاول الثانوي عند الحديث عن التغذية الذاتية مايلي :

" ان النباتات الخضراء هي الكائنة الحية الوحيدة التي تستطيع أن تصنع غذاءها بنفسها دون الاعتماد على مصدر آخر والمقصود بصنع الغذاء هنا هو تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية .

---

(١) و(٢) و (٣) كتاب الاحياء للصف الثاني الثانوي : ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٥٧ .

فالنبات الاخضر يحصل على الماء وثاني اكسيد الكربون ويحولها بعملية التركيب الضوئي الى مركبات عضوية بسيطة .

وهذه المركبات تتحول بدورها الى مركبات عضوية اكثر تعقيدا .. ان مجموعة التفاعلات الكيميائية التي يتم بواسطتها تحويل المواد غير العضوية الى مواد عضوية لا تحدث الا في النباتات التي تحتوي على البلاستيدات الخضراء "(١)

وجاء في كتاب " الجيولوجيا - علم الارض " للصف الثاني الثانوي عند الحديث عن الزلازل مايلي :

" الزلازل هي أخطر العوامل الطبيعية التي تهدد حياة الانسان وعمران بلاده فهي من مفاجآت الطبيعة التي لا قوة للانسان عليها . صحيح ان الوسائل العلمية اصبحت تمكن من تحديد المواقع المعرضة للزلازل ولكن ليس بمقدور العلم ان يمنع حدوث الزلازل .. "(٢)

وفي كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط جاء مايلي :

" وللثعابين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها وتسمى هذه العملية عملية الانسلاخ وهي تحدث خمس مرات او ست مرات في السنة وذلك عندما تنمو اجسامها دفعة واحدة "(٣) .

وفي كتاب العلوم للصف الثاني الابتدائي كتبت تحت صورة فيها ضفدعة وصغارها هذه العبارة : " بعض صغار الحيوانات كالضفادع تغير شكلها اثناء النمو "(٤)

---

(١) كتاب الاحياء للصف الاول الثانوي : ٧٣ .

(٢) الجيولوجيا (علم الارض) للصف الثاني الثانوي : ٩٠ .

(٣) كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط : ٦٧ .

(٤) كتاب العلوم للصف الثاني الابتدائي : ٥٣ .

فاذا انتقلنا الى كتب الادب والاناشيد فاننا نجد فى كتاب الادب للصف الاول الثانوى مايلى :

" ولا شك أن الانسان هو ابن الارض تطبعه بطابعها وتغذيه بخيراتها وتكوّن اخلاقه ومزاجه وعاداته بلون تضاريسها حتى لقد قال احد علماء الاجتماع صفوالى طبيعة أرض اصف لكم سكانها ومن هنا فقد طبعت الصحراء اخلاق العرب بطابعها فتحلوا منذ القديم بالشهامة والكرم والوفاء والنجدة وحب الحرية واباء الضيم وكراهة الخسةوالصغار ." (١)

اما فى كتاب الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى فقد جاء هذا النشيد عن " الممرضة " :

" رأيتها نظيفة	نشيطة خفيفة
فؤادها رحيم	وعطفها عظيم
لطيفة الكلام	تعمل فى نظام
تطوف بالدواء	فى الصبح والمساء
وتأخذ الحرارة	بغاية المهارة
فى كفها الشفاء	يبعثه الرجاء
فى قلبها حنان	بيته اللسان " (٢)

---

(١) الادب نصوصه وتاريخه للصف الاول الثانوى : ١٣ .

(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائى : ٧٠ .

فنسبة التأثير على التناسل الى الضوء -فحين تتعرض الحيوانات الـــــ فترة ضوئية طويلة يتم نضوج البويضات والحيوانات المنوية بسرعة-هو من نسبـــة الاشياء الى أسبابها واغفال المسبب لها . فالضوء خلق من مخلوقات اللـــــه كما ان الظلمة كذلك ولذا فإن الاصح ايضاح ما للضوء من أثر بقدرة الله المسبـــب للاشياء والخالق لها . ولذا فالضوء الذى تحتاجه الحيوانات قدرة اللـــــه بنسبة معينة إن زاد عنها أو نقص عنها اختل الناموس -القانون- الذى وضعـــه الله لهذا السبب .

قال تعالى : " قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يـــوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل ارأيتم ان جعل اللـــه عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيـــه افلا تبصرون . " (القصص : ٧١ ، ٧٢) .

وقال تعالى : "انا كل شيء خلقناه بقدر" القمر : ٤٩ .

كما أن القول بتأثر كائنات اليابسة بما طين هما وفرة الامطار والتغيـــرات الحرارية . دون ربط ذلك بقدرة الله المنشىء للامطار والتغيرات الحراريـــة هو من نسبة الاشياء الى اسبابها .

والقول بان الثدييات -ومنها الانسان كما يعتقد المؤلفون وغيرهم ممـــن يعتقدون بصحة فرضية دارون - قد استطاعت أن تسود على سطح الكـــــرة الارضية بما تمتلك من خصائص ومميزات ، دون الاشارة الى من وهبها هـــذه الخصائص والمميزات -الله سبحانه وتعالى - خطأ واضح كما أن الواقع بنفس هذه المقولة فالذى يسود على سطح الكرة الارضية هو الانسان وهو الذى كرمه الله .

قال تعالى : " ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهـــم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (الاسراء : ٧٠) .

وسخر لمافى السموات والارض .

قال تعالى : " الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمـــره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم مافى السموات وما فـــى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون " (الجاثية : ١٢ ، ١٣) .

وايضا فان القول بأن النباتات الخضراء " تصنع غذاءها بنفسها دون اعتماد على مصدر آخر بمعنى تكوين مركبات عضوية من مركبات غير عضوية الخ . فيه اغفال لذكر واضع هذه النواميس - الله جل وعلا - التى عن طريقها يتم هذا الامر .

وانظر معى الى هذه الفقرة التى تشرح نفس العملية التى شرحهـــــا مؤلفوا الكتاب دون اغفال لقدرة الله ودون اخلال بذكر الحقيقة الظاهـــرة للناس فى تحول احمرار الكتاب

" ومن ايات الله تكوين الغذاء فى النبات وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربونى يدخل ثانى أكسيد الكربون من الجو الى النبات عن طريق الثغور فيقابـــــل المادة الخضراء والماء وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء اما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثانى اكسيد الكربون فهى عملية كيماويـــة معقدة لم يقل العلم عنها الا ان وجود المادة الخضراء والماء والحـــرارة ينتج عنها تغييرات تنتهى بتكوين المواد الغذائية ولا يتم الا فى الضوء ولـــذا فهى تسمى ايضا " بالتمثيل الضوئى "[1] .

والزعم بان الزلازل من مفاجآت الطبيعة زعم باطل ذلك لأن فيه ايضـــا اغفال لمسبب هذه الزلازل - وهو الله سبحانه وتعالى - .

وكذا الادعاء بأن للثعابين قدرة على تغيير الطبقة الخارجية من جلودها وأن الضفادع تغير شكلها أثناء النمو ادعاء باطل لاغفاله لمن وضع فيها هـــذه الخاصية رب العزة سبحانه وتعالى .

---

(١) الله والعلم الحديث : ٨٩ . وانظر كتاب "ايات الله تعالى" ٢ / ٢٧٨- ٢٨٣ .

والزعم بأن الانسان يتلون بتضاريس بيئته وتؤثر في اخلاقه ومزاجه وعاداته . فإن كانت جبلية اصبح الساكن فيها قاسيا فظا في تعامله ، وان كانت سهلة كان رقيقا في طباعه سمحا في تعامله ، زعم لا يقوم عليه دليل ، ان القضية لا تتعلق بالارض التي يعيش عليها الانسان وانما تتعلق بما ركبه الله عليه من المزاج والاخلاق وما يكتسبه من اخلاق من المجتمع الذي يعيش فيه . فإننا نجد الاخوة الاشقاء يختلفون في طباعهم بل نجد اختلافا وتفاوتا في الطباع بين الاب وابنائه .

واما نسبة الشفاء الى المرضة فنسبة الشيء الى من لا يملكه فالشفاء بيد الله سبحانه وتعالى ولو كان الشفاء بيد البشر لوهبه كل قريب لقريبه وكم بذل الاطباء محاولات من أجل ان تعود الصحة الى اشخاص ولكنهم عجزوا فمات من حاولوا اعادة الصحة اليه أو استمروا في عللهم دون جدوى .

إن عرض هذه المعلومات بهذه الطريقة يرسخ في نفوس الطلاب تفسير الخلق والاحداث تفسيراً آلياً مادياً دون أن يشعروا بذلك فيقعوا في مستقبل ايامهم فيما وقع فيه الغربيون حين فسروا الخلق تفسيرا اليا لما هربوا من الكنيسة وبالتالي من الدين .

يقول : جون هرمان راندال تحت عنوان التفسير الالي في علم الحياة مايلي " بينما كان علماء الفيزياء والكيمياء يصيغان التعميمات التي توصلا اليها كانت ذات المبادىء الالية في التفسير تدخل علوم الحياة وقد عنى هذا في علم الحياة تفسير جميع اعمال العضويات الحية بمصطلحات كيماوية خالصة . وكان الكيماوي الالماني ليبيغ Liebig رائدا في الكيمياء العضوية وقد ادخل مع تلميذه يوحنا مولير Johannes Miillier والعالم الفرنسي كلود برنار دراسة كيمياء الكائن الحي في منتوجاتها وعملياتها . ولم يكن بعد

هذه البداية سوى خطوة لفكرتحرى الحياة كسلسلة من التفاعلات الكيماويــة المعقدة . اما الاسماء فيكثر تعدادها . فجاك لويب" Jacques Loeb " مثلاً يعتبر بالنسبة للامريكيين رمزا للماثر التى تمتفى علم الحياة التجريبيـــى مؤداها أن جميع الافعال العضوية فى الاشكال الدنيا للحياة على الاقل فـــى اجزائها وفى سلوكها الكلى مما يمكن تفسيرها بمصطلح كيماوى فحسب. "(١)

إن كل شىء فى هذا الكون يسير وفق نواميس وضعها الله سبحانه وتعالى لا محيد عنها ابداً حتى يأذن الله بزوال هذا الكون وقيام القيامة التى يكـون بعدها الحساب والجزاء والتدبير والتقدير من خالق الكون سبحانه .

يقول اودين فامت :

"والمهم هنا هو ان جميع هذه القوانين الطبيعية التى تضعهـــــــا ونستخدمها ليست الا مجرد وصف لما يحدث او مايشاهد فهى بذلك ليسـت تدبيراً او الزاماً فليس الوصف فى ذاته سببا لحدوث ظاهرة من الظواهـــــر او توضيحا لاسباب حدوثها .

وعندما تحاول العلوم أن تفسر لنا منشأ الكون نجدها تبين لنا ، فـــى ضوء ما لدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية كيف تتفاعل الجزيئات الاساسية لكى تكون لنا جميع العناصر المعروفة . فجميع العناصر التى يتالف منها هذا الكون تبدأ ببروتونات لها خواص معينة وقوة جاذبية تجعلها تنضم بعضها الى بعض. اما كيف نشأت هذه البروتونات ذاتها ولماذا كان لها هذه الصفات بالذات فـــإن ذلك مالم تستطع أن تقدمه العلوم شرحا او بيانا .

---

(١) تكوين العقل الحديث : ١٣٤/٢ ، ١٣٥ .

ومبط بالفنا فى تحليل الاشياء وردها الى اصولها الاولى فلابـــد أن نصل فى نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون . ويجد ذلك فى ذاته دليلا على وجود اله قادر مدبر هو الذى قـــدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون ان تسير فى طريقها المرسوم . وقد خلق الله الالكترونات والبروتونات والنيوترونات وجعل لها خواصها المعينة فرسم لهـــا بذلك سلوكها واقدارها "(١) .

...

(١) اللهيتجلى فى عصر العلم، ٩٣ ، ٩٤ . وانظر ايضا كتاب : آيات الله ٢/٢٢٨ - ٢٣٦ .

١٠- حسن الظن ببعض المنظمات الدوليه : من المنظمات التي كثر الحديث عنهـا

المنظمة العالميه للتربية والثقافة والعلوم " اليونسكو " فقد جاء مقـرر القراءة العربية للصف السادس الابتدائي . (١)

كذلك تكرر الحديث عنها في مقرر التاريخ للصف السادس الابتدائي (١)

وقد اشتهر أن بعض كبار من تولوا مناصب في هذه المنظمة كانوا يهـودا (٢)

ومن المعروف شدة عداوة اليهود للمسلمين "لتجدن أشد الناس عداوة للذيـن آمنوا اليهود والذين اشركوا "

وقد اصدرت هذه المنظمة كتاباً بعنوان " تاريخ الجنس البشرى" اوتاريخ البشرية . وقد إمتلاء المجلد الخاص بالاسلام والمسلمين في المجلد الثالـث " الحضارات الكبرى في العصر الوسيط الفصل العاشر " امتلأ بالافتراء على سيرة الرسول (ص) وخلفائه الراشدين ، والتشوية لتاريخ الاسلام.

من ضمن هذه الافتراءات الافتراءات التالية :

١- أن الاسلام تركيب طفق من المذاهب اليهوديه والمسيحيه بالاضافة الـى التقاليد القوميه الوثنيه العربية .. التى أبقي عليها كطقوس قبلمية .. تجعلها اكثر رسوخاً في العقيده . (٣)

٢- ان دور المرأة في المجتمع الاسلامي على جانب كبير من الضآلة ، وان ضآلة مرتبتها كانت أمراً مسلماً به في جميع مظاهر الحياة .. حـتى أنه في مسألة الميراث لم يكن نصيبها الا نصف نصيب الرجل .. (٤)

٣- أن الاسلام لم ينصف أهل الذمة ، وأن الاسلام عمل على أن يظل الوضع الاجتماعي للذميين وضعا سيئاً مهيناً . (٥)

٤- ان الشريعة الاسلامية تشكلت بعد القرن الاول وأنها في القرن الأول لـم يكن وجود بالمعنى الدقيق لهذه العبارة . (٦)

---

(١) القراءة العربية الصف السادس : ١١٢ وتاريخ المملكة العربية السعودية للصف السادس : ١٥٥
(٢) انظر كتاب سر الماسونيه : ٤٧ ، ٤٨
(٣، ٤، ٥، ٦) انظر كتاب مفتريات اليونسكو على الاسلام : ١٩ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٣

وقد استنكر الازهر ماورد في هذه الموسوعه وفي إحدى اجتماعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تليت رسالة شيخ الازهر في ذلك . ولكنهم لم يتخذ اى قرار حاسم .

وكان الواجب علي مؤلفي الكتب المقرره أن يوضحوا الحقائق لهؤلاء الشباب عن هذه المنظمة فيذكروا مالها وماعليها أما ان يكون الكلام عنها يتخذ صيغة سلبيه فإن ذلك لا يليق فإن أبناء المسلمين أمانة في أعناقنا ويجب أن يعرفوا الحقائق واضحة لالبس فيها ولا غموض .

١١-تمجيد العروبة والوطنية والدعوة اليها :- من الامور التى تلفت الانظار في المقررات الدراسيه تركيز المؤلفين علي العروبه والوطنيه ، حتى عند الحديث عن الاسلام ، او احد قواده ، او احدى المعارك الاسلاميه الفاصله ، فإذا تحدث بعض المؤلفين عن الاسلام تحدث عنه علي انه نتاج العروبه ، واذا تحدث آخرون عن بعض قواده تحدثوا عنهم علي انهم قادة العروبة ، واذا تحدث آخرون عن بعض المعارك الاسلاميه تحدثوا عنها علي انها معارك عربيه ، وسيمر علينا لون من هذه الافكار ، واذا تحدث بعض المؤلفين عن الوطن تحدث عنه بالمعنى الاوربي الحديث للوطن دون ربط ذلك بالمبادىء والعقائد والقيم الاسلامية ، بل مع مخالفة المبادىء الاسلاميه فلنستعرض بعض هذه النصوص ونشير الي بعضها الآخر.

جاء في كتاب المطالعة العربيه للصف الثالث المتوسط مايلي :

" ... ان المسلم العربي عربي اينما يحل وحيثما استقر العربي المسلم عربي مسلم إن أنجد اوأتهم ، وإن أصر أو أعرق ، ان العربي المسلم وطنه بلاد العرب والاسلام ، وقومه العرب ، وبلاد الاسلام وطن لكل عربي تجري في عروقه دم العروبة والاسلام .

ان بلاد العرب .. كل لا يتجزأ ان بلاد العرب .. قطعة واحدة لا تنفصل ولا تقطع .. وان الامة العربية امة واحده لا تقبل التفرقة والانفصام.

ان الجزيرة العربية خالية من اى حاجز طبيعي يقطعها او يقسمها اويفصلها فمابالنا نخضع لتقسيم العدو الذى يرى ان تمزيقنا ضرورى لحياته ولا نرى ان القضاء عليه واجب لبقائنا وحياتنا .

ان بلاد العرب والمسلمين خلقت للوحدة فيجب ان تكون لماخلقت له اليوم وغدا وبعد غد ، والي ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ان العرب من اصل واحد ، ومن سلالة واحدة ومن دم واحد وان من العار المشين ان يتفرق العرب او يتجزأ بلاد العرب وان تفرق العرب قضاء علي العرب وان تجزئة بلاد العرب ضياع لبلاد العرب والاسلام ، وان تقسيم البلاد العربيه داء فتاك سيذهب ببلاد العرب من ايدى العرب .

وعند ذلك ويل للعرب من اعداء العرب .

ان كل ابناء الامة العربية العريقة ، كل الذين يعيشون على ارض الوطن العربي الكبير الممتد من ساحل الاطلسي الى الخليج العربي ، قد أقسموا أن يعيشوا كما يريدون لانفسهم لاكما يريد لهم عدوهم" (١)

وجاء في نفس المقرر مايلي :

" ان الامة العربية - وهي مائة مليون من البشر - تريد أن تحقق وجودها وان تشعر بمكانها ، وان تنتفع بكل امكاناتها ، لتكون بين الامم امة موحدة حرة ذات رأي وارادة ، ذات جيش وراية ، ذات قوة يعتدل بها ميزان السلام في العالم .

العربي في الجزائر ، وفي تونس ، وفي ليبيا ، والمصري والسوداني في وادي النيل . والسوري واللبناني والفلسطيني ، والاردني ، والعراقي ، والسعودي ، واليمني ، كل اولئك امة واحدة ، ليس بين ارضهم بعض حدود ولا فواصل ، ابوهم واحد ، ولسانهم واحد ، وعقيدتهم واحدة ، واهدافهم واحدة فمن حقهم ان يعيشوا امة واحدة .

وذلك هو هدفنا الاول : امة عربية متحدة في وطن عربي ... " (٢)

ان الدعوة الي التجمع حول العروبة وغيرها من الشعارات دعوة جاهلية وذلك لامور منها :

١- ان الله سبحانه وتعالي ورسوله (ص) حرما الاجتماع حول هذه الشعارات وجعلا الوحيد الذى يفلح به البشر في حياتهم هو الاجتماع حول الدين الحق" الاسلام " وقد امتن الله سبحانه وتعالي علي العرب الذين بعث فيهم رسول الله صلي الله عليه واسلموا امتن عليهم بالاسلام الذى خرجوا بسببه من الفرقة ، ووقاهم الله من النار باسلامهم . قال تعالي :

" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار

---

(١) المطالعة العربية للصف الثالث المتوسط : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٨

فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» آل عمران: ١٠٣

ومن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الاعتصام بالكتاب والسنة هو المخرج والمنجي للامة من الضلال .

" عن مالك ، انه بلغه ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : تركت فيكم امرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة نبيه " اخرجه في الموطأ (١)

٢- ان القرآن الكريم ملئ ببيان ان لارابطة تربط المسلم بالكافر ، لا في شئون الحياة الدنيا من الميراث والنفقة ونحوها ، ولا في الشئون الخالصة والخاصة بالآخرة ، من الحب والولاء . وسوف اذكر بعضا من هذه النصوص .

قال تعالي : " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون" المجادلة : ٢٢

واذا علمنا ان سبب نزول هذه الاية هو قتل ابوعبيده لابيه اتضح لنا فساد دعوة القوميين عربا كانوا اوغيرهم ، فقد كان ابو عبيده يقاتل اباه في احدى الغزوات فحاول ابو عبيده تجنب ابيه ولكن اباه صار يلاحقه فلما لم يكن بد من مقاتله ابيه قاتله فقتله فنزلت هذه الايه توضح السبيل وتثني على ابي عبيده صنيعه وتعده الجنه ، لقد نفت الايه الايمان عن كل من يحارب الله ورسوله وابتدأت باقرب الناس الاب ، فالابن ، فالاخ ، ثم العشيرة ، فكيف يصبح التجمع حول العروبة ، وهي تجمع المسلم والنصارى واليهودى أمراً سوياً بعد هذا . ان للنصارى واليهود في المجتمع الاسلامي اذا دفعوا الجزيه حقوقا مضمونه في شريعة الاسلام اذا لم يظاهروا على المسلمين .

(١) موطأ مالك برواية يحي بن يحي الليثي : ٦٤٨ الحديث رقم : ١٦١٩

وقال تعالى : " تبت يد ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد " سورة المسد .

نزلت هذه الايه في الذم والوعيد لاقرب الناس لرسول الله(ص) وهو عمه ابا لهب .

وقد بينت آية من سورة الفتح ، وأخرى من سورة الحجرات ، وثالثة من سورة الانفال أن الرسول (ص) والذين معه وهم المسلمون اشداء على الكفار حتى ولو كانوا من اقاربهم رحماء بينهم ، وان المؤمنون اخوه ، وليس العرب ولا العجم ولا الترك لمجرد هذه الاوصاف الجنسيه اخوه ، وان الله قد الف بين العرب ببعثه رسول الله (ص) وماكان بالامكان التأليف بينهم .

قال تعالى : " محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فأستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما " سورة الفتح : ٢٩

فهذه الايه تنص على ان المؤمنين اشداء على الكفار ورحماء بينهم سواء كانوا او فرسا او احباشا او روما او أي جنس.

وقال تعالى : " انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " الحجرات : ١٠

وقال تعالى : " وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم لو انفقت مافي الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم " الانفال : ٦٢ ، ٦٣ .

فهذه الايه اوضحت ان ماكان بين المؤمنين من الاضغان والاحقاد وعدم الائتلاف قبل اسلامهم وكان اكثرهم من العرب لم يكن ليستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يؤلف بينهم ولو انفق مافي الارض جميعا ، ولكن الله الف

بين قلوبهم .

٣- ان الواقع التاريخي للا مم كلها يشهد انها لم تجتمع وتتحد لمجرد اتحاد العنصر العرقي في البلد ، وانما كان اتحادها لرابط آخر هو المعتقد سواء كان صحيحا او فاسدا كما ان الاحزاب السياسيه "وهي موضة هذا العصر" لم يجتمع المنتسبون لها الا على معتقد معين يسير الجميع وفقا له وما الاحزاب اليساريه في بلاد العرب التي نكبت بها امتنا المسلمه الا مثلا حيا على ذلك ، فإن ولاءها ليس لما يسمونه العروبه رغم ان منتسبيها ينتمون الى العنصر العربي ، وهذا اكبر رد واقعي على الدعوه القومية .

ويظهر ان مؤلف المقرر متأثر بالشعار الذى رفع في عهد جمال عبدالناصر والذى صيغ في نشيد تغنى به فترة وجوده وهو :

من المحيط الهادر الـــــي الخليج الثائر لبيك عبدالناصر

وأنه متأثر بشعار احد الاحزاب القوميه التي كان ومازال لها اثر سيء في حياة الامة المسلمه الا وهو " امة عربيه واحدة ذات رسالة خالده " لكن المؤلف صاغه في النص الثاني بصياغة اخرى (امة عربية متخذه في وطن عربي موحد) .

وهكذا يتضح ان بذور القومية في نفوس الشباب عن طريق المقررات الدراسيه خطأ ، شرعا ، وواقعا ، فالواجب تربيتهم على معاني الاسلام ومبادئه التي لا تفرق بين عرب وعجم .

على ان هذين النصين رغم ما لاحظته عليها اهون مما كنا ندرسه في الفترة التي كنت ادرس فيها في المرحلة الابتدائية ، وهي عشر الثمانينات . فقد كنا ندرس هذا النشيد .

بلاد العرب اوطانــــــي	من شام لبغــــــدان
ومن نجد الى يمـــــــــن	الى مصر فتطــــوان
فلاحد يفرقنــــــــــا	ولا دين يباعدنـــــــا
لسان الضـــــــــاد	يجمعنا بقحطان وعدنان *

* لقد سألت مجموعة ممن درسوا في البلاد العربية الاخرى فذكروا لي أنهم درسوا وحفظوا هذا النشيد .

ولكنه قد حذف من المقررات الدراسيه الاخيره ولله الحمد .

وفي مقرر القراءة للسنة الرابعه الابتدائية نجد موضوعا عن خالد بن الوليد (ض) وفي بدايته يقول المؤلفون :

" قائد من اشهر قواد العرب والمسلمين . وكان علي جانب كبير من الشجاعة والاقدام . تولي قيادة الجيش في غزوة مؤتة فأنقذ الجنود من الفناء فسماه رسول الله صلي الله عليه وسلم " سيف الله المسلول " (١) وبقية الموضوع ممتاز .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس الابتدائي موضوع بعنوان " بطولات عربيه " وفيه الحديث عن بطولات ابناء الخنساء وموقف الخنساء رضي الله عنها بعد ما جاءها الخبر بنعيهم ، وكيف صبرت . (٢)

وفي مقرر المطالعة للسنة الثانيه المتوسطة موضوع بعنوان " المرأة العربية وآثارها العلميه " والموضوع يتحدث عن النساء المسلمات وطلبهن للعلم .

وموضوع بعنوان " المرأة العربية صانعة الابطال " وفيه حديث عن عبد الله بن الزبير وامه اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهم .

وموضوع آخر بعنوان " ذات العقال وشجاعة ولدها الصغير " وفيه تركيز علي عروبتها .

وموضوع " شباب العرب " وفيه الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعن بن زائدة وقصته في محاربة الترف مع اولاده وابن اخيه .

وموضوع " شجاعة الصغار عند العرب " وفيه الحديث عن قصة علي بن ابي طالب رضي الله عنه مع النبي (صلي الله عليه وسلم) حين تآمر المشركون علي قتل الرسول صلي الله عليه وسلم فوجد في علي رضي الله عنه الفتى الشجاع الذى قام محله .

---

(١) القراءة العربية للصف الرابع الابتدائي : ١٢٦ .
(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الخامس : ١٦ .

وموضوع " اولئك آبائي " (١) وفيه الحديث عن العلوم التي اتقنهـــا المسلمون من علوم الطبيعه والطب وغيرها وقد ركز على نسبة ذلك التقدم الـــى العرب فقط دون الاجناس الاخرى التي شاركت في صنع الحضارة الاسلامية .

ان البطولة من ابناء الخنساء ، والصبر منها على فراقهم وهو منتهى البطولة ليس السبب فيها كونها عربية وكونهم عربا ، فقد كانت الخنساء عربية قبل ان تسلم ومن المعروف أنها جزعت حين توفي أخوها صخر وبقيت عاما كاملا شعثاء لا تمتشط ولا تهتم بنفسها ، فلما دخلت الاسلام تغير حالها ودعت الجزع جانبا . وفـي معركة القادسية ودعت أبنائها الاربعة واوصتهم بالثبات فلما نعوا اليها لم تجزع بل قالت :

" احمد الله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني الله بهم في مستقـــر رحمته " ومن المعلوم ان الابن بالنسبة للوالد اقرب الى القلب من الاخ .

ان العروبة ليست دينا ولكنها عنصر ونسب ، فكون الانسان عربيا ، وغيره لا يقدم في امره شيئا انما التقوى او ضدها هي التي تقدم او تؤخر . ولقـــد فهم الصحابه من قوله تعالى :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير " الحجرات : ١٣

ان الاختلاف في العنصر ليس مدعاة للتفاخر والتنابذ ، ولذا قال عمر (ض) " اعرفوا من انسابكم ما تتصلون به ارحامكم " ليتفاخر به الانسان على غيـــره من البشر .

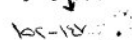
اما فيما يتعلق بالوطنيه فسوف استعرض بعض النصوص ، واشير الى الاخرى مع بيان وجه الحق في القضيه ان شاء الله .

يقول مؤلفوا كتاب القراءة العربية للصف السادس الابتدائي مايلي :

" ان حب الوطن من الايمان . والقتال في سبيل الدفاع عنه من الجهاد

---

(١) المطالعة للصف الثاني المتوسط : ٩٥ - ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥ وانظر الاناشيد والمحفوظات للصف السادس : ٥٧



وحبه والدفاع عنه لا يكون بالادعاء الاجوف ، والاماني الناشئة ، وانما يكون بالاخلاص في العمل ، والامانة في الحقوق وتقدير المسئولية .

واذا حق للانسان ان يحب وطنه ويفديه ، فقد حق لابناء المملكة العربية السعودية ان يتفانوا في حب وطنهم ، وان يفدوه بكل غال . وفيه الاراضي المقدسة الي جانب ماضي عظيم يقف الزمان امامه مطأطئ الرأس اعجابا واكبارا" (١)

وجاء في كتاب المطالعة للصف الثالث الثانوي مايلي :

" وليس ماورد في القرآن الكريم حول الديار التي هي الاوطان الا من الحكمة فقد ذكر الله تعالي علي لسان نبيه الكريم الديار عشر مرات في عشر آيات . فكان ماقال تعالي :

" واذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون (٨٤) ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الي اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) .

ولقد صور لنا القرآن الكريم في تلك الايات كلها صورة الوطن كيف تكون واحلها من القلوب مكانها ، ومن الانفس منزلتها ، فماذا هي كما يصورها القرآن الكريم الوجود كله لانها مناط الامن . ومن لا امن له لاحياة له . ومن اجل ذلك حض القرآن الكريم علي الهجرة وامر بها حين يفقد الانسان امنه حيث هو في موطنه ، وهو يريد له بهذا الخروج قوة يرتد بها علي المعادي عليه في ارضه وهو لهذا جعلنا هجرة كتلك التي خرج اليها نفر من الصحابة الي الحبشة حين لم يأمنوا علي انفسهم في ديارهم . وماتلك الرسول العظيم وماتلك القرآن الكريم ارادها خروجا كما يخرج الذليل ، وانما ارادها نزوحا الي حين ، آمنا

---

(١) القراءة العربية للصف السادس الابتدائي : ٩٤

علي رأى ودين ، ثم عودة بعد حين بعد ان يكتب الله لهم قوة ولعدوهم ضعفا (١)

ورأى في النص الاول يتلخص في الآتي :

بالنسبة " لمسألة ان حب الوطن من الايمان " ان كان المؤلف يعتقد انها حديثا كما هو شائع بين طبقات من الناس ، فالواقع انه ليس حديثا بل وقد اختلفت عبارات العلماء في الحكم عليه ولكنها اتفقت علي انه ليس حديثا عن الرسول صلي الله عليه وسلم، فقد قال بعضهم " لم اقف عليه " اى في احاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم . (٢)

وقال بعضهم انه موضوع . (٣) وقال بعضهم : لا اصل له عند الحفاظ (٤)

واما بالنسبة لفداك بكل غال . فان حديث رسول الله (ص) يوضح للمسلم غاية القتال عند المسلم ومتى يكون في سبيل الله فقد قال (ص) حين سأله رجل عن الرجل يقاتل حمية او الرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانة في الصف أى ذلك في سبيل الله فقال (ص) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (٥)

فالواجب تنبيه معنى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الاسلام وللدفاع عن ديار المسلمين ومنها هذه البلاد اذا دهمها عدو يريد استباحة بيضة الاسلام وديارها ، وهذه الديار في مقدمتها لوجود قبلة المسلمين ومسجد رسول الهدى صلي الله عليه وسلم فيها .

وهذا مانصت عليه السياسة العامة للتعليم في المادة "٢٦" والمادة "٦٠" .

واما بالنسبة للنص الثاني فان مايؤخذ عليه هو دعوى المؤلف بأن ساورد

---

(١) المطالعة للصف الثالث الثانوي : ١٠٣ .

(٢) انظر الكتب الاتيه : تذكرة الموضوعات ١١١ ، المقاصد الحسنه في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة علي الالسنه : ١٨٣ ، تمييز الطيب من الخبيث فيما ورد علي السنه الناس من الحديث : ٦٨ ، والفوائد الموضوعه في الاحاديث الموضوعه : ١٠٣ .

(٣) سلسلة الاحاديث الضعيفه والموضوعه : ١/ ٥٥ وكشف الخفاء : ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٤) المصنوع في معرفة الموضوع (١١) ، ٥١ ، جامع الاصول : ٢/ ٥٨١ باختلاف يسير في الالفاظ

في القرآن حول الديار هو من باب الحمية ، وهذا من اعجب الامور ،فط وردائما حكايه حالهم انهم اخرجوا من بلادهم التى يعيشون فيها ولهم فيها اهل ورحم لاغير ، وقد نقض الموالف من حيث يريد ان يبنى للوطنيه منارا ، نقضها بايضاحه ان الانسان يهاجر من ارضه حين يفقد امنه ، ولا شك ان أمن الانسان على عقيدته هو اعز مايسمى اليه .

وجاء في النصوص الادبيه للصف الثاني المتوسط عن الوطن مايلي :

" ... انت ياوطنى تاج رصعته يد الله بلالئ القداسة والخلود وتوجت به جبين الانسانيه .(*)

منك ياوطنى انبثق الفجر الذى بدد ليل الهمجيه والوحشيه الذى ظلت تتخبط في دياجيره الانسانيه قرونا طوالا" . (١)

"ابطالنا العرب في التاريخ خلدوا بشيء واحد فقط ... هو ان بطولاتهم لم تكن وراء دوافع ضرر او اضرار . كانت اعمالهم -كل اعمالهم- تتسم بنزاهة القصد وقوة الارادة ، ونيل الهدف واقتحام الصعاب في سبيل المبدأ الصاعد والعقيدة الراسخة ، وعلي هذا الاساس وحدة تستطيع أن تحدد مفهوم البطولة وترسم شخصيتها ونهتف ونصفق لاصحابها في كل زمان ومكان .

وماكانت بطولة الفتح في تاريخنا العربي الا سبيلا الي ، اسعاد البشرية وانقاذها من براثن العبودية والانحلال والوثنيه" (٢)

ولى علي هذا النص ملاحظات ثلاث .

١- اطلاق لفظ القداسة علي الوطن قول مجاوز لحدود الادب والشرع فالقداسة لله تقدست اسمائه .

٢- القول بأن الاسلام انبثق من الجزيرة قول يوافق دعوى المستشرقين ان

(*) اذا كان كل عربي يسكن في مصر من الامصار العربيه يدعي ان وطنه تاج رصعته يد الله ، واذا كان الفارسي كذلك او التركي كذلك ، والامريكي كذلك فمن المحق ياترى اوان يحى وصلا بـ"ليلي" ولكنها لا تقر لهم بذاك

(١،٢) انظر ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨

الاسلام انما نشأ في البيئة العربية فصار يمثل البيئة العربية فقط . بل يكرون عموم رسالة النبي (ص) فلا يصح هذا الاطلاق ذلك لان الاسلام وما نـــزل به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم . وكونه نزل عليــــه في الجزيرة العربية لا يغير من الامر شيئا فقد نزل جبريل بوحي اللـــــه على الانبياء الاخرين في الشام والعراق ومصر .

٣- ان نسبة الفتح الاسلامي للبلاد التي فتحت الى العرب يوحي للطــــلاب ان الفتوحات الاسلاميه انما هي لاجل العروبه ، وواقع التاريخ يشهــــد بأن العرب لم يكن لهم فتوحات قبل الاسلام . فلماذا هذه الدعــــوى التي لا أساس لها ، ان العرب الذين فتحوا البلاد انما فتحوها بصفتهم مسلمين ، ولذلك كانوا يخيرونهم بين الاسلام او الجزيه او القتال ، ولـــم يطلبوا منهم الايمان بعروبتهم .

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الرابع الابتدائي نفس المعاني السابقه

في نشيد بلادي :

قالوا : أُحِبُّ بـــــــلادي	اليك ؟ قلت : بـــــلادي
ابي وامي فيهـــــــــا	ومهجتي وفـــــــؤادي
وقد حماها جـــــــدودي	بعزمه وعتـــــــــاد
فكل شبر عزيـــــــز	تفديه بالاجســـــــاد
وقد نذرنا لتحيــــــــا	ما قد غلا في العبـــــاد
فليس في الكـــــون ارض	تفوق شأن بـــــلادي (١)

وفي نفس المقرر ايضا جاء هذا النشيد :

نشيد الطيار

* فداك الروح يا وطــــــني	سلمت على مدى الزمــــــن
عشقت لاجلك الخطـــــرا	ونلت بفضلك الظفـــــرا
وطرت بمسبح النســــــر	بلا خوف ولا ذعـــــــــر

١- الاناشيد والمحفوظات الابتدائيه ١٨ :

أردد في اناشيــــــدى   ولست امل ترديــــــدى

فداك الروح ياوطـــــنى   سلمت على مدى الزمـــــن

عقاب الجو تصحبـــــنى   ونسر الجو يرهبـــــنى

وعصف والريح يسجبـــــنى   وقصف الرعد يحيـــــنى

اقود السحب من خلــــف   ولا اخشي بها حتفـــــي

فداك الروح ياوطـــــنى   سلمت على مدى الزمـــــن (١)

وفي مقرر الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائي جاء هذا النشيد :

جندى البلاد

انا جندى البلاد   حبها ملء فـــــؤادى

انا في البر وفي البحـــــر   وفي الجو انـــــادى

بدمائي سوف افـــــدى   كل شبر من بـــــلادى

لا اهاب الموت يومـــــا   زاحفا في كـــــل وادى

كم سهرت الليل في الجبهـــــه   ارعي في سهـــــادى

موطن الاجداد من   هول وشروعـــــاد

هكذا الاوطان تحيا   في علوٍ وانجاد

فاحفظوها ايها الابطـــــال   من شر الاعـــــادى (٢)

وتعليقي على ذلك : ان الجنود المسلمين في العصور الاسلامية الزاهيـــــة كانوا يجاهدون في سبيل الله في كل البلاد ، وكان الجندى يغترب عن موطنـــــه الذى ولد فيه اقاربه ليجاهد في سبيل الله .

وفي مقرر علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى حديث عن شروط او مواصفـــــات المواطن الصالح . اكتفي بأحد بنوده .

٤- احترام القانون ورأى الغير مع التسامح وتقرير مبدأ الشورى والطاعـــــة والتواضع وتقبله لواجباته الوطنيه " (٣)

ان من اهداف التربية الغربية اعداد المواطن الصالح بمنط الهـــــدف

---

(١) الاناشيد والمحفوظات الابتدائية : [illegible] ، ٥٩
(٢) الاناشيد والمحفوظات للصف الثالث الابتدائي : ٣٣
(٣) علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى : ١٠٦ ، ١٠٧

الاساسي للتربية الاسلامية هي اعداد الانسان الصالح وتربيته ، ونصوص القرآن والسنة توضح ذلك ، وما الامر حتى مع الاعداء الاجزء من هذه التربية :

" ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا عدلوا اهو اقرب للتقوى "

اما احترام القانون فانه لا احترام الا لقانون الله وشريعته اما ماسواهما ممايحكم شئون الناس وفي غير الامور المادية " المدنية " الصرفة فلا احترام له ولا طاعة .

وجاء في نفس المقرر كذلك ان هدف التربية الاجتماعية هو تكوين المواطن الصالح . (١)

وماذكره في هذه الفقرة قليل من كثير ولكنه يمثل اخطرها معان وفكرا ،ولا في اناشيد الصف السادس ص ٧٥ اعتزاز وافتخار بيوم العروبة وهو نشيد قصيدة الحديث عن فلسطين ، وماضيعها الا العرب حين انحرفوا عن دين الله ، وفي الصفحه ٦٠ من مقرر الصف الخامس نشيد بعنوان " بلاد العرب " فيه التغني ببلاد العرب وفداءها .

اما مايتعلق بالوطنيه . ففي الهجاء للصف الاول نشيدان في الصفحه ٨٨ ، ٩٠ .

وفي القراءة للصف الثاني نشيد بعنوان حصاني ص ٢٥ ، وفي مقرر القراءة العربية للصف الثالث موضوع بعنوان" الوطن "ص ١٠٩ ، وفي مقرر الاناشيد للصف الثالث نشيد بعنوان " يارب " وفيه الدعاء للوطن والعرب فقط ص ٣٧ .

وفي مقرر القراءة للصف الثالث في الصفحه ٣٩ ، ٤٠ نشيد بعنوان رجال الغد . وفيه مايبذر في الاطفال معاني البروز والظهور والسعي لذلك .

وفي مقرر القراءة العربية للصف الرابع موضوع بعنوان وطني ص ١٩ .

وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس نشيد " الجندي" وفيه ان الجندي يمد للوطن ص ٢٨ .

وفي مقرر الاناشيد للصف الخامس ص ٩٧ ، ٩٨ نشيد بلادي .

---

(١) نفس المرجع السابق . ص١٣٥

وفي الاناشيد للصف السادس ص ٢٣ موضوع نثرى بعنوان " الوطـن " وفيه بيان حدود الوطن الذى يعرف للتلاميذ .

وفي مقرر القراءة العربية للصف السادس موضوع بعنوان من قصص الوطنيه ص ١٥٣ - ١٥٦ .

ونريد ان نعرف الان هل الدعوة الي الوطنيه ، او السعي لاعداد المواطن الصالح ؟ هل هي من اهداف التربية الاسلاميه ام لا ؟ وهل تصح الدعـــوه الي الوطنيه .

والاجابه علي ذلك كالاجابه علي حكم الدعوة الى العروبه ، فالدعوة الـــتي الوطنيه لا تصح وهي دعوة غريبه علي المجتمعات الاسلاميه (وان شاع بين النـاس ان حب الوطن من الايمان ، وهو كلام لا تصح نسبته للرسول (ص) (كما يعتقـــد) فالايمان انما يكون بمدى تمثل الانسان بالشريعة فيتعذر ما يتمثل من شريعــــة يكون حضه من الايمان ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان حب الوطن لذاتـه ليس امرا مشروعا ، ولا هو واقعي .

١ - اما انه ليس مشروعا فلعل النصوص التي ذكرتها في موضوع العروبــــة كافيه لهذا الموضوع فاذا كان الله سبحانه جعل الرابطه بين الناس رابطـــــة العقيده " انما المؤمنون " اخوه " وذم رب العزة اقرب الناس الى رسول اللـه (ص) ابا لهب ، ومن المعروف ان ارتباط الانسان بأقاربه اشد من ارتباطـــه بالوطن فاذا كان الغريب غير مسلم فلا رابطه تربط بين المسلم وقريبه الكافـــــر ولعل اصدق مثل علي ذلك سير الصحابه فقد كان الواحد منهم يكون مسلمــــا ويكون اباه او ابنه او اخاه من المشركين وعلي ملتهم فلا يمنعه ذلك من قتله كما فعل ابو عبيده رضي الله عنه مع ابيه حين اخذ يتابعه يريد قتله فلما لم يجد بـــــدا ان يختار بين الاسلام او ابيه اختار الاسلام فقتل اباه ولم يبالي بذلك .

٢ - واما انه غير واقعي فلامور عدة منها :

(أ) ان الانسان يسير مع مايعتقد من مبادىء وافكار ، ولا يرتبط بالارض ارتباطـا

تحظيم ، وما الهجرة النبوية الي المدينه وهجرتي الصحابة الي الحبشـــة وهجرة الصحابة الي المدينة ، واللجوء السياسي - الذى شاع في هذا العصر- الي دول اخرى الا دليل علي ان الانسان يرتبط بما يعتقد ويسعي لتحقيقـــه فالرسول (ص) واصحابه كان بامكان قريش ان ترغي لهم بأن يقوموا بشعائـــر التعبد كما يحلو لهم دون دعوه الناس الي هذا الدين الجديد الذى يشـــوع لكل نواحي الحياة ، وفعلا عرض علي رسوله (ص) مغريات الدنيا ، وعـــرض عليه ان يعبد اله قريش يوما ويعبدوا الهه يوما (اى بأن دون الطقوس العباديـــه وتبقي حياتهم سائره علي النسق السابق ، ولو كان الرسول يهتم بأن يبقــــي في وطنه لقبل ذلك من قريش ولكن الرسول (ص) مكلف بأن يبلغ الرسالة لكافـــة الناس ، وهكذا اللاجئون السياسيون اذا لم يتح لهم في بلادهم تحقيــــق مايعتقدون من افكار وحوربوا في افكارهم ومعتقداتهم فانهم يتركون وطنهـــم ويسعون من خلال ذلك لتحقيق مايريدونه في وطنهم.

(ب) ان حب الوطن مرتبط في واقع الناس المعاشي ببقاء اقارب الشخـــص في الوطن الذى عاش فيه الانسان او عاش فيه والده او واحد اقاربه ويتمثـــل ذلك في الزيارات المتكرره ، فاذا لم يبق للانسان اى قريب في البلد فمـــن النادر ان يزور ذلك البلد وقديما قال الشاعر العربي ،

وماحب الديار شغفـــــن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وعامة الناس يقولون " بلدك هي ماترزق فيها وليست ماتولد فيها "

(جـ) ان هذا المفهوم مفهوم غريب جديد علي المسلمين ، فلم يكن المسلمون يعرفون الوطن المحدود بحدود جغرافيه معينه بل كان كل مسلم يستطيـــع ان يسافر من اقصي الصين الي اقصي المغرب ، ومن قصي آسيا الصغــــرى وبلاد التركستان الي الحبشه واليمن دون ان يجد حرجا في ذلك . ولـــم يكن الجيش الاسلامي الذى فتح البلاد ليقتصر في الدفاع عن بلد معـــين دون آخر ، بل كانت كل بلاد الاسلام سواء في حمايتها ودفع الاعداء عنهـــا

وقد سبق ان اوضحت ان هذا المفهوم غربي في عند استعراض" افكار التهويين

(د) ان اول من رفع مفهوم حب الوطن من الايمان كشعار المسيحي اللبناني "بطرس البستاني" اذ جعلها شعارا لمجلته الجنان التى انشأها عـــام ١٨٦٠م.

(هـ) ان الدعوة الي العروبة او الوطنيه والتجمع حولها أو حول احد هــــــا لا يفترق في شي" عن مدلوله العربي الجاهلي الذي قال

" وهل انا الا من غزيه ان غوت غويت وان ترشد غزيه ارشد "

ولقد اتضح للاوربيين وهم الذين سبقونا في هذا الامر ، وبدأو يجتمعون علي الافكار والمبادئ" هذا المعنى فهذا احدهم يقول :

" ومن ناحية اخرى نجد " الوطنيه " وقد تمثلت في معظم الاحيـــان في صور تعمل علي تشجيع الناس علي اتباع سياسة بلدهم ولا نقياد لها دون جدل او نقاش : " بلدي ان اصاب وان أخطأ " وعلي طمس الخيال فلا يستطيــــع تصور حاجات غير بلده أو حقوقها او اتجاهاتها ، وكان من آثار ذلك ان تمخضـــت روح الوطنيه عن اضعاف روابط الفهم والمشاركة والتعاون بين الامم والشعوب وعلي تشجيع ذلك النوع من العزلة التى تغذيها مشاعر الريبة والعداء" (١)

ومن العجيب ان المسلمين تنتشر بينهم الدعوة الي القوميات والوطنيــه واليهود رشذاذ الارفاق - اجتمعوا في فلسطين ولا زالوا بسبب اعتقـــــاد ديني فقد اجتمع الشرقي والغربي من اقصي الارض وادناها ولا رابطة بينهــــم ولا وطن يجمعهم وانما العقيده تجمعهم فيجتمع اليهود اصحاب العقائد المحرفه علي الدين المحرف ولا يجتمع المسلمون علي الدين الحق ويدعوا عنهم القوميـــات والوطنيات. ولكننا للاسف لا يمكننا ان نتخلص من القوميات والوطنيات المغرقــة مادامت مناهج ومقررات الدراسة في بلاد الاسلام تكرس هذه المعاني ، ومـــن الغريب ان مؤلفوا كتاب تاريخ المملكة كتبوا عن الحركة الصهيونيه واوضحوا انهـــا حركة دينيه ، وهم في مؤلف آخر قد مجدوا العروبه والوطنيه - قالوا ـــــ

(١) العقل الناضج : ١٥٥

الحركة الصهيونية مايلي :

" ... والحركة الصهيونية ماهي الا حركة الاستعمار واستغلال وتسلط من شراذم من اليهود الذين لا تربطهم وحدة الجنس ولا وحدة الوطن ، والذين يسعون على اقامة دولة اسرائيلية في قلب الوطن العربي ، وقد وجد الاستعمار في هذه الحركة وسيلة لاضعاف العرب وتفريق جموعهم فتآمر مع هذه الحركة وايدها بنفوذه وساعدها بالماديه .

وقد دوت اولي الصيحات الصهيونية لايجاد وطن قومي لليهود في كتاب نشره يهودي فرنسي يدعو فيه ابناء دينه المشتتين في اقطار العالم الى التجمع في وطن واحد ، وقام بعده يهودي مجرى هو " هرتزل " الذى الف كتابا عام ١٨٩٦م اسماه " الدولة اليهودية " ، نادى فيه بخلق الوطن اليهودى فلسطين . وكان لكتابه هذا اثر كبير في الاوساط اليهودية في اوروبا " (١)

---

(١) تاريخ المملكة للصف السادس الابتدائي : ١١٤ ، ١١٥ .

٣ـ التأثر بتقييم الاوربيين للسلطان الى تشريعية وتنفيذيه

يعد فوتسكيو اول من قسم السلطات الى تشريعيه وتنفيذيه وقضائيـــه (١)
وقد تأثر العالم بهذا التقسيم ومنه للاسف العالم الاسلامي في المجالين الفكـرى
والتطبيقي ، ففي المجال الفكرى نجد كثيرا من الكتاب والقانونيين متأثريـــن
بهذا التقسيم . وفي المجال التطبيقي فإن الحكومات في البلاد الاسلامية تسير
على هذا التقسيم .

وقد جاء في كتاب علم الاجتماع للصف الثالث الثانوى تقرير لهذا المعنـــى
اذ يقول المؤلف مايلي :

"السلطة التشريعية : تمثلها هيئة تشريعيه هي التي تشرع القوانيـــن
وتراقب السلطة التنفيذيه والسلطة التشريعيه في البلاد الاسلامية تختلف عـن
السلطة التشريعيه في الدول الاخرى لانها مقيدة بالنظام الاسلامي تستمـــد
قوانينها من مصادر ثابته وهي القرآن الكريم ويستنبطون من الشريعة الاحكـــام
والتشريعات التي يجب على الدولة ان تسوس الشعب بموجبها" (١)

في الاسلام ليس هناك سلطة تشريعيه فالتشريع لله ولرسوله صلى الله
عليه وسلم وقد حفظت الشريعة بقرآنها وسنتها ، وهي صالحة لكل زمان ومكـان
وانما على المسلمين اوطائفهم بالاصح هو استنباط للسائل المستجده من عمومات
النصوص القرآنيه والنبويه ، فوضع هذا الامر في مقرر علم الاجتماع يجعل الطـلاب
يسلمون ان بالامكان ان يشرع المسلمون لانفسهم دون النظر الى القرآن والسنـــه
وفي هذا خطورة كبيرة .

---

(١) علم الاجتماع للصف الثالث الثانوي (ادبي) ١٤٤ ، ١٤٥

٣١- تقرير حيوانية الانسان : تقرر فرضيات التطور لدارون وولاس وغيرهما

انحدار سلالة الانسان من الحيوان - على اختلاف بينها في الكيفية - وقد سادت هذه الفرضيات في الغرب فترة من الزمن ثم كشف علماء الاحياء والجيولوجيا زيف هذه الفرضيات وسبق ان نقلت بعضا من آراء هؤلاء العلماء في تزييفها في فصل " فرضية التولد الذاتي " وانتقلت هذه الفرضيه مع ما انتقل من جراثيم الغرب الى العالم الاسلامي ، واعتنق بعض من أبناء المسلمين هذه الفرضيه ونافحوا عن صحتها مع سقوطها في الغرب ، ولكن وجد في علماء المسلمين من فند هذه المزعومة كان منهم مفكرون ،كالمودودى رحمه الله ، وكان منهم متخصصون في العلوم الطبيعيه مثل الدكتور زغلول راغب النجار - وسوف انقل عن الدكتور زغلول مقاطع من مقالات له مسلسله نشرت بمجلة المجتمع الاسلامية التى تصدر بالكويت لانه هو ابن بجدتها واعرف من غيره بزيف هذه الفرضيه اذ هو يتحدث من واقع مشاهد وابحاث قد يكون شارك فيها ، ولا يمكن ان يقال بانه من " رجال الدين " فلا يعرف شيئا عن هذه الفرضيات ولكنه عالم متخصص في العلوم الطبيعيه يؤمن بالاسلام ويعلم كرامة الانسان عند الله .

والكتب التى سوف استعرض نصوصا منها الفت للاسف من قبل الجامعة الامريكيه ببيروت ، ومعروف للقاصي والداني ماهي وجهة الجامعات الاجنبية ومنها الامريكيه وماهو هدفها في العالم الاسلامي . ان لدى المسلمين علماء يجمعون بين هذا العلوم وصحة الاتجاه والبعد عن هذه الانحرافات في التصور لقيمة الانسان ودوره في هذه الحياة وانه ليس حيوانا كما يزعم اصحاب فرضيات التطور ، وكما يحاول ان يقررها مؤلفوا كتب الاحياء والجيولوجيا بطريقة لا يشعر بها الا من عرف شيئا عن فرضيات التطور .

وقد اقتصرت في هذا الجزء على استعراض نصوص من مقرر الاحياء للسنوات الثلاث وعلى مقرر الجيولوجيا و مقرر العلوم للصف الثالث الابتدائي

وابدأ بنقل فقرات من ماكتبه د . زغلول النجار ، فهو يقول في بيان حجج

الذين يكتبون العلوم من منطلق مادي صرف مايلي :

" تكتب العلوم اليوم - في غالبيتها - من منطلق مادي بحت ينكر لكل ماهو فوق المادة وذلك بحجة انها : (١) بمفهومها المحدد - تتعامل مع المادة فقط . (٢) وبدعوى انه اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعيه فلا ينبغي ان تنسب الى اسباب فوق الطبيعه . (٣) وانطلاقا من قاعدة خاطئة مؤداها ان الاعتقاد بدين ما قد يفقد المشتغل بالعلوم قدراً من حريته في التفكير" (١)

وفي معرض حديثه عن الاخطاء في كتابه العلوم تحدث النجار عن قضيـــة تطور الانسان عن حيوان ، وعن تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت بالانتخاب الطبيعي ، وعن قضية حقيقة الطبيعة وقوانين الطبيعه ، وعن التطور العضوي .

اما عن تطور الانسان من حيوان فيقول عنه النجار مايلي :

" ... وتعرض القضية في الكتب المدرسيه وتدون في اذهان طلابنـــا الصغار على انها من الحقائق العلميه المسلمه علما بأن عالماً غربياً بارزاً مثل " بورن كيرتن " استاذ علم الحياة القديمة بجامعة هلسنكي يسجل في كتابـــه " ليس من القرده " الذي نشر في لندن سنة ١٩٧٢ . ان اصل الانسان منفصل تماما عن القرد منذ زمن طويل وان الانسان لم ينحدر عن القرد بكل تأكيد - وفـي سياق عرضه للموضوع يؤكد كيرتن ان عملية التطور عملية موجهة ولا يمكن ان تكـون عملية عشوائية او نتيجة للصدفه ، ثم ان البقايا الحفريه الرئيسيه التى تـم العثور عليها والطرق التي تم استخدامها في تزييف بعضها على صورة شاعت بيـن الناس ، ثم اضطروا الى التسليم لمجرد رواجها ؟ لا على اساس علمي ملموس والاستنتاجات المستقاه منها بأن للانسان صلة مباشرة بالقرده - ليست دليلا على صحة الدعوى بل تنقضها وتدحضها . (٢)

ويقول تحت عنوان " تفسير نشأة الحياة وتطورها على انها تمت تلقائيـــا بالانتخاب الطبيعي .

---

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه . العدد / ٢٩٨ في ٥ جمادى الاولى عام ١٣٩٦هـ
(٢) نفس المصدر العدد / ٢٩٩ في ٢ جمادى الاولى عام ١٣٩٦هـ

" وماصاحب ذلك من تعبيرات مثل الانتخاب الطبيعي ، التطور بالانتخاب الطبيعي انتخاب الطبيعه . وهي عبارات انتشرت في كتابات المشتغلين بعلــــوم الحياة وبقضية التطور بصفة خاصة ولكن دون فهم حقيقي لمدلولها . فمن الــــذى يختار وينتخب ؟ هل هي الطبيعه ؟ واذا كان ذلك فماهي الطبيعة ؟ وماهي قدرتها علي الاختيار؟ هل هي كيان عاقل يمكنه ان يختار وينتخب ؟ واذا كــــان كذلك فهل يعقل انها قد اوجدت نفسها بنفسها ثم وضعت من القوانين مايحد هــــا ويحيط بها ؟

هذا كلام لو دقق فيه الانسان ماقبل ان يردده ابداً . ولكن علي الرغـــم من ذلك فإننا نجد هذه العبارات وامثالها تملأ صفحات كتب العلوم وتردد فـــي مختلف مجالات العلوم الانسانيه والفلسفية بل تتناقلها الصحف والمجلات والمنابـــر والاذاعات دون ان يجادل كاتبوها والناطقون بها ان يقفوا عندها وقفة تصبـــــرة متبصره " (١)

ويقول عن " الطبيعه وقوانين الطبيعه " مايلي :

" وهذه عبارات قد نقلت الي كتابات المسلمين دون وعي حقيقي لابعادهــا فما هي الطبيعة ؟ وماهو تعريفها ؟

يختلف العلماء في تعريف الطبيعة فمنهم من ينادى بأنها الصفـــــات الاساسيه للاشياء ومنهم من يقول بأنها القوى الطبيعيه التي تسبب ظواهـــــر العالم المادى ، وهنا يبدو واضحا انه قد يكون من الافضل ان تسمي فطـــره الله التي فطر الله الاشياء عليها ، او انها مجموع القوانين التي وضعها خالـــق الكون ، واودعها المادة الصماء ، وكل الاحياء ، وعلي اساسها يدور الكــــون كله من ادق دقائقه الي اعظم وحداته . وفي ذلك يقول احد العلماء الامريكييـــن ان الطبيعه لاتفسر شيئا من الكون ، وانما هي نفسها بحاجة الي تفسيـــر .. فالعلم لا يكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانينا ؟ وكيف قامت بين الارض والسماء

(١) نفس المصدر العدد ٢٩٨/في ٥ جمادى الاولي ١٣٩٦

علي هذه الصورة المفيدة المدهشة حتى ان العلماء يستطيعون ان يستنبطوا منها قوانين علميه " (١)

ويقول ايضا عن التطور العضوى وتبني ان يكون حقيقة علميه ثابته :

" ... وماصاحب ذلك من تعبيرات مثل -حقيقة التطور- وهو تعبير يتردد كثيرا ، ويقصد رصفحات الكتب والدوريات التخصصيه والعامه ، وهو لا يعني لنا حقيقه ابدا ، لان عملية التطور كما يفسرها المنادون بها عمليــة بطيئة جدا ، ولا يمكن اخضاعها لتجربة معملية ولا الي شاهده حسيه مباشرة او غير مباشرة ، فكيف اذن يمكن ان تكون حقيقة ثابته ؟ انها مجرد محاولــة لتفسير تدرج الحياة مع الزمن علي سطح كوكبنا الارضي ، وقد تكون صحيحــة وقد لا تكون ، وعلي ذلك فمن الخطأ اشاعتها بين الناس علي انها حقيقــة مؤكده ، ومن التضليل من استخدامها بطريقة شيطانيه لهدم معتقدات الناس وايمانهم ، خاصة وان ادلتها في معظمها محل جدل كبير ولا مجال لاستعراضها ولكن تكفي الاشارة الي ان فكرة التطور كما قدمها داروين - ولم يكن اول المنادين بها - تقوم علي اسس ثلاثة هي -التكيف -التخصص ، الانعــزال الجغرافي . وهي تعبيرات لا معنى لها في الحقيقة لان كل مخلوق متكيــف مع البيئة التي يحي فيها ، وهو في نفس الوقت متخصص لنوع الحياة التــي يحياها ، والا لما امكنه ان يحيا ابتداءا ، اما فكرة الانعزال الجغرافــي بذاتها فلا يمكن ان تكون سببا للتطور خاصة وانه من الثابت جيولوجيــا ان معظم الكتل الارضية كانت اكثر تقاربا في الماضي ماهي عليه الآن .. وان معظم الكائنات الحيوانيه وحتى النباتيه قدرة هائلة علي الهجرة حيث تحمل الرياح حبوب اللقاح لالاف الكيلومترات بينما تستطيع بعض الطيور المهاجرة لمسافات طويله جدا . ومن ذلك يتضح أن اسس الداروينيه خاويه من وجهــة النظر العلميه ، ولكن علي الرغم من ذلك تفرض علي انها من البراهيــن

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه العدد ٢٩٨ في ٥ جمادى الاولي ١٣٩٦

العلميه علي النظريه . ومن العبارات التي ترددت كثيرا في مجال الحديث عن التطور الجملة الشهيره التي صاغها داروين بان " البقاء للاصلح " وهنا يرد التساؤل الاصلح من اى جهة ولأي شيء ؟ هل المقصود بها الاصلح للحياة من حيث القدرة ام من حيث الموائمة ؟ ام كليهما ؟ علما بأنه من المعروف عن بقايا الكائنات القديمة في طبقات القشرة الارضيه انه كلما زاد حجم نوع من انواع الحياة (وبالتالي زادت قوته) كلما قربت نهايته ، بينما كثير من المخلوقات التي عاشت لآماد طويلة كانت ضئيلة الحجم دقيقة البنيه ولم يمنعها ذلك ان تعمر .

واذا كان المقصود - بالاصلح - الانسب للبيئة ، فماذا عن الكائنات التي تموت بالحوادث الطارئه او بواسطة الامراض الداهمة او عن طريق الطوفان المفاجيء او الافتراس بواسطة غيرها من الحيوانات ، او الاصطياد بواسطة الانسان ؟ كل هذه عوامل تنسي دعاة التطور او تناسوا دورها الهام في بقاء كائن من الكائنات او اندثاره ، فهب ان مجموعة حية تتمتع بقوة ملحوظة وتتوائم مع البيئة التي تحيا فيها ، داهمها بركان ثائر فقضي عليها علي الرغم من قوتها وموائمتها للبيئة فأين مكان البقاء للاصلح هنا ؟ ان كل امور هذا الكون تتحكم فيها قوة عليا هي التي توجه وهي التي تختار ولا ارادة لمخلوق مقابل ارادتها ، واذن فليس البقاء للاصلح ، ولكن البقاء لمن ارادت له القوة العليا ان يبقي (١)

بعد هذه النقول الطويلة التي توضح لنا رأى واحد المتخصصين في العلوم الطبيعيه ابدا باستعراض بعض ماوجدته في كتب الاحياء مما يدل علي تقرير المؤلفين لنظرية حيوانية الانسان .

في الدرس الخامس من الوحدة الثانيه " بيئة الكائنات الحيه " من مقرر الصف الثالث الابتدائي " حيوانات فقريه وحيوانات لافقريه " مايلي :

" اذا تحسست ظهرك تجد في وسطه العظام الفقريه " الفقرات " التي تكون العمود الفقرى في جسمك (الشكل ١١) وهناك بعض الحيوانات ايضا لها عمود فقري في اجسامها .

(١) مجلة المجتمع الاسلاميه العدد ٢٩٩/في ١٢ جمادى الاولي ١٣٩٦

في الدرس السابق صنفنا الحيوانات الي داجنه وبريه نستطيع ايضا ان نصنف الحيوانات الي فقريه ولافقريه ، من حيث وجـــود العمود الفقري في اجسامها ، اوعدم وجوده .

فمن الحيوانات الفقريه :

الاغنام ، والثعابين ، والدجاج والاسماك ...." (١)

والشكل (١١) العمود الفقري في الانسان .

في هذا النص يراد أن يقال للطلاب بطريقة غير مباشرة ان الانسان حيـوان فقرى لوجود التشابه بينه وبين الحيوانات التى لها "فقار" ثم يصرح لهم بـأن الانسان من الحيوانات الفقاريه ، من صف الثدييات كما سيأتي بيانه في الصفحات الاتيه :

في الفصل العاشر " التكاثر في الحيوان " يتحدث مؤلفوا مقرر الاحياء للصف الاول الثانوى عن المحافظة على الصغار في الحيوانات . ويتحدثون عـن المحافظة على الصغار في الحيوانات البيوضة ، والحيوانات الولوده ، وفي فقـرة الحديث عن الحيوانات الولوده يتحدثون عن الثدييات ويقسمونها الي مجموعـات منها " مجموعة الثدييات المشيميه والحقيقيه " فيقولون مايلي :

" والمجموعة الثالثة من الثدييات هي الثدييات المشيميه او الحقيقيه ضمنها يحدث الاخصاب الداخلي وتنمو الاجنه داخل رحم الام ، وتلتصق بجـدار الرحم بواسطة الحبل السرى والمشيمه ويحصل الجنين على غذائه من دم الام بواسطة المشيمه ويطرح فيه الفضلات .

وبعد ان تقضي الاجنه في فترة داخل رحم الام تسمي فترة الحمل ، تولـد كاملة النمو وتختلف مدة الحمل في افراد الثدييات فهي في الانسان ٩ أشهر وفـي الحصان ١١ شهرا والبقر ٩ أشهر.

وتنتشر الثدييات انتشارا واسعا على سطح الكرة الارضية ومن الامثلة علـى الثدييات الحيوانات آكلة اللحوم مثل الاسد والنمر والقط .. والحيوانات القارضه

---

(١) العلوم للصف الثالث الابتدائي : ٤٠

مثل الارنب . والحافريات كالحصان . والرئيسيات كالانسان . وسندرس فيمـــا يلي التكاثر والجهاز التناسلي في الانسان كمثل على التكاثر في الثدييات المشيمية (١)

ثم تحدث المؤلفون عن الجهاز التناسلي في الذكر مع وضع صورة الانســـان (انظر شكل (١٠-١٥) (١٤٤، ١٤٥) .

وفي السنة الثانيه يتحرز المؤلفون في تعبيراتهم ويحاولون الاستدلال ببعض الايات . يقول مؤلفو مقرر الصف الثاني عن اسس تصنيف الكائنات الحيه الفصـــل السابع مايلي :

" ماهي الاسس والمعايير التي تستعمل لتصنيف الكائنات الحيّة في مجموعات سوف لا ندرس هنا جميع الاسس وسنكتفي بأساس واحد رئيسي وهو التناظر فـــي او الاعضاء المتشابهة في الاصل . فمثلا جميع الاطراف الاماميه في الفقاريـــات وان كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد فجناح الخفاش وقدم الحصـــان وزعنفة الحوت مثلا لها نفس التركيب فهي تتركب بشكل عام من عضد وساعد ورسغ ويد كما تتشابه هذه الاطراف في تركيب العضلات ايضا " (٢)

وفي الشكل (٧-٣) الموجود اسفل هذا النص يوجد كف يد انسان ومـــن التضليل لا يمثل المؤلفون بالانسان ، وانما يضعون صوره يده .

ويقول المؤلفون في نفس المقرر في الفصل الحادي عشر "المملكة الحيوانيه"

" ومع ان الانسان يملك كثيرا من صفات الثدييات ، الا انه فريد من نوعـــه بين سائر الخلق قال تعالى في كتابه الكريم (لقد خلقنا الانسان في احســـــن تقويم) فالانسان بما حباه الله من ميزات - سواء في دماغه النامي لدرجة كبيـــرة ومقدرته على استعمال يديه في صنع الاشياء ، او استعمال اللغة للتحدث بها ونقل المعرفة والتراث من جيل الى جيل آخر استطاع ان ينشئ حضارة انسانيـــه على مر العصور" (٣)

وقد كانوا في الصفحة ٥٣ من المقرر اى في نفس الفصل" المملكة الحيوانية"

---

(١) علم الاحياء الصف الثاني الثانوي: ١٤٤ .
(٣،٢) نفس المصدر : ١٠٨+١٠٩، ١٥٧+١٥٨ .

الذى قسموا فيه المملكة الحيوانيه الي شعب ، قد قسموا شعبه الحبليـــات الي نوعين " حبليات ابتدائيه " وحبليات راقيه مثل الفقاريات . وقسموا هـــذه الي خمسة صفوف هي :

١- الاسماك ٢- البرمائيات ٣-الزواحف ٤- الطيور ٥-الثدييـــات ومنها الانسان طبعا كما مر.

وفي الكتاب نفسه تقرير لحيوانية الانسان بالمقارنة بين المركبات المضويـــه فيه وفي الحيوان والنبات ، يقول المؤلفون في ذلك .

" .. ومن ناحية اخرى تكون البروتينات نسبة عالية في الانسجة الحيوانيـــه مقارنة بغيرها من المركبات المضويه ففي الانسان مثلا تشكل البروتينات ١٥٪ والدهنيات ١٥٪ بينما تشكل المركبات الاخرى نسبة ١٪ ويبين الشكل (٢ - ١) مقارنة بين الخلايا الحيوانية والنباتيه بالنسبة لمحتوياتها من المركبات المضويه " (١)

ويقرر المؤلفون حيوانيه الانسان وتطوره عن الحيوان من طريق آخر هـــو مايسمي عند بعض التطوريين (بالطفره" يقول المؤلفون في ذلك تحت عنـــوان "الطفرات الجينيه" في فصل "الاساس الجزئي في الدراسه"

" ان كلمة طفره تعني تغيير مفاجيء وثابت في التركيب الكيماوي للجينـــــ يؤدى الي تغيير الصفاتالوراثيه ، ألناتجه عن هذا الجنين ينتقل هذا التغييـــر من جيل الى آخر ولذا يكون ثابط ووراثيا" (٢)

وفي الفصل السادس من الكتاب" تحسين الانتاج الحيواني والنباتي" كـــلام واضح في تقريرهم لنظريه " الانتخابالطبيعي" وبقاء الاصلح ، اذ يقولون تحـــت عنوان " الانتخاب "

" لاحظ الانسان في الماضي التنوعات الكبيرة في الكائنات الحيه فانتخـــب كآباء للجيل الثاني تلك الكائنات الحيه التي تلك الصفات المرغوبه بالنسبة لـــــه فهو انتخاب يقوم به الانسان وذلك لتركيز الجينات او الصفات الوراثيه المرغوبـــة والتي يريدها الانسان لاغراضه الخاصة ، ويسمي مثل هذا الانتخاب بالانتخاب

---

(١) علم الاحياء للصف الثاني الثانوى : ١٨
(٢) نفس المصدر : ٧٢

الصناعي ... تمييزاً له عن الانتخاب الطبيعي ... حيث تترك الافراد هنا لتتزاوج على حالتها الطبيعية دون تدخل الانسان ، فتموت الافراد الضعيفة التي لا تتكيف مع البيئة وتبقى الافراد القوية ، وعلى هذا الاساس كانت الطبيعة العامل الاساسي في تحسين النباتات والحيوانات منذ ملايين السنين " (١)

وفيما نقلت عن الدكتور زغلول النجار ما يوضح ان هذا الكلام هو نفس مرئيات اصحاب فرضيات التولد الذاتي .

ومن الامور التي يذكرها المؤلفون التشابه بين العضلات القلبية في الانسان والحيوان ففي الفصل الاول من مقرر الصف الثالث الثانوي للاحياء " التنظيم التركيبي والوظيفي في الحيوانات " تحدث المؤلفون عن الانسجة الموجودة في الفقاريات ومنها "الاسد والنمر والحصان والانسان" ومن ضمن الانسجة " العضلات القلبية "

" ... وكما في الالياف العضلية الاخرى فان الالياف القلبية محاطة بصحيفة لحمية . ومن مميزات الالياف العضلية القلبية انها تنقبض بانتظام ويحصل ذلك ايضا لمدة محدودة في حالة وجودها خارج جسم الانسان " (٢)

فاذا كان المؤلفون يصنفون الانسان بما عرف به فلم يتحدثون عنه مع الحيوانات الفقارية افلا يمكن الحديث عنه من كافة النواحي في باب مستقل ام انه الاتباع للفرضيات التي تدعي الانسان تطور عن حيوان .

وفي فصل آخر يتحدث المؤلفون عن القلب في الحيوانات ومنها الفقاريات فيقولون " تتركب عضلات القلب في الانسان من الياف عضلية مخططة عرضيا الا انها تختلف عن العضلات الهيكلية السابق ذكرها بأن الياف اقصر واصغر وتتفرع هذه الالياف وتلتحم فيما بينها عن طريق هذه الفروع (انظر شكل (١-١٦) لتؤلف شبكة متصلة وكل ليفة عضلية قلبية تحتوي على نواة واحدة " (٣)

ويقرر المؤلفون حيوانية الانسان عن طريق الانسجة الوظيفية والتشابه الحاصل

---

(١) نفس المصدر : ٨٧ .

(٢ ، ٣) علم الاحياء للصف الثالث الثانوي : ١٤ ، ١٥ / ١٦٨

بين الثدييات ومنها الانسان وهوارقها كما ذكرنا . فيقولون .

" تتكون الانسجة الوعائية (الدم) من الخلايا والمادة البلازمية (البلازما)

اما الخلايا فانها نوعان ١- كريات الدم الحمراء ٢- كريات الدم البيضاء .

- - - - - - - - - - - - - - - - - وفي الانسان يبلغ طول

الخلايا الحمراء حوالي ٧ر٥ ميكرون وعددها حوالي خمسة ملايين في الملليمتر

الواحد من دم الرجل وحوالي (٤ر٥) مليون في الملليمتر الواحد من دم المرأة" (١)

وتحت عنوان " تلاؤم تركيب الانسجة مع وظائفها " جاءت هذه العبارات

" ... ان الجلد في الانسان كما في الحيوانات الثدييه يحتوى على

الشعر المتصل بعضلات لا اراديه لها دورها الوظيفي في احداث القشعريرة التي

تعتبر اجراء وظيفيا يساعد في اعطاء الجسم نوعا من الدفء عند البرودة الشديدة" (٢)

وفي الحديث عن انماط التغذيه في الحيوان يقسم المؤلفون الحيوانات الى

انماط ذاتيه التغذيه ، وانماط غير ذاتيه التغذيه . ومن النوع الاخير التفاريات

ومنها الانسان فهو عندهم من انواع التغاريات من صف " الثدييات "

" اما الكائنات غير ذاتيه التغذيه فهي الكائنات التي لا تستطيع الاعتماد

على نفسها في تجهيز غذائها من مواد بسيطة تأخذها من الوسط المحيط بها

وكذلك تعتمد هذه الكائنات في تغذيتها على النباتات الخضراء . اما بشكل

مباشرا وبشكل غير مباشر حيث تأخذ المواد العضوية من النبات الاخضر مباشرة

او تتغذى على حيوان آخر يعتمد في تغذيته على النبات الاخضر وتقسم الكائنات

غير ذاتيه التغذيه الى ثلاثة انواع :

١- الكائنات المتناوله للغذاء وهي الكائنات التي تتناول غذائها وتبتلعه

عن طريق الفم وينقل هذا الغذاء الى جهاز هضمي خاص يقوم بهضم الطعام

وامتصاصه . ومن الامثلة على حيوان هذا النوع من التغذيه التفاريات وكثير

(١-٢) علم الاحياء للصف الثالث الثانوي ٢٤/١٧-١٦

من اللافقاريات " (١)

وعند الحديث عن عملية الهضم في الحيوانات جاء هذا النص:

" ... من اى جزء في جسم الكائن الحي تفرز الانزيمات الهاضمه ؟

المبطنه

تفرز الانزيمات الهاضمه في دوده الارض من الخلايا . . للامعـــاء .

اما في الحيوانات الاكثر تعقيدا مثل الفقاريات فتوجد اعضاء خاصة تفرز هـــذه الانزيمات تسمى بالغدد الملحقه بالجهاز الهضمي مثل البنكرياس والكبد تفـــرز الكبد مواد كيماويه تحول الدهن الى مستحلب دهنى (نقاط صغيره) تمهيد لتهضمه انزيمات البنكرياس والامعاء الدقيقه ، وبعد ان يتم هضم الطعام في جسم الكائـــن الحي يحدث امتصاصه في الامعاء الدقيقه ويكون سطح الامعاء عادة متموجـــا كثيرا ليزيد سطح الامتصاص وفي الحيوانات التى تحتوى على جهاز دورى تتكـــر الشعيرات الدمويه في سطح الامعاء وتتكلم هذه الشعيرات داخل زوائد تسمـــى بالزغبات وتقوم الزغبات بامتصاص الغذاء المهضوم ودفعه في تيارات الدم الذى يوزعه على جميع خلايا الجسم " (٢)

وعن الحديث عن الجهاز الدورى للحيوانات يقسمها المؤلفون الى تسميـــن " جهاز دورى مفتوح " و " جهاز دورى مغلق " ومن ضمن من له جهاز دورى مغلق " الانسان يقول المؤلفون في ذلك .

" .. ويمتاز الجهاز الدورى المغلق بفعاليته الوظيفيه ، ويفوق في ذلـــك الجهاز الدورى المفتوح ، حيث ان الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدورى - المفتوح يسير ببطء بينما يسير الدم بسرعة اكبر في الحيوانات ذات الجهاز الـــدورى المغلق ولذلك يحدث تبادل المواد الغذائيه والاكسجين والفضلات في الحيوانات

المفتوح

ذات الجهاز الدورى المغلق بسرعة اكبر من الحيوانات ذات الجهاز الدورى مما ينتج عنه قيام الحيوانات ذات الجهاز الدورى المغلق بنشاطاتها الحيويه بفعاليه ومقدره عاليه (شكل ٤ - ١٠) (٣)

وشكل (٤ - ١٠) هو شكل انسان وقد كتب تحت الشكل الجهاز الـــدورى

---

(١) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى : ٦٣ ، ٦٤
(٢) نفس المصدر : ٦٨
(٣) الاحياء للصف الثالث الثانوى : ٩٣

في الانسان .

وعند الحديث عن الجهاز اللمفاوي للحيوانات جاءت هذه العبارات .

" ... يسير الدم في الحيوانات ذات الجهاز الدوري المغلق ضمن اوعية دمويه مغلقه ولا يوجد اتصال مباشر بين الشعيرات الدمويه وخلايا الجسم اذن كيف يحدث تبادل المواد بين الدم وخلايا الجسم ؟ " (١)

ثم يأتي بعد ذلك شكل (٤-١١) وهو لبيان الجهاز اللمفاوي للانسان وعند الحديث عن الاخراج في الحيوانات يتحدث المؤلفون عن الاخراج عن طريق الكلي فيقولون :

" في اجسام الحيوانات النقاريه جهاز متخصص لتصفيه اجهزتها الدمويه من المواد الضاره وطردها للخارج ويسمي هذا الجهاز بالجهاز البولي ، وقد تؤدي بعض اعضاء الجهاز البولي وظائف اخرى اضافة الي وظيفة تجميع البول يتركب الجهاز البولي في النقاريات ومنها الانسان من كليتين وحالبين ومثانة بولية لنقل البول حيث يطرد للخارج . وقد يختلف هذه الاعضاء في اشكالها وحجومها من حيوان لاخر ويبين شكل (٦-٨) تركيب الجهاز البولي في الانسان وهو الجهاز الذى سندرسه هنا بشيء من التفصيل " (٢)

وعن تكوين البول واخراجه في الحيوانات جاءت هذه العبارات :

" ... اما الحيوانات التى تعيش علي اليابسه فلابد لها من تحويل هذه الماده السامه الي مواد اقل سما وهو اليوريا او حامض اليوريك . و قد تكيفت الحيوانات التى تستطيع الحصول علي كميات كبيره من الماء لتحويل الامونيا الي اليوريا التى يمكن تخفيفها بالماء ، ثم طردها للخارج كما هي الحال في الانسان " (٣)

وفي فقرة الحديث عن الجهاز الدعامي في الحيوانات جاء هذان النصان

" يخدم الهيكل الدعامي في الحيوانات اغراضا مختلفه منها انه يعمل كدعامة لتقويم الجسم الهلامي وتزداد الحاجة الي الهيكل الدعامي كلما

(٣،٢،١) نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ / ١٣٧ / ١٣٨

ازداد حجم الحيوان كما ان الهيكل الدعامي يعمل على حماية الحيوان . وهذه المهمة تظهر جلية في الحيوانات التى تحيط نفسها بهياكل خارجية تقيها من الصدمات الميكانيكية والهياكل الداخلية ايضا تخدم غرض الحماية فالقفص الصدرى للانسان يحمي القلب والرئتين من الصدمات الخارجية . كما أن الجمجمة تقي الدماغ من مخاطر الصدمات الخارجية . ايضا ، والهياكل الدعامية ذات اهمية كبيرة فهي تعمل على تنسيق حركة الحيوان الراقي وضمانها بسهولة وذلك لكون بعض اجزائها تعمل كالروافع ويتصل بها العضلات الهيكلية المتصلة بها وانبساطها وبتحريك هذه الاطراف يستطيع الحيوان ان يمارس نشاطات في بيئة كالسعي لتحصيل غذائه او هروبه من عدوه الخ وهنا يجدر الذكر انه يجب ان يكون هناك نوع من التوازن بين كبر العظام وسماكتها لزيادة الوقاية والحماية وبين خفتها لتسهيل حركة الحيوان وسنأخذ فيما يلي أمثلة على الهياكل الدعامية لبعض المجموعات الحيوانية . (١)

ثم جاء الحديث عن الهيكل الدعامي العظمي في الفقاريات فقال المؤلفون :

" .. تتكون دعامة الفقاريات من جهاز عظمي داخلي ينشأ من الحبل الظهرى الجيلاتيني . وتشترك جميع الهياكل العظمية للفقاريات بوجود الجمجمة والعمود الفقري والقفص الصدرى والاطراف ، وكمثال على الجهاز الدعامي في الفقاريات سندرس فيما يلي الجهاز الدعامي في الانسان (شكل ٧-٨) يتكون هذا الجهاز في الانسان من جمجمة وعمود فقري وقفص صدرى وعظام الحوض والاطراف ويبلغ عدد العظام في الجهاز الدعامي للانسان (٢٠٦) (٢)

وعن الهيكل العظمي في الحيوانات جاءت هذه العبارات .

" يتميز الجهاز العظمي في الثدييات ومن ضمنها الانسان بوجود القفص الصدرى الذى يتكون من الفقرات الصدريه خلفا ومن عظم القص امامًا ومن ازواج من الاضلاع الاثني عشر تصل بين كل زوجين منها مفاصل غضروفيه ليفيه تسمح للصدر بالاتساع بعض الشيء " (شكل ٧-١٠) (٣)

وفي الحديث عن التنظيم الهرموني في الحيوان جاء هذا الكلام :

(٣،٢،١) علم الاحياء للصف الثالث الثانوى : ١٤٩/١٥٣، ١٥٤/١٥٥ .

" في جسم الانسان توجد الغدد الصماء ويظهر موقعها (شكل ٩-٩)
١- الغدة النخامية ٢- الغدة الدرقية ٣- الغدد جارات الدرقية ٤- جزر لانجرهانز في البنكرياس ..... " (١)

وفي مقرر الجيولوجيا للصف الثاني الثانوي تحدث المؤلفون عن تصنيف الكائنات العضوية فجعلوا الانسان من الحيوانات الفقارية :

" ان ابسط تصنيف شمولي للكائنات العضوية يتداول فيه عادة في علم الاحافير هو التصنيف المبين في الجدول (١٠٦) فمن الكائنات ما يشبه الحيوان ويتكون من خلية واحدة فقط مثل المنخربات والتاعيات والحيوانات عديدة الخلايا اللافقارية : مثل المحاريات والقشريات والحيوانات عديدة الخلايا الفقارية مثل الاسماك والطيور والانسان " (٢)

وعن اهمية " الاحافير " وهي احد ادلة القائلين بالتطور تحدث المؤلفون عن ان هذه الاحافيز دلت على التطور الناتج عن الصراع بين الحياة والبيئة فقالوا

" برهنت الدراسات التي اجريت على الاحافير على وجود الحياة على سطح الارض منذ مئات الملايين من السنين وساعد ما لوحظ من تغيرات تدريجية في اشكال الكائنات التي عاشت في الازمنة الغابرة على فهم انواع التطور الناتج عن الصراع بين الحياة والبيئة وتوفرت من هذه الدراسات براهين عديدة على نظرية تطور الكائنات الحية " (٣)

واقرأ هذا النص ففيه تقرير لنظرية التطور في احد حججها ان البقاء للاصلح :

" ... منذ ماقبل عصر الكامبري حتى الوقت الحاضر ظهرت مجموعات ضخمة من الحيوانات والنبات ، بعضها أكمل مسيرة حياته وبعضها لم يقو على الحياة وانقرض في الطريق راجع الجدول (٦-٢) (٤) ففي هذا الجدول وضع الانسان ضمن الفقاريات .

---

(١) المرجع السابق : ١٧٩ .
(٢، ٣، ٤) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوي : ٧٨ ، ٧٢/ ٧٩ ، ، ،
وتقسيم العصور الى العصور الكبرى ، والث لاثي ، والرباعي وهي تقسيمات اصحاب ~~فرضية~~ التطور وهي من ادلتهم على التطور (انظر التطور بين العلم والدين (٥٤ - ٧٧)

وعن التطور في الكائنات الحيه قال المؤلفون :

" ... وفي منتصف العصر الثلاثي زاد حجم الحصان وقل عدد اصابعه وغير من طريقة تغذيته فاصبح آكل عشب وبمرور الزمن ضمرت اصابع الحصان واصبحت اصبعا واحدا اى حافزا واحدا كما في الحصان الحديث المعروف بأسم "ايكووس" راجع الشكل (٦-١٢) " (١)

ثم يختتم المؤلفون الحديث عن تطور مجموعة الحيوانات اللبونية الحقيقية بالحديث عن الانسان ، ويذكرون في آخر الحديث ان الانسان سيطر بقدرة الله

" وقد نشأ الانسان في عصر الرباعي واخذ رويدا ، رويدا مكانا مرموقا بين الاحياء قاطبة حتى اصبح يسيطر على خيرات الارض بقدرة الله تعالى وفضلة " (٢)

وهكذا يتضح ان مقررات علم الاحياء والجيولوجيا تقررت بطريقة غير مباشرة نظرية انحدار الانسان عن الحيوان ، وقد كانت في المقررات الماضية تدرس عن طريق واضح بدراسة نظرية او فرضيه التطور والتولد الذاتي.ان هذه الفرضية قد نقضتها قبل علماء الغرب فلم يعد لها من دليل صحيح فكيف تقرر بهذا الشكل . ان الله سبحانه وتعالى بين لنا انه خلق آدم وهو ابو البشر من تراب خلقا مباشرا ثم نأتي ونقرر نحن في مقررات الاحياء بأن الانسان انحدر من الحيوان

ان الغروض ان تؤلف العلوم (الاحياء ، الكيمياء ، الفيزياء ، الجيولوجيا) من وجهه نظر اسلاميه صافيه ، ولن يعجز المسلمون عن ذلك ، فالحقائق التي تتضمنها هذه العلوم ، تعمق ايمان الشاب المسلم بالله اذا صيغت بقوالب فكريه اسلاميه ، ولا خشية على الحقائق فالحقائق تبقى كما هي ولكن لا تدل طبيعة الحقائق الثابتة ثبوتا صحيحا هو الذى تريد ان يصاغ صياغة صحيحه . ولعل اكبر خطأ يرتكب هو تقسيم الكائنات الحيه الى قسمين الحيوانات والنبات . والحق الذى لا مراء فيه ان اقسام الكائنات الحية ثلاثة اقسام (١) الانسان وهو اشرفها واكرمها عند الله (٢) الحيوانات (٣) النبات .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ٨٦/٨٧
(٢) الجيولوجيا للصف الثالث الثانوى : ١٠١

لقد استطاعت روسيا وهي تمتلق عقيدة مناقضة للفطرة وهي الالحاد استطاعت عن طريق العلوم ان تبذر بذور الالحاد وفي هذا يقول :

" س . ا . فافيلوف ، رئيس اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي

" ان الفيزياء السوفيتيه ، كالعلم السوفيتي ، وخلافي حياة الدولة من زمن بعيد ، ووجها كل قواها الي خدمة بلدنا هذا ، لاستيفاء كل الحاجات اللازمة لبناء مجتمع شيوعي .

والفيزياء الشيوعيه تبني علمها علي ما اعتنق العالم من المادية المنطقية تلك التي رفع من امرها تأليف لينين وستالين ، وهي تأليف ارتبط المهتريه بروح منها " (١)

ويدحض الشيخ المودودي رحمه الله دعوى ان العلوم عالمية ليس لها علاقة بدين : فيقول تحت عنوان " العلوم التجريبيه لها ناحيتان "

" ... اما القول بأن العلوم التجريبيه علوم عالمية تتجاوز الدين من الاديان ، فهذه غلطة كبيره وجهل فاحش . ان العلوم التجريبيه لها ناحيتان الاولي : عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرف طبيعتها الانسان بعد ان اجتاز مراحل عديده من التجربه والاختبار والمشاهدة ، وهذه الناحيه لا يشك في احد في كونها عالمية . والناحيه الثانيه تتمثل في المعقليه التي تدون هذه الحقائق والمعلومات ، وتضع علي اساسها النظريات ، كما تتمثل الناحية الثانيه في اللغة التي تختارها هذه العقليه كأداة للتعبير عن هذه النظريات ، فهذه الناحيه ليست شيئا عالميا ، بل لكل داع من دعاة الحضارات المنوعه في العالم اسلوب يخصه وينفرد به ، وهذا امر طبيعي ونحن اذا دعونا الي التغيير في العلوم التجريبية لا نريد الناحية الاولي ، وانما نريد الناحية الثانيه فقط .

واضرب لكم مثلا : من الحقائق العلميه ،ان كل شيء في العالم حينما يبرد ويتقلص ماعدا الماء ، فانه اذا اخذ في التجمد يمتد ، واذا تحول الي

---

(١) مواقف حاسمه في تاريخ العلم : ٤٨٩ ، ٤٩٠

ثلج يخفف وزنا ، ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء . هـذا امر يدل عليه الواقع العلمي والتجريبي . وهناك شخصان ، يعلـل احدهما الظاهرة بأن الماء له هذه الخاصية ، وهذا واقعة . والثانـي يقول في تعليله : إن الله أودع في الماء هذه الخاصية بحكمته البالغـة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع أن يعيش ما في الاحواض والانهار من مخلوقات وانه لو لم يحفظ الماء هذه الخاصية لكان الماء كلما تجمد رسب الـى الاسفل وانتهى به الامر الى تحول الاحواض والانهار والبحار بأسرها صخوراً من الثلج المتراكمة وما استطاع كائن حي أن يعيش فيها .

تفكروا : واقع بعينه يعبر عنه شخصان بأسلوبين مختلفين ووفق فكرتين متباينتين كل من هذين الاسلوبين يترك في ذهن القارئ او الطالـب أثرين مختلفين : اسلوب يعبر عن الواقع ، ويثبت في الوقت نفسه في ذهن الطالب عقيدة وحدانية الله وحكمته وربوبيته ، واسلوب اخر يعبر كذلـك عن الواقع الا ان الفرد لا يمكنه ان يستمد منه تصورا للإله بل فوق ذلـك يصور هذا الاسلوب في الفرد فكرة تقول : ان الذي يجري في هذا الكون يجري بنفسه ، لا يد فيه لحكمة الصانع الحكيم ، ولربوبية الرب القدير .

ولكم ان تعرفوا من ذلك كيف أن إحدى الطريقتين لتدريس العلـوم التجريبية تعد العلماء الماديين بينما الثانية تعد العلماء المسلمين "(١)

بقيت ملاحظة اخيرة على مؤلفات علم الاحياء . فعند حديث المؤلفين عن اسس تصنيف الكائنات الحية اوضحوا ان العالم السويدي "لينيوس ١٧٠٧ - ١٧٧٩" وضع الاسس العلمية الحديثة لتصنيف الكائنات الحية وهي كالآتي :

" ١ - اوجه الاختلاف والتشابه في المظهر والتركيب الخارجي للكائنـات الحية بما في ذلك وسائل تغذيتها .

---

(١) دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الاسلامي : ٣٣ - ٣٦ .

٢ ـ البنية الداخلية للكائن الحي واوجه تشابهها أو اختلافها مع غيرها من الكائنات الحية (لقد كان اسهام لينيوس في هذا المجال محدودا)

٣ ـ طرق تكاثر الكائن الحي "(١) .

هذه هي المعايير والاسس التي على اساسها تصنف الكائنات الحية ، وحين تراجع ما كتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية فيما كتبه مؤلفوا مقررات الاحياء نجد انهم صنفوا الكائنات الحية في مجموعات معتمدين فقط على اساس واحد ومن ثم قرروا جعل الانسان في مجموعة واحدة من الحيوانات تسمى "الفقاريات" وكان الاساس الذي اعتمد واعليه في التصنيف هو "التشابه في المظهر والتركيب الخارجي" وقد صرحوا بذلك في احد الكتب المقررة فقالوا :

" ... ما هي الاسس او المعايير التي تستعمل لتصنيف الكائنات الحية في مجموعات ؟

سوف لا ندرس هنا جميع الاسس وسنكتفي باساس واحد رئيسي وهو التناظر في التركيب " Homology " او الاعضاء المتشابهة في الاصل .

فمثلا جميع الاطراف الامامية في الفقاريات (شكل ٧ ـ ٢) وإن كانت تبدو مختلفة لاول وهلة ذات اصل واحد ، فجناح الخفاش وقدم الحصان ، وزعنفة الحوت مثلا ، لها نفس التركيب ، فهي تتركب بشكل عام من عضو وساعد ورسغ ويد كما تتشابه هذه الاطراف في تركيب العضلات ايضا ... "

وفي الشكل (٧ ـ ٢ تركيب الاطراف الامامية في بعض الفقاريات) جاءت صورة يد الانسان ... ؟ . (٢)

---

(١) مقرر العلوم للصف الاول المتوسط : ١٢٣ .
(٢) علم الاحياء للصف الثاني الثانوي : ١٠٨

وقد سبق ان اوضحت عند الحديث عن فرضية التطور سقوط الزعم القائل بانحدار الانسان من اصل حيواني ، وذلك بذكر آراء علماء الاحياء المعاصرين لدارون واللاحقين له وبالتالي يسقط الزعم بتشابه الانسان مع اى من الحيوانات.

٤ـ اما اللغة الانجليزية فقد تضمنت مقرراتها الحديث عن الشعوذة والسحر ، واختلاط الرجال بالنساء ، وشرب الخمرة ، وسوف استعرض شيئا مما ورد فى هذه المقررات(١) .

ففى مقرر الصف الثالث الثانوى القسم الادبى "الاسهل" وهو مجموعة قصص جاء فى الصفحة السابعة قصة فتاة اسمها اليكسندرينا زوجت من رجل بخيل تزور أمها وتشكو لها من معاملة زوجها ، وتقول لها : "اذا لم تستطيعى مساعدتى فإنى سابحث عن المساعدة فى مكان آخر".

" If you cannot help me , I will look for help elesewhwere ".

والمكان الاخر فى عرفهم الانحراف والتحلل اى تصاحب لها رجلا يساعدها على التخلص من هذا الزوج .

وجاء فى الصفحة الستين عن "قصة" "الشلن" الذى يحكى قصته مع من يملكه فيقول : "... ارسلت الى دكان لشراء بعض الخمر"

" I was sent to a shop for some wine".

وفى الصفحة الحادية والستين تمكين لهذا المعنى بالسؤال عن الاتى :
"لماذا ارسل الشلن الى دكان الخمر ؟"

"8" Why was the shilling sent to a wine-shop?

---

(١) تدور قصص ومسرحيات الكتب المقررة حول هذه القضايا . وقد رأيت ان انقل فقرات مختصرة تدل على ماتحويه بقية القصة او المسرحية .

وجاء في الصفحة السابعة والثمانين قصة بعنوان "قصة حلم" وهي تحكي حفل رقص مختلط بين الرجال والنساء جاء فيها مانصه على لسان صاحب الحلم "كنت احد الضيوف المدعوين الى حفلة رقص خاصة في منزل ضخم جميل"

" I was one of the guests at a private dance alarge and pleasant house ".

ثم جاء في آخر الصفحة مايلي : "لقد تعرفت على الفتاة التي ترقص مع الرجل" .

وجاء في الصفحة السابعة عشرة بعد المائة قصة رجل قابل امرأة جميلة فهو يصف محاسنها بقوله :

" . . رأيتها لأول مرة في المساء عند العشاء ، كان لابد أن تكون جميلة ، وجمالها واضح - الابيض والاسمر والاحمر وجهها يشع بياضا - شعرها اسود ، شفتيها حمراوين ، وأصبعها طويل رقيق " .

" Int the evening at dinner I saw here for the first time ...."
She had to be beautiful, and herbeauty was clear white, black, red, the face was shining white , the hairvery black, the lip s very red. Her figure was tall andother thim. "

وفي الصفحة الخامسة والاربعين بعد المائة - قصيدة شعرية جاء في احد ابياتها مايلي :

هب للرجل فتاة يحبها　　　كما انى يا حبيبى احبك
Give a man a girl he can love,
As I, O my love, I love thee;

وجاء في مقرر القصة للصف الثالث ثانوي ، علمي ، وادبي وهي بعنوان "حول العالم في ثمانين يوما" مايلي :

فى الصفحة الثالثة والاربعين يصف الكاتب عطية انقاذ امرأة هندية من الحرق من قبل الاوروبى صاحب الرحلة حيث كانت ستحرق بالنار مع جثة زوجها فى الهند ، ويقول عن الرجل الذى انقذها انه :

" توجه مسرعا نحو المسافرين حاملا المرأة بين ذراعيه وقال هيابنا " .

" in his arms , he came quickly towards thetravellers, came up to them and said " L et us go!"

وفى الصفحة الخامسة والاربعين يتحدث مؤلف القصة عن المرأة الهندية التى انقذت من الحرق فيقول :

" كانت جميلة بكل تاكيد تتكلم الانجليزية بطلاقة . امرأة فاتنة مثقفة "

" She was certainly beautiful. She spoke English per-fectly, and was in every way a charming and educatied woman".

وفى الصفحة السادسة والاربعين يقول مؤلف القصة مخاطبا القارئ :

" والتخيل افضل من الوصف - لدهشتها - اى المرأة - حين وجدت نفسها ترتدى ملابس اوربية فى عربة قطار مريحة بين رفاق غرباء عليها "

" It may be better imagined thandes cribed how suprised she was to find hereself dressed in European clothes, in a comfortable railway carriage, among companions whowere quite stangers toher !".

وتتضمن شخصيات القصة الخادم واسمه " باسبرتو " وسيده اسمه " فلة أوتوك) ورجل المباحث واسمه " فيكس " بالاضافة الى المرأة الهندية المنقذة من الحرق ومن الصفحة الخامسة والستين حتى الصفحة السبعين من الكتاب حديث عن الخادم ورجل المباحث وشربهم للخمر . فقد جاء فى الصفحة الخامسة والستين مايلى :

" ذهبا - اى الخادم ورجل الباحث - الى صالة شرب فى نهايتها فراش كبير ينام عليه العديد من الناس ويوجد بها مايقرب من ثلاثين شخصا يشربـــــون الخمر" .

" They went into a sort of drinking-hall. At the end of the room there was a big bed on which several people were lying a sleep. There were about thirty people here sitting at tables and drinking .

وفى الصفحة السادسة والستين جاءت هذه العبارة :

" وأمر" فيكس " بزجاجة اخرى "

" Here fix ordered another bottle."

وفى الصفحة التاسعة والستين جاءت هذه العبارة عن الخادم :

" لقد شرب " باسبرتو " حتى الثمالة

P. 14. Passepartout has drunk too mucth".

وفى الصفحة السبعين جاءت هذه العبارة من قول رجل الباحث للخادم

" اشرب هذه الكاس " فانها ستنفعك ".

" Drink this, it will do you good" .

وفى الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائة جاءت هذه المحادثة بين السيد الذى انقذ المرأة الهندية والمرأة الهندية ثم حضور الخادم اليهم .

" قالت المرأة الهندية : اتقبلنى زوجة لك ؟

فأغلق عينيه ثم فتحهما وقال : انى احبك نعم انى احبك وانا لك .

ولما حضر الخادم رأى سيده والمرأة متشابكى الايدى ".

"Will you have me as your wife? ....

" I love you. Yes , I love you and am yours!"

He at once called passepartout. He came .

He saw his master and Aouda holding hands".

وفى مقرر الصف الثانى الثانوى القسم الادبى وهو عبارة عن " مسرحية بعنوان العكس بالعكس " وهى تتحدث عن رجل اوربى اسمه " براد ين " ذهب الى الهند وحصل من رجل هندى مقدس !! على حجر الامانى وهو حجر إذا إستحطه انسان تحقق له مايتمناه وكان لهذا الاوربى ابن أخت لا يحب الذهاب الى المدرسة ويتمنى أن يتحقق له ذلك وان يذهب عوضاً عنه والده فلما رجع الاوربى "براد ين " الى بلده أخذ ابن أخته هذا الحجر واستحطه فتحول الى أب وتحول أبوه الى ابن وذهب عوضا عن الابن الى المدرسة .

وتدور مشاهد ١٨ صفحة حول الاوربى وابن اخته وحفلاتهم الراقصة المختلطة وحجر الامانى بالاضافة الى أشخاص آخرين مثل مدير المدرسة التى يدرس فيها (دك) إبن بول وابن اخت " براد ين " و "بول" وابنته (بربارا) واكتفى هنا بنقل ترجمة نصين من المسرحية

جاءت فى الصفحة السادسة هذه المحادثة بين " براد ين " وأبن اخته عن الهندكوالمقدس !! وحجر الامانى

" انه رجل مقدس اعطانى هذا الحجر (حجر الامانى) .

الطفل يسأل : ايمكن ان يشفى المرضى .

الخال : ربما يستطيع إنه يعطيك ماتتمنى ".

" He was a holy man and he gave me this stone because I helped him "

....

Dick: can it make sick people well again?

Paradine: Perhaps it can ....

this stone will give what you wish for".

وفى الصفحة السادسة والستين يدعو الاب " بول " الدكتور " جريم " لمراقصة ابنته .

" يقول " بول " الاب : إنهم يرقصون يادكتور " جريم " ستشارك في الرقص
سترقص مع إبنتي (باربارا) ".
يجيب الدكتور جريم : لا احسن الرقص
تجيبه البنت باربارا قائلة : أنا أعلمك (ويناول ذراعه لها)
Music is heard,

" Paut: Ah, they are dancing. Dr% Grimstone, you will jointhe dance, won't you. you shall dance with my daughter, Barbara .
Grimstone: I do not dance very well,
but . He offers his arm to Barbara,
Barbara: I'll teach you Dr. Grimstone and Barbara go out.

أما مقرر الصف الثالث المتوسط فإنه يدور حول اربعة من الاخوة اثنان منهما من العرب هما " سمير وسلمى " واثنان من الانجليز هما " جورج " و " ميرى " وهم من طلاب الصف الثالث المتوسط. وقد قاموا برحلات الى كل من تدمر بسوريا، وبريطانيا فقد سافر كل من جورج وميرى الى تدمر وهناك التقوا بسمير وسلمى. كذلك سافر كل من سمير وسلمى الى بريطانيا وفي الايام التي لا يخرجون فيها الى رحلات كانوا يجلسون سويا وكل منهم يروى للاخر قصة.

هذا ملخص ما تدور عليه دروس الكتاب وهذه نماذج مما يحتويه الكتاب .

في الدرس التاسع من الصفحة الثامنة والخمسين الى الصفحة الثالثة والستين حديث عن رحلة قام بها الى حلب . هؤلاء الاربعة ومعهم السيد كرم زاروا خلالها الاثار وامضوا يوما ممتعا في حلب .

وفي الدرس العاشر تاتى قصة يقصها احد هؤلاء على زملائه وهى قصة حدثت في اسكتلندا :

مزارع له حقل وأراد أن يستصلح منطقة من هذا الحقل وهى منطقة وعرة فلما بدأ فى ذلك خرج عليه من تحت هذه الارض رجل غريب يسكن تحت الارض وهو بلحية سوداء وعينان مخيفتان وقال : ابتعد عن أرضى لقد حطمت منزلى، ولكنهما اتفقا أخيراً على زراعة المنطقة المستصلحة والواقعة فوق بيت هذا الرجل الغريب بشرط أن يكون المحصول الناتج من الزراعة فوق الارض لاحدهما فى السنة الاولى والجذور للاخر وفى السنة الثانية بالعكس وهكذا .

وفى الصفحة الرابعة والاربعين بعد المائةتأتى قصة أخرى من القصص التى يقصها هؤلاء الفتيان على بعضهم وهى قصة حدثت فى التزويج ملخصها كالاتى :

" اقطاعى غنى ولكنه بخيل له دين على فلاح والفلاح لديه بنت جميلة فأراد الاقطاعى أن يتزوج البنت مقابل الدين الذى للاقطاعى على الفلاح ولكن البنت رفضت ذلك وعزمت ووالدها على السخرية بالاقطاعى وفى ليلة الزفاف أرسل الاقطاعى خادمه الى الفلاح ليرسل معه ما اتفقا عليه وهى " البنت " فقال الفلاح للغلام اذهب الى الحقل وخذها الى سيدك فلما قابل الفتاة قالت له تلك المهرة خذها فذهب بها الى بيت سيده ودون أن يراها امره بادخالها فى غرفة خاصة وأن يلبسوها أحسن الثياب وحضر الضيوف وشاهدوا العروس " .

كانت هذه نماذج مما يدرسه الطلاب فى مقررات اللغة الانجليزية لقد تخرج عدة اجيال على دراسة مثل هذه النماذج ، حديث عن السحر والشعوذة وعن اختلاط الرجال بالنساء والمراهقين بالمراهقات وعن حفلات الرقص المختلط المصحوب بشرب الخمر كامر طبيعى لا شبهة فيه . هذا فى الوقت الذى يدرس فيه الطلاب ماينافض ذلك فى مقررات العلوم الدينية ويعيشون واقعا ليست فيه هذه الرذائل امورا طبيعية وانما هى امور ممقوتة ممقوت من يفعلها .

يدرس الطلاب فى كتاب التوحيد حق الله على العبيد المقرر على المرحلة المتوسطة لمؤلفه الامام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله . حرمة السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم واحكام من يتعاطى هذه الامور ويفعلها فى ابواب سبعة هى

الابواب الاتية : باب ماجاء فى السحر ، باب بيان شئ من انواع السحر باب ماجاء فى الكهان ونحوهم ، باب ماجاء فى النشرة ، باب ماجاء فى التطير ، باب ماجاء فى التنجيم ، باب ماجاء فى الاستسقاء ، با لانواء.

كما يدرس الطلاب فى المرحلة الابتدائية مايدل على تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء ووجوب تستر المراة عن الرجل الاجنبى فمن ذلك حديث " مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع "(١) .

الذى يدل على وجوب التفريق بين الاخوة فى المضاجع عند بلوغهم سن العاشرة ذلك فى حال النوم بالنسبة للاخوة . فكيف بالاختلاط فى حال اليقظة بين الرجال والنساء الاجانب وغيره من الاحاديث هذا بالاضافة الى انهم ولله الحمد يدرسون منفصلين فهناك مدارس للبنين وهناك مدارس للبنات.

كما انهم يدرسون فى المقررات الدراسية للعلوم الدينية فى الفقه والحديث حكم شرب الخمر وحد شاربه ويعلم الطلاب ان من يثبت عليه شرب الخمر باقراره او الشهاد عليه فى المحاكم ـ يقام عليه الحد .

فكيف يوفق الطلاب بين مايوجد فى مقررات اللغة الانجليزية ومقررات العلوم الدينية ؟

على انه قد غيرت مقررات اللغة الانجليزية فى السنتين الاولى المتوسطة والاولى الثانوية وهى افضل حالا من سابقتها (٢) .

---

(١) ضع تخريجه عند الحديث عن الاختلاط فى التعليم .

(٢) ستتغير بقية مقررات اللغة الانجليزية فسوف يغير عام ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ مقرر الصف الثانى المتوسط والثانى الثانوى وعام ١٤٠٣/١٤٠٤ مقرر الصف الثالث المتوسط والثالث الثانوى .

بيد ان مؤلفي الكتاب غير مسلمين وكان المفترض ان يؤلف هذه الكتب جماعة من المسلمين ولا تعدم وزارة المعارف ان تجد المتخصصين في اللغة الانجليزية من المسلمين. وان تكون الموضوعات التي تدرس تتفق وتنسجم مع ما يدرسه الطلاب في مناهج العلوم الدينية وان تشتمل على موضوعات معينة مثل :

١ ـ الحديث عن شخصيات اسلامية مع التركيز على مواطن القدوة في سلوكهم

٢ ـ معارك اسلامية مع التركيز على ان الجهاد باق الى يوم القيامة يقف عقبة في وجه انتشار الاسلام بالدعوة وانه ذروة سنام الاسلام.

٣ ـ دور المسلمين في رقي العلوم بكافة انواعها وان الغربيين قد استفادوا من المسلمين.

٤ ـ موضوعات عن تصرفات سلوكية ينبغي التحلي بها وتصرفات سلوكية ينبغي البعد عنها.

٥ ـ موضوعات عن البلاد الاسلامية من كافة النواحي مع بيان متى دخلها الاسلام.

٦ ـ موضوعات عن المملكة والنهضة التعليمية والزراعية والصناعية التي تعيشها.

٧ ـ موضوعات تنمي في الطالب الولاء لله ولرسوله ولاخوانه المسلمين في كافة انحاء المعمورة وهذا ما تنص عليه ايات القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تبنته السياسة التعليمية للمملكة في اكثر بنودها.

وغيرها من الموضوعات وكل ذلك يكون عن طريق القصة والحوار والمسرحية لا بالاسلوب المباشر وبهذا نحقق الهدف الذي نصبو اليه وتبنته السياسة التعليمية في المملكة من اعداد الطالب كانسان صالح ـ والانسان الصالح هو المسلم الملتزم بدينه ـ دون اخلال بالمتعة الفنية في عرض الموضوعات.

المطلب الخامس :

آثار العلمانية فى التربية والتعليم

كان لعلمنة التعليم التى بدأ بها المستعمرون ثم اكمل المسيرة بعدهم تلاميذهم كان لها آثار سيئة على المجتمع الاسلامى ، وعلى مناهج الدراسة ، وبالتالى على الدارسين على النمط الغربى . ولا أدعى ذلك جزافا ، فأقوال المستشرقين والمفكرين المسلمين الذين سبروا غور التعليم العلمانى وعايشوه توضح ذلك .

فالمستشرق " جب " يقول :

" .. واذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح الذى نسير به غـــور التأثير الذى أحدثته الثقافة الغربية فى العالم الاسلامى يجب أن ننفــذ الى الباب الامور وأن ننفذ أولاً الى الحركات التى تقوم على تشرب الافكـــار الغربية تشرباً يبعث على الابتكار ، بعد استعداد داخلى قوى وكل ما عدا هذا فهو سطحى .

وبما شق الامر ، فلا بد أن نبذل الجهد فى أن نتبين تلك العناصر التى تكوّن حقاً صرح ثقافة جديدة من مجموعة العناصر المنقولة ، التى تراكمت فى العالم الاسلامى ، والتى كثيرا ما تكون قشورا زائفة .

والتعليم هو اكبر العوامل التى تعمل على" الاستغراب " والحق أنـــه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة تعليم كل ما تدل عليه ، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستغراب فى العالم الاسلامى الا بمقدار دراسته للفكر الغربى ، وللمبادىء الغربية والنظم الغربية ولكن هذا التعليم ذو انواع كثيرة وتقــوم به جهات متعددة ، وبالطبع لا بد أن هناك بالفعل قليلا من التعليم علــى الاسلوب الاوربى ، فى المدرسة وفى الكلية الفنية وفى الجامعة وعلى هـذا التعليم يتوقف ما عداه .. "(١)

---

(١) وجهة الاسلام : ٢١٣ ، ٢١٤ .

ثم يقول : " رأينا مراحل دخول هذا التعليم فى بلاد الاسلام المختلفة ورأينا الاثر الذى احدثه فى عقول الزعماء العلمانيين وقليل من الزعماء الدينيين فى العالم الاسلامى ، ولكن إذا سلمنا بما يقال عادة من أن ٩٥ فى المائة من المسلمين أميون (وان كان هذا التقدير يخص بالنظر الى الجيل الناشىء والى سرعة نشر التعليم الأوروبى فى كل البلاد الاسلامية، وتنبئنا أحدث الأرقام ان أكثر من خمسمائة الف طفل يتعلمون فى المدارس الأولية فى مصر) واذا لم يكن بد من التسليم ايضا بأن نصف المتعلمين على الأقل تلقوا العلم على الأسلوب القديم وحده فإن الثلة الباقية من المتعلمين على النسق الأوروبى قلية جداً حتى أنها لا تكفى - رغم مكانتها الفائقة فى تعليل النزوع الى الروح الغربية نزوعاً عاماً نكاد نشاهده فى كل اصقاع العالم الاسلامى ، ثم ان انتشار التعليم سيبعث بازدياد فى الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه ولا سيما لاقترانه بالعوامل التعليمية الأخرى التى تدفع الشعوب الاسلامية فى نفس الطريق ... "(١)

ويختم المستشرق " جب " حديثه بقوله :

" ... كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية أنها حررت ، بقدر ما كان لها من تأثير نزعة الشعوب الاسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالبا ، وهذا وحده تقريبا جوهر كل نزعة غربية فعالة فى العالم الاسلامى وهو يؤتينا المعيار الذى نقيس به قوة الرأى الحديث والرأى المحافظ أحدهما بالنسبة للآخر ، ان الاسلام من حيث هو دين قد فقد الكثير من قوته، وأما من حيث المسيطر على الحياة الاجتماعية فإنه أضطر الى النزول عن عرشه ، ذلك أنه الى جانبه قوى جديدة يصدر عنها سلطان يناقض تقاليد الاسلام وأوامره الاجتماعية ، بعض الأحيان ولكنه رغم هذا - يشق طريقه بالقوة غير مبال بتلك الأوامر ولكى نصف الموقف فى أبسط العبارات نقول ان ما حصل هو هذا : الى عهد قريب لم يكن للرجل العادى بين الرعايا المسلمين مآرب أو أعمال سياسية ولم يكن له أدب قريب المنال الا الأدب

---

(١) المصدر السابق : ٢١٤ .

الديني ، ولم تكن له أبعاد ولا حياة اجتماعية الا مقترنة بالدين ، فكـــان الدين عنده كل شيء ، اما الآن فقد اتسع مدى مصالحه في كل البلاد الراقيـــة ولم يعد نشاطه مقيداً بالدين ، وصمت المسائل السياسية تحـــت نظره وقرأ أو قرئ له عدد من المقالات في موضوعات متنوعة لا علاقة لها بالدين وربما لا تتعرض لوجهة النظر الدينية مطلقاً ، كما أن الحكم عليها قد يكـــون مقيداً بمبدأ مختلف عن مبادئ الدين ، كل لا اختلاف ، هو يجد أن الرجوع الى المحاكم الشرعية لا يغنيه شيئا في كثير من مصاحب حياته شيئا في كثـــير من مصاحب حياته ومشاكلها بل يجد نفسه خاضعا لقانون مدني قد لا يعلـــم له مصدراً صحيحاً يستمد سلطانه منه ، ولكن لا شك أن هذا القانون لا يستمد سلطانه من القرآن ولا من السنة ولم يعد الدين هو الرابطة الاجتماعية الوحيدة أو على الأقل الكبرى بينه وبين اخوانه ، اذ أن مهام أخرى لا تمت الى الدين بصلة ترغمه على الالتفات اليها وهكذا ترى سلطان الاسلام قد انفصت عـرا عن حياته الاجتماعية وهذا السلطان ينحسر شيئا فشيئا حتى يقتصر على دائرة صغيرة من الأعمال حدث كثير من هذا في غفلة من الناس ولم يفطن اليه الا عدد قليل من المتعلمين ولم يعمد الى تحقيقه الا عدد اقل من ذلـــك ولكن التيار سار جارفا لا يلوى على شيء وحيثما رسخت قدمه لم يعد رده ممكنا ويظهر من المستحيل الآن ولا سيما اذا راعينا ازدياد الطالبة بالتعلـــيم والازدياد في اتخاذ الأنظمة الغربية ان تنعكس الآية وان يعود الاســـلام الى استئثاره بالسلطة الاجتماعية والسياسية استئثارا لا ينازع فيه . . "(1)

استمر تأثير الواقع التعليمي - المتمثل في التعليم العلماني - الـــذي تحدثه "جب" حتى الآن ، فالنظريات والأفكار في مجال التربية والتعلـــيم والاجتماع وعلم النفس تدرس في جامعات العالم الاسلامي من وجهة النظـــر الغربية الصرفة للأسف . ويتعصب لها معلموها كما لو أنها من بنات أفكارهـــم وهذه هي التبعية الفكرية بعينها . وقد ناقشت بعض أفكار وآراء المختصين بالتربية من أبناء المسلمين فيما مضى من البحث ، وليت هؤلاء حين يدرســـون

(1) وجهة الاسلام : ٢١٧ ، ٢١٨ .

هذه الافكار والنظريات يدرسونها كأفكار ونظريات قابلة للنقاش لبيان الأمر .

ويقول المستشرق ولفرد كانتول سميث في سياق حديثه عن حركة التحرر الاباحية التي سادت العالم الاسلامي ما يلي :

" . أن من أهم أسباب حركة الحرية الاباحية التي تسود اليوم في العالم الاسلامي ومن اكبر عواملها نفوذ الغرب ، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في أوربا من أواخر القرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ، وهكذا شأن نهضة أوربا وتقدمها ، وقد سافر كثير من الشباب المسلم الى الغرب ، والحلموا على روح أوربا وقيمها واعجبوا بها الى حد ، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوربا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام وهم الذين سببوا اتسيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه الى العالم الاسلامي وقد حازت قصب السبق في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على النمط الغربي الحديث ، وكان ما صدره الغرب الى العالم الاسلامي تلك الافكار المتعددة الجديدة التي تقع من الأهمية والدقة بمكان ، والاتجاهات العقلية الدقيقة الخفية والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث وفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية الجديدة ، ونفوذها الزائد ومنها ما يسلط اجباراً ، وما يحاول تسليطه ، وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر ، ان بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً ، وبعضهم قد رحب بهذا التيار بدافع من أنفسهم ، واتضح ذلك ان كثيراً من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات والمعاهد كحقيقة ثابتة وخضعوا لها بالتدريج ، وهكذا استمر عمل التغريب بسرعة وقوة بالغتين "(1)

ولا يحتاج هذا النص مني الى تعليق أو اضافة فهو واضح المعنى يتأيد بما قاله الاستاذ محمد أسد محذراً من التقليد الاعمى لنظام التعليم الغربي

---

(1) التربية الاسلامية الحرة في البلاد الاسلامية : ٣٤ .

" واذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمى فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ اليوم عن طريق قبول التعليم الغربى من غير وازع ما ، ان كل تأخرنا العلمى ، وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذى سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربى فى قوى الاسلام الدينية الكامنة ، اذا أردنا ان نحتفظ بحقيقة الاسلام على انها عنصر ثقافى ، فيجب علينا ان نحترس من الجو الفكرى الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا وبتقليد عادات الغرب وزيه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجيا مضطرين الى الأخذ بوجهة النظر الغربية .

ان تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئا فشيئا الى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك "(١)

هذه بعض آثار العلمانية فى التربية والتعليم على مستوى العالم الاسلامى كله ، وحيث أنه قد تختلف احوال بعض البلد ان الاسلامية عن البعض الآخر ، فإننى أذكر هنا بعض آثار التعليم العلمانى على بعض البلاد الاسلامية كل على حدة مستشهدا بأقوال المؤرخين لهذه الفترة وخاصة الغربيين - الذين يظهرون غبطتهم احيانا بهذه الآثار -

يقول صاحب كتاب الدين فى الشرق الأوسط عن علمنة التعليم فى تركيا - مقر الخلافة العثمانية - وعن أثره ما يلى :

" . . . ان عملية علمنة التعليم التى بدأت فى القرن التاسع عشر وصلت الى نتيجة منطقية . فلقد أزيلت كل آثار التعاليم التقليدية وأغلقت المدارس القديمة فلم يعد هناك مكان لتدريس التشريع الاسلامى ومنذ هذه اللحظة فصاعداً لم يعد هناك سوى نظام واحد فقط للتعليم الأورو - أمريكى الحديث .

---

(١) نفس المصدر السابق : ٢٧ ، ٢٨ .

لقد تأكد انتصار النظام الجديد وانتصار العلمنة بشكل دراماتيكي في عام ١٩٢٨ بالتحول عن الحرف العربي الى الحرف اللاتيني . ولقد كانت هذه خطوة أساسية أكثر مما هو ملاحظ عموما . وقد أظهرت هذه الخطوة وكأنها مجرد تكنيك للتحديث وربطت بحملة معرفية شاملة - وهو هدف جديد جداً بالثناء . ولكن الكثير غير هذا كان مستلزما .

لقد اعتمدت الأوجه الدينية للثقافة العثمانية ليس فقط على مجرد الكتب باللغة العثمانية التركية المكتوبة بالخط العربي ولكن أيضا على كتب عربية .

إن الأساس في الكل وهو القرآن ، كان يدرس ويتلى باللغة العربية . وحيث أن اللغة العثمانية التركية كانت تحتوى على نسبة كبيرة من المفردات العربية وخصوصا تلك المتعلقة بالدين والتشريع فانه كان من السهل لمن يستطيع قراءة اللغة العثمانية التركية أن يتعلم ويقرأ اللغة العربية .

ولقد بدّل تبني الخط اللاتيني جنبا الى جنب مع تبديل المفردات العربية بأخرى تركية بحته ، لقد بدّل ذلك كل هذا . ومن ثم أصبح القليلون فقط من المفكرين المتخصصين أو بعض الذين كرسوا أنفسهم هم فقط الذين يرغبون في تعلم العربية . أما المثقف العادي فبالاضافة الى أنه لا يتلقى اى تعليم ديني فقد قطعت امكانية تعلمه مباشرة (بواسطة القراءة) اى شيء من التراث الديني الاسلامي والثقافي . لقد كانت العلمنة مهيمنة "(١)

وفي اندونيسيا يحدثنا أحد أبنائها فيقول :

" . . . إن خريجي التربية الاسلامية التقليدية من النمط القديم أقوياء في ايمانهم في المقام الأول ولديهم الاستعداد للتضحية من أجل الاسلام ، غير أنهم انعزاليون من نظرائهم .

(١) الدين في الشرق الأوسط : ٦١٩ ، ٦٢٠ .

Religion in the Middle East A.J. ARBERY Vol: 619; 620

غير أن خريجي التربية الحديثة قد يكونوا مثقفين ثقافة عالية ويتمتعون بآفاق فكرية واسعة ولكنهم اقل تمسكا بعقيدتهم الدينية ويميلون للتفويض عن عقائدهم الاسلامية بالاتجاهات غير الاسلامية السائدة عن محيطهم "(١)

والمقصود بخريجي التربية الحديثة الذين تعلموا على النمط العلماني لا على النمط الاسلامي .

ويحدثنا ك.ك. برج الاستاذ بجامعة ليدن بهولندا عن أثر التعليم العلماني في اندونيسيا فيقول :

" ... إن التعليم الأوربي يعمل على قلب وجهة نظر الناس قلبا لا يقف عند حد ، وقوة الضربة التي تعانيها الثقافة الأهلية كل يوم انما يحس بها تمام الاحساس الاندونوسي الذين هم اكبر سنا ، أما الجيل الجديد فقد شب بين أحضان النظام الجديد ، ولم يظهره المعلم الأوربي على شئ من الثقافة الأهلية ، حتى أن هذا الجيل لا يحس بما بين الثقافتين من فرق احساسا قويا .. "(٢)

ثم يقول في بيان اثر التعليم العلماني على الشباب المتعلم ما يلي :

" لكثير من صغار الشباب المثقفين سلك إزاء الاسلام يختلف عن مسلك الجيل السابق أتم الاختلاف ، فقد اصبحوا بتأثير التعليم العلماني لا يعبأون بالدين في الجملة واذا احتكوا بالاسلام فكريا ما يميلون لقبول سلطان العلم ، والعلم بما في طبيعته من روح النقد ومن عدم اختصاصه بجماعة ما اظهر الاندونوسي على نقائض الاسلام وكثرة خداعه الديني - ومن ثم كان تمسكهم

---

(١) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم العالمي الاسلامي الأول : ٨/٤ ، ٥ من بحث مقدم عن اندونيسيا .

(٢) وجهة الاسلام : ١٨٩ ، ١٩٠ واما ما ادعاه المستشرق ك.ك. برج من نقائض الاسلام وخداعه الديني فهو كلام ينبئ عن الحقد والغيض في نفس هذا المستشرق ولن يجد ما يستطيع ان يعده نقيصة او خداعا فيما شرعه الله سبحانه وتعالى .

ببعض التقاليد الاسلامية لا يعد وكثيرا مجرد عادات باقية . (١)

وفى ماليزيا يعترف بروفيسور/ عبد الجليل حسن رئيس قسم الفلسفة والعقيدة الاسلامية بالكلية الاسلامية ، بأن الحكومة فى ماليزيا لا تعترف بأهمية التعليم الاسلامى فى البلاد ، وأنها تعتبر التعليم الاسلامى ما هو الا صورة باهتة لا تحتاج الى العناية الحقة ، ولأن الروح الاسلامى أمر خاص بالأفراد . ثم يقول : " وهذا هو سر ما وصلت اليه فى الوقت الحاضر ، فاننا لا بد من التعاون مع المسئولين حتى نستطيع أن نتفاهم معهم لنيل هذا الغرض الهام " (٢)

ولا ريب أن عدم الاعتراف بالتعليم الاسلامى فى البلاد أثر من آثار العلمنة كذلك عدم الاعتراف بالقضاء الاسلامى أثر من آثار العلمنة .

وفى الهند اعترف الزعيم الهندى محمد على بأثر التعليم العلمانى فى اهمال التعليم الاسلامى - كما اعترف بذلك بروفيسور عبد الجليل فى ماليزيا - اذ قال :

" ولقد كانت الحكومة البريطانية تحمل لواء الحياد الدينى الكامل ، فقد اقصت دراسة مادة الدين حتى دراسة الاخلاق تماما من الكليات ، وطبقت هذه السياسة التعليمية عليا فى ذلك ، ولم يبق من المعلومات الدينية والخلقية الا ما يتلقفه الطلاب بأنفسهم من الكتب الانجليزية أو الكتب الدراسية المؤلفة بلغات الشرق .

كما أن نظرية التعليم التى وضعتها الحكومة للشباب الهندى ، كانت "حديثة" وكانت تهدف بجميع ما فيها من عوامل هدامة الى أن يتربى فى الطالب شعور خاطئ بعلمه وكبريائه ، يقضى على قداسة الرواية والحجة والاسناد بأوهامه التى يرجع تاريخها الى ما قبل قرون ، ومما لا شك فيه أن هذا التعليم سبب اثارة داغع التحقيق والبحث عن الحقيقة مع سايرته

---

(١) نفس المرجع السابق : ١٩٢

(٢) تقارير وبحوث مؤتمر التعليم العالمى الاسلامى الاول : ٨/٣ من بحث عن ماليزيا .

للزمان ، غير أنه كان هداما فى جملته على الديانة والأخلاق ، اما ما أعطاه بدلا مما قضى عليه من "الأوهام الدينية" (كما يقول الغربيون) - فلا يقوم ايضا الا على أساس من الأوهام والعقائد الخرافية ،ولكن هذه الثقافة التى يتزود بها الطالب كانت حديثة لا شك". (١)

ويتحدث الأستاذ محمد أسد عن أثر مناهج التعليم ومقرراته على النمط الغربى العلمانى - على الناشئة المسلمة التى تتعلم على هذا المنهاج فيقول :-

" . . . لقد بسطنا فى الفصول الماضية بعض الأسباب المؤيدة للرأى القائل بأن الاسلام والمدنية الغربية - وهما يقومان على فكرتين فى الحياة متناقضتين تماما - لا يمكن أن يتفقا ، فاذا كان ذلك كذلك فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة احداث المسلمين على أسس غربية ، تلك التنشئة القائمة فى مجموعها على التجارب الثقافية الأوربية وعلى مقتضياتها ، خالصة من شوائب النفوذ المعادى للاسلام .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، وإننا إذا إستثنينا بعض الأحوال النادرة التى يتاح فيها لعقل نير للغاية ان يتغلب على مادة التعليم ، فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ، ستفضى حتما الى زعزعة إرادتهم فى أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم ممثلوا الحضارة الالهية الخالصة التى جاء بها الاسلام ، وليس ثمة من ريب فى أن العقيدة الدينية آخذه فى الاضمحلال بسرعة بين "المتنورين" الذين نشأوا على أسس غربية ." (٢)

ويتحدث أسد عن تأثير تدريس الأدب الأوربى فى الجامعات الاسلامية فيقول :

" . . ان تعليم الادب الأوربى على الشكل الذى يسود اليوم الكثير من المؤسسات الاسلامية يقود الى جعل الاسلام غريبا فى عيون الناشئة

(١) التربية الاسلامية الحرة فى البلاد الاسلامية : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) الاسلام على مفترق الطرق : ٦٧ ، ٦٨ .

المسلمة ، ومثل هذا - ولكن الى حد أبعد - يصدق على التحليل الأوروبي للتاريخ العام ، اذ لا يزال الموقف القديم فيه : " رومانيون وبرابرة " يظهر بجلاء " ، ثم أن لمثل هذا المرض فى التاريخ هدفاً خفياً ذلك أنه يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء . أو يمكن أن يجيء الى هذا العالم ، وهكذا يمكم خلق نوع من التبرير الأدبي لسعى الأوربيين الى السيطرة والى القوة المادية "(١)

ثم يتحدث عن تأثير تدريس مادة التاريخ على النمط الغربي فيقول :

" أما التأثير الوحيد الذى يمكن ان يتركه مثل هذا التثقيف التاريخى فى عقول الاحداث من غير الشعوب الأوروبية ، فإنما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة ، وماضيهم التاريخى الخاص ، والفرص السانحة لهم فى المستقبل ، وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم اللهم الا اذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية "(٢)

---

(١) نفس المصدر : ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) نفس المصدر : ٧٦ .

الخاتمة

وتتضمن ما يلي :

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية أي مبرر لدعوتهم ؟

٢- حكم الدعوة الى العلمانية في العالم الاسلامي ؟

٣- كيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

الخاتمــة :

تحدثت في الفصول الماضيه عن عوامل العلمانيه في العالم الغربـــي ، وفي العالم الاسلامي ، واوضحت انها نشأت في العالم الغربي نتيجة لعوامل أدت الى ظهورها ، وأنها من بعد ذلك انتقلت الى العالم الاسلامي نتيجــة لوجود عوامل معينة ساعدت على تقبلها بل وعلى أن يعتنقها كفكرة وعقيدة نفر من ابناء المسلمين يكافحون عنها ويدعون اليها صراحة أو تحت شعارات كالقوميـــة والوطنيه والديمقراطيه والاشتراكيه ، أو أى شعارات أخرى من الشعارات المطروحة على الساحة الفكريه .

وفي هذه الخاتمه لابد لي ان اجيب على تساؤلات مهمة تتلخص فـــي الاتي :-

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم الاسلامي أى مبرر منطقـــي مقبول للدعوة الى العلمانيه ؟ واذا كان يوجد فما هي هذه المبررات ؟

٢- اذا لم يوجد لدى دعاة العلمانية في العالم اى مبرر ؟ فما حكـــم الدعوة اليها في بلاد الاسلام ؟

٣- واذا كان الحكم ان الدعوة الى العلمانية مخالف لمنهج الله فكيـــف السبيل للتخلص من العلمانيه وآثارها ؟

١- هل يوجد لدى دعاة العلمانيه مبررات مقبوله ؟

تبين لنا مما سبق عوامل نشوء العلمانيه في الغرب ، وعوامل انتقالهـا الى العالم الاسلامي ، وعرفنا نماذج من أثر العلمانيه في المجال التربـوي والتعليمي في العالم الاسلامي .

وقد كانت هذه العوامل في العالم الغربي من نوع التفسير لما حصـل في الواقع الاوربي ، ولم تكن من نوع التبرير ، فإنه لا مبرر للخروج على الديـن الى الـ " لا دين " ، فقد كان بوسع مفكري اوربا البحث عن الدين الصحيـح ، اذ أنه ليس حتما على اي مجتمع ابتلي بدين محرف تام على تحريفه من يحـددون حماته - أن يخرج عنه ليصبح مجتمعا لا دينيا بل الافتراض الصحيح هو ان يبحث عن الدين الصحيح بيد ان ما حصل هو خروج مفكري اوربا عن الدين المحـرف الى اللادين ، كرد فعل عاطفي ضد رجال هذا الدين المحرف ، وبهـذا انتقلت اوربا بسبب هؤلاء المفكرين من جاهليه وانحراف يتسم بمسوح الديـن الى جاهلية ترتدي مسوح التحرر من الدين ، ولو ان مفكري اوربا فكروا بما وهبهم الله من عقول في البحث عن الدين الصحيح لاهتدوا اليه ، ولدخل الناس بسببهم في دين الله افواجا .

واذا سلمنا جدلاً بأن ما حدث في اوربا يبرر نشوء اللادينيه في تلـك البلاد ، فما التبرير الذي يتعلق به دعاه العلمانيه من ابناء المسلمين ، مفكرين عامه وتربويين خاصة ، حين يرفعون عقيرتهم بالدعوة الى العلمانية بوضوح ، او تحت شمارات ، كالوطنيه والقوميه والديمقراطيه ، والاشتراكيه .

هل يوجد في الاسلام عقيده مستغلقه على الافهام ، كعقيدة التثليث هل وجد في تاريخ الاسلام امثال بولس وقسطنطين وهل وجدت مجامع تمـارس التحريف في العقيده كما وجد عند النصارى ؟ هل تعرض القرآن الكريـم

للتحريف كما تعرض الانجيل لذلك حتى اصبح عدة اناجيل ؟ وهل تعرضت الشريعة الإسلامية للتحريف كما تعرضت الشريعة التى ارسل بها عيسى عليه السلام؟ هل ابتداع علماء المسلمين بدعاً من امثال ما ابتدعه رجال الكنيسة ؟ من بدعة رجال الدين الى بدعة الرهبنة ، الى بدعة الخطيئة الموروثة ، الى بدعة صكوك الغفران ؟ وهل يوجد في القرآن مايوحى بذلك ، فضلا عن ان يقرر ذلك ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي طغيان العلماء الدين كما حصل في الغرب حيث طغى رجال الكنيسة على الناس الطغيان الذى ذكرت بعضا من صوره ؟ وهل وجد في التاريخ الاسلامي مهازل صكوك الغفران ؟ وهل يوجد في العقيده الاسلامية مايسمي بالخطيئة الموروثه ؟

وابدأ الآن بالاجابة على هذه الاسئلة مرتبة مستندا الى القرآن والسنه ووقائع التاريخ ؟

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارسل غيره من الانبياء بعقيدة التوحيد قال تعالى :

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت." النحل ٣٦

وهى عقيدة موافقة للعقل ومتسقه مع الفطرة ، بل هى الفطرة بذاتها التى يعد ماعداها ضلالا وانحرافا .

" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " الروم : ٣٠ .

هذه العقيده الفطريه السهله غير المستغلقه على الافهام - التوحيد - تشرحها سورة الاخلاص التى نزلت جوابا لسؤال اليهود او مشركى مكه : يامحمد هذا الله خلق الناس فمن خلقه ؟ (١)

---

(١) جامع البيان [illegible] عن تأويل آى القرآن ٣٠/٣٤٢ ، ٣٤٣

وقد تنوعت اساليب القرآن في نفي الشرك ومنه - التثليث -

قال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" المؤمنون : ٩١ .

وقال تعالى : " أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون " سورة الانبياء : آية ٢١ ، ٢٢ .

ونعى الله سبحانه وتعالى على النصارى عقيدة التثليث التي اخترعها رجال الكنيسة .

قال تعالى : " قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا" آل عمران : ٧ "

وهكذا لم يتضمن القرآن انكار الشرك عموما بل افرد الحديث عن قضية التثليث في عدة مواضيع من سورة القرآن (٢)

ولم يوجد في تاريخ الاسلام امثال بولس ولا امثال قسطنطين يحرفون العقيدة الاسلامية الصافية - التوحيد - ولم توجد في تاريخ الاسلام ايضا مجامع تمارس مثل هذا التحريف الذى حدث في النصرانيه .

اما القرآن فلم يتعرض للتحريف كما حصل ذلك للانجيل والتوراة وذلك لان الله تكفل بحفظه قال تعالى :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر : ٩

---

(٢) انظر فى هذا سورتى آل عمران والمائده .

أما الانجيل والتوراه فقد وكل الله حفظهما الى علماء دينهما " (١) غير انهم فرطوا في ذلك ، بل انهم حرفوا التوراة والانجيل بالزيادة والنقصان والكتمان ودليلي على عدم تحريف القرآن مايلي :

(١) لو اخذ انسان نسخة مطبوعة من القرآن من اقصى المغرب الاسلامي واخرى من اقصى المشرق وثالثه من اواسط افريقيا ، ورابعه من اوروبا أو امريكا وقارن بينها فانه لن يجد اى اختلاف بينها ، ولو قارن بين اجـــدى هذه النسخ المطبوعه ونسخة مخطوطه من القرآن فى اى مكتبة في العالم فسيجد انها متطابقة تماما وليس بينها اى اختلاف . (٢)

(٢) اخرج البيهقي عن يحيى ابن اكثم خبر اليهودى الذى حكى للمأمـون قصة إسلامه التى تتلخص في انه : اراد ان يمتحن الاديان ، فعمـد الى كل من التوراة والانجيل والقرآن ، وكتب من كل ثلاث نسخ زاد فيها ونقص ، ثم ادخل الانجيل الى الكنيسه ، والتوراة الى البيعــــة ، والقرآن الى الوراقين ، فاشتريت التوراة والانجيل منه ولم يشـــتر الوراقون القرآن بل اكتشفوا الزيادة والنقصان قال : فعلمت ان هـذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي . (٣)

بل ان السنه النبويه حفظت من عبث العابثين فقد قيض الله لها رجـالا يحفظون آلافا من الاسانيد والاحاديث عن ظهر قلب حتى ان احدهم لو شـك في كلمة او حرف لبين ذلك فى روايته اداء للامانه وتبرئه للذمه ، ولم يكتـف العلماء بذلك بل استنبطوا علما يسمى " علم مصطلح الحديث " الذى يتضمن

---

(١) انظر سورة المائده : ٤٤

(٢) ومايؤيد ذلك ان الجهات المحاربة للاسلام تخرج بين الفينه والفينـه طبعات من القرآن فيها تحريف ، اوقد يحصل خطأ طباعي ولكـــن سرعان مايكتشف ذلك .

(٣) الخصائص الكبرى ١٢٨/٣ .

اصولاً ... [illegible] ... يسمى " علم مصطلح الحديث " الذي يتضمن
اصولا وقواعد يمكن عن طريقها كشف المزيف من الاحاديث المنسوبه الى المصطفى
صلى الله عليه وسلم وبهذا استطاع علماء الامه كشف كل ماكذب على الرسول صلى
الله عليه وسلم وكمثال على ذلك فقد " اخرج ابن عساكر عن الرشيد انه جيء اليه
بزنديق فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين : اين انت عن اربعة آلاف حديث
وضعتها فيكم احرم فيها الحلال ، واحل فيها الحرام ، ماقال النبي صلى الله
عليه وسلم منها حرفاً ؟

فقال له الرشيد : أين أنت يازنديق عن عبدالله بن المبارك ، وابي
اسحاق الفزارى ينتخلانها فيخرجانها حرفا حرفاً ؟؟" (١)

فالرشيد قد اوضح لهذا الزنديق ان لدى المسلمين امثال ابن المبارك
وابن اسحاق الفزارى اللذان يغلطان الصحيح من المكذوب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

اما بالنسبة للشريعة الاسلامية فلم تتعرض للتحريف فقد حفظها الله
بحفظ القرآن والسنه - من عبث العابثين وتحريف الضالين - اذ على الرغم من
كثرة الفرق الهدامه الباطله التى اخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد
عجزت جميعا عن تحريف الشريعة وبقيت الشريعة الاسلامية شامخه كالطود ضد
جميع المحاولات واستمرت الى هذه الساعه وستستمر الى ان يرث الله الارض
ومن عليها غضه طريه .

لقد وقع في حياة الامة الاسلامية انحرافات كثيره سبق ان اوضحت شيئاً
منها - ولكنها كانت انحرافات شخصيه عطيه احلتها الاهواء ولم تتخذ طابع
التشريع العام للمجتمع المسلم . اذ الشريعه ظلت سليمه محفوظه وبقيت منهجاً

---

(١) تحذير لخواص من احاديث القصاص: ١٦٣ ، ١٦٤

ترتقي اليه الامة في فترات التجديد واليقظة ، ويبقى الانحراف في حس المسلمين انحرافاً وإن طال عليه الزمن .

ولم تمر على الاسلام الظروف التاريخية السيئة التي مرت على النصرانية وحالـــت دون تطبيقها . (١) فلم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى إلا وقد قامت للاسلام دولة يقوم كل امر من امورها على هدى الله ، واستمرت تتسـع وتتسع حتى شملت بحكمها ثلثي المعمورة في ذلك الحين في مدى زمني يقــــدر بأقل من نصف قرن .

اما البدع فلم يحصل في تاريخ الاسلام ان ابتدع علماء الدين بدعـــــاً من مثل الرهبنة وغيرها ولا يوجد في نصوص القرآن والسنة مايوحي بذلك فضـــلا عن ان يقررها .

فالعلماء المسلمون لم يبتدعوا الرهبانية وكيف يكون ذلك وهم يقرأون نعي الله وتوبيخه للنصارى الذين ابتدعوها من عند انفسهم زعماً منهم انهم بذلـــك يتقربون بها الى الله قال تعالى :

" ... وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون .. " الحديد : ٢٧

ويقرأون نهي الرسول صلى الله عليه وسلم لمن اراد ان يترهبن في عهده عن ذلك .

عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال : رد رسول الله صلى اللـــه

---

(١) الظروف التاريخية هي عمليات الاضطهاد التي مارسها الوثنيون حتى عام ٣٢٥م ضد النصارى مما كان سبباً في اختفاء الانجيل الاصلي ، وعدم تمكن النصارى من تطبيق ماالديهم من شريعة بالاضافة الى تحريفات بولس في التشريع وقد سبق ذكر طرف منها .

عليه وسلم على عثمان بن مضعون التبتل ، ولو اذن له لاختصينا " اخرجه البخاري ومسلم " (١) ورواه الدارمي بلفظ .

" لما كان من امر عثمان بن مضعون الذى كان من ترك النساء بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ياعثمان انى لم أومر بالرهبانية ، ارغبت عن سنتي ؟ قال : لا يارسول الله قال : ان من سنتي ان اصلي وانام ، واصوم واطعم ، وأنكح واطلق ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ياعثمان ان لاهلك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا "

وعن انس : " ان نفراً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ؟ فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا انام على فراش ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : مابال اقوام كذا وكذا ؟ ولكني اصلي وانام ، واصوم وافطر ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه " (٢)

واما ماحصل من انحراف عن هذا ماتحدثت عنه في الانحراف الذاتي ، فقد بقي في حجمه انحرافا وليس اصلا .

اما فيما يتعلق بالخطيئة الموروثة فان موقف الاسلام منها واضح وصريح .

ان اصل هذه العقيدة عند النصارى ناشيء عن اعتقادهم بأن آدم عليه السلام لما اكل من شجرة المعرفة التي نهي عن الاكل منها عوقب بالطرد من الجنه وانزل الى الارض ، ولم يكتف الله - تعالى عن ذلك - بهذه العقوبة

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب مايكره من التبتل والخصاء : ٦/ ١١٨ ، ١١٩ ، وصحيح مسلم كتاب النكاح : ٢/ ١٠٢٠ باختلاف يسير في الالفاظ .

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح : ٦/ ١١٦ ، وصحيح مسلم كتاب النكاح : ٢/ ١٠٢٠ .

لادم وانما ظل البشر يشعرون بالذنب والخطيئه فمن المحتم على الانسان ان يقتل نفسه ليمنحها الخلاص من هذه الخطيئة التي تلاحقه منذ آدم.

اما في الاسلام فقد ذكرت قصة آدم في القرآن-المصدر الاول للاسلام - مذيلة بذكر توبة آدم واستغفاره وبيان ان الله قد قبل التوبه وغفر الخطيئه .

قال تعالى :" ... وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منهـــا رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حيـــن. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم" البقره ٣٥ - ٣٧ (١)

وهكذا يتبين ان الله قد تاب على آدم وهو لا يزال في الملاء الاعلى قبـل ان يهبط الى الارض ، وان خطيئة آدم ليس لها الحجم المهول الذى تعطيهمـا اياه الكنيسه المحرفه اذ هي حادثه وقعت لادم وهي من الامور التي تتعرض للبشر حياتهم ، تمحوها التوبه والانابه الى الله .

هذا . ومن ناحية ثانيه فلو فرض جدلاً ان آدم عليه السلام لم يتب مـن ذنبه فإنه وحده المؤاخذ بذنبه ان لم يغفر الله له ولا ذنب للبشر في ذلك لا المسيح ولا غيره .

وهذا يندرج تحت مبدأ العدل الالهي ، فالله لا يؤاخذ احداً بذنب ارتكبه غيره مهما كانت الصله بينهما ، فلا يجوز حسب هذا المبدأ اذاً ان يؤاخذ احد غير آدم بخطيئته وذنبه حتى ولو كان ابن الشيطان الى اغواء بارتكاب هذه الخطيئه فضلا عن ان يكون ابن الله - كما يقول رجال الكنيسه قاتلهم الله - او اى من بني آدم .

يوضح ذلك عدة ايات من القرآن الكريم التي تقرر ان كل انسان يحاسـب

---

(١) وانظر سورة الاعراف : ١٨ - ٢٥ وسورة طه ١١٦ - ١٢٣ .

على سعيه فقط ، وان اوزار كل انسان عليه وحده فقط .

قال تعالى : (ولا تزروا وازرة وزر اخرى ، وان تدع مثقلة الى حملهـــــا لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير " فاطر : ١٨ .

وقال تعالى : " وابراهيم الذي وفى . الا تزروا وازرة وزر اخرى . وان ليس للانسان الا ماسعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الاوفى " النجـــم ٣٧-٤١ . (١)

وقد سبق علماء المسلمين فلاسفة عصر الانوار في نقد هذه العقيدة وكان من كتب في ذلك الامام ابن القيم رحمه الله . (٢)

اما مهزلة " صكوك الغفران " التي تعد صفحة سوداء في تاريخ العالم الغربي ، فليس باستطاعة احد من اعداء الاسلام الصريحين او المختفين تحت شعار الدعوة الى العلمانية ان يزعم ان هذه المهزلة قد وقعت من علماء المسلمين كما وقعت في التاريخ الاوربي من قبل رجال الكنيسة ، ذلك لان علمـــــــاء المسلمين يعلمون من آيات القرآن الكريم ان الله هو المالك الوحيد لغفران الذنوب وحط الخطايا عن المذنبين ، وان رسل الله جميعا اوضحوا هذه الحقيقـــــة ايضاحا كاملا لا لبس فيه .

قال تعالى : " ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم " ال عمران : ١٢٩ .

وقال تعالى : " واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " طه : ٨٢ .

وقال تعالى : " نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عذابي هـــو العذاب الاليم " الحجر : ٤٩-٥٠ .

---

(١) وانظر سورة الانعام : ١٦٤ ، وسورة الاسراء : ١٥ ، وسورة الزمر : ٧ .
(٢) اغاثة اللهفا من مصايد الشيطان ٢/٢٨٠ .

فكيف بهم يزعمون لانفسهم مثل ذلك ، وعلى هذا فان هذه المنزلـــة لم يعرفها المسلمون حتى فى احط عصورهم.

اما بدعة رجال الدين : "الاكليرس" التي جعلت لرجال الدين فـــي الغرب سلطة على خلق الله نشأتها طـبقيتهم ، السياسى ، والاقتصـــادى والدينى ، والعلمى فانه لا وجود لها في تاريخ الاسلام فضلا عن ان يوجد ما يوحى بها في نصوص القرآن والسنه . انما الذى يوجد في نصوص القرآن والسنه الدعـــوة الى ان يوجد في المسلمين طائفه تعلم شرع الله سبحانه لتوجه الناس الى اتباع هذا الشرع .

قال تعالى : " وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقةٍ منهــم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبه : ١٢٢ .

قال حميد بن عبدالرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " اخرجه البخارى ومسلم . (١)

اما ان يكون لهم او يزعمون لانفسهم مازعمه رجال الكنيسه لانفسهم مـــن حقوق كحق الغفران حيث يجلس المذنب على كرسى الاعتراف ليعترف بذنوبـــــه ويلتمس الغفران منه ، او ان يكون لهم الحق في اعفاء من يرون من بعض الاحكام وهو مايسمى بحق الشلـه فليس شيئا من ذلك لهم ، ولم يزعمه احد من علمـــــاء المسلمين حتى فى احلك عصور التاريخ الاسلامى ظلمة وجهلا .

---

(١) البخارى في كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين : ١/ ٢٥ ، ٢٦ ومسلم فى كتاب الزكاة باب النهى عن المسألـــــــة ٢/ ٧١٨ .

ان كلمة رجال الدين لم تكن تعرف عند المسلمين حتى بداية عصر الاستعمار للبلاد الاسلامية ، فقد كان الناس يطلقون على علماء الشريعة الفقهاء او العلماء او المشايخ ، بل لا زال عوام المسلمين يطلقون هذه العبارات على العلماء . واما كلمة رجال الدين فلا يستعملها الا من تأثر بالثقافه الغربيه من المثقفين المسلمين ، او من كان ساذجا لا يعلم ماذا يقصد باطلا من هذه الكلمة ، اذ التصور الاسلامي يرفض فكرة وجود اشخاص او مجالات دينيه لا علاقة لها بالحياة او دنيويه لا علاقة لها بالدين .

بالدين وما يتعلق
ان الامر كله لله ـ ما يتعلق بالدنيا ـ فهو صاحب الامر كله في تصريف شئون الخلق ولا وجود لاحد يشاركه في ذلك .

قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين " الاعراف ٥٤ .

كما ان كل اعمال المسلم يجب ان تكون لله سبحانه وتعالى :

" قل ان صلاة ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين " الانعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

لقد نشأ عن هذه البدعة ، سلطة كهنوتيه لرجال الكنيسه تمثلت في ادعاء رجال الكنيسه احقيتهم في تفسير الاناجيل ، وفي حق الغفران والحرمان والتحله ، ومارس رجال الكنيسه عن طريق هذه البدعه التي ابتدعوها لانفسهم انواعا من الطغيان على جماهير البشر ـ ذكرت نماذج لها سابقا .

فهل وقع شيء من ذلك في تاريخ الاسلام ؟
لا يوجد في نصوص القرآن ولا في نصوص السنه ما يعطى العلماء الدينيين سلطة كهنوتيه لا بالشكل الذى وجد في العالم الغربى ولا بغيره ، لان الاسلام يفترق عن النصرانيه المحرفه بفارقين اساسيين هما .

الاول : ان الاسلام هو عقيدة التوحيد الخالص انزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لتحرير العباد واخراجهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده دون سواه ، سواء في تلقى التشريع او في الاتباع ، وجاءت النصوص القرآنيـــة صريحه في تحريم صرف اى نوع من انواع العبادة لغير الله ، سواء كان ملكا مقربـا او نبيا مرسلا او طاغوتا متألـها ويكفى ان نقرأ الايه التاليه ـ التى توضح ان من يدعو الناس الى عبادته باتباعهم له فيما يشرع لهم كافضل رجال الكنيسة فهــــو كافر .

" ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للنـــاس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبماكنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون " آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ .

فهذه الايه توضح انه لا وجود لسلطة كهنوتيه فى الاسلام تشرع لخلــق الله امرا او نـهيا سواء فى الاعتقاد وفى التشريع كما حدث من رجال الكنيســة فى مراسيمهم البابويه ، او قراراتهم السكونيه ، او منشوراتهم الكنيسيه .

وخير مايوضح ذلك قوله تعالى : " يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة ســواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابـــا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون " ال عمران : ٦٤ وقد ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته الى هرقل عظيم الروم هذه الايه . (١)

وعن عدى بن حاتم : " أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هــذه الآيه : " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريـــم " الآيه ، فقلت : انا لسنا نعبدهم ، قال : إليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم " رواه احمد

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ١/٥-٧

والترمذى وحسنه .

الثاني : انه لا يوجد في الاسلام واسطه بين الله وخلقه مطلقا ، كما هو الحال عند النصارى اذ رجال الكنيسه قد جعلوا انفسهم وسطاء بين المذنبين والله سبحانه وتعالى اذ استحدثوا كرسى الاعتراف الذى عن طريقه يعترف المذنب بذنبه فيتوسط القس فى غفران ذنب المذنب باعتباره مثل المسيح فى الارض ، الذى يملك مفاتيح الملكوت - كما يزعمون -

ان الرسل عليهم السلام ، لا يملكون هذا الحق ولم يدعه احد منهم ، لقد كانت مهمة الرسل هى التبليغ عن الله مايوحى به اليهم فاذا ساهم احد من الناس وسائط بهذا الاعتبار ، اى وسائط في تبليغ الدين فلا بأس اما ان يكونوا وسائط فى غفران الذنوب فلا .

يقول الامام بن تيميه :

" . . . ومن يسوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين فمن اثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد اصاب فى ذلك .

وهؤلاء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة ، لا يجتمعون على ضلالة ، وان تنازعوا فى شىء ردوه الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل احد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله (ص) وقد قال النبى (ص) العلماء ورثة الانبياء فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر .

وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط عند الملوك

يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ادبا منهم ان يباشروا سؤال الملك ، او لان طلبهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب للحوائج ، فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله اندادا " (١)

لقد حفظ الله الاسلام واهله من الملابسات التى حدثت في العالم الغربي وادت الى وجود من يسمون " رجال الدين " الذين حرفوا النصرانية التى ارسل بها عيسى ، فلم يوجد مثل هؤلاء في واقع الحياة الاسلامية ، ولم يوجد ما يبرر وجودهم في نصوص القرآن والسنه ، كما اوضحت ذلك .

وتبعا لذلك فان الطغيان الذى مارسه هؤلاء في الحياة الغربية وكان احد عوامل نشوء العلمانية لا وجود له في التاريخ الاسلامي .

فالطغيان الديني الذى تمثل في تحليل ماحرم الله وتحريم ما احل الله وتسيير الجيوش لمحاربة المخالفين في الرأى ولو كانوا من المسيحين كما حدث لـ " الكاثاريون " و " الوالدونيون " واقامة محاكم التفتيش لعلماء الطبيعه وللمخالفين لهم في الدين كمحاكم التفتيش التى اقيمت للمسلمين في الاندلس ، كل ذلك لم يوجد في التاريخ الاسلامي ولا يوجد مايوحي به في نصوص القرآن والسنه .

والطغيان السياسى الذى استدل به رجال الدين الكنيسى الافراد الحكام والاهواء - والشعوب ، والذى مر ذكر نماذج منه ، لم يكن في التاريخ الاسلامي مثله ابدا ، بل ان العكس هو الصحيح فقد تعرض العلماء المسلمون للاذى من بعض الحكام المسلمين متأولين او طاغين ظالمين " (١) ولا يوجد في نصوص القرآن والسنه مايوحي بذلك فضلا عن ان يقرره كما يوجد في الاناجيل المحرفه .

---

(١) انظر نماذج من ذلك في كتاب : الاسلام بين العلماء والحكام .

وكذا الطغيان الاقتصادي الذى تمثل في الاقطاعيات الكبرى التي يستغل فيها رجال الكنيسه البشر بالعمل المجاني ، والاوقاف التى كانت توقف طمعا رجال الكنيسه من اقوات البشر ، والعشور والضرائب التى يستحصلها رجال الكنيسه من المزارعين والرعاة واصحاب الحرف وغير ذلك مما مر ذكره،كل ذلك لم يوجد مثله في التاريخ الاسلامي ، ولم يوجد مايبرره او يوحى به في نصوص القرآن والسنه ، بل يوجد مايندد به فقد قرر الله في القرآن ان الاحبار والرهبان يأكلون اموال الناس بالباطل .

قال تعالى : " ياايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل " التوبه : ٣٤ .

وفي ذلك معنى التحذير من سلوك لعلماء المسلمين من سلوك سبيل النصارى واليهود في اكلهم لاموال الناس بالباطل .

اما الطغيان الفكرى والعلمى الذى تمثل في حرق مجموعة من علماء الطبيعه وطاردة آخرين منهم والذى وقف حجر عثرة في سبيل الرقى العلمى لاوربا ، هذا الطغيان لم يوجد في تاريخ المسلمين ، والا لمادرست العلوم التطبيقيه -الطب ، والهندسه ، والرياضه - في مدارس المسلمين في العصور الماضيه كالازهر وغيره ،كما مر بيان ذلك . ولا يوجد في نصوص القرآن ولا في نصوص السنه مايوحي بذلك فضلا عن ان يقرره .

ان العلم كما ورد في نصوص القرآن والسنه على درجات منه مايجب تعلمه فرض عين ،ومنه مايجب تعلمه فرض كفايه ، وهذا مافهمه العلماء المسلمون من هذه النصوص . (١)

واكتفى هنا بذكر بعض آيات القرآن التى ترشد الى تعلم علوم بعينها .

ففى علم النبات قوله تعالى :

---

(١) انظر في ذلك مثلا كتاب : احياء علوم الدين : ١/ ١٦ .

" وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانيه وجنات من اعناب . والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون " الانعام : ٩٩

والخضر هنا المقصود به مايسميه علماء الاحياء "البلاستيدات الخضراء" وهي مصانع الغذاء في النبات . التي يصل اليها مايحتاجه النبات من الماء والهواء وضوء الشمس .

وفي علم الحيوان قوله تعالى

" . . . افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " الغاشيه : ١٧

وفي علم الكيمياء قوله تعالى :

" وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مافي بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين " النحل : ٦٦ .

ففي هذه الايات اضافة الى ارشادها الى التفكر في عجيب صنع الله بالنظر والتأمل العادى من كل انسان ، فإنها ترشد الى تعلم ومعرفة مايتعلق بالنبات ومايتعلق بالحيوان ، ومايتعلق بمعرفة مركبات الاشياء الكيماويه ليحصل بذلك نتيجتان هما :

الاولى : التفكر الواعي المتبصر في مخلوقات الله الناشيء عن العلم بها ، وذلك لا شك قدر زائد على تفكر وتدبر وتأمل الانسان العادى الذى لا يعلم عنها شيئا .

الثانيه : الاستفاده من نتائج المعرفة لهذه العلوم في خدمة البشر .

---

(١) انظر في ذلك مثلا كتاب : احياء علوم الدين : ١٦١١ .

والاسلام لا يعارض في ذلك فليس في نصوص القرآن والسنه مايمنع ذلك ، بل ان في نصوص القرآن مايدعوا الانسان الى النظر الى ماحوله ومنا مثلا الطعام الذي يأكله . قال تعالى :

" ... فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا " سورة عبس : ٢٤ .

ولا ريب ان العلم بالنبات وخصائصه ومركباته من اقوى انواع النظر، فالنظر الناشئ عن هذا العلم نظر متبصر وعميق وواعي .

وهكذا تبين لنا من خلال ماسبق أنه لا يوجد لدى دعاة العلمانيــــــه في العالم الاسلامي اى مبرر منطقي لدعوتهم الى اتخاذ العلمانيه منهجا للحياة بدايلا عن الاسلام او مع الاسلام يجعل الاسلام محصوراً في شعائر التعبد - الا اتباع الاهواء التي تأثروا بها من الثقافة الغربية . قال تعالى :

" ... ارأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا" الفرقان : ٤٣

وقال تعالى مخاطبا الرسول (ص) والحكم يشمل المسلمين : " .. ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " البقره : ١٤٥

واذا كان لا يوجد لدعاة العلمانيه مبرر لدعوتهم ، فما حكم الدعوة الـى العلمانيه في بلاد الاسلام ؟ هذا ماسوف اوضحه في الفقره التاليه .

٢- حكم الدعوة الى العلمانيه في العالم الاسلامي

ان العلمانيه - كما سبق بيانه[1] - تعني قيام الحياه على اساس استبعاد الدين عن التوجيه والهيمنه على الافراد والمجتمعات ودساتير وقوانين وانظمة الدول - خاصة التربية والتعليم -

وعلى هذا فهي تعني انها اتباع الغير ما انزل الله . ومن ثم فهي نظام جاهلي ومن يدعوا اليها فهو متبع للهوى . وقد نهى الله عن اتباع الاهواء، وأمر باتباع ما انزل الله الينا في القرآن وامر بطاعة الله ورسوله . وحكم على الذين يتبعون اهواءهم بالضلال .

قال تعالى : " ... ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل " المائده : ٧٧ .

وقال تعالى : " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون " الاعراف : ٣ .

وقال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون " الانفال : ٢٠ .

وقال تعالى : " ... ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين " القصص : ٥٠ .

واتباع الهوى هو من التحاكم الى غير منهج الله ورسوله الذى وضح في القرآن والسنه ، والتحاكم الى غير ذلك هو من التحاكم الى الطاغوت والتحاكم الى الطاغوت كفر . قال تعالى :

" ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا ، الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك

(١) انظر التمهيد في تعريف العلمانيه

وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ... الى قوله جل وعلا :

" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " النساء ٥٩ - ٦٥.

ولا ريب ان من يدعو الى العلمانية منهجا للحياة في المجتمع الاسلامي ويدعي الايمان والاسلام هو ممن يتولى عن منهج الله ورسوله ، ومن يتولى عن ذلك فليس بمؤمن وان ادعى الايمان .

قال تعالى :" ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون - انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون " النور: ٤٧ - ٥١ .

وقد وردت اكثر الايات التي نصت على تكفير من لم يقبل حكم الله ومنهجه ونفى الايمان عنه في سياق الحديث عن الذين يدعون الايمان من اهل الكتاب والذين يتظاهرون بالاسلام من المنافقين ، ولعل الحكمة في ذلك ان من لم يدع الايمان بشيء من منهج الله الوارد في القرآن والسنه فهو كافر بالضرورة ، وقضية قبوله للتحاكم الى غير منهج الله واضحة لا لبس فيها وانما اللبس قد يصيب بعض من ينتسب الى الاسلام ويحسبون انهم مؤمنون مع انهم لا يحتكمون الى ما انزل الله في القرآن بل يطيعون غير الله معه ، او من دونه .

قال تعالى : " ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ... الى ان قال تعالى :

" اتحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون " المائده ٤١ - ٥٠ (١)

ان هذا الحشد من الآيات وامثالها كثير في القرآن - تدل دلالة واضحة على نفي الايمان عمن ابتغى غير منهج الله حكما في اى شأن من شئون الحياة والحكم عليه بالكفر او بالنفاق ، وان ورود اكثر هذه الايات في حق من يدعـــى الايمان بالله وكتبه لما يجعل هذه القضيه واضحه جلية . لا بل قد حكم اللــــه بالشرك على من يطيع المشركين في قضيه فرعيه هي الاكل مما لم يذكر اسم اللـــه
قال تعالى : ((ولا تاكلوا مما لم يذكر الله عليه
عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهـــم انكم لمشركون " الانعام : ١٢١ (٢)

فهل يبقى بعد هذه النصوص الواردة فى حكم من يحتكم الى غير شـــرع الله ومنهجه مجال للشك ؟

ان من يدعى الايمان او الاسلام ويرى ان بامكانه ان يتحلل من احكـــام الله وشرعه ومنهجه او بعضها ويكتفي من الاسلام بالتلفظ بالشهادتين يكابر حقائق التاريخ ، والا فهل تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الضيق والشدة والحروب من اعداء الاسلام مدة ثلاثة وعشرين عاما ؟ وهل نزل القرآن الكريم على النبـــى صلى الله عليه وسلم آمرا وناهيا طوال هذه الفترة من اجل ان ينطق الجاهليون بالشهادتين - باللسان فقط - ويؤدوا الشعائر التى يسمح بها دعاة العلمانية وطبقوها ؟

ما الفرق بين ماقالته قريش للرسول صلى الله عليه وسلم : يامحمد اعبـــد آلهتنا سنه ونعبد الهك سنه (٣) وبين قول دعاة العلمانية بلسان حالهـــم

---

(١) انظر تفسير هذه الايات في : تفسير ابن كثير : ٣/١٠٥-١٢٣
(٢) انظر تفسير هذه الايه في : تفسير ابن كثير : ٣/٣١٦-٣٢٢ .
(٣) انظر في بيان ذلك تفسير ابن كثير : ٥٢٧/٨ .

او بلسان مقالهم نعبد الله في المسجد ونطيع غيره خارج المسجد ؟

لقد قال تعالى: " ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " البقره : ٢٠٨ . والسلم كما قرر ابن جرير الطبري هو الاسلام . (١)

وقال : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير" الانفال : ٣٩ .

وقال : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " النساء : ١٥٠، ١٥١ .

ان هذه الآيات وغيرها كثير توضح بما لا يدع مجالا للشك أن مجرد التلفظ بالشهادة لا يكفي في ان ينتسب الانسان الى الاسلام، وانما الواجب ان يلتزم الانسان بالاسلام في كل شئونه ليعد مسلما حقا . والا لوكان مجرد التلفظ او اداء بعض الشعائر هو الاسلام لكن كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم من القيام بذلك ، ولقبل الرسول منهم ذلك .

ان الشهادة لا اله الا الله وللاسلام شروطا ونواقض ،فمتى انتقى شيء من هذه الشروط ، او وجد احد النواقض . فقد انتقض الاصل .

اما شروطها فهي : " ١-العلم بمعناها نفيا واثباتا ، ٢- اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب ٣- الاخلاص المنافي للشرك . ٤- الصدق المانع من النفاق . ٥ -المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك . ٦-الانقياد بحقوقها وهي الاعمال الواجبه اخلاصا لله وطلبا لمرضاته .

---

(١) انظر في بيان ذلك تفسير الطبري : ٣٢٣/٢

٧- القبول المنافي للرد • (١)

واما نواقض الاسلام فهي عشرة نواقض منها :

١- الاعتقاد بأن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم اكمل من هديه أو ان حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

٢- الاعتقاد بأن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى عليه وسلم السلام .

فمن اعتقد ذلك فهو كافر . (٢)

اليس دعاة العلمانية غير منقادين لحقوق لا اله الا الله ؟

اليسوا ممن يعتقد ان غير هدى الرسول صلى الله عليه وسلم اكمل من هديه ، وانهم ممن يعتقد ان بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لقد افتى الامام ابن تيمية بوجوب قتال كل طائفة خرجت من شرائع الاسلام الظاهرة ، كالتتار وحكم بكفرهم رغم اخذهم ببعض شرائع الاسلام ولكن لانهم شرعوا شرائع مخالفة للاسلام اعتبرهم كفارا . (٣)

واستشهد الامام محمد بن عبد الوهاب باجماع العلماء على تكفير العبيديين المعروفين بالفاطميين . (٤)

يقول الدكتور عماد الدين خليل في وصف حال المتبع لغير منهج الله ومع ذلك يدعي الاسلام مايلي :

---

(١) مجموعة التوحيد : ٣٥٩ من رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن في الكلام على لا اله الا الله ؟

(٢) نفس المصدر : ٢٧١/٢٧٢ من رسالة للامام محمد بن عبد الوهاب عن نواقض الاسلام.

(٣) انظر كلام ابن تيمية عن التتار في كتاب مجموعة التوحيد : ٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) نفس المصدر : ٢٢٩.

" ... وفي الجهة المقابلة يقف الاسلام بهذا المنهج الالهي المتفرد والذى يعرف كيف يخاطب الانسان ، ويتعامل مع تكوينه المعقد ونسيجه الدقيق ، وبنيته المعجونه من طينة الارض والممزوجه بنور السماء ، . المنهج الذى يتميز بخصائص تجعله يختلف - أساسا - عن كل مذهب وضعي خطه يراع انسان وهي الخصائص ذاتها التي تجعل من السخف والبلادة المتناهيه مايدعيه البعض من أنهم يؤمنون بالاسلام باعتباره دينهم الروحي فحسب ، تلك هي التكامل والتداخل والتوازن .

فالذين يدركون حقيقه الاسلام ، ويعيشون تجربته ، يعرفون تماما انه نسيج وحده ، وان قطع اى خيط من خيوطه المحبوكه باعجاز رائع كفيل بتمزيق هذه الوحده المتجانسه ان الانسان الذى يؤمن بالاسلام ذلك الايمان المشوه سرعان مايجد امامه هوة سحيقه تمنعه من الاندماج والتعامل الصحيح مع هذا الدين ، ذلك انه مع الايمان - في قرارة نفسه - من بعض عناصر ومقومات الاسلام واكده في عناصر ومقومات اخرى وهو بعمله هذا لم ينل من وحدة الاسلام الدائم شيئا ، ولكنه وجه ضرباته الى صميم الكيان الانساني ، والى وحدة الذات الانسانيه ، ذلك انه سيجد نفسه مضطر الى الاستعاضه عن العناصر والقيم التى رفضها بعناصر وقيم اخرى يجيء بها من هنا وهناك ، ويرصها رصا .. عناصر لا تملك - بمجموعها - توحد القيم الاسلامية وتكاملها ، لانها لم تنبثق عن تصوره الاصيل .. ثم هي فيما بينها تعاني تناقضا محزنا لان كل عنصر او كل مجموعة من القيم جيء بها من تصور فرد من الافراد انسان من ملايين الناس ، وماهي في الحقيقه سوى نتاج ردود فعل نفسيه فكرية لهؤلاء الافراد مع واقع بامدائه المحدوده بحدود الزمان والمكان .. ومن ثم سيتشتت هذا الانسان (الآخذ) ويضيع .. انه آمن بوحدة عقائديه متكاملة ظاهرا ، لكنه - في حقيقته - تكامل زائف ، لانه سعى الى رص عناصر لا انسجام فيما بينها ولا تآلف في تركيبهما ،

وحاول - جهلا وعنادا - ان يجعل منها منهجا موحدا لحياة موحدة لا تقبل التجزئة . (١)

وبذا يتضح لنا خطورة الادعاء بأن الاسلام رابطة روحية - متمثلة في شعائر التعبد فقط - بين الانسان وربه ولا صلة له بحركة الانسان في هذه الحياة - فردا او مجتمعا - وهو ادعاء باطل يلغي الاسلام من اساسه ويهدم العبادة - بالمعنى الشامل - من جذورها .

ان دعاة العلمانية يقسمون نشاطات البشر الى جانبين :

الجانب الاول : ما يسمى بالنشاط الروحي ويعنون به شعائر التعبد .

الجانب الثاني : ما يسمى بالنشاط المادي - ويشمل حركة الانسان في هذه الحياة .

فاما الجانب الاول فانه يسير بما جاء في شرع الله ويسمح به ، شريطة ان لا يؤدي الى النهي عن الفحشاء والمنكر .

" ... واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون " العنكبوت : ٤٥ .

واما الجانب الثاني فانه يسرحب ما سن من قوانين البشر المخالفة لهدى الله . ويصدق عليهم قول الله تعالى في حكايته عن المشركين .

" .. وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون " الانعام : ١٣٦ .

وبعد ان عرفنا آثار العلمانية في التربية والتعليم ، وعرفنا انه لا يوجد لدعاة العلمانيه في العالم الاسلامي ما يبرر دعوتهم اليها تبريرا منطقيا مقبولا وعرفنا حكم الدعوة الى العلمانيه بقي ان نقول كيف السبيل الى التخلص من اثار العلمانية في العالم الاسلامي ؟ وهذا ما ساتحدث عنه باختصار في الفقره التاليه :

---

(١) تهافت العلمانيه : ٦٢ ، ٦٣ وانظر ايضا ص ٨١ - ٨٣

٣ـ كيف السبيل للتخلص من العلمانية وآثارها ؟

= = = = = = = = = = = = = = =

اتضح لنا مما سبق في الفصول الماضية مايلي :ـ

١ـ أن العلمانية مذهب فكري وعملي مستورد من الغرب ، نشأ لظروف وملابسات ـ عوامل ـ وأن هذه العوامل هي من نوع التفسير لما حدث .

٢ـ انتقلت الفكرة العلمانية من الغرب الى العالم الاسلامي ووجدت عوامل ساعدت على تقبل المسلمين أفرادا أو أحزابا وحكومات لهذا المذهب تمثلت في ـ الانحراف الذاتي ، والمفكرون الأوائل الذين كان لهم أثر في نقل العلمانية عن طريق الافكار التي تأثروا بها ، والمفكرون المستغربون ، والنصارى في العالم الاسلامي ، والمخططات الصليبية واليهودية ، وأن هذه العوامل هي أيضا من نوع التفسير لما حدث فقط .

٣ـ أنه لا يوجد مبرر منطقي ولا تاريخي مقبول لاعتناق العلمانية كمذهب للافراد أو الاحزاب او الحكومات في العالم الاسلامي .

٤ـ أن اعتناق العلمانية كمذهب فكري للافراد او الاحزاب ومذهب للتطبيق في الدول هو من اتباع الاهواء . واتباع الاهواء هو اتباع لغير شرع الله ، واتباع غير شرع الله كفر .

وبناء على ذلك فان السبيل الى التخلص من العلمانية وأثرها في العالم الاسلامي يتمثل في الآتي :ـ

١ - أن يقوم علماء الشرع الحنيف ومفكرو المسلمين بمحاربة كل انحراف عن العقيدة الصحيحة ، سواء أكان انحرافاً في فهم الالوهية - الطاعة والاتباع ، والعبادة - او انحرافاً في فهم معنى الايمان بالقدر أو فهم معنى التوكل .

ذلك ان الانحراف في فهم معنى الالوهية ، بالانحراف في مفهوم الطاعة والاتباع يؤدى الى أن يصرف الناس هذا النوع من العبادة أو جزءاً منه الى الحكام والعلماء ، أو مشايخ الطرق الصوفية ، وهذا الذى ضل بسببه كثير من أجيال المسلمين المتأخرة .

كما أن الانحراف في فهم معنى العبادة بالمعنى الشامل لها ، يؤدى الى أن يصرف نوع من انواعها لغير الله ، كالاضرحة والقبور التى يقبّر فيها احد الاولياء او الصالحين او من يُدّعى له ذلك ، وهذا ما حرس المتقين بالثقافة الغربية المتأثرين بها الى ان يدعوا الى العلمانية زعماً منهم ان هذا هو الاسلام .

كما أن الانحراف في فهم معنى الايمان بالقدر ، وفهم معنى التوكل بترك العمل بالاسباب ، يدعوى ان ماقدر سيحصل ولو عطل الانسان السبب أغرى المثقفين بالثقافة الغربية بالدعوة الى العلمانية ، زعما منهم أن هذا الواقع الاسلامى المنحرف ، هو مايدعوا اليه الاسلام .

وكل ماسبق ساعد على تهيىء المسلمين لتقبل العلمانية كما سبق ان أوضحت ذلك .

٢- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان خطأ الافكار التي دعا اليها - عن حسن نية - بعض المفكرين الاوائل الذين نشأوا في اوائل عهد الاتصال بالغرب ، في عهد كان المسلمون قد وصلوا فيه الى مستوى فكرى متردٍ ساعد على تقبلهم لهذه الافكار . وكذا بيان خطأ الافكار التي دعا اليها المستغربون من المسلمين ومخالفتها للاسلام حتى يحذر ابناء المسلمين من هذه الافكار التي تتضمنها كتبهم .

٣- ان يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور النصارى في بلاد المسلمين في نقل الفكر العلماني الى العالم الاسلامي ، حتى يحذر ابناء المسلمين من كتابات وابحاث النصارى في العالم الاسلامي .

٤- أن يقوم علماء المسلمين ومفكروهم ببيان دور قوى الاحتلال في نقل تطبيقات الفكر العلماني الى العالم الاسلامي المتمثلة في سن القوانين المخالفة للاسلام في حياة الفرد والاسرة والمجتمع والدولة ، وان يقوموا بدحض الافكار والمفاهيم التي يشيعها المبشرون والمستشرقون في ابحاثهم وكتاباتهم عن الاسلام ورسوله والتي تتركز في ادعاء عدم صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في هذا العصر ، ومن ثم الدعوة الى اتخاذ قوانين مما يسنه البشر لتحل محل الشريعة الاسلامية أو الادعاء بان ليس هناك رابط بين الدين والحياة ، فالدين - كما هو المفهوم الغربي - عبارة عن صلة بين العبد وربه في الكنيسة ، ثم لا علاقة له بشئون الحياة ولا هيمنة له عليها ،

ولذا فيجب أن يبحث المسلمون عن قوانين يسيرون بها حياتهم اما من تجارب الامم المتقدمة !! أو من اجتهاداتهم أو منهما معا ،وهذا يتنبه المسلمون لخطورة هذه الافكار على مجتمعاتهم .

٥-أن تعود حكومات العالم الاسلامي الى رشدها باتخاذ شريعة الله لها منهجا وتظاما ونبذ جميع الافكار والقوانين والتشريعات المخالفة للاسلام. اذ لا يصح ان تحكم بلاد المسلمين في كافة شئونها بغير شرع الله الذي شرعه لنا في القرآن والسنة وامرنا باتباعه ونهانا عن اتباع الهوى - والعلمانية من الهوى - قال تعالى " وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " . المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .

تلك في نظري أهم السبل العامه للتخلص من آثار العلمانية في العالم الاسلامي ، خاصة السبيل الخامس ذلك " لان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " . كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فاذا وجد سلطان يحكم شرع الله في كافة شئون الحياة سارت حياة الافراد والمجتمع سعيدة هنيئة مباركة .

ولكن هناك سبلاً خاصة تتعلق بالتربية والتعليم فما هي هذه السبل ؟ .

قبل أن نعرف ذلك أود أن اوضح ان الغاية الاساسية التي تسعى اليها التربية الاسلامية تتمثل في اعداد الانسان الصالح ، بخلاف المناهج التربوية غير الاسلامية شرقية كانت ام غربية فهي تسعى لاعداد المواطن الصالح على اختلاف كبير في مواصفات هذا المواطن ، "فبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يقدس العمل والانتاج ، وتقاس قيمته ومواطنيته بقدر مايعمل" .

وبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يكفر بالله ويقدس الحزب الحاكم فاذا كان بعكس ذلك اصبح مجرماً لا يستحق صفة المواطنة الصالحة .

وبعضها يرى ان المواطن الصالح هو من يتعصب لجنسه واصله فيرى غيره واطياً دينا لا يستحق صفة المواطنية" (١)

لكن ماهي صفات الانسان الصالح الذي تسعى التربية الاسلامية لاعداده ؟ "لقد حددت سورة العصر صفات الانسان الصالح في الاتي :

١- انه انسان مؤمن بالعقيدة الاسلامية وليس متبعاً للاهواء" .

٢- أن ايمانه يتجسد في عمل الصالحات وهو تعبير قرآني يعني كل مايصلح به حال الفرد والجماعة ويصلح به الدين والدنيا .

---

(١) معالم في التربية : ١٤٣ بتصرف .

٣- انه يسعى الى نشر الحق الذى آمن به فى المجتمع والدعوة اليه وهذا هو معنى التواصى بالحق .

٤- انه مستعد ان يحمل مع اهل الحق باعباء التواصى به صابرا على البلاء موصيا بذلك وقابلا للتوصية به وهذا معنى التواصى بالصبر[1]

اما السبل الخاصة المتعلقة بالتربية والتعليم فانى اكتفى هنا بذكر بعض السبل .

١- يجب أن تتضمن مناهج التعليم تحقيق روح الولاء للاسلام ،بالبراءة من كل نظام أو مبدأ يخالف الاسلام ،وذلك كما تضمن عدم انتشار امثال المذاهب التربوية المخالفة للاسلام كالمذهب البراجماسي والمذهب الوضعى المنطقى وغيرها من المذاهب ، وكالدعوة الى جعل الولاء للوطن او القومية ، او الدعوة الى اعتناق واتخاذ الاشتراكية ، او الرأسمالية او الديمقراطية أنظمة للدولة اقتصاديا وسياسيا وغير ذلك من الافكار التى تموج بها الساحة الفكرية والعقيدة ، وقد تضمنت السياسة التعليمية للملكة العربية السعودية النص على هذا فى المادة التاسعة والعشرين .

---

(١) الحل الاسلامى فريضة وضرورة : ٥٧ بتصرف .

٢-بناء المناهج في المراحل كلها وفي شتى المواد ، بحيث تعزز التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة ، وتوضيح دور الانسان المسلم في هذه الارض ، وتنقيتها من كل الافكار ال " لادينيه " التي تتضمنتها هذه المناهج ، كالدعوة الى اعتناق المذاهب الفلسفية التربويه كالمذهب البراجماتي ، والمذهب الوضعي المنطقي في التعليم الجامعي . او الدعوة الى الوطنيه والقوميه والاشتراكية والديمقراطية وغيرها من الافكار في مراحل التعليم العام والجامعي . وتوجيه عناية خاصة الى العلوم الانسانية التي تتضمن من الافكار المخالفة للتصور الاسلامي الشيء الكثير بحيث يهيمن عليها التصور الاسلامي ، وتأليف الكتب لذلك بحيث تغرس في انفس الناشئة العلم والايمان معا .

٣-اعادة كتابة العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية (البحته والتطبيقية) بخاصة ، بحيث تصاغ صياغة موافقة للعقيدة الاسلامية ، وذلك حتى يتحقق في الناشئة الوجدان الديني الذي يشعرهم بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته المعجزة ، ومن ثم يتحقق في الناشئة المتعلمة قوله تعالى " انما يخشى الله من عباده العلماء " وتزول بذلك تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية من ناحية والعلوم البحته من ناحية اخرى تلك التي سرت عدواها الى المسلمين من اتخاذ المناهج ال " لادينيه " في تدريس

تلك العلوم بمعزل عن الدين ، ولابد من التنبه الى ضرورة الفصل بين الحقائق النهائية - وليس فيها مايخالف العقيدة الاسلامية - وبين الفروض او النظريات العلمية التى لم تثبت نهائيا ، وكمثال على ذلك فرضية التطور المتعلقة بخلق الانسان ، والتى مر مناقشة أفكارها .

والتنبه كذلك الى الفرق بين حقائق العلم ، والفلسفات العقديه والفكرية التى توجهه كما وضّح ذلك فيما نقلته عن الندوى عند الحديث عن مقررات العلوم فى المملكة العربية السعودية .

وقد تضمنت سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية التأكيد على هذا فى المواد الثانية عشرة ، والثالثة عشر ، والرابعة عشرة " (١)

كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فى قراراته وتوصياته التى صدرت عنه " (٢)

---

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم فى مكة (ملحق سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية) : ٣١٥ .

(٢) كتاب المؤتمر : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

٤- اعداد المعلم الصالح ، والمعلم الصالح هو الانسان الملتزم بالاسلام عقيدة وسلوكا اذ هو الذى يستطيع تحويل المنهج والكتاب الصالحين الى واقع ملموس . ويكون قدوة عملية للطلابه . وقد تضمنت السياسة التعليمية للملكة العربية السعودية تبنى ذلك والتأكيد عليه فى المواد الثالثة والستين بعد المائة ، والرابعة والستين بعد المائة ، والخامسة والتسعين بعد المائة " (١) كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فى توصياته وقراراته . (٢)

٥- اعطاء المواد الشرعية نصيبها المناسب لمكانتها وقيمتها واهميتها فى حياة الانسان والانسان المسلم على الاخص - من الخطة التعليمية اقول ذلك لاننا عرفنا من استعراض نصيب المواد الشرعية فيما سبق من البحث ان نصيبها هو من اقل الانصبة فى خطط الدراسة فى كافة انحاء العالم الاسلامى ماعدا المملكة العربية السعودية . ذلك لان المواد الشرعية تتضمن المنهج الذى يجب على المسلم سلوكه .

ومن المؤسف حقا ان يعتنى اليهود وهم أهل ديانة محرفة بتعليم التلاميذ فى المدارس والجامعات الدين فى الوقت الذى تكون فيه انصبة مواد [illegible] الدين فى اكثر البلاد الاسلامية ضئيلا .

---

(١) انظر كتاب تاريخ التعليم فى مكة المكرمة : ٣٣٧ ، ٣٤٢ .
(٢) انظر كتاب المؤتمر : ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٩ .

يقول رود ريك ماثيوز ورفيقه :

" ان أهم مايسترعي الانظار في المدارس الاسرائيليه في فلسطين أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية ، فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتعززها)) (١)

وجاء في مقال " التعليم العالي في اسرائيل في مجلة فلسطين مقتبسا من الدراسة التي قدمتها دائرة البحوث والدراسات في الهيئة العليا لفلسطين مايلي : " ان سياسة التعليم العالي تهدف الى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها ، بالاضافة الى الدعاية لاسرائيل وكسب الاصدقاء " (٢)

وقد تضمنت السياسة التعليمية للمملكة العربية السعودية تبني ذلك والتأكيد عليه في المادة الحادية عشر من السياسة " . (٣)

كما اوصى المؤتمر العالمي للتعليم الاسلامي بالعناية بالثقافة الاسلامية في جميع مراحل التعليم وفي جميع انواعه المدنيه والعسكرية " (٤)

---

(١) التربية في الشرق الاوسط العربي : ٣٥٤ .

(٢) نحو التربية الاسلامية الحره : ٧٧ .

(٣) تاريخ التعليم في مكة المكرمة : ٣١٤ ، ٣١٥ . (٤) كتاب المؤتمر : ٩٤ .

ولا ريب ان اهمال تدريس العلوم الشرعية أثر من اثار العلمانيـــة ومظهر من مظاهرها .

٦- ازالة الانفصال بين الواقع الاسلامي الذى تعيشه الامة الاسلاميـــة وبين ماتتضمنه مقررات العلوم الشرعية من احكام تتعلق بالحياة الاجتماعية او الاقتصادية وغيرها ، يخالفها الواقع المطبق فى العالم الاسلامـــى وكمثال على ذلك يدرس الطلاب فى مقررات العلوم الشرعية حرمة الربا وانـــه من الكبائر ، وتنتشر فى واقع المسلمين المصارف الربويه . ولا يزال الانفصـــام الا بالعودة الى تحكيم شريعة الله فى كافة شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية ، وعندها يكون الدراسة العلوم الشرعية معنى وفائدة ، اذ ما الفائدة من كثرة حصص المواد الشرعية والواقع يخالف مايدرسه الطلاب فى هذه المقررات .

٧- الغاء التعليم المختلط الذى يعد اثراً من آثار العلمانيه ومظهراً من مظاهرها وذلك لان الاختلاط كما اوضحت محرم شرعاً فى التعليم والعمـــل ولان الامم التى طبقت لاختلاط فى التعليم والعمل بدأت تعانى من نتائـــج ذلك فساداً فى الاخلاق وتشرداً للاجيال الناشئة وشذوذاً منها الـــى الاجرام والشذوذ وهذا أمر تأباه شريعة الاسلام وتنفر منه الفطر السويه ، لـذا فلابد من أن يكون تعليم البنات مستقلاً تماماً عن تعليم البنين حتى فـــى الاشراف بحيث يكون الاشراف على التعليم النسوى خاضعا لادارة مستقلـــة

كما هو الشأن فى المملكة العربية السعودية كما يجب أن تكون مناهج التعليم للبنين والبنات بما يوافق التخصصات الوظيفية الفطرية التى خص الله بها كلاً من الذكر والانثى ، وقد سبق ان نقلت نصين للدكتور الكسيس كاريل عن الفروق بين المرأة والرجل التى ينبغى ان تلاحظ فى التعليم والعمل .

" وقد ادرك رجال التربية المسلمون اهمية الفصل بين الجنسين فأكدوا عليه . فهذا الامام سحنون يقول :" واكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان لان ذلك فساد لهم " وهو رأى يدعمه القابسى بقوله : ومن صلاحهم (اى طلبة العلم) ومن حسن النظر لهم ، الا يخلط بين الذكران والاناث"[1]

هذا بالاضافة الى ان بعض الامم التى سبقتنا فى تطبيق النظام المختلط قد بدأت تنشىء مدارس غير مختلطة وجامعات غير مختلطة ومن ضمن هذه البلاد امريكا كما سبق ان ذكرت عند الحديث عن الاختلاط .

وقد تبنت السياسة التعليمية للمملكة هذا واكدت عليه فى المواد :تسعة ، وماله وثلاثة وخمسين ، ومائة واربعة وخمسين ،ومائة وخمسة وخمسين ،ومائة وستة وخمسين . كما تبنى ذلك ودعا اليه المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى[2]

---

(١) التربية فى السنة النبوية : ٨٣ .

(٢) تاريخ التعليم فى مكة المكرمة : ٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

٨- قصر البعثات الى خارج البلاد الاسلامية على مابعد المرحلة الجامعية وللتخصصات النادرة نظراً للاثار السيئة التى تحدثها الاقامة فى بلاد غير اسلامية على الشباب المسلم المبتعث فى سن المراهقة ،فكريا وسلوكيا ذلك أن احد المعابر التى عبر منها الفكر الغربى - والفكر التربوى والتعليمى منه بخاصة - الى العالم الاسلامى ،وأثر فى افكار المسلمين ونظمهم ، هم بعض المبتعثين الذين تأثروا بالفكر الغربى ويكفى ان نذكر بعض اوائل المفكرين الذين تأثروا تأثراً بالغاً بالفكر الغربى ، يشهد بذلك ماسطروه من افكار فى كتبهم لاعهد للمسلمين بها ،من امثال قاسم امين ، وعلى عبد الرازق ، واحمد فتحى زغلول ،وطه حسين وغيرهم ؛ (1)

ويجب ان يكون الابتعاث اجراءً مؤقتا لا اجراءً دائما مستمراً وقد تنبه المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى الى خطورة الابتعاث فنصوا فى احدى توصياتهم على قصر الابتعاث على الدراسات العليا للتخصصات النادرة .

---

(1) انظر لبيان اثر البعثات على فكر المبتعثين وسلوكهم وعقيدتهم كتاب : الفكر الغربى فى مائة سنه : ٤٦ ، ٤٧ . وكتاب وجهة الاسلام : ١٨٩- ١٩١ ، وكتاب الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة : ٢٧٥ .

٩- عدم السماح بفتح مدارس أو جامعات غير اسلامية فى بلاد المسلمين وذلك لأنه كان ومازال للمدارس والجامعات الاجنبية آثار سيئة على الدارسين فيها وعلى المجتمع الذى تكون فيه فكراً وعقيدة ، ويكفى ان نذكر ان المدارس الاجنبية كان لها اثر فى :

١- نشوء القومية العربية ، باعتراف المؤرخين لذلك ، والنصارى العرب منهم خاصة . (١)

٢- فى اضعاف عقيدة الولاء والبراء التى تجعل المسلم يعتز بدينه ولا يرضخ لكافر أو يفضله على مسلم ، وفى اعطاء بعض الدارسين الذين تأثروا بمناهج هذه المدارس الفكرية والعقيدة ولاءهم للغرب . (٢)

٣- اضافة الى اثرها فى اضعاف اللغة العربية (٣)

وقد تنبه الى خطر المدارس الاجنبية المؤتمرون فى المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى فنصوا فى احدى توصياتهم الى الدعوة الى عدم السماح بوجود المدارس التبشيريه والمشبوهة التى تعمل على ابعاد المسلمين عن دينهم . (٤)

---

(١) انظر لبيان اثر المدارس الاجنبية فى نشوء القومية العربية كتاب محاضرات عن القومية العربية : ٢٩ . وكتاب حصوننا مهددة : ٣٦٧ .

(٢) انظر فى بيان هذا قول اللورد لويد فى كتاب الاتجاهات الوطنية : ٢/ ٢٨٥-٢٨٧

(٣) انظر فى بيان هذا كتاب تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر : ١٩ ، ٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤) انظر فى هذا كتاب المؤتمر : ١٢٩ .

١٠- ان تتضمن مناهج ومقررات كليات التربية دراسة موسعة لنظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة ودور الانسان في هذه الحياة ، ودراسة موسعة لفلسفة الاسلام التربوية مستخرجة من نصوص القرآن والسنة وفقه علماء الامة لهما . ذلك لان التعليم انما قصد به اعداد الانسان الصالح الذى يسعى لان ينشر الحق والخير في اكبر قدر ممكن من البشر وهذا يتحقق مايريده الاسلام من اعداد الانسان الصالح ، لا الانسان الوطني او القومي او الديمقراطي ، ام الاشتراكي او الليبرالي - المتحرر - .

١١- ان تتضمن مناهج كليات التربية دراسة المذاهب الفلسفية التربوية الغربية دراسة نقدية فاحصة على ضوء نظرة الاسلام الى الكون والانسان والحياة بحيث يتخرج المتخصصون في التربية بفروعها المختلفة وقد تفهموا هذه المذاهب على حقيقتها في نظرتها الى الانسان والكون والحياة ، وهذا يتمكن المسلمون من الاطمئنان الى أنه لن يوجد من يعتنق هذه المذاهب والنظريات ويتافح عنها ويدعوا اليها في العالم الاسلامي كما هو الحال الان .

ولن يمكن تحقيق ماذكرت الا بأن تتبناه الحكومات في العالم الاسلامي ولن يكون ذلك الا بالعودة الى اتخاذ الاسلام منهجا للحياة في المجتمع .

هذا واكتفي بما ذكرت من السبل ، وأقف عند هذا الحد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


المراجع

قائمة المراجــع (*)

أولا : المراجع العربية

آ- كتب التفسير:

١- الطبرى ،ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن الجزئين الثانــي ، والثلاثون ، مكتبه وطبعة مصطفى البابى الحلبــي واولاده ، القاهره ط٣/١٣٨٨هـ .

٢- ابن كثير،عماد الدين ابوالفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم ، الاجزاء الاول والثالــث، والرابع والخامس ، والسادس والثامن ، دار الشعب القاهره (د.ت) حققه عبد العزيز غنيم محمد احمــد عاشور ، محمد ابراهيم البنا .

٢- كتب الحديث :

١- البخارى ،محمد بن اسماعيل، صحيح البخارى ، الجزئين السادس والثامن ، المكتبة الاسلامية باستانبول ،ط١٩٧٩م.

٢- البيهقي ، ابو بكر احمــد بن الحسين بن على، كتاب السنن الكبرى ،دار صادر بيروت مصــوره عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند حيدر آباد الدكن الجزء الثالث ط١/١٣٤٧هـ الجزء التاسع ط١/١٣٥٦هـ.

(*) اثبتت المراجع على اساس اسم المولف ، بذكر الاسم الاخير من اسم المولف ثم الاسم الاول ثم الثاني وهكذا ،الا اذا كان المولف مشهورا باسمه الاول فاذكره تحت اسمه الاول فمثلا ، احمد امين ، سيد قطب ،يكونان في حروف الالف ، والسين وقد اكتفيت بذكر اسماء الكتب التى نقلت عنها نصين فاكثر، اما مانقلت عنه نصا واحدا فقط فلم ادرجه في هذه القائمة ، وكذا ما اشرت اليه فقط ،ماعدا المراجع الاجنبيه فقد ذكرتها . كذلك لم ادرج في هذه القائمة اسماء المجلات والصحف .

٣- الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى الجزء الثانى الجزء الثاني المكتبة الاسلامية - القاهره (د.ت) تحقيق وتخريج احمد محمد شاكر الجزء الثالث ، المكتبة الاسلامية - القاهره (د.ت) تحقيق وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى .

٤- الحاكم النيسابورى ، محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين مكتبة النصر الحديثة الرياض صورة عن طبعة طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ، حيدر آباد الدكن ط ١٣٤٤ وبذيله تلخيص المستدرك للذهبى .

٥- ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد : مسند الامام احمد ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، الاجزاء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس ، المكتب الاسلامي بيروت ط ١٣٩٨/٢هـ

٦- ابن ماجه ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى : سنن ابن ماجه ، طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهره (د.ت) حقق نصوصه ورقم كتبه وابوابه واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي

٧- مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : صحيح مسلم ، الجزئين الثالث والرابع ، دار احياء الكتب العربية ، القاهره (د.ت) حقق نصوصه وصححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقى .

٣- الكتب العامه :

١- ابراهيم ، عبد اللطيف فؤاد : مرشد تمرين المدرس ، مكتبة مصر ، القاهرة ط ١٩٧٢/٢م

٢- ــــــــــ : المناهج اسسها وتنظيمها وتقويم اثرها ، مكتبة مصر ، القاهره ط ١٩٧٦/٧٥/٤م

٣- ــــــــــ واحمد ، سعد مرسى : المواد الاجتماعية ، وتدريسها الناجح ، مكتبة النهضة المصريه ، القاهره ط ١٩٧٤/٢م

٤- ابن الاثير ، ابى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى . : الكامل فى التاريخ ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ

٥- احمد جمال : مفتريات على الاسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط/١ ١٣٩٢هـ .

٦- احمد ، سعد مرسى . على ، سعيد اسماعيل : تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب القاهره ط/ ١٩٧٤م .

٧- احمد ، سفربن عبد الرحمن : العلمانية وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الاولى "الماجستير" في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة عام ٩٨/١٣٩٩هـ بإشراف الاستاذ محمد قطب .

٨- احمد ، لطفى بركات : فلسفة الوضعية المنطقية والتربية . . . . ، دار النهضة العربية ، القاهرة ط/١٩٦٧م .

٩- احمد ، نازلى صالح : حول التعليم الابتدائي ونظمه ، دراسات مقارنة ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط/ ١٩٧٣م .

١٠- الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية : حلقة اعداد المعلم العربى ، المنعقدة ببيروت عام ١٩٥٧م ، مطبعة [illegible] لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره (د . ت)

١١- آرنولد ، توماس : الدعوة الى الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ط ٣/ ١٩٧٠م .

١٢- الأميرى ، محمد وفا : آيات الله تعالى ، الجزء الثانى ، دار الرضوان حلب (د . ت)

١٣- انطونيوس ، جورج : يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) دار العلم للملايين بيروت ط ٤/ ١٩٧٤م ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس

١٤- الانصارى ، محمد جابر : تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠-١٩٧٠) ضمن سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت رقم (٢٥) مطابع الانباء ، الكويت ط/١ ١٩٨٠م .

١٥- برنتين ، كرين — أفكار ورجال (قصة الفكر الغربي) مكتبة الانجلو المصرية القاهره ، ط ١٩٦٥م ، ترجمة محمود محمود .

١٦- البهي ، محمد — العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق (ملحق مجلة الفكر الاسلامي) (د م ، ت ، ن)

١٧- ———— — الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه ، القاهره ط ٤ (د ت)

١٨- تشيس ، ستيوارت — الانسان والعلاقات البشريه ، مكتبة مصر القاهرة ط ١٩٥٥ ترجمة احمد حموده .

١٩- التل ، احمد يوسف — تطور نظام التعليم في الاردن (١٩٢١-١٩٧٧) ط ١٩٧٨م (د م ن)

٢٠- 〃 ، عبدالله — جذور البلاء ، دار الارشاد ، بيروت ط١ / ١٣٩١هـ

٢١- التوم ، بشير حاج — تأصيل تربية المعلم ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ط١ / ١٤٠١هـ .

٢٢- التونسي ، خير الدين — اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، مطبعة الدولة بتونس ط١ / ١٢٨٥هـ .

٢٣- التونسي ، محمد خليفة "مترجم" — الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) (د م ن ت)

٢٤- ابن تيميه ، احمد بن عبدالحليم بن عبد السلام — العبوديه ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط٤ / ١٣٩٧هـ

٢٥- ———— — الواسطة بين الخلق والحق ، مطبعة الامام القاهره ط٢ / ١٣٧٦هـ .

٢٦- جب ، هاملتون — دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين بيروت ، ط٢ / ١٩٧٤م ترجمة احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد .

٢٧- ———— — وجهة الاسلام ، المطبعة الاسلامية بالقاهره ط ١ ترجمة محمد عبدالهادي ابوريده (د ت)

٢٨- الجبرتي ، عبدالرحمن بن حسن — عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، دار الجيل بيروت الجزء الاول ط٢ / ١٩٧٨م .

٢٩- جريشه ، على . الزيبق ، محمد شريف | أساليب الغزو الفكرى ، دار الاعتصام القاهـره ط١/ ١٣٩٧هـ .

٣٠- الجندى ، انور | التربية وبناء الاجيال فى ضوء الاسلام ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ط١/ ١٩٧٥م .

٣١- ــــــــــ | الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبنانى بيروت (د.ت)

٣٢- جولد تسهير ، اجنتس | العقيدة والشريعة ، دار الكتب الحديثة القاهرة ط٢ (د.ت) ترجمة محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق .

٣٣- جيلفورد ، ج . ب (إشراف) | ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، المجلد الاول " الميادين النظرية " دار المعارف بمصر ، القاهره ط٢/ ١٩٦٢م ترجمة احمد زكى صالح وآخرون باشراف يوسف مراد .

٣٤- حسون ، على | تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامى ، بيروت ط١/ ١٤٠٠هـ .

٣٥- الحصرى ، ساطع | البلاد العربية والدولة العثمانية ، محاضـرات القاها على طلاب معهد الدراسات العربية العاليه مطبعة الرسالة القاهره ط/ ١٩٥٧م

٣٦- ــــــــــ | حولية الثقافة العربية ، طبعت على نفقة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

الحوليه الاولى : ١٩٤٩/٤٨ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره ، ط ١٣٦٩هـ

الحوليه الثانيه : ١٩٥١/٥٠م دار الرياض للطبع والنشر القاهره (د.ت)

الحوليه الثالثه : ١٩٥٢/٥١م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره ، ط ١٩٥٣م .

الحوليه الرابعه : ١٩٥٣/٥٢م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره (د.ت)

الحوليه الخامسه : ٥٣/٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة (د.ت)

٣٧- الحويك ، الياس طنوس : تاريخ نابليون الاول ، مكتبة زيدان العمومية القاهره ط/ ١٩٣١م .

٣٨- خالدى ، مصطفى ، فروخ ، عمر : التبشير والاستعمار ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ط٤/ ١٣٩٠هـ

٣٩- خان ، وحيد الدين : الدين في مواجهة العلم ، دار الاعتصام ، القاهره ط١/ ١٣٩٢هـ .

٤٠- ———————— : المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل ، المختار الاسلامي القاهره ط١/ ١٩٧٨م .

٤١- خلف الله ، محمد احمد "جمع" : الثقافة الاسلامية والحياة المعاصره ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهره ط٢/ ١٩٦٢م .

٤٢- خليل ، عماد الدين : تهافت العلمانية ، موسسة الرسالة ، بيروت ط١/ ١٣٩٥هـ .

٤٣- " " ، " " : مأساتنا في افريقيا ، موسسة الرسالة ، بيروت ط١/ ١٩٧٨م .

٤٤- دوس ، جيمس . س : الاسس العامه لنظريات التربية ، مكتبة النهضة المصريه القاهره (د .ت) توجمة صالح عبد العزيز محمد السيد غلاب .

٤٥- دروزة ، محمد عزة : القرآن والمبشرون ، المكتب الاسلامي بيروت ط٢/ ١٣٩٢هـ

٤٦- الديب ، فتحى . عميرة ، ابراهيم بسيوني : تدريس العلوم والتربية العمليه ، دار المعارف القاهره ط٢/ ١٩٧٠م .

٤٧- ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، واختارته وانفقت على توجمتة الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، الاجزاء الثاني والحادى عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر (د .م .ت .ن)

٤٨- راندال ، جون هرمان : تكوين العقل الحديث ، دار الثقافة ، بيروت الجزء الثاني ط٢/ ١٩٦٦م توجمة جورج طعمه ، مراجعة برهان دجاني .

٤٩- الرافعي ، عبد الرحمن : مصطفى كامل " باعث الحركة الوطنية " مطبعة الشرق القاهره ، ط١/ ١٣٥٧هـ .

٥٠- الرافعي ، مصطفى صادق : وحي القلم ، الجزء الثالث ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهره (د . ت) .

٥١- رحمة الله خليل الرحمن الهندي : اظهار الحق ، الجزء الاول ، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء (د . ت) تعليق عمر الدسوقي .

٥٢- رسل ، برتراند : اثر العلم في المجتمع ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة (د . ت) ترجمة تمام حسان .

٥٣- رضا ، محمد رشيد : تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الجزء الاول ، ط/١ ١٣٥٠هـ

٥٤- رمضان ، محمد مصطفى : الشعوبيه الجديدة (د . ن) بيروت ط/١ ١٣٨٩هـ

٥٥- رو ، جان بول : الاسلام في الغرب ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ط (د . م) ط/١ ١٩٦٠م ترجمة نجده هاجر .

٥٦- الزركلي ، خير الدين : الاعلام ، دار العلم للملايين بيروت ط/٤ ١٩٧٩م

٥٧- ابوزهره ، محمد : محاضرات في النصرانيه ، دار الفكر العربي القاهره ط/٥ ١٣٩٧هـ .

٥٨- سلطان ، محمود السيد : بحوث في التربية الاسلامية ، موسسة علي جراح الصباح ، الكويت ط/ ١٩٧٨م .

٥٩- ~~سليمان منير عطا الله~~ لبيب ، رشدي ، شفشق ، محمود عبد الرازق : تاريخ ونظام التعليم في مصر ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ، ط ٣/ ١٩٧٢

٦٠- السمان ، محمد عبدالله : مفتريات اليونسكو على الاسلام ، المختار الاسلامي ، القاهره ط/١ ١٣٩٦هـ

٦١- سهيل ، اصلاح : حين ينزف الافق ، مطبوعات نادي الطائف الادبي (د . م) ط/ ١٣٩٩هـ

٦٢- شابلي ، هارلو . رايوت ، صمويل ، رايتهطين : العلم اسراره وخفاياه الجزء الثالث ، مكتبة غريب القاهره ط/ ١٩٧١ ترجمة محمد صابر سليم ، محمد جمال الدين الفندي ، مصطفى عبد العزيز

٦٣- شاتليه ، ا . ل : الغاره على العالم الاسلامي ، الدار السعودية للنشر جده ط/٢ ١٣٨٧هـ ترجمة مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب .

٦٤- شاخت ،جوزيف . بوزورث، كليفورد ادمون : تراث الاسلام ، القسم الثانى من سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب الكويت العدد (١١) ترجمة حسين مونس ، احسان صدقى العميد

٦٥- الشحلت ،على احمد : نظرية التطور بين العلم والدين ، موسسة الخانجى القاهره (د.ت)

٦٦- شدقه ،محمد فهر : التصوف بين الحق والخلق (د.م.ن) ،ط٢/١٣٩١هـ

٦٧- شلبى ، احمد : المسيحيه - ضمن سلسلة مقارنة الاديان رقم "٢" مكتبة النهضة المصريه القاهره ط٤/١٩٧٣م

٦٨- شلبى ،احمد وآخرون : الازهر تاريخه وتطوره ، دار ومطابع الشعب القاهره ط/١٣٨٣هـ.

٦٩- ال الشيخ ، عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مطبعة السنة المحمديه ،القاهره ، ط٧/١٣٧٧هـ .

٧٠- صالح العبود : فكرة القوميه العربيه على ضوء الاسلام ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز فرع مكه لعام ٩٧/١٣٩٨هـ باشراف الاستاذ محمد قطب .

٧١- صروف ، فواد "محرر" : الفكر العربى فى مائة سنه ، موتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد فى تشرين الثاني ١٩٦٦م فى الجامعة الامريكية في بيروت مطابع الدار الشرقية للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٧م.

٧٢- صليبيا ، جميل : مستقبل التربية فى العالم العربى ،منشورات عويدات بيروت ط٢/١٩٦٧م .

٧٣- الصواف، محمد محمود : المخططات الاستعماريه لمكافحه الاسلام . (د.م.ت.ن) .

٧٤- طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، مطبعة المعارف ومكتبتها القاهره (د.ت)

٧٥- الطهطاوى ، رفاعة رافع : المرشد الامين للبنات والبنين ، مطبعة المدارس الملكية القاهره ١٢٨٩هـ .

٧٦- ——————— : مناهج الالباب المصريه ، (د.م.ن) ط ١٢٨٦هـ

٧٧- الطويل ، توفيق — قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مكتبة مصر ، القاهرة ط٢/١٩٥٨م .

٧٨- عبدالله ، عبدالرحمن صالح — تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط ١/١٣٩٣هـ .

٧٩- عبدالوهاب ، احمد — المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط١/١٣٩٨هـ .

٨٠- العثيمين ، محمد صالح — رسالة الحجاب ، مطابع القصيم ، الرياض ط١/١٣٨٨

٨١- العرضي ، محمد سعيد — سر انحلال الامة العربية ووهن المسلمين ، موسسة الرسالة ط٢/١٣٨٦هـ .

٨٢- العظم ، يوسف — أين محاضن الجيل المسلم ، الدار السعودية للنشر جدة ط٢/١٣٩٧هـ .

٨٣- عفيفي ، محمد الهادي — في اصول التربية (الاصول الفلسفية للتربيـة) مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط١٩٨٧م

٨٤- عفيفي ، محمد الهادي ، جلال ، عبدالفتاح ، علي ، سعيد اسماعيل — التربية ومشكلات المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية القاهره ط٢/١٩٧٣م

٨٥- العقاد ، عباس محمود — الانسان في القرآن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط٢/١٩٦٩م .

٨٦- عمارة ، محمد "دراسة وتحقيق" — الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني مع دراسة عن الافغاني ، الموسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهره (د.ت) .

٨٧- ———— — الاعمال الكامله لرفاعه رافع الطهطاوي ، الجـزء الثاني الموسسة العربية للدراسات والنشـر القاهره ٧٣/١٩٧٤م .

٨٨- ———— — الاعمال الكاملة لقاسم امين ، الجزء الثاني ، الموسسة العربية للدراسات والنشر القاهرة ط/١٩٧٦م

٨٩- الغاياتي ، شيوه علي — مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين ، مكتبة وهبة القاهرة (د.ت)

٩٠- الغزالي ،ابو حامد : احياء علوم الدين ، الجزئين الاول والرابع مكتبة وطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة (د . ت)

٩١- الفاسي ، علال : دفاع عن الشريعة ،منشورات العصر الحديث بيروت ط ١٩٧٢/٢م

٩٢- الفاسي ،محمد بن الحسين الحجوي الثعالبي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، الجزء الثاني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ط١٣٩٧/١ تخريج وتعليق عبدالعزيز القاري .

٩٣- القفي ،حسن : التاريخ الثقافي للتعليم في مصر ، دار المعارف القاهرة ط١٩٧١/٢

٩٤- فيشر ،هـ . أ . ل : تاريخ اوربا في العصور الوسطى الجزئين الاول والثاني ، دار المعارف ، القاهرة ،ط ١٩٦٦/٤ ترجمة محمد مصطفى زيادة ، السيد الباز العريني ،ابراهيم احمد العدوى .

٩٥- القرطاس ،قيس : نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها مؤسسة الرسالة ط١٣٩١/١هـ .

٩٦- كاريل ، الكسيس : الانسان ذلك المجهول ، مكتبة المعارف بيروت ط١٩٧٤/٢ ترجمة شفيق سيد فريد .

٩٧- كرسون ،اندريه : المشكلة الاخلاقية والفلاسفة ، دار الكتب الحديثة القاهرة ، ط١٣٨٤/٢هـ ، ترجمة عبدالحليم محمود ابو بكر زكري .

٩٨- كوثراني ،وجيه : الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي -(١٨٦٠ - ١٩٢٠) نشر معهد الانماء العربي ط١٩٧٨/٢م .

٩٩- كونانت ، جيمس . ب : مواقف حاسمة في تاريخ العلم ، دار المعارف القاهرة ط١٩٦٣/٢ ترجمة احمد زكي .

١٠٠- كيلاني ، اسماعيل : فصل الدين عن الدولة ، المكتب الاسلامي بيروت ط١٤٠٠/١هـ

١٠١- الكتاب المقدس (اي كتب العهد القديم والعهد الجديد)وقد ترجم من اللغات الاصلية وهي اللغة العبرانية ، واللغة الكلدانية ، واللغة اليونانية طبع في عام ١٨٧٠م في بيروت (د . ن) .

١٠٢- اللقاني ، احمد حسين ، رضوان ، برنس احمد : تدريس المواد الاجتماعية عالم الكتب ، القاهره ط٣/١٩٧٩م

١٠٣- لوبون ، غوستاف : حضارة العرب ، دار احياء التراث العربي بيروت ط٣/١٣٩٩هـ ترجمة عادل زعيتر

١٠٤- ———— : حياة الحقائق ، مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهره ط١/١٣٦٨هـ ترجمة عادل زعيتر.

١٠٥- لويس ، برنارد : الغرب والشرق الاوسط ، (د.م.ن) ١٩٦٥م ترجمة نبيل صبحي

١٠٦- ماثيوز ، رودريك وعقراوي ، متى . : التربية في الشرق الاوسط ، المطبعة المصريه القاهره (د.ت) ترجمة امير بقطر

١٠٧- المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب : اسس التربية في الوطن العربي ، مقررات صادره عن "الحلقة" الدراسيه العربيه الاولى للتربية وعلم النفس" المنعقده في القاهره من ١١-٢٠ محرم ١٣٨١هـ (د.م.ن) ط١/١٩٦٥م .

١٠٨- المحافظة على : الاتجاهات الفكريه عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨ - ١٩١٤) الاهليه للنشر والتوزيع بيروت ط٢/١٩٧٨م.

١٠٩- المحامي ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العليه العثمانيه ، دار الجيل بيروت ط/١٣٩٧هـ .

١١٠- محمد اسد : الاسلام على مفترق الطرق ، دار العلم للملايين بيروت ط٧/١٩٧١م .

١١١- محمد بن عبد الوهاب واخرون : مجموعة التوحيد ، مطبعة السنه المحمديه القاهره "د.ت"

١١٢- محمد الغزالي : قذائف الحق ، منشورات المكتبه المصريه بيروت (د.ت) .

١١٣- ———— : معركة المصحف في العالم الاسلامي ، دار الكتب الحديثه القاهره ط٢/١٣٨٣هـ .

١١٤- محمد قطب : التطور والثبات في حياة البشرية ، مكتبة وهبه (د.ت) م

١١٥- محمد قطب : دراسات فى النفس الانسانيه ، دار القلم "د.ت)

———— : معركة التقاليد ، مكتبة وهبه ط٢/ ١٩٦٢

١١٦- محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنيه في الادب المصرى المعاصر دار الارشاد بيروت ط٣/ ١٣٨٩هـ

١١٧- ———— : الاسلام والحضارة الغربية ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ط١/ ١٣٩٩هـ

١١٨- مرجان ، محمد مجدى : الله واحد أم ثالوث ، دار النهضة العربيه القاهره (د.ت) .

١١٩- موسى ، محمد منير : تاريخ التربية فى الشرق والغرب ، عالم الكتب القاهره ط/ ١٩٧٧م .

١٢٠- ———— : التعليم العام فى البلاد العربيه ، عالم الكتب القاهره ط٢/ ١٩٧٤م مزيده ومنقحه .

١٢١- مظهر ، اسماعيل : تاريخ الفكر فى نشوئه وتطوره ... دار الكاتب العربي بيروت "د.ت"

١٢٢- المودودى ، ابو الاعلى : الحجاب ، دار الفكر بيروت (د.ت)

١٢٣- موريسون ، أ. كريسى "محرر" : العلم يدعو للايمان ، مكتبة النهضة المصريه ط٥/ ١٩٦٥م ترجمة محمود الفلكي .

١٢٤- مونسما ، جون كلوفر "محرر" : الله يتجلى في عصر العلم ، موسسة الحلبى القاهره ، ط٣/ ١٩٦٨م

١٢٥- النجار ، حسين فوزى : احمد لطفى السيد (استاذ الجيل) ضمن سلسلة اعلام العرب ، رقم "٣٩" ، الموسسة المصريه العامه للتأليف والانباء والنشر القاهره (د.ت)

١٢٦- النجيحى ، محمد لبيب : مقدمة فلسفة التربية ، مكتبة الانجلو المصريه القاهره ط٢/ ١٩٦٧م .

١٢٧- الندوى ابو الحسن على الحسنى : نحو التربية الاسلاميه الحره ... موسسة الرسالة بيروت ، ط٢/ ١٣٩٧هـ

١٢٨- ———— : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الكتاب العربى ، بيروت ط ٦/ ١٣٨٥هـ

١٢٩- ثوار ، عبد العزيز سليمان : التاريخ الحديث (الشعوب الاسلاميه) دار النهضه العربيه بيروت ط/ ١٩٧٣م

١٣٠- نيللر ، ج . ف : فى فلسفة التربية ، عالم الكتب القاهره ط/ ١٩٧٢م ترجمة محمد منير مرسى ، محمد عزت عبد الموجود ، يوسف ميخائيل

١٣١- هامرتن ، جون . أ. : تاريخ العالم الاجزاء الثالث، الرابع ، الخامس ، مكتبة النهضة المصريه ، القاهره ، ترجمة ادارة الترجمة ، بوزارة المعارف العموميه بمصر . (د . ت)

١٣٢- وافى ، على عبد الواحد : الاسفار المقدسه في الاديان السابقه على الاسلام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهره ط/ ١٩٧١م

١٣٣- ولز ، هـ . ج : معالم تاريخ الانسانيه الجزئين الثالث والرابع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهره ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ط/ ١٩٦٧م .

١٣٤- يسن ، نبيه : ابعاد متطوره للفكر التربوى ، مكتبة الخانجي القاهره (د . ت)

١٣٥- يوسف ، محمد على : الجفوة المفتعله بين الدين والعلم ، دار مكتبة الحياة بيروت ط ١٩٦٦م .

٤- المطبوعات الحكومية :

١- جامعة الملك عبد العزيز : تقارير وبحوث المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى المنعقد عام ١٣٩٧هـ الاجزاء السادس ، الثامن ، التاسع ، مطبعة جامعة الملك عبد العزيز بجده

٢- ———— : كتاب المؤتمر " يتضمن قرارات وتوصيات المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامي " المنعقد في مكة المكرمة فى الفترة من ١٢ - ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٧هـ

٣- اللجنة العليا لسياسة التعليم : منهج المرحلة المتوسطة (بنين) (د . م . ن) ط/ ١٣٩١هـ .

٤- صلح ، احمد منير : نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربى ، مطبوعات جامعة الرياض رقم "٨" الرياض عام ١٣٩٤هـ .

٥- وزارة الثقافة والارشاد القومي ؛ سلسلة تراث الانسانية . . . ، الجزء الاول الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع القاهره (د . ت) الجزء السادس دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهره (د . ت)
الجزء التاسع الهيئة المصريه العامه للتأليف والنشر القاهره ، ط ١ / ١٩٧١م اشراف احمد أبوزيد .

٦- وزارة المعارف (ادارة الابحاث والمناهج والمواد التعليميه) ؛ منهج المرحلة الثانوية اعتمد بموجب قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم المبلغ لمعالي وزير المعارف برقم ١/٩/٢٣٣ ، المطابع الاهلية للاوفست الرياض (د . ت) .

٧- وزارة المعارف ؛ المجموعة الاولى ، منهج التعليم الابتدائي لمدارس البنين ، عام ١٣٨٨هـ صادر عن اللجنة العليا لسياسة التعليم ، مطابع الرياض بالرياض (د . ت) .

٥- دواير المعارف والقواميس :

١- الياس ، انطوان الياس . إلياس ، ادوار . ا . ؛ قاموس الياس العصرى "عربي - انجليزي" دار غريب للطباعة القاهره ط ١١ / ١٩٧٦م .

٢- البعلبكي ، منير ؛ المورد "قاموس انجليزى عربي" دار العلم للملايين بيروت ط٦ / ١٩٧٣م .

٣- الريحاني ، البرت وفريق من الاساتذه (رئيس التحرير نجيب فرنجيه) ؛ الموسوعة العربيه ، دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت ط ١ / ١٩٥٥م

٤- السايق ، جروان : ؛ الكنز قاموس انجليزى عربي" دار السابق للنشر بيروت "د . ت"
٥- ———— مجمع اللغات "عربي - فرنسي . انجليزى - انجليزى ، فرنسي - عربي . فرنسي - انجليزى - عربي " دار السابق للنشر بيروت " د . ت "

٦- الشنتناوى احمد وآخرون (اشراف وادارة وترجمة) ؛ دائرة المعارف الاسلامية (د . ن . ت)

٧- عبدالنور ،جبور ،ادريس ،سهيل ، المنهل " قاموس فرنسي عربي " دار الاداب ، دار العلم للملايين بيروت ط٣/١٩٧٣

٨- غربال ، شفيق " اشراف" ، الموسوعة العربية الميسره دار الشعب القاهره ط٢/١٩٧٢م.

ملاحظة : وردت في هذه القائمه رموز هي :" (١) (د.ت) اى لا يوجد للطبعه تاريخ (٢) (د.ن) اى لا يوجد على الكتاب بيان للناشر (٣) (د.م.ن) اى لا يوجد على الكتاب بيان الناشر ولا مكان النشر (٤) (د.م.ت.ن) لا يوجد على الكتاب اى بيانات عن النشر.

ثانيا : المراجع الاجنبيـــــــــه :

1. ARBERY A.J. :
Religion in the Middle East (2) Islam
Cambridge University Press
CAMBRIDGE. LONDON. NEWYORK. MELBOURNE 1969.

2. BABCOCK GOVE'PHILIP AND MERRIAM WEBSTER
Editorial staff. Springfield, Mass:
Webster's third new International Dictionary
of the English Language, Unabridged.
Editor in Chief:
G & C. Merriam Co. (1971) "III"

3. HORNBY A.S., COWIE A.P. and LEWIS J. WINDSOR:
Oxford advanced Learner's Dictionary of
Current English (by) (3 ded)
London, Oxford University Press (1974)

4. THE NEW ENCYCLOPAEDIA BRITANNI Ca in 30 Volumes
AMACROPAEDIA VO HELEN HEMING WAY BENTOH,
Publisher, 1973 - 1974 (C) 1975.
Buencyclopaedia. Briannica. Inc.
Copyright under International
Copyright Union Printed in U.SA.

5. WEBSTERS NEW WORLD DICTIONARY
OF THE AMERICAN LANGUAGE
Legeed Cleveland, World Pub. Co. (1968)